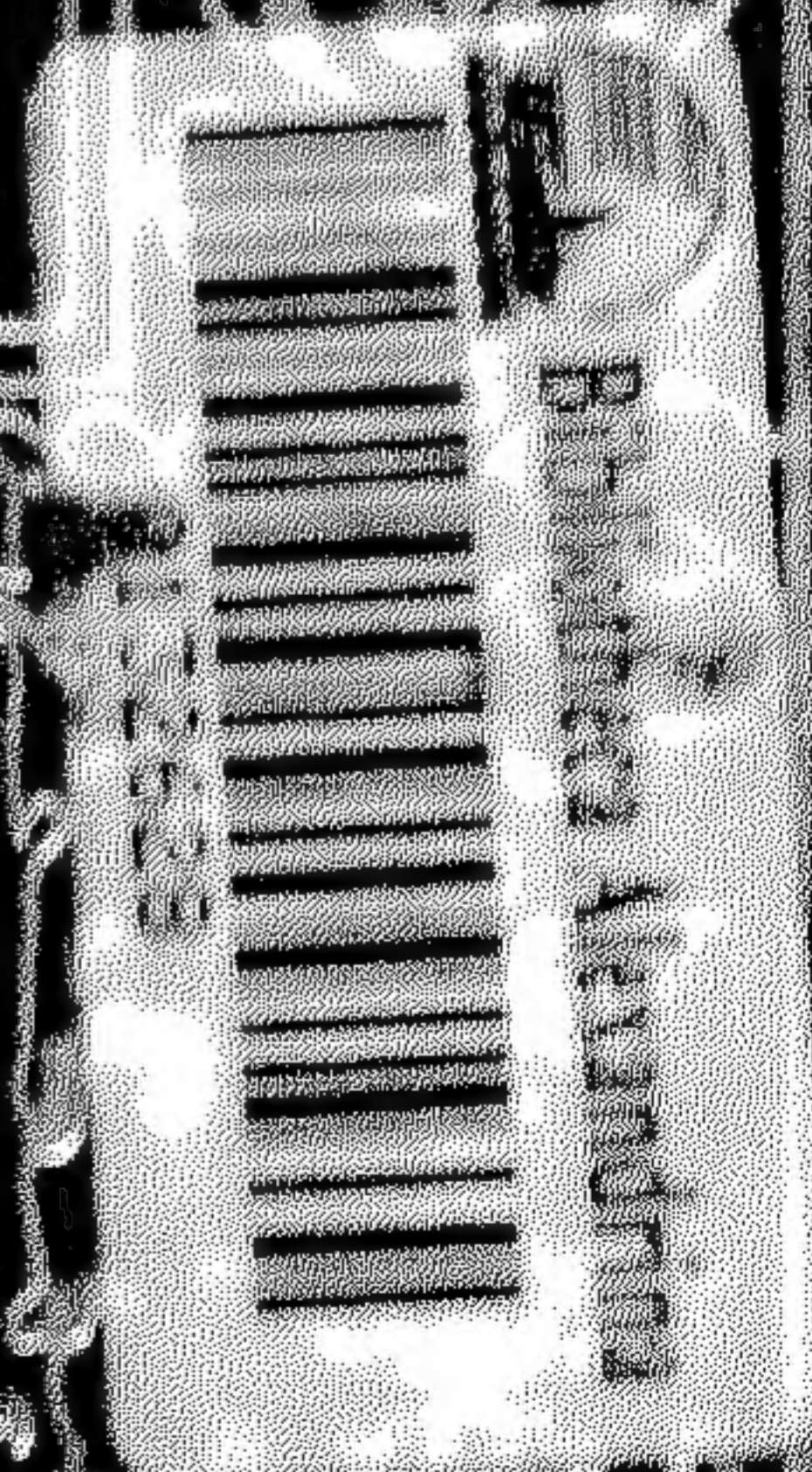


الحافظ ابن كثير

البيان

مشرقات مكتبة المعارف بيروت







٣٥٩.٥٩٧

٦٧١

٢ ب ٢

ب

١٢

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبَيْدَاءُ وَالنَهْجَاءُ

الجزء الثالث

General Organization of the
Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشرح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

الهيئة العامة للكتاب الأكاديمية القبطية
رقم التسجيل
٤-٧ / ١٨٨٨٨
١٤

بيروت - لبنان

مكتبة المحرارف

ص. ب. : ١٧٦١ - ١١

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب كيف بدأ الوحي

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم كان ذلك وله (س) من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .

قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها : أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله (س) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعب — الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : [اقرأ بسم ربك الذي خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] فرجع بها رسول الله (س) يرجف

مؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . قال خديجة - وأخبرها الخبر - لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعنوم ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى ، ياليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً ، إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله (ص) : « أَوَ أَخْرِجُنِي ؟ » فقال : نعم . لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ . ثم لم يذهب ورقة أن توفي وفتر الوحي " فترة . حتى حزن رسول الله (ص) - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواطئ الجبال فكلمأ أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدي له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه . فیر جمع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك . قال فاذا أوفى بذروة جبل تبدي له جبريل فقال له : مثل ذلك هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخاري . قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة الوحي - فقال في حديثه : « بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . فرجعت منه . فرجعت فقالت : زملوني ، زملوني فأنزل الله (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) فحمي الوحي وتتابع » ثم قال البخاري تابعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح ، يعني عن الليث ، وتابعه هلال بن داود عن الزهري . وقال يونس ومعر : - بوادره . وهذا الحديث قد رواه الامام البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولا في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي اسناداً ومتناً والله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومعر عن الزهري كما علقه البخاري عنهما ، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته والله الحمد وانتهى سياقه الى قول ورقة : أنصرك نصرأ مؤزرأ .

(١) الى هنا رواية البخاري في صحيحه مع اختلاف في بعض الالفاظ لا تغير المعنى .

فقول أم المؤمنين عائشة . أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، يقوى ما ذكره محمد بن اسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثي أن النبي (ص) قال : « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت ما اقرأ؟ ففتنى ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحو حديث عائشة سواء ، فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحاً بهذا في معازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : في كتابه دلائل النبوة حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا جناب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح عن ابراهيم عن علقمة بن قيس . قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده .

عمره (ص) وقت بعثته وتاريخها

قال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي أن رسول الله (ص) نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة . فهذا اسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن اسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل . وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وكل به اسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقي اليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له ونمريناً إلى أن جاءه جبريل . فعلمه بعد ما غطته ثلاث مرات ، فحكّت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع اسرافيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة اسرافيل .

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس أنزل على النبي (ص) وهو ابن ثلاث وأربعين فكث بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا . ومات وهو ابن ثلاث وستين ، وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيب ثم روى احمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث رسول الله (ص) وأنزل عليه القرآن ، وهو ابن أربعين سنة فكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال الامام

أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أقام النبي (ص) بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله (ص) يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (ص) : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » انتهى كلامه .

وانما كان رسول الله (ص) يحب الخلاء والافراد عن قومه ، لما برأهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيماء الله اليه صلوات الله وسلامه عليه . وقد ذكر محمد بن اسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة - قال : وكان واعية - عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله (ص) يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه . وكان من تنسك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة . وهكذا روى عن وهب بن كيسان انه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :
وَنُورٍ وَمَنْ أَرْسَى بُيُوتاً مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيُرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله ، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرقى في حر ونازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم .

وحراء يقصر ويمد ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى ، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج
فَلَا وَرَبِّ الْأَمْنَاتِ الْقُطْنُ وَرَبِّ رُكْنٍ مِنْ حِرَاءٍ مُنْحَنِي

وقوله في الحديث : والتحنث التعبد ، تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنث من حنث البنية (١) فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أي خرج من الحنث وتحوب وتخرج وتأنم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنحس وتقذر أوردتها أبو شامة . وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله يتحنث أي يتعبد . فقال : لا أعرف هذا إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : والعرب تقول التحنث (١) كذا في الحلبية وفي المصرية .

والتحنف يبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا جدف وجذف كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الأحذاف *

يريد الأحداث . قال وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول فُم في موضع ثم . قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين وفومها أن المراد نومها .

وقد اختلف العلماء في تعبدته عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا ؟ وما ذلك الشرع فقيل شرع نوح وقيل شرع إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى . وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به ، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر في أصول الفقه والله أعلم .

وقوله حتى فجئه الحق وهو بفار حراء أى جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك) الآية . وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة : (اقرأ باسم ربك الذى خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) وهى أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك فى التفسير وكما سيأتى أيضا فى يوم الاثنين كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم أنزل على فيه » وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وبى يوم الاثنين وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء : أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك فى شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام ، فى الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء ، والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان ، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ، ومحمد بن اسحاق وغيرهما . قال ابن اسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس) فقيل فى عشره . وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل فى الرابع والعشرين منه . قال الامام احمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وروى ابن مردويه فى تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه ، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل (اقرأ) قال: «ما أنا بقارئ» قال الصحيح ان قوله «ما أنا بقارئ» تنبيء
 أى لست ممن يحسن القراءة. ومن روجه النووي وقبلة الشيخ أبو شامة. ومن قال إنها استفهامية
 فقوله بعيد لأن الباء لا تزداد في الاثبات. ويؤيد الأول رواية أبي نعيم من حديث المعتمر بن
 سليمان عن أبيه: فقال رسول الله (ص)، — وهو خائف برعد — «ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه
 وما أكتب وما أقرأ» فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً. ثم تركه فقال: له اقرأ. فقال محمد (ص)،
 «ما أرى شيئاً أقرأه، وما أقرأ، وما أكتب» يروى فغطني كما في الصحيحين وعتني ويروى قد
 غتني أى خنقني «حتى بلغ مني الجهد» يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع. وفعل به
 ذلك ثلاثاً.

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلفه
 به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتأخذه الرحضاء أى البهر والعرق. وقال
 غيره: إنما فعل ذلك لأمر: منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقي إليه بعد هذا الصنيع المشق على
 النفوس. كما قال تعالى (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه
 الوحي يحمر وجهه ويفط كما يفظ البكر من الابل ويتفصد جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد.
 وقوله فرجع بها رسول الله (ص)، إلى خديجة يرنجف فؤاده. وفي رواية: برادره، جمع بادرة قال
 أبو عبيدة: وهي لحمة بين المنكب والعنق. وقال غيره: هو عروق تضطرب عند الفزع وفي بعض
 الروايات ترجف بأذنه واحدها بادرة. وقيل بادل، وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الندى.
 وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك.

فقال: «زملوني زملوني» فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة: «مالى؟ أى شئ عرض لي؟»
 وأخبرها ما كان من الأمر. ثم قال: «لقد خشيت على نفسي» وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده
 قبل ذلك، ولا كان في خلقه. ولهذا قالت خديجة: ابشر، كلا والله لا يخزيك الله أبداً. قيل من
 الخزي، وقيل من الحزن، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه أن من كان متصفاً
 بصفات الخير لا يخزي في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجميلة ما كان من سجايه
 الحسنة. فقالت: إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث — وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه
 عليه عند الموافق والمفارق — وتحمل الكل. أى عن غيرك تعطى العيلة ما يريحه من ثقل
 مؤنة عياله — وتكسب المعدوم أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنة
 قبل غيرك. ويسمى الفقير معدوماً لأن حياته ناقصة. فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم:

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء

وقال أبو الحسن النهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم :
 عَدَّ ذَا الْفَقْرِ مِيتًا وَكِسَاءً كَفَنَّا بِالْيَا وَمَأْوَاهُ قَبْرًا

وقال الخطابي : الصواب (وتكسب المعدم) أى تبذل اليه أو يكون تلبس المعدم بعطية مالا يعيش به . واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي أن المراد بالمعدم ههنا المال المعطى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه . ومن قال إن المراد أنك تكسب بآبجارك المال المعدم ، أو النفيس القليل النظير ، فقد أبعد النجمة وأغرق في النزع وتكلف ما ليس له به علم ، فان مثل هذا لا يمدح به غالباً ، وقد ضحف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله أعلم .

وتقرى الضيف - أى تكرمه في تقديم قراه ، واحسان مأواه . وتعين على نوائب الحق ويروى الخير ، أى إذا وقعت نائبة لأحد في خير أعنت فيها ، وقت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش ، وقوله : ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . وقد قدماً طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله . وانه كان ممن تنصّر في الجاهلية فنارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش فتنصّروا كلهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق ، إلا زيد بن عمرو بن نفيل فانه رأى فيه دخلاً وتخييطاً وتبديلاً وتحريفاً وتأويلاً . فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً ، وبشروه الأحبار والرهبان بوجود نبي قد أزف زمانه واقترب أوانه ، فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن اخترمته المنية قبل البعثة المحمدية . وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله (ص) : كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له ، وما هو منطوق عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات ، ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله (ص) . وجاءت به اليه فوفقت به عليه . وقالت : ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فلما قص عليه رسول الله (ص) : خبر ما رأى قال ورقة : سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكاملة لشريعة موسى عليهما السلام ، ونسخت بعضها من المسيح من قول العلماء . كما قال (ولأحلّ لكم بعض الذى حرم عليكم) . وقول ورقة هذا كما قالت الجن : [يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق إلى طريق مستقيم] . ثم قال ورقة : ياليتنى فيها جنذا . أى ياليتنى أكون اليوم شاباً متمكناً من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح ، ياليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك يعنى حتى أخرج معك وانصرك ؟ فمندها قال رسول الله (ص) : « أو مخرجى تم ؟ » قال السهيلي وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : نعم انه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن

يُذَكِّرُنِي يَوْمَكَ أَنْصَرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا أَيْ أَنْصَرَكَ نَصْرًا عَزِيزًا أَبَدًا. وَقُوا: « ثُمَّ لَمْ يَنْشِبْ وَرَقَةً أَنْ تَوَفَى » أَيْ تَوَفَى بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ بِقَلِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ ، فَمِنْ مِثْلِ هَذَا الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ تَصَدِيقٌ بِمَا وَجَدَ وَإِيمَانٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْوَحْيِ وَنِيَّةٌ صَالِحَةٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ .

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا حَسَنٌ عَنْ ابْنِ لُحَيْعَةَ حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ . أَنَّ خَدِيجَةَ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ص) : « مِنْ وَرَقَةٍ بَنَ نُوْفَلٌ فَقَالَ : « قَدْ رَأَيْتَهُ فَرَأَيْتَ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ فَأَحْسِبْهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ » . وَهَذَا اسْنَادٌ حَسَنٌ لَكِنْ رَوَاهُ الزَّهْرِيُّ وَهَشَامٌ عَنْ عُرْوَةَ مَرْسَلًا فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى عَنْ شَرِيحِ بْنِ يُونُسَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ بَجَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) : « سَأَلَ عَنْ وَرَقَةٍ بَنَ نُوْفَلٌ فَقَالَ : « قَدْ رَأَيْتَهُ فَرَأَيْتَ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ أَبْصَرْتَهُ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ السُّنْدُسُ » . وَسَأَلَ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ فَقَالَ : « يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَاحِدَةً » . وَسَأَلَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : « أَخْرَجْتَهُ مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى ضَمْحَضَاحٍ مِنْهَا » وَسَأَلَ عَنْ خَدِيجَةَ لِأَنَّهَا مَاتَتْ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَأَحْكَامِ الْقُرْآنِ - فَقَالَ : « أَبْصَرْتَهَا عَلَى نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ » اسْنَادٌ حَسَنٌ وَلِبَعْضِهِ شَوَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارُ : حَدَّثَنَا عَمِيدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هَشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : « لَا تَسْبُوا وَرَقَةً فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهَا جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ » وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشْجَعِ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنْ هَشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ وَهَذَا اسْنَادٌ جَيِّدٌ . وَرَوَى مَرْسَلًا وَهُوَ أَشْبَهُ .

وَرَوَى الْحَافِظَانِ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي كِتَابَيْهِمَا دَلَائِلَ النَّبُوَّةِ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ بَكْرِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ شَرْحَبِيلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) : « قَالَ لَخَدِيجَةَ : « إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نَدَاءً ، وَقَدْ شَيْتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ » . قَالَتْ : مُعَاذَ اللَّهِ مَا كَانَ لِي فَعَمَلُ ذَلِكَ بِكَ فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتُودِي الْأَمَانَةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ . فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : « ثُمَّ ذَكَرْتُ لَهُ خَدِيجَةَ فَقَالَتْ : يَا عَتِيقُ اذْهَبْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةٍ . فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : « أَخَذَ بِيَدِهِ أَبُو بَكْرٍ . فَقَالَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةٍ قَالَ : « وَمَنْ أَخْبَرَكَ ؟ » قَالَ خَدِيجَةُ فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ فَقَصَّصَا عَلَيْهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : « إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نَدَاءَ خَلْفِي : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَانْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ » . فَقَالَ لَهُ لَا تَفْعَلْ . إِذَا آتَاكَ فَائِثٌ ، حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ ثُمَّ انْتَنِي فَأَخْبِرْنِي . فَلَمَّا خَلَا فَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) حَتَّى بَلَغَ (وَلَا الضَّالِّينَ) قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَأَتَى وَرَقَةً فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : ابْشِرْ ثُمَّ ابْشِرْ . فَأَمَّا اشْهَدْ

انك الذي بشر بك ابن مريم ، وانك على مثل ناموس موسى ، وانك نبي مرسل ، وانك منزه
بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن اذكر في ذلك لأجاهدك معك . فلما توفي . قال رسول الله :
« لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني » يعني ورقة . هذا لفظ
البرقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الدائمة اول ما نزل . وقد قدمنا من شجرة ما يدل على اصابه
الايمان وعقده عليه وتأكيده عنده ، وذلك حين اخبرته خديجة ما كان من امره مع علامها ويسره
كيف كانت البراة تظله في هجر القبط . فقال ورقة في ذلك اشمارا قدمها قال هذا . ومنها قوله :

لجئت وكنت في الذكرى بلوحاً لأمر طالاً بعث النشيجا
وصف من خديجة بعد وصف قد طال انتظارى يا خديجة
يطير المكنين على رحلي قد بك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكرم أن يوحا
بأن محمداً سيداً قوماً ويحسم من يكون له جميعا
يطير في البلاد ضياء نور يشم به البرية أن^(١) تنوحا
فيل من بحارته خساراً وتلقى من يساله قلوها
فالبني إذا ما كان دأكم نهت وكنت ازلتم ولوحا
ولو كان الذي كرهت فريش ولو نحت بكتبا فجيها
أرقي بالذي كرهوا نجياً إلى ذي العرش إذ شغلوا غروها
فإن يمتروا وأبن يكن أموراً يسبح الكافرون لما سبها
وقال أيضاً في قصيدته الأخرى :

وأخبر صني خبث عن محمد يحترها عنه إذا علمت ناصح
بأن ابن عبد الله أحمد مرسل إلى كل من شئت عليه الأناطح
وطبق به أن سوف يبعث صادقاً كما أرسل العبد من هود وسالم
وموسى وإبراهيم حق يرى له بهاء ونسوز من الحق^(٢) واضح
ويقينه حيا الذي بن ظالم نسائهم والأنبياء الجعاجع
فإن ابن حتى يدرك الناس دهره فأن به منبش الزدي طرح
والأ فأن يا خديجة فاعلي من أربك في الأرض البر بفساح

(١) وردت في السيرة لابن هشام : أن نوحا . مع بعض اختلاف في بعض النسخ

(٢) في الحلية : من الذكر واضح .

وقال يونس من بكير عن ابن اسحاق قال ورقة :

فان يك حقاً يا خديجة فاعلمي حديثك إيانا فأحد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما من الله وحى يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز فيها بتوبة ويشقى به العاني الغرير المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه وأخرى بأحوال الجحيم تملل
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت مقام في هلماتهم ثم تشعل
فسبحان من يهوي الرياح بأمره ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها واقضاؤه في خلقه لا تبذل

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجال وصرف الدهر والقدر وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها أمراً أراه سيأتي الناس من آخر
وخبرتني بأمر قد سمعت به فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت عل الذي ترجين ينجزه للآل إله فرجي الخير وانتظري
وأرسله إلينا كي نسأله عن أمره ما يرى في النوم والسر
فقال حين أنا بمكة محجياً يقف منه أعالي الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني في صورة أكلت من أعظم الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعري مما يسلم من حولي من الشجر
فقلت ظني وما ادري أصدقني ان سوف يبعث ينزل السور
وسوف يبليك ان اعلنت دعوتهم من الجهاد بلا من ولا كدر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل وعندى في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم
وقال ابن اسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي - وكان
داعية - عن بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج
لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنه ويفضي الى شعاب مكة ويطرون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر
إلا قال السلام عليك يا رسول الله . قال فالتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر
والحجارة فكث كذالك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من
كرامة الله وهو بمجرأ في رمضان قال ابن اسحاق وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال

سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد كيف كان بدو ما ابتدئ به رسول الله (ص) من النبوة حين جاءه جبريل قال فقال عبيد وأنا حاضر - يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس - : كان رسول الله (ص) يجاور في حراء في كل سنة شهراً يتحنث قال وكان ذلك مما يحب به قريش في الجاهلية والتحنث التبر فكان رسول الله (ص) يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره إلى الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعمائة أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعث فيها وذلك الشهر رمضان خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرم الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى قال رسول الله (ص) : « فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ ؟ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، فقال اقرأ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت به الموت ثم أرسلني . فقال اقرأ قلت ماذا اقرأ ما أقول ذلك ألا اقتدما منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال : [اقرأ باسم ربك الذي خلق الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم - لم الإنسان ما لم يعلم] . قال فقراءتها ثم انتهى وانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا . قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء فأنظر فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورأى حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكائي ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى نخذهما مضيئا إليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلى ثم حدثتها بالذي رأيت . فقالت أبشريا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لا رجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص) . فقال ورقة : قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وأنه لنبي هذه الأمة ، وقولي له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله (ص) فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله (ص) جواره وانصرف صانع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقية ورقة بن نوفل وهو يطوف

بالكعبة فقال يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك
لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبه وتؤذينه وتخرجنه
ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوجه
ثم انصرف رسول الله (ص) إلى منزله . وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما
جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق
الصبح . ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلته ويحتمل أنه كان بعده بمدة
والله أعلم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري عن سميد بن المسيب قال وكان فيما بلغنا أول ما رأى يعنى
رسول الله (ص) أن الله تعالى أراه رؤيا في المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها
الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت أبشر فان الله لم يصنع بك إلا خيراً ثم إنه
خرج من عندها ثم رجع إليها فاخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان قالت هذا
والله خير فابشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فاجلسه على مجلس كريم معجب كان النبي (ص)
يقول أجلسني على بساط كهية الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن
رسول الله (ص) فقال له جبريل اقرأ فقال كيف اقرأ فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق
الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » . قال وبرزتم ناس أن
« يا أيها المدثر » أول سورة نزلت عليه والله أعلم . قال فقبل رسول الله (ص) رسالة ربه واتبع ما
جاء به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلبا إلى بيته جعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم
عليه فرجع إلى أهله مسرورا موقنا أنه قد رأى أمرا عظيما فلما دخل على خديجة قال أرايتك التي
كنت حدثتك أنى رأيت في المنام فانه جبريل استعلن إلى أرسله إلى ربى عز وجل وأخبرها بالذي
جاءه من الله وما سمع منه فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً واقبل الذي جاءك من أمر
الله فانه حق وأبشر فانك رسول الله حقاً . ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن
عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس فقالت له يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى
هل عندك علم من جبريل فقال : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل
الأوثان . فقالت : أخبرني بعلمك فيه . قال فانه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى
وعيسى عليهما السلام . فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من
أمر النبي (ص) وما ألقاه اليه جبريل . فقال لها ورقة : يا بنية أنى ما أدري لعل صاحبك النبي الذي
ينتظر أهل الكتاب الذي يمجّدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، وأقسم بالله لا إن كان إياهم ثم

أظهر دعواه وأنا حي لا بلين الله في طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر . فمات ورقة رحمه الله . قال الزهري فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله (ص) . قال الحافظ البيهقي بعد إirاده ما ذكرناه والذي ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه يعني شق بطنه عند حليمة ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء والله أعلم . وقد (١) ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة باسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي . قال : بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : ابشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم في حراء وكان يفر اليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله (ص) ، مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وطهر قلبه ، يا محمد ابشرا فانك نبي هذه الأمة . اقرأ فقال له نبي الله : وهو خائف برعد . ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما اقرأ فأخذه جبريل فغتنه غتاً شديداً ثم تركه ثم قال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفاته وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الآيات ثم قال له لا تخف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رسول الله (ص) ، همه فقال كيف أصنع وكيف أقول ليقومى ثم قام رسول الله (ص) ، وهو خائف فأناه جبريل من امامه وهو في صعرته فرأى رسول الله (ص) ، أمراً عظيماً ملأ صدره فقال له جبريل لا تخف يا محمد جبريل رسول الله جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله فانك رسول الله فرجع رسول الله (ص) ، لا يمر على شجر ولا حجر الا هو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة ابصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفرعها ذلك ، فقامت اليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم فقال يا خديجة أرايت الذي كنت أرى في المنام والصوت الذي كنت اسمع في اليقظة واهال منه فانه جبريل قد استعلن لي وكلني واقرأني كلاماً فزعت منه ثم عاد إلى فأخبرني اني نبي هذه الأمة فأقبلت راجماً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن السلام عليك يا رسول الله . فقالت خديجة : ابشر فوالله لقد كنت أعلم ان الله لن يفعل بك إلا خيراً واشهد انك نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود قد اخبرني به ناصح غلامى وبخيري الراهب وامرني ان أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله (ص) حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها .

(١) من هنا إلى وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ساقط من النسخة المصرية .

قال : مالك يا سيدة نساء قریش ؟ فقالت : أقبلت اليك لتخبرني عن جبريل فقال سبحانه الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكرك في هذه البلاد التي يعبد أهلها الاوثان جبريل أمين الله ورسوله الى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى، فعرفت كرامة الله لمحمد ثم أنت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عداس فسألته فاخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد . قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذي أيده الله به . ثم قامت من عنده فانت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألتها ما الخبر فاحلفته أن يكتم ما تقول له لحلف لها فقالت له إن ابن عبد الله ذكر لي وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كذب أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنه نبي هذه الامة وأقرأه آيات أرسل بها . قال : فدعرت ورقة لذلك وقال لأن كان جبريل قد استقرت قدماء على الارض لقد نزل على خير أهل الارض وما نزل إلا على نبي وهو صاحب الانبياء والرسل يرسله الله اليهم وقد صدقتك عنه فارسلني إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه فاني أخاف أن يكون غير جبريل فان بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلهما مجنوناً . فقامت من عنده وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى رسول الله (س) فاخبرته بما قال ورقة فانزل الله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل فقالت له أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله (س) فقال له ورقة هذا الذي جاءك جاءك في تور أو ظلمة فاخبره رسول الله (س) عن صفة جبريل وما رآه من عظمتها وما أوحاه اليه . فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشيء تبغنه قومك وانه لأمر نبوة فان أدرك زمانك أتبعك ثم قال أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به . قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله (س) فشوق ذلك على الملأ من قومه قال وفتقر الوحي . فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قلاده فانزل الله والضحي وألم نشرح بكلماتها . وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني اسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله (س) فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك . فقال نعم ! فقالت : إذا جاءك فاخبرني . فبينما رسول الله (س) عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله (س) . فقال : يا خديجة ! هذا جبريل فقالت ! أنراه الآن قال نعم ! قالت فاجلس إلى شقي الايمن فتحول فجلس فقالت أنراه الآن قال نعم ! قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها فقالت هل تراه الآن قال نعم ! ففحصت رأسها فشالت

خارها ورسول الله (ص)، جالس في حجرها فقالت هل تراه الآن قال لا قالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فائبت وأبشر ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن اسحاق فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنني سمعتها تقول أدخلت رسول الله (ص)، بينها وبين درعها فذهب عندك ذلك جبريل عليه السلام . قال : البيهقي وهذا شيء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً . فاما النبي (ص)، فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه (ص)، تسليماً .

وقد قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا يحيى بن بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه . أن رسول الله (ص)، قال : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن بعث إني لأعرفه الآن » . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله (ص)، قال : « إن بمكة لحجراً كان يسلم على ليالي بعثت إني لأعرفه إذا مررت عليه » . وروى البيهقي من حديث اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عباد بن عباد بن عبد الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال : كنا مع رسول الله (ص)، بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله . وفي رواية لقد رأيته أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمع .

فصل في أنزل الله

قال البخاري في روايته المتقدمة ثم فتر الوحي حتى حزن النبي (ص)، فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواحق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك . وفي الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال سمعت أبا سلة عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله (ص)، يحدث عن فترة الوحي قال : فيها أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والجنت منه فراقاً حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فأنزل الله : « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » قال ثم حمى الوحي وتتابع فهذا كان أول ما نزل من القرآن

بعد فترة الوحي لا مطلقاً ، ذاك قوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فان في سياق كلامه ما يدل على تقدم يحيى الملك الذي عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه . ثم قوله : يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الإيحاء والله أعلم . وقد ثبت في الصحيحين من حديث علي بن المبارك وعند مسلم والاوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أي القرآن أنزل قبل فقال : (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل فقال (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال قال رسول الله ﷺ : « إني جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر شيئاً ثم نظرت إلى السماء فاذا هو على العرش في الهواء فاخذتني رعدة - أوقال وحشة - فاتيت خديجة فامرتهم فدثروني فانزل الله : (يا أيها المدثر) حتى بلغ (وثيابك فطهر) - وقال في رواية - فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فحيت منه » وهذا صريح في تقدم اتيانه إليه وانزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم . ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة (والضحي والليل إذا سجي ما ودعتك ربك وما قلى) إلى آخرها . قاله محمد بن اسحاق . وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله ﷺ ، في أولها فرحاً وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي : (يا أيها المدثر قم فانذر) ولكن نزلت سورة والضحي بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة كما ثبت في الصحيحين وغيرها من حديث الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلي قال : اشتكى رسول الله ﷺ ، فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة ما أرى شيطانك الا تركك فانزل الله (والضحي والليل إذا سجي ما ودعتك ربك وما قلى) وبهذا الأمر حصل الارسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة . وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً ، والظاهر والله أعلم أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبي وغيره ، ولا ينفي هذا تقدم إيحاء جبريل إليه أولاً (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ثم اقترن به جبريل بعد نزول (يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) وثم حي الوحي بعد هذا وتتابع - أي تدارك شيئاً بعد شيء - وقام حينئذ رسول الله ﷺ ، في الرسالة أتم القيام وثمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والاحرار والعبيد ، فأمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانته كل جبار عنيد ، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، ومن الغلمان علي بن أبي طالب ، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام ، ومن الموالى مولاة زيد بن حارثة الكلبي رضي

الله عنهم وأرضاهم . وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي ومات في الفترة رضى الله عنه .

قضية الشياطين

✽ في منع الجن ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق ✽

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخفاؤه أن حجبه عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله : [وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ، وأنا لا ندرى أشراريد بين في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً] . وقال تعالى : (وما تنزل به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) . قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد - وهو الطبراني - حدثنا عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبي مریم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس . قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فاما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زادوا فتكون باطلاً ، فلما بعث النبي (ص) منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لآبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم آبليس هذا لأمر قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله (ص) قائماً يصلي بين جبلين فاتوه فاخبروه فقال هذا الأمر الذي قد حدث في الأرض . وقال أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله (ص) وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم ؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها فمر نفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجموا إلى قومهم فقالوا : (يا قومنا انا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشداً فآمننا به ولن نشرك بربنا أحداً) فوحي الله إلى نبيه (ص) : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) الآية . أخرجاه في الصحيحين وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد القويها على الصفا ، قال فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رؤسهم

حتى ينزل فاذا نزل قال بعضهم لبعض : ملأنا قال ربكم ؟ فان كان مما يكون في السماء قالوا الحق وهو
العلی الكبير ، وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موت أو شيء مما يكون في الأرض
تكلّموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم فلما بعث النبي محمد
(ص) دحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف فكان ذو النعم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح
كل يوم شاة وإذا الأبل فينحركل يوم بعيراً فاسرع الناس في أموالهم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا
فان كانت النجوم التي يهتدون بها وإلا فانه لأمر حدث فنظروا فاذا النجوم التي يهتدى بها كما
هي لم يزل منها شيء فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا وانطلقت
الشياطين إلى ابليس فاخبروه . فقال : هذا حدث حدث في الأرض فأتوني من كل أرض بتربة
فأتوه بتربة تهامة فقال ههنا الحديث . ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن
السائب . وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمر بن عبدان العبسي عن كعب قال
لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله (ص) فرمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه
فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف فنعمت
ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا رمى
بالنجوم فأينها تهافت من السماء فقال إن افادة المال بعد ذهابه شديد فلا تهجلوا وانظروا فان
تكن نجوما تعرف فهو عندها من فناء الناس وإن كانت نجوما لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا
فاذا هي لا تعرف فاخبروه فقال الأمر فيه هلة بعد هذا عند ظهور نبي . فامكشوا إلا يسيراً حتى
قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أهواله فجاء عبد ياليل فذا كره أمر النجوم فقال أبو سفيان :
ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل فقال عبد ياليل فمئذ ذلك رمى بها . وقال سعيد بن
منصور عن خالد بن حصين عن عامر الشعبي . قال : كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله
(ص) فـيـبـوا أنعامهم واعتقوا رقيقهم . فقال عبد ياليل : أنظروا فان كانت النجوم التي تعرف فهو
عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف . قال : فامسكوا
فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي (ص) . وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي عن
ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه .
فلعل مراد من نفي ذلك انها لم تكن تحرس حراسة شديدة ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في
الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله
عنهما بينا رسول الله (ص) جالس إذ رمى بنجم فاستدار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا ؟ »
قال كنا نقول مات عظيم ، وولد عظيم فقال : « لا ولكن » . فذكر الحديث كما تقدم عند خلق

السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق والله الحمد .

وقد ذكر ابن اسحاق في السيرة قصة رمى النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن بماء عمرو بن أمية فالله أعلم . وقال السدي لم تكن السماء تحترق إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد (س) قد اتخذت المقاعد في مماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً (س) نبيا رجعوا ليلة من الليالي ، ففرغ لذلك أهل الطائف . فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يمتقون أرقاءهم ، ويسميون مواشيهم . فقال لهم عبد ياليل بن عمرو ابن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أماكنها فلم يهلك أهل السماء وإنما هو من ابن أبي كبشة ، وإن أنتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء فانظروا فراوها فكفوا عن أموالهم وفزع الشياطين في تلك الليلة فاتوا ابليس فقال اثثنوني من كل أرض بقبضة من تراب فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله (س) في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلامهم تصيبه ثم أسلموا فانزل الله أمرهم على نبيه (س) . وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني اسحاق - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله (س) أصبح كل صنم منكساً فانت الشياطين فقالوا له ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً ، قال هذا نبي قد بعث فالتصوه في قرى الأرياف فالتصوه فقالوا لم نجده فقال أنا صاحبه فخرج يلتصمه فنودي عليك بمجنبة الباب - يعني مكة - فالتصمه بها فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج إلى الشياطين فقال : إني قد وجدته معه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : نزين الشهوات في عين أصحابه ونحببها إليهم قال فلا آسى إذا . وقال الواقدي حدثني طلحة بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لما كان اليوم الذي تلبأ فيه رسول الله (س) منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب فجاءوا إلى ابليس فذكروا ذلك له فقال : أمر قد حدث بهذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة فخرج نبي إسرائيل قال فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا ليس بها أحد فقال ابليس أنا صاحبه فخرج في طلبه بمكة فاذا رسول الله (س) بجراء منحدرًا معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال قد بعث أحمد و معه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحببها إلى الناس قال فذاك إذا . قال الواقدي : وحدثني طلحة ابن عمرو عن عطاء عن ابن عباس . قال : كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد (س) منعوا فشكوا ذلك إلى ابليس فقال : لقد حدث أمر فرقي فوق أبي قبيس - وهو أول جبل وضع على وجه الأرض - فرأى رسول الله (س) يمد يده خلف المقام . فقال : اذهب فاكسر عنقه . فجاء يخطر

وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا فولى الشيطان هاربا . ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيري كلاهما عن رباح بن أبي معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد قد ذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن .

فَضِيلَةُ النَّبِيِّ ﷺ

في كيفية اتيان الوحي إلى رسول الله (ص)

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة ، وثاني مرة أيضا وقال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها . إن الحارث بن هشام سأل رسول الله (ص) . قال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : « أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس - وهو أشده على - فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلمني فأعني ما يقول » . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته (ص) ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به . ورواه الامام أحمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه . وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة ، وقد رواه أيوب السخيتاني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله (ص) فقلت كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة . وفي حديث الألفك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله (ص) ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه . فآخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الخمان من العرق ، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي نزل عليه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس بن سليم قال املى على يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله (ص) الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل ، وذكر تمام الحديث في نزول (قد أفلح المؤمنون) وكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائي : منكر لا نعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه . وفي صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان ابن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت . قال : كان رسول الله (ص) إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وترتد وجهه - وفي رواية وغمض عينيه - وكنا نعرف ذلك منه . وفي الصحيحين حديث زيد ابن ثابت حين نزلت (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (غير أولى الضرر) . قال وكانت نخد رسول الله (ص) على نخدي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت نخذه ترض نخدي . وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى عن عطاء عن يعلى بن أمية . قال قال

لى عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه؟ فوقع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجرانة، فإذا هو محمر الوجه. وهو يغط كما يغط البكر. وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المنلصع ليلا، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة. فرجعت إلى رسول الله (س) فسأله وهو جالس يتعشى والعرق في يده، فلوحي الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لما جئكن». فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه احساسه بالكاية، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه. وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عباد بن منصور حدثنا عكرمة عن ابن عباس. قال: كان رسول الله (س) إذا أنزل عليه الوحي تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم. وفي مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد ابن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال «نعم اسمع، صلاصلا ثم أثبت عند ذلك، وما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تفيض منه». وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا إبراهيم بن الحجاج حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم بن كليب حدثنا أبي عن خاله العليان بن عاصم. قال: كنا عند رسول الله (س) يوم أنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعينه مفتوحة، وقرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل. وروى أبو نعيم من حديث قتيبة حدثنا علي بن غراب عن الاحوص بن حكيم عن أبي عوانة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. قال: كان رسول الله (س) إذا نزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء. هذا حديث غريب جدا. وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية سنان عن ليث عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد. قالت: إني لا أخذه بزمام العضباء ناقة رسول الله (س)، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة. وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به. وقال الامام احمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني جبر بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو. قال: أنزلت على رسول الله (س) سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فقل عنها. وروى ابن مردويه من حديث صباح ابن سهل عن عاصم الاحول حدثني أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله (س) فزلت عليه سورة المائدة، فاندق عنق الراحلة من ثقلها. وهذا غريب من هذا الوجه. ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله (س) مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم. وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه (س) في أول شرح البخارى وما ذكره الحلي وغيره من الآئمة رضى الله عنهم.

قصة الملك

قال الله تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه) وقال تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ، وقل رب زدني علما) وكان هذا في الابتداء ، كان عليه السلام من شدة حرصه على اخذه من الملك ما يوحى اليه عن الله عز وجل ليساوقه في التلاوة ، فأمره الله تعالى ان ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي ، وتكفل له ان يجمعه في صدره ، وان ييسر عليه تلاوته وتبليغه ، وان يبينه له ، ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه . ولهذا قال : (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما) وقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي وأن تقرأه (فإذا قرأناه) أي تلاه عليك الملك (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وتندبره (ثم إن علينا بيانه) وهم نظير قوله (وقل رب زدني علما) . وفي الصحيحين من حديث موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله (س) يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفثيه ، فانزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل .

قصة النبي

قال ابن اسحاق : ثم تتابع الوحي إلى رسول الله (س) وهو مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حملة - على رضا العباد وسخطهم - وللنبوة أُنُقَال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه لما يلتقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جأؤا به عن الله عز وجل فمضى رسول الله (س) على ما أمر الله ، على ما يلقي من قومه من الخلاف والاذى . قال ابن اسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت اول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاءه منه فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رضى الله عنها وأرضاها . قال ابن اسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر . قال قال رسول الله (س) : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لأصحب فيه ولا نصب » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام . قال ابن هشام : القصب هاهنا اللؤلؤ المحجوف .

قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرّاً إلى من يطمئن اليه من أهله . وقال موسى بن عقبة عن الزهري : كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ، قبل أن تفرض الصلاة .

قلت : يعنى الصلوات الخمس ليلة الاسراء . فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضى الله عنها كما ستبينه .

وقال ابن اسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء به . ثم ان جبريل أتى رسول الله (ص) حين افترضت عليه الصلاة فهمزله بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات ، ثم رجع النبي (ص) وقد أقر الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها الى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات ، ثم كان هو وخديجة يصليان سرّاً .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين ، فبين له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فان ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الاسراء ، وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان .

فصل في أسلم

أول من أسلم من متقدمي الاسلام والصحابه وغيرهم

قال ابن اسحاق : ثم إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان . فقال علي يا محمد ما هذا ؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه ، وبعث به رساله ، فادعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته . وأن تكفر باللات والعزى . فقال علي : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فليست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب . فكره رسول الله (ص) أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن امره . فقال له : يا علي إذ لم تسلم^(١) فآتكم . فكث على تلك الليلة ، ثم إن الله اوقع في قلب علي الاسلام ، فاصبح غاديا إلى رسول الله (ص) حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد ؟ فقال له رسول الله (ص) : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الانداد » ففعل علي واسلم ، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكنتم على اسلامه ولم يظهره ، واسلم ابن حارثة — يعنى زيدا — فكثا قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله (ص) ، وكان

(١) في المصرية : اذ لم تسلم فآتكم .

بما أنعم الله به على علي أنه كان في حجر رسول الله (ص)، قبل الاسلام .
 قال ابن اسحاق : حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : وكان مما أنعم الله به على علي أن
 فريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله (ص) لعنه العباس
 - وكان من أيسر بني هاشم - « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى
 من هذه الازمة ، فانطلق حتى تخفف عنه من عياله » فآخذ رسول الله (ص) عليا فضمه اليه ، فلم يزل
 مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي وآمن به وصدقته . وقال يونس بن بكير عن محمد
 ابن اسحاق حدثني يحيى بن أبي الاشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدثني اسماعيل بن أبي
 إلياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الاشعث بن قيس لأمه - أنه . قال :
 كنت امرأة تاجراً فقدمت منى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأة تاجراً ، فالتفت ابتاع
 منه وابيعه ، قال فبينما نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلي تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت
 تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه . فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندري ما هو
 فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقیصر ستفتح عليه ، وهذه
 امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به . قال عفيف
 فليتنى كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانيا . وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن اسحاق ، وقال :
 في الحديث : إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي . ثم
 ذكر قيام خديجة وراه . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا سعيد بن خنيم عن أسد
 ابن عتبة البجلي عن يحيى بن عفيف . قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فترلت على العباس بن
 عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى ببصره
 إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبليها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى
 جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر
 الشاب ساجداً فسجداً معه ، فقلت يا عباس أمر عظيم ! فقال أمر عظيم . فقال أتدري من هذا ؟ فقلت
 لا ، فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري من الغلام ؟ قلت لا ، قال هذا علي
 ابن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدري من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت لا ، قال هذه خديجة بنت
 خويلد زوجة ابن أخي . وهذا حدثني أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه ،
 وإيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . وقال ابن جرير حدثني
 ابن حميد حدثنا عيسى بن سودة بن أبي الجعد حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن
 وأبو حازم والسكاكي . قالوا : على أول من أسلم . قال السكاكي : أسلم وهو ابن تسع سنين وحدثنا

ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أول ذكر آمن برسول الله (ص) ، وصلى معه وصدقته
على بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله (ص) ، قبل الاسلام . قال الواقدي
أخبرنا ابراهيم عن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : أسلم على وهو ابن عشر سنين . قال
الواقدي : واجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة . وقال محمد بن كعب : أول
من أسلم من هذه الامة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي ، وأسلم علي قبل أبي بكر ، وكان علي
يكنى إيمانه خوفاً من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال أسلمت ؟ قال نعم ! قال وازر ابن عمك وانصره . قال
وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الاسلام . وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن أبي
بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس . قال : أول من صلى على : وحدثنا عبد الحميد بن يحيى
حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر . قال : بعث النبي (ص) يوم الاثنين وصلى
على يوم الثلاثاء . وروى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة - رجل من الانصار -
سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله (ص) ، علي بن أبي طالب قال فذكرته
لنخعي فأنكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم . ثم قال حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء عن
المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق
الاكبر ، لا يقولها بعدى الا كاذب مفتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين . وهكذا رواه ابن
ماجه عن محمد بن اسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى الفهمي - وهو شيعي من رجال الصحيح -
عن العلاء بن صالح الأزدي الكوفي - وثقه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة - وقال
علي بن المديني روى أحاديث مناكير والمنهال بن عمرو ثقة . وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو
الاسدي الكوفي - فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث ، وقال البخاري فيه نظر . وذكره
ابن حبان في الثقات ، وهذا الحديث منكر بكل حال ، ولا يقوله علي رضي الله عنه ، وكيف يمكن
أن يصلي قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصور أصلاً والله أعلم . وقال آخرون : أول من أسلم من
هذه الامة أبو بكر الصديق ، والجمع بين الاقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر
السياقات - وقيل الرجال أيضاً - وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان
علي بن أبي طالب . فانه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت .
وأول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من اسلام من تقدم ذكرهم
إذ كان صدراً معظماً ، ورئيساً في قريش مكرماً ، وصاحب مال ، وداعية إلى الاسلام . وكان محبباً
متألفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله . قال يونس عن ابن اسحاق ثم إن أبا بكر
الصديق لقي رسول الله (ص) ، فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ، وتسفك

عقولنا ، وتكفيرك آبائنا ؟ فقال رسول الله (ص) : « إلى إني رسول الله ونبيه ، بعثني لا بلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاته على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر . فأسلم وكفر بالاصنام ، وخلع الانداد وأقر بحق الاسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله (ص) قال : « ما دعوت أحداً إلى الاسلام إلا كانت عنده كبرة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ما علم عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه » حكم — أي تلبث — وهذا الذي ذكره ابن اسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر ، منكر فان ابن اسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله (ص) ، قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخلق . فكيف يكذب على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله إلى تصديقه ولم يتلعم ، ولا علم وقد ذكرنا كيفية اسلامه في كتابنا الذي افردناه في سيرته وأوردنا فضائله وشماله واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي (ص) من الاحاديث ، وما روى عنه من الآثار والاحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات والله الحمد والمنة . وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المصومة وفيه . فقال رسول الله (ص) : « إن الله بعثني اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق . وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي » مرتين . فما أودى بعدها ، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد . قال قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ألت أحق الناس بها ، ألت أول من أسلم ، ألت صاحب كذا ؟ وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو اسحاق السبيعي عن المارث سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبي (ص) من الرجال علي بن أبي طالب . وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبي (ص) ، أبو بكر الصديق . رواه احمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح . وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم علي بن أبي طالب : قال عمرو بن مرة فذكرته لابراهيم النخعي . فانك . وقال أول من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وروى الواقدي بإسانيده عن أبي أروى الدوسي وأبي مسلم بن عبد الرحمن في جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحيدري حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول

عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، أما سمعت قول حسان :
 إذا تذكّرتُ شعجراً من أخِي ثقةً فأذكركُ أخاك أبا بكرٍ بما قُلا
 خيرَ البريّةِ أوفاهَا وأَعَدَّهَا بعدَ النبيِّ وأولاهَا بما حَمَلَا
 والثَّانيُ الثَّانيُ المحمودُ مشهدهُ وأولُ الناسِ منهم صدّقُ الرِّسَالَا
 عاشَ حميداً لأمرِ الله متّبِعاً بأمرِ صاحبهِ الماضي وما انتَقَلَا

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شيخ لنا عن مجاهد عن عامر قال سألت ابن عباس - أو
 - سئل ابن عباس - أي الناس أول إسلاما ؟ قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره . وهكذا
 رواه الهيثم بن عدي عن مجاهد عن عامر الشعبي سألت ابن عباس فذكره . وقال أبو القاسم البغوي
 حدثني سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ،
 وربيعه بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكون أن أول القوم إسلاما
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النخعي ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن إبراهيم وهو
 المشهور عن جمهور أهل السنة . وروى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما
 قالا : لم يكن أولهم إسلاما ، وليكن كان أفضلهم إسلاما . قال سعد : وقد آمن قبله خمسة . وثبت في
 صحيح البخاري من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر . قال : رأيت رسول الله (ص) ، وما
 معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر . وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي
 النجود عن زر عن ابن مسعود . قال : أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله (ص) ، وأبو بكر ،
 وعمار ، وأمه ممية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . فاما رسول الله (ص) ، فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر
 منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فلبسوه أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم
 من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ،
 فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد . وهكذا رواه الثوري
 عن منصور عن مجاهد مراسلا . فاما ما رواه ابن جرير قائلنا أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن حبل (١)
 عن إبراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص .
 قال قلت لأبي أكان أبو بكر أولكم إسلاما قال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان
 أفضلنا إسلاما . فانه حديث منكر اسناداً ومتناً . قال ابن جرير وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد
 ابن حارثة ، ثم روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألت الزهري عن أول من أسلم من
 النساء ؟ قال خديجة . قلت فمن الرجال ، قال زيد بن حارثة . وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير

(١) في الاصلين حبل بالمهمله وفي ابن جرير حبل بالميم نقلنا عن محمود الامام

واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن العلمان على بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن اسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر اسلامه دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه محباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الاسلام من وثق به من قومه ممن يفتشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه فيما بلغنى الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله (ص) ومعهم أبو بكر . فعرض عليهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الاسلام فأمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الاسلام صدقوا رسول الله (ص) وآمنوا بما جاء من عنده . وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني الضحاك ابن عثمان عن مخزومة بن سليمان الوالبي عن إبراهيم بن محمد بن أبي طلحة . قال قال طلحة بن عبيد الله حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومته يقول : سلوا أهل الموسم أفبهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة قلت نعم أنا ، فقال هل ظهر احمد بعد ؟ قلت ومن احمد ؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وحره وسباخ ، فياك أن تسبق اليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث ؟ قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة . قال فخرجت حتى قدمت على أبي بكر ، فقلت اتبعت هذا الرجل ؟ قال نعم فانطلق اليه فادخل عليه فاتبعه فانه يدعو إلى الحق ، فاخبره طلحة بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله (ص) فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله (ص) بما قال الراهب فسر بذلك . فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية — وكان يدعى أسد قريش — فشدهما في جبل واحد ولم يمنعهما بنو تميم فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبي (ص) : « اللهم اكفنا شر ابن العدوية » رواه البيهقي . وقال الحافظ أبو الحسن خيشة بن سليمان الاطرابلسي حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضى المصيبة حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن اسحاق بن محمد ابن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عبيد الله حدثني عبد الله [بن محمد] بن عمران ابن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال حدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله (ص) وكان له صديقاً في الجاهلية ، فلقاه فقال

يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالغيب لا بأثام وأمهاتها . فقال رسول الله (ص) :
« إني رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله (ص) وما
بين الاخشبيين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة
ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي
عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا
رضي الله عنهم . قال عبد الله بن محمد فحدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة .
قالت : لما اجتمع أصحاب النبي (ص) وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله (ص) في
الظهور فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله (ص) وتفرق المسلمون
في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله (ص) جالس
فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله (ص) ، وفار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا
في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن
ربيعة فجعل يضربه بتملين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه
من أنفه وجاء بنو تميم يتعادون فاجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى
أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر
لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ،
فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله (ص) ؟ فسوا منه بالسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه
أم الخير أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به الحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول
الله (ص) ؟ فقالت والله مالي علم بصاحبك . فقال اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ،
فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يهلك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت ما أعرف أبا
بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت نجيبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم . فمضت معها حتى
وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك
لاهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن يذم الله لك منهم . قال فما فعل رسول الله (ص) ؟ قالت هذه
أمك تسمع ، قال فلا شيء عليك منها ، قالت سالم صالح . قال أين هو ؟ قالت في دار ابن الأرقم ، قال
فإن لله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شرباً أو آتى رسول الله (ص) . فامهلنا حتى إذا هدأت
الرجل وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتهما على رسول الله (ص) ، قال فأكب عليه
رسول الله (ص) فقبله وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله (ص) رقة شديدة . فقال أبو بكر
بابي وأمي يارسول الله ليس بي بأس إلا ما قال الناسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها ، وأنت مبارك

فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال فدعاها رسول الله (ص) ودعاها إلى الله فأسلمت ، وأقاموا مع رسول الله (ص) في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر ، ودعا رسول الله (ص) لعمر بن الخطاب — أو لآبي جهل بن هشام — فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الاربعاء فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبر رسول الله (ص) وأهل البيت تكبيرة ميمت بأعلا مكة ، وخرج أبو الارقم — وهو أعمى كافر — وهو يقول : اللهم اغفر لبي عبيد الارقم فانه كفر ، فقام عمر فقال يا رسول الله على ما نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قدر رأيت ما لقينا » فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان ، ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهي تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبت ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل أصبعه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح فتتحي الناس فقام عمر ، فجعل لا يدنونه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان ، ثم انصرف إلى النبي (ص) وهو ظاهر عليهم . قال ما عليك بأبي وأمي والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف ، تفرج رسول الله (ص) وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمناً ، ثم انصرف إلى دار الارقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبي (ص) . والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله . وقد استقصينا كيفية اسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادها ، وبسطنا القول هنالك والله الحمد . وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة عن عمرو ابن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله (ص) في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفى ، فقلت ما أنت ؟ قال أنا نبي ، فقلت وما النبي ؟ قال رسول الله ، قلت الله أرسلك ؟ قال نعم قلت بما أرسلك ؟ قال بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام ، وتوصل الأرحام . قال قلت نعم ما أرسلك به فمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد — يعني أبا بكر وبلالا — قال فكان عمرو يقول : لقد رأيتني وأنا ربيع الاسلام . قال فأسلمت ، قلت فاتبعت يا رسول الله ، قال لا ولكن الحق بقوله ، فإذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعتي . ويقال إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر ، فانه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن سارية أسلم قبل بلال أيضا فلهذا أخبر أنه ربيع الاسلام بحسب علمه فلن

المؤمنين كانوا إذ ذاك يستمرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قرابتهم دع الأجانب
دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم . وفي صحيح البخاري من طريق أبي أسامة عن هاشم بن
هاشم عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : ما أسلم أحد في اليوم الذي
أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام . أما قوله ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت
فيه فسهل ، ويروى إلا في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد
بالإسلام . وقد علم أن الصديق وعلياً وخبجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الإجماع على
تقدم إسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الأثير . ونص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن كلام من
هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم . وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام فمشكل
وما أدري على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم . وقال أبو دواد الطيالسي
حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال : كنت غلاماً يافماً
ارعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة . فأتى على رسول الله (س) ، وأبو بكر - وقد فرأى من المشركين -
فقال - أو فقالا - عندك يا غلام لبن تسقيننا ؟ قلت إني مؤمن ، ولست بساقيكما فقال هل عندك من
جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فاعتقلا أبو بكر وأخذ رسول الله (س) ،
الضرع ودعا فحفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقكرة فخلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني
ثم قال للضرع اقلص فقلص ، فلما كان بعد أتيت رسول الله (س) ، فقلت علمني من هذا القول الطيب
- يعني القرآن - فقال : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد .
وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة به ، ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن
عياش عن عاصم بن أبي النجود به . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن
بطة الأصبهاني حدثنا الحسن بن الجهم حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا محمد بن عمر حدثني جعفر
ابن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - . قال : كان
إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول اخوته أسلم . وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه
وقف به على شفير النار ، فذكر من سمعها ما الله أعلم به . ويرى في النوم كأن آت أتاه يدفعه فيها
ويرى رسول الله (س) ، آخذاً بحقوقه لا يقع ، ففرع من نومه فقال احلف بالله أن هذه رؤيا حق ،
فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير هذا رسول (س) ، فاتبعه فانك ستنبه
وتدخل معه في الإسلام ، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها فلقي رسول الله (س) ، وهو
باجياد ، فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا

يدري من عبده ممن لا يعبد . قال خالد : فأتى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسر رسول الله (ص) ، بإسلامه ، وتغيب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل في طلبه فأتى به . فأنبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعنك القوت : فقال خالد إن منعتني فأن الله يرزقني ما أعيش به ، وانصرف إلى رسول الله (ص) ، فكان يكرمه ويكون معه .

اسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص)

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني رجل من اسلم - وكان واعية - ان أبا جهل اعترض رسول الله (ص) ، عند الصفا فأذاه وشتمه وقال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فاقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجعه منها شجة منكورة ، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت ؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله (ص) ، وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فأتى والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله (ص) قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة في ذلك شعراً (١) .

قال ابن اسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابغ وتركت دين آبائك ، للموت خير لك مما صنعت . فاقبل حمزة على نفسه وقال ما صنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً فبات بليلاً لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان ، حتى أصبح فعدا على رسول الله (ص) . فقال : يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه ، واقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد أم هو غي شديد ؟ فحدثني حديثاً فقد انتهيت يا ابن أخي أن تحدثني ، فاقبل رسول الله (ص) ، فذكره ووعظه ، وخوفه وبشره ، فالتقى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله (ص) . فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصديق ، فظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلمته السماء ، وأني على ديني الاول . فكان حمزة ممن أعز الله به الدين . وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن احمد بن محمد الجبار عن يونس بن بكير به .

(١) لم يذكر هنا شعر حمزة وذكر السهيلي في الروض الأنف قطعة له مطلعها :

حمدت الله حين هدني فؤادي * إلى الاسلام والدين الخفيف . الخ

ذكر اسلام أبي ذر رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا عبد الله بن الرومي حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زُمَيْل سَهَّال بن الوليد عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر . قال : كنت ربيع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله (ص) ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله (ص) . هذا سياق مختصر . وقال البخاري اسلام أبي ذر : حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن المثني عن أبي حمزة عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله (ص) ، قال لآخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتي بالخبر من السماء . فسمع من قوله ثم اتنتى فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له رأيتني يأمر بمكارم الاخلاق وكلاما ما هو بالشعر . فقال ما شفيتني مما أردت . فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فاتى المسجد فالتمس رسول الله (ص) ، ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فراه على فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحدا منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي (ص) حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه فرب به على فقال أما آن للرجل يعلم منزله فاقامه فذهب به معه لا يسأل واحدا منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فاقام معه فقال ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ قال إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت : ففعل فآخبره . قال فانه حق وأنه رسول الله (ص) ، فإذا أصبحت فاتبعني فاني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قت كائن أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي (ص) ، ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبي (ص) : « ارجع إلى قومك فآخبرهم حتى يأتيك امرى » فقال والذي بعثك بالحق لا صرخن بها بين ظهرانيهم نخرج حتى اتى المسجد فنادى بأعلا صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام فضر به حتى أضجموه ، فاتى العباس فأكب عليه فقال ويلكم السّم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام . فانقذت منهم . ثم عاد من الغد بمثلها فضر به وثاروا اليه فأكب العباس عليه هذا لفظ البخاري . وقد جاء اسلامه مبسوطة في صحيح مسلم وغيره فقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار - وكان يحملون الشهر الحرام - أنا وأخي أنيس وأما

فانطلقنا حتى نزلنا على خال لناذى مال وذى هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن البنا ، فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلعتك إليهم أنيس . فجاء خالنا فنشى ما قيل له ^(١) قلت له أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ، ولا جاع لنا فيما بعد . قال : قاربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتنعلنا خالنا بشوبه وجعل يبكي قال فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فخير أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثلها ، وقد صليت يابن أخى قبل أن ألقى رسول الله (ص) ثلاث سنين ، قال قلت لمن ؟ قال لله ، قلت فأين توجه ؟ قال حيث وجهى الله . قال واصلنى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل الفيت كأنى خفاء ^(٢) حتى تملونى الشمس قال فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فالقنى حتى آتيك قال فانطلق فراث على ، ثم أتانى فقلت ما حبسك ؟ قال لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال فقلت ما يقول الناس له ؟ قال يقولوا إنه شاعر وساحر ، ولكن أنيس شاعراً . قال فقال لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون . قال : قلت له هل أنت كافى حتى انطلق ؟ قال نعم ! وكن من أهل مكة على خذر فانهم قد شنعوا له ونجهموا له . قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت أين هذا الرجل الذى يدعو به الصابى ؟ قال فإشار إلى فال أهل الوادى على بكل مدرة وعظام حتى خررت مغشياً على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب احمر ، فاتيت زمزم فشربت من ماؤها وغسلت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يابن أخى ثلاثين من يوم وليلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على كبدى سخفة جوع قال فبينما أهل مكة فى ليلة قرأه أضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فاتتا على وهما يدعوان اساف ونائلة . فقلت : انكحوا أحدهما الآخر فما تناهما ذلك ، فقلت وهن مثل الخشبة غير أنى لم أركن . قال : فانطلقنا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارتنا ، قال فاستقبلهما رسول الله (ص) وأبو بكر وهما باطمان من الجبل فقال ما لكما ؟ فقالنا الصابى بين الكعبة وأستارها قال ما قال لكما ؟ قالنا قال لنا كلمة تهمد الغم ، قال وجاء رسول الله (ص) هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى . قال فاتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الاسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله من أنت ؟ » قال قلت من غفار ، قال فاهوى بيده فوضعها على جبهته قال فقلت فى نفسى كره أن أتميت إلى غفار ، قال فاردت أن آخذ بيده ففقدنى صاحبه وكان أعلم به منى ، قال متى كنت ههنا ؟ قال قلت

(١) فى النهاية : من حديث أبى ذر فجاء خالنا فنشى علينا الذى قيل له أى أظهره البنا وحدثنا به .

(٢) فى النهاية وفى حديث أبى ذر . سقطت كأنى خفاء ، الخفاء الكساء .

كنت هنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت ما كان لي طعام إلا ماله
 زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ، وما وجدت على كبدي سخفة جوع . قال قال رسول الله
 (س) : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » قال فقال أبو بكر ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة قال
 ففعل قال فانطلق النبي (س) ، وأنطلقت معها حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب
 الطائف ، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها . فلبثت ما لبثت ، فقال رسول الله (س) : « إني
 قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم
 بك ويأجرك فيهم ؟ » . قال فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسا ، قال فقال لي ما صنعت ؟ قال قلت
 صنعت أني أسلمت وصدقت ، قال فما بي رغبة عن دينك فاني قد أسلمت وصدقت ، ثم أتينا أمنا
 فقالت ما بي رغبة عن دينكما فاني قد أسلمت وصدقت ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار ، قال فأسلم
 بعضهم قبل أن يقدم رسول الله (س) المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري وكان
 سيدهم يومئذ . وقال : بقيتهم إذا قدم رسول الله (س) ، أسلمنا ، قال فقدم رسول الله (س) ، فأسلم بقيتهم
 قال وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله اخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه ، فقال رسول الله (س) :
 « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » . ورواه مسلم عن هذبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به
 نحوه . وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم . وتقدم ذكر إسلام
 سامان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند عن عمرو بن سعيد عن سيب بن جبيرة عن
 ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء
 من سفه مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟ فقلت
 محمداً فقلت إني أرقى من هذه الرياح ، وأن الله يشفي على يدي من شاء ففهم . فقال محمد : « ان الحمد
 لله فحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ثلاث مرات » . فقال والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة . وقول
 الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ففهم يدك أبايعك على الإسلام . فبايعه رسول الله (س) . فقال له
 وعلى قومك فقال وعلى قومي فبعث النبي (س) جيشا فرأوا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية
 هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا ؟ فقال رجل منهم أصبت منهم مطهرة . فقال ردها عليهم فانهم قوم
 ضماد . وفي رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن تاموس البحر

وقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة اسلام من أسلم من الاعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه . وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضي الله عنهم . قال : ثم أسلم أبو عبيدة ، وأبو سلمة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، ومنعبد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر — وهي صغيرة — وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وخباب بن الارت ، وعمر بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القاري ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبي ربيعة ، وامراته أسماء بنت سلمة ^(١) بن مخزومة النخعي ، وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث ، وامراته فكيهة ابنة يسار ^(٢) ، وممر بن الحارث بن ممر الجمحي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد مناف ^(٣) . وامراته رمة بنت أبي عوف بن صيرة بن سعيد بن سهم ، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنة خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة النخعي حليف بني عدى ، وخالد ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وعافل بن البكير ، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن قاشب بن غيرة من بني سعد بن ليث ، وكان اسم عافل غافلا فسماه رسول الله (ص) ، عاقلا ، وهم حلفاء بني عدى ابن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان . ثم دخل الناس أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الاسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن اسحاق : ثم أمر الله رسوله (ص) ، بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين . قال وكان أصحاب رسول الله (ص) ، إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بإصلاهم من قومهم . فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلهم ، ف ضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جل فشجه ، فكان أول دم أهريق في الاسلام . وروى الاموي في مغازيه من طريق الواقسي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

(١) في السيرة لابن هشام : أسماء بنت سلامة بن مخزومة النخعية .

(٢) وفي ابن هشام : حاطب بن الحارث وامراته فاطمة بنت الجهل .

(٣) وفيها : ابن عبد عوف مكان : مناف .

﴿باب﴾

الامرُ بإبلاغ الرسالة

إلى الخالص والمام، وأمره له بالصبر والاحتمال والاعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجّة عليهم، وإرسال الرسول الأعظم اليهم وذكر ما لقي من الاذية منهم هو وأصحابه رضی الله عنهم قال الله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك قل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم) . وقال تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقال تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي إن الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المعاد ، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جداً . وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير ، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الأقربين) . وأوردنا أحاديث جمة في ذلك ، فمن ذلك . قال الامام احمد : حدثنا عبد الله ابن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي (ص) الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيئ اليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله (ص) : « يا بني عبد المطلب يا بني فهر ، يا بني كعب أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا نعم ! قال : « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقلل أبو لهب - لعنه الله - تبالك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله عز وجل (تبت يدا أبي لهب وتب) وأخرجاه من حديث الاعمش به نحوه . وقال احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة . قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله (ص) قريشا فعم وخص . فقال : « يا معشر قريش اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب اتقوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد اتقدي نفسك من النار ، فاني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم زحما سألها ببلاتها » ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سميد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة ، وله طرق أخر عن أبي هريرة في مسند احمد وغيره . وقال احمد أيضا حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه عن عائشة

رضى الله عنها . قالت : لما نزل (وأنذر عشيرتک الاقربين) . قام رسول الله (ص) ، فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم » . ورواه مسلم أيضاً . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) ، [وأنذر عشيرتک الاقربين ، وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين] . قال رسول الله (ص) : « عرفت إني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره ، فصمت . فجاءني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » . قال فدعاني فقال « يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فأصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام ، وأعد لنا عس لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينة صون فيهم أعمامه أبو طالب ، وحزرة والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث . فقدمت اليهم تلك الجفنة ، فاخذ رسول الله (ص) منها حذية فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال : « كلوا بسم الله » . فاكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثاراً أصابهم ، والله إن كان الرجل لياً كل مثلها . ثم قال رسول الله (ص) : « اسقهم يا علي » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم بده أبو لهب لعنه الله فقال لهد ما سحركم صاحبكم ، ففارقوا ولم يكلمهم رسول الله (ص) . فلما كان من الغد قال رسول الله (ص) : « عدلنا مثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فان هذا الرجل قد بدر إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعهم له وصنع رسول الله (ص) ، كما صنع بالأمس ، فاكلوا حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل لياً كل مثلها . ثم قال رسول الله (ص) ، أسقهم يا علي ، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بده أبو لهب امته الله إلى الكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم ؟ ففارقوا ولم يكلمهم رسول الله (ص) . فلما كان من الغد قال رسول الله (ص) : « يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعهم له . فصنع رسول الله (ص) ، كما صنع بالأمس فاكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وإيم الله إن كان الرجل لياً كل مثلها وليمشرب مثلها . ثم قال رسول الله (ص) : « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل من ما جئتكم به إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » . هكنا

رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ أبيهم اسمعيل عن عبد الله بن الحارث به . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الابرش عن محمد بن اسحاق عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا . قال فاحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت ولأني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأخشهم ساقاً ، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فآخذ برقبتي فقال : « إن هذا أخى وكذا وكذا فاصموا له وأطيعوا » . قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ! تفرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه على بن المديني وغيره بوضع الحديث . وضعفه الباقون . ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث . قال قال علي : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتكم الاقربين) . قال لي رسول الله (ص) : اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام ، وإناء لبناً ، وأدع لي بني هاشم فدعوتهم وإنهم يومئذ لاربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : وبدرهم رسول الله (ص) الكلام . فقال : « أيكم يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ » قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكت أنا لسن العباس . ثم قال مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال أنت ؟ قال وإني يومئذ لاسوأهم هيئة ، وإني لاعمش العينين ، ضخم البطن ، خش الساقين . وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالحق أعلم . وقد روى الامام احمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الاسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم — أو كالشاهد له — والله أعلم . ومعنى قوله في هذا الحديث : من يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت ، وكأنه (ص) خشى إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب ^(١) أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ، ويقضى عنه ، وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك : وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يمهك من الناس) الآية والمقصود أن رسول الله (ص) استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يردده عن ذلك راد ، ولا يصده عنه ذلك صاد ، يتبع الناس في أنديتهم ، ومحامهم ومخافاتهم وفي المواسم ، ومواقف الحج . يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ،

(١) في المصرية : بإبلاغ مشركي العرب رسالة الله عن محمود الامام .

جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء . وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم
الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية ، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب
— واسمه عبد العزى بن عبد المطلب — وامراته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي
سفیان وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله (ص) أحب خلق الله إليه
طبعاً وكان يحنو عليه ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحامي ، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم
وعلى خلتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبعياً لا شرعياً . وكان استمراره على دين
قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند
مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولا جترؤا عليه ، ولمدوا أيديهم
والسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار . وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً ، فهذان العمان
كفران أبو طالب وأبو لهب . ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من نار ، وذلك في الدرك
الأفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ في الموعظ والخطب . تتضمن
أنه سيصلى ناراً ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب . قال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس
حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه . قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدليل
— وكان جاهلياً فاسلم — قال : رأيت رسول الله (ص) في الجاهلية في سوق ذي الحجاز وهو يقول :
« يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله فتلحقوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضى الوجه
أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابي كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب
ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه . وقال البيهقي أيضاً حدثنا أبو طاهر
القيسي حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان حدثنا أبو الأزهر حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري
حدثنا محمد بن عمر عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدليل . قال : رأيت رسول الله (ص) بذى الحجاز
يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول فقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا
يغفرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قيل هذا أبو لهب . ثم رواه من طريق
شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي الحجاز وهو
يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله فتلحقوا » وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب ، وإذا هو أبو
جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغفرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات
والعزى كذا قال أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسند كبريئة ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد
وقعة بدر إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه ، وسجاياه ، واعتماده

فبما يحامي به عن رسول الله (ص)، وأصحابه رضي الله عنهم . قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة أخبرني عقيل بن أبي طالب . قال جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانه عنا . فقال يا عقيل انطلق فأتني بمحمد ، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس - أو قال خنس - يقول بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فلما أنام قال إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم ، فانه عن أدام فخلق رسول الله (ص) . يبصره إلى السماء . فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا نعم ! قال : « فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا . رواه البخاري في التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير . ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه - . ثم روى البيهقي من طريق يونس عن ابن إسحاق حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث . أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله (ص) . فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فابق على وعلى نفسك ولا تجعلني من الأمر مالا أطيع أنا ولا أنت . فأكف عن قومك ما يكرهون من قولك . فظن رسول الله (ص) أن قد بدا لعمه فيه ، وانه خاذله ومسله ، وضعف عن القيام معه . فقال رسول الله (ص) : « يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه » ثم استعبر رسول الله (ص) فبكى ، فلما ولي قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله (ص) : يا ابن أخي فاقبل عليه ، فقال أمض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً . قال ابن إسحاق ثم قال أبو طالب في ذلك :

والله لن يصلوا اليك بجنهم	حتى أوسد في التراب دفيناً
فامضي لأمرك ما عليك غضاضة	أبشر وقرء بذلك منك عيوناً
ودعوتني وعلمت أنك ناصبي	فلقد صدقت وكنت قد أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه	من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذارى سبة	لوجدتني سمحاً بذلك مؤمينا

ثم قال البيهقي وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً ، وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه في دينه ، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء لا يعقب لحكمه . وقال يونس بن بكير : حدثني محمد بن إسحاق حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضعا وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله (ص) فلما قام رسول الله قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ،

وشتم آبائنا وتنفية أحلامنا : وسب آلهتنا وإن أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فاذا سجد في صلاته
 فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ
 حجراً ثم جلس لرسول الله (ص) ، ينتظره ، وغدا رسول الله (ص) كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام .
 فكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليماني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله
 (ص) يصلي ، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله (ص) احتمل
 أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهياً ممتعاً لونه مرعوباً قد يبست يده على
 حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجل من قريش . فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟
 فقال قت إليه لا فعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الأبل والله
 ما رأيت مثل هامة ، ولا قصرته ^(١) ، ولا أنياه لفحل قط فهم أن يأكلني . قال ابن اسحاق :
 فذكر لي أن رسول الله (ص) قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » . وقال البيهقي : أخبرنا
 أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو النضر الفقيه حدثنا عثمان اللوامي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا
 الليث بن سعد عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة عن أبان بن صالح عن علي بن عبد الله بن
 عباس عن أبيه عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنت يوماً في المسجد فاقبل أبو جهل - لعنه الله -
 فقال : إن لله علي إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله (ص) حتى
 دخلت عليه فاخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضاباً حتى جاء المسجد فمجل أن يدخل من الباب
 فاقتحم الحائط . فقلت هذا يوم شر ، فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله (ص) فقرأ (اقرأ باسم
 ربك الذي خلق الإنسان من علق) فلما بلغ شأن أبي جهل (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه
 استغنى) فقال إنسان لأبي جهل : يا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى ؟ والله
 لقد سد أفق السماء علي فلما بلغ رسول الله (ص) آخر النورة سجد . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد
 الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم عن عكرمة قال قال ابن عباس : قال أبو جهل لئن رأيت
 محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال : « لو فعل لأخذته
 الملائكة عياناً » . ورواه البخاري عن يحيى عن عبد الرزاق به . قال داود بن أبي هند عن عكرمة
 عن ابن عباس . قال ، مر أبو جهل بالنبي (ص) وهو يصلي . فقال : ألم أنهك أن تصلي يا محمد ؟
 لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني ، فأنهره النبي (ص) . فقال جبريل : (فليدع ناديه سندع
 الزبانية) والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب . رواه أحمد والترمذي وصححه النسائي من طريق
 داود به . وقال الإمام أحمد حدثنا اسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن

(١) قصرته : أي عنقه وأصل رقبته .

عكرمة عن ابن عباس . قال قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلي لآتينته حتى أطأ عنقه ، قال فقال : « لو فعل لاخذته الزبانية عياناً » . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس . قال قال : أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه ، فانزل الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ من الآية (لنسفنا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية) . فجاء النبي (ص) يصلي فقل ما يمنعك ؟ قال : قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال أبو جهل : هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا نعم ! قال فقال والللات والعزى لئن رأيت يصلي كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسول الله (ص) وهو يصلي ليظاً على رقبته . قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه ، قال فقل له مالك ؟ قال ان بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة . قال فقال رسول الله (ص) : « لودنا مني لاختمتته الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنزل الله تعالى - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) الى آخر السورة وقد رواه احمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به . وقال الامام احمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله . قال : ما رأيت رسول الله (ص) دعا على قریش غير يوم واحد ، فانه كان يصلي ورهط من قریش جلوس ، وسلاح جزور قريب منه . فقالوا : من يأخذ هذا السلاح فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبه ابن أبي معيط أنا ، فاخذه فالتقه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فاخذته عن ظهره . فقال رسول الله (ص) : « اللهم عليك بهذا الملاء من قریش ، اللهم عليك بعقبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بابي جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بابي بن خلف - أو أمية بن خلف - « شعبة الشاك قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي - أو أمية بن خلف - فانه كان رجلاً ضخماً فتقطع . وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن اسحاق به . والصواب أمية بن خلف فانه الذي قتل يوم بدر ، وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد كما سيأتي بيانه - والسلاح هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفي بعض الفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله . وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبهم ، وأنه (ص) لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما

رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه (س) : دعا على الملائكة منهم جملة وعين في دعائه سبعة . وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عتبة ، وأخوه شيبه أبناربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، وأمينة بن خلف . قال ابن اسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري .

قصة الأراشي (١)

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي . قال : قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فطله بأمانتها . فاقبل الأراشي حتى وقف على نادى قریش ورسول الله (س) ، جالس في ناحية المسجد . فقال : يا معشر قریش من رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني على حتى ؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك - يهزون به (٢) إلى رسول الله (س) ، لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ، اذهب اليه فهو يعديك عليه . فاقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله (س) ، فذكر ذلك له ، فقام معه . فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله (س) حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال محمد فاخرج ! فخرج اليه وما في وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال لا تبرح حتى أعطيه الذي له . قال فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ، ثم انصرف رسول الله (س) ، وقال للأراشي الحق لشأنك . فاقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيراً ، فقد أخذت الذي لي ، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت ؟ قال عجيباً من العجيب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال : أعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج اليه حقه ، فدخل فاخرج اليه حقه فاعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملت رعباً ، ثم خرجت اليه وإن فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ولا أنيابها لفحل قط ، فوالله لو أبيت لا كلني .

فَضْرَبَ عَلَيْهِ

وقال البخاري حدثنا عياش بن الوليد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني الاوزاعي عن يحيى بن أبي

(١) الأراشي نسبة إلى إراش بالكسر والشين معجمة موضع حكاه ياقوت . (٢) هذا نص الخليفة بالزاي المعجمة وفي المصرية : يهرون .

كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير . سألت ابن العاص قلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ؟ قال : بينما النبي (ص) يصلي في حجر السكبة ، إذ أقبل عليه عقبة ابن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديداً ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي (ص) وقال : (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) الآية . تابعه ابن اسحاق قال أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال قلت لعبد الله بن عمرو . وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمر بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو ابن العاص . قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة . انفرد به البخاري . وقد رواه في أما كن من صحيحه وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة . وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق . حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة ، قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله (ص) فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فدكروا رسول الله (ص) فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم . أو كما قال . قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله (ص) . فأقبل يمشي حتى أستلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله (ص) ، فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمنزلها ففرقتها في وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمنزلها . فقال : « أسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح » ^(١) . فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنا على رأسه طأروقه حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه حتى إنه ليقول انصرف أبا القاسم راشداً فإنا كنت بجهول . فانصرف رسول الله (ص) . حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله (ص) . فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله (ص) : « نعم أنا الذي أقول ذلك » ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر ينكي دونه ويقول : ويلكم (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه . فان ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

(١) في الحلبية : بالذبح مهمة وفي ابن هشام : بالذبح .

فضيلة النبي

في تأليب الملا من قريش على رسول الله (ص)، وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه اليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الامام احمد حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : « لقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أثت على ثلاثون من بيني يوم ليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوراني إبط بلال » . وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال محمد بن اسحاق : وحديث علي رسول الله (ص) : عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله (ص) على أمر الله مظهراً لدينه لا يرده عنه شيء ، فلما رأت قريش أن رسول الله (ص) لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وأبوسفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البختري - واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، والاسود بن المطب بن أسد بن عبد العزى ، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سميد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، والعاص بن وائل بن سميد بن سهم .

قال ابن اسحاق أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا وأما أن نخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فكفنيكه ؟ فقال لهم أبو طالب : قولوا رفيقا ، وردم رداً جليلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله (ص) على ما هو عليه ، يظهر دين الله ويدعو اليه ، ثم سرى الامر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا . وأكثرت قريش ذكر رسول الله (ص) ، بينها فتدامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم أنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى . فقالوا : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا - ثم انصرفوا عنه فمظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً باسلام رسول الله (ص) ولا خذلانه .

قال ابن اسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله (ص) فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له ، فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيع ، قال فظن رسول الله (ص) أنه قد بدا لعمه فيه بدو وانه خاذله ومسلمه ، وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله (ص) : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أوأهلك فيه ما تركته » قال ثم استعبر رسول الله (ص) فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب . فقال : أقبل يا ابن أخي ، فاقبل عليه رسول الله (ص) . فقال : اذهب يا ابن أخي قل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبداً . قال ابن اسحاق . ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أخذ لان رسول الله (ص) واسلامه واجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له — فيما بلغني — : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهدقني في قريش وأجمله ، نخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ؟ وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامنا فقتله فانما هو رجل لرجل ! قال : والله لبئس ما تسوموني ؟ أعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني فقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفتني ، ولكنك قد أجمعت خذلاتي ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك — أو كما قال — فحقب الأمر ، وحيت الحرب ، وتنابد القوم ، ونادى بعضهم بعضاً . فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويند كرماً سأله وما تباعد من أمرهم :

ألا قلت لعمرى والوليد ومطعم	ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حجاب كثير رغاؤه	يرش على السائقين من بولر قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق	إذ ما علا الفياء قيل له وبر
أرى أخوينا من أينا وأمنا	إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لها أمر ولكن نخرجها	كما خرجت من رأس ذي علق الصخر
أخمن خصوصاً عبد خمس ونوفلاً	ها نبذاها مثل ما بُدِ الجمر
ها أغرنا للقوم في أخوئها	قد أصبغا منهم أكنهها صفر
ها أشركا في الجمر من لأباله	من الناس إلا أن برس له ذكر

وَتِيمٌ وَمُخْزَوْمٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُنِيَ النُّصْرُ
فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ مِنَّا عِدَاوَةٌ وَلَا مِنْكُمْ مَا دَامَ مِنْ نَسْلِنَا شَفَرُ

قال ابن هشام : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما (١)

فَضْرِبْهُمَا

في مبالغتهم في الأذية لأحادي المسلمين المستضعفين

قال ابن اسحاق : ثم إن قريشا تذا مروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله (ص) الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسول الله (ص) ، بعنه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله (ص) ، والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله . فقال في ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من الحذب والنصرة لرسول الله (ص) :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمُفَخِّرٍ	فعبُدْ منافٍ سِرُّها وصيِّمُها
وإن حصلتْ أشرافُ عبدٍ منافٍها	ففي هاشمٍ أشرافُها وقديِّمُها
وإن فخرتْ يوماً فانَّ محمداً	هو المصطفى من سِرِّها وكريمِها
تداعتْ قريشٌ غُثَّها وسَمِيحُها	علينا فلم تظفرْ وطاشتْ حلومُها
وكنَّا قديماً لا نُقَرُّ ظِلَامُها	أذ ما تُنَوُّ صُغَرَ الرقابِ نُقيمُها
ونحبي حِمَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيمِها	وانضربْ عن أحجارِها مَنْ يرومُها
بنا انتمشُ العودُ الزَّوَاءُ وإِنَّمَا	بأكنافِنا تَنَدَى وتَنَمَّى أرومُها

فَضْرِبْهُمَا

فيما اعترض به المشركون على رسول الله (ص) ، وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد . فلماذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولما إليه رغبوا ، لعلم الحق سبحانه أنهم لو لجأيتوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم

(١) في هذه القطعة اختلاف بين الاصلين وبينهما مع ابن اسحاق وقد اجتهدنا أن يكون الاصل النسخة الحلبية الا ما كان خطأ فنعمد فيه على ابن اسحاق فالبيت الخامس منها أثبتناه كما في الاصلين وفي ابن اسحاق جرجا .

يعمهمون ، وظلوا في غيهم وضلالهم يتردون . قال الله تعالى : (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) . وقال تعالى : [إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم] . وقال تعالى : [وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتيناهم نوحاً مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً] . وقال تعالى [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً] وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير والله الحمد . وقد روى يونس وزيد عن ابن اسحاق عن بعض أهل العلم — وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد — عن سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس . قال : اجتمع ثلثة من أشرف قريش — وعدد أسماءهم — بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكاموه ، وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله (ص) ، سريماً وهو يظن أنه قد بداهم في أمره بدء ، وكان حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنهم ، حتى جلس إليهم . فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذرك ، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة وفرت الجماعة ، وما بقي من قبيل إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك . فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك — وكان يسمون التابع من الجن الرثي — فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذرك فيك ؟ فقال رسول الله (ص) : « ما بي ما تقولون : ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وانزل على كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » — أو كما قال رسول الله (ص) — فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك

فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ، ولا أقل مالا : ولا أشد عيشاً منا . فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، ولييسر لنا بلادنا ، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فناداهم بما تقول أحق هو أم باطل ؟ فان فعلت ما سألناك وصدقك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله (ص) : « ما بهذا بعثت إنما جئكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغكم ما أرسلت به إليكم ، فان قبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فان لم تفعل لنا هذا نخذ لنفسك فضل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ، وبراجعنا عنك ، ونسأله فيجعل لنا جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويفنيك عما نراك تبتغي فانك تقوم في الاسواق وتلتبس المعاش كما نلتبسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً فان قبلوا ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » . قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يا محمد ما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يهلك هذا رجل بالجمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرتنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نهد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً . فلما قالوا ذلك قام رسول الله (ص) عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب — فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله . ثم سألوك لانفسهم أموراً ليمروا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب : فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيتها وتأتي معك بنسخة مفشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لأصدقك . ثم انصرف عن رسول الله (ص) ، وانصرف رسول الله (ص) إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته بما طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مبادئهم إياه وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملائكة بجلوس ظلم وعدوان وعناد . ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية ، والرحمة الربانية ، ألا يجابوا إلى ما سألوا لأن الله أعلم أنهم لا يؤمنون .

بذلك فيعاجلهم بالعذاب * كما قال الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : سأل أهل مكة رسول الله (ص) أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا : فقيل له إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الامم . قال : « لا بل أستأني بهم » فانزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا نوحاً البشارة فظلموا بها) الآية . وهكذا رواه النسائي من حديث جرير . وقال احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس . قال قالت قريش للنبي (ص) : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال وتفعلا ؟ قالوا نعم . قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً . فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل التوبة والرحمة » . وهذان اسنادان جيدان ، وقد جاء مرسلان عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد . وروى الامام احمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن (١) أبي أمامة عن النبي (ص) قال : « عرض على ربي عز وجل أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت لا يا رب أشبع يوماً وأجوع يوماً — أو نحو ذلك — فإذا جعت تضرعت اليك وذكرك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » لفظ احمد . وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث . وقال محمد بن اسحاق : حدثني شيخ من أهل مصر — قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة — عن عكرمة عن ابن عباس . قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما سلوه عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء . فخرجوا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله (ص) ووصفا لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . قال فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان [نبؤه] ، وسلوه عن الروح ما هي ؟ فان أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا في (١) في الاصلين : القاسم بن أبي أمامة ، وإنما هو القاسم بن عبد الرحمن مولى بني أمية الدمشقي ولم يرو عن أحد من الصحابة غيره .

أمره ما بدا لكم . فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالوا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فاخبرهم بها ، فجاء رسول الله (ص) فقالوا : يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمرهم به . فقال لهم رسول الله (ص) : « أخبركم غداً بما سألتهم عنه » ولم يستثن . فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله (ص) خمس عشرة ليلة لا يحدث له في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله (ص) . مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقال الله تعالى [ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً] . وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولاً فمن أراد فعمله بكشفه من هناك . ونزل قوله [أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً] ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقاً لا تعليقاً في قوله [ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت] ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ثم قال (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً) ثم شرح أمره وحكى خبره . وقال في سورة سبحان (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أي خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره ، قال لها كوني فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه ، وتصوير حقيقته في نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكته ، ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وقد ثبت في الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله (ص) بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية - فاما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً - وإن كان نزولها متقدماً ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة سبحان ففي قوله نظر ، والله أعلم . قال ابن اسحاق : ولما خشى أبو طالب دم العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعود فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله (ص) ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ فيهمُ	وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طأوعوا أمرَ العدوِّ المزابل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنةُ	يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرتُ لهم نفسي بسراءٍ فمُحجةُ	وأبيضُ غضبٍ من نراثِ المَقاولِ
وأحضرتُ عند البيتِ رهطِي وأخوتي	وأمسكتُ من أنوابه بالوصلِ

قِيَاماً مِمَّا مُسْتَقْبِلِينَ رِجَالَهُ
 وَحَيْثُ يُنْشِخُ الْأَشْعُرُونَ رُكَاثَهُمْ
 مَوْجَعَةً الْأَعْضَادِ أَوْ قُضْرَاتِهَا
 تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرَّخَامَ وَزِينَةً
 أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
 وَمَنْ كَلَشَحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعْيِيَةٍ
 وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
 وَبِالْبَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
 وَبِالْحَجَرِ الْمَسُودِ إِذَا يَمْسُحُوهُ
 وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
 وَأَشْوَاطِ بَيْنِ الْمُرَوِّثَيْنِ إِلَى الصَّفَا
 وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
 وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمِدُوا لَهُ
 وَتَوَقَّاهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً
 وَلَيْلَةً جَمْعٍ وَالْمَنَازِلُ مِنْ رَمَى
 وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجْرَتُهُ
 وَبِالْجُرَّةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا
 وَكُنْدَةً إِذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةً
 حَلِيقَانِ شَدًّا عَقْدًا مَا اِخْتَلَفَا لَهُ
 وَحَطَمَهُمْ مُمَرَّ الرِّمَاحِ وَسِرْحَهُ
 فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِدٍ
 يَطَاعُ بِنَا أَمْرَ الْعِدَا وَدَا أُنْتَا
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ تَرَكْتُمْ مَكَّةَ
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَيْدِي مُحَمَّدًا
 وَنَسَلَهُ حَقِّي نَصْرَعُ حَوْلَهُ
 وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ

لَدَى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَاقِلٍ
 بِمَقْضَى السَّبُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ
 غَيْثَةً بَيْنَ السَّدِيسِ وَبِلَازِلٍ
 بِأَعْنَاقِهَا مَمْقُودَةٌ كَالْمَشَاكِلِ (١)
 عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مَلَحٍ يَبَاطِلُ
 وَمَنْ مُلْجِقٌ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يُحَاوِلِ
 وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ
 وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
 إِذَا اِكْتَنَفُوهُ بِالضَّحَى وَالْأَصَائِلِ
 عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ
 وَمَا فِيهَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَائِلِ
 وَمَنْ كُلُّ ذِي نَذَرٍ وَمَنْ كُلُّ رَاكِبٍ
 إِلَّا إِلَى مُقْضَى الشَّرَاحِ الْقَوَائِلِ
 يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرُّوَاحِلِ
 وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
 سِرَاعًا كَمَا يُخْرِجُنَ مِنْ وَقْعٍ وَابِلِ
 يُؤْمُونَ قَدْ ظُنُّوا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ
 يُحْيِزُهُمْ حَجَّاجٌ بِكَرْبِنٍ وَائِلِ
 وَرَدًّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الْوَسَائِلِ
 وَشَبْرَقَهُ وَخَدَّ النِّعَامِ الْجَوَائِلِ
 وَهَلْ مِنْ مُعِينٍ يَتَّقِي اللَّهَ عَادِلِ
 يَسُدُّ بِنَا أَبْوَابَ تَرْكٍ وَكَابِلِ
 وَنَظْمُنُ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَابِلِ
 وَلَمَّا نَطَاعُنْ دُونَهُ وَتَنَاضِلِ
 وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
 نَهْوُ الرُّوَايَا نَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاحِ

(١) فِي الْأَصْلِ : الْفَنَاقِلِ . وَصَحَّحْنَاهُ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ وَالْمَشْكُولِ : الْعَنْقُ .

وحتى نرى ذا الصن بركب رذعه
 وإنا لعمر الله إن جد ما أرى
 بكنتي قتي مثل الشهاب فميدع
 شهوراً وأياماً وحولاً محزماً
 وما ترك قوم - لا أبالك - سيداً
 وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
 يلوذ به الملاك من آل هاشم
 لعمرى لقد أجرى أسيدته وبكره
 وعثمان لم يربع علينا وقنفذ
 أطاعاً أياً وابن عبد يغوثهم
 كما قد لقينا من سبيغ ونوفل
 فان يلفيا أو يمكن الله منهما
 وذلك أبو عمرو أتي غير بفضنا
 يناجي بنا في كل مسمى ومصبح
 ويؤلي لنا بالله ما أن يفتشنا
 أضاق عليه بفضنا كل تلمة
 وسائل أبا الوليد ماذا خبوتنا
 وكنت امرأاً ممن يعاش برأيه
 فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح
 ومر أبو سفيان عني معرضاً
 يفر إلى نجد وبرد مياهه
 ويخبرنا فعل المناصح أنه
 أمطع لم أخذك في يوم نجدة
 ولا يوم خصم إذ أتوك الله
 أمطع إن القوم ساموك خطه
 بزى الله عنا عبد فحمس ونوفلا
 بمران قط لا يخفى شميرة

من الطمن فعل الأنكب المتحامل
 لتلتبساً أسيافنا بالامائل
 أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
 علينا وتأتي حجة بعد قابل
 يحوط الدمار غير ذرب مواكل
 نمل الينامي عصية للأرامل
 فهم عنده في رحمة وفواضل
 إلى بفضنا وجزآنا لا كل
 ولكن أطاعاً أمر تلك القبائل
 ولم يرقباً فينا مقالة قائل
 وكل تولى معرضاً لم يجامل
 نكل لها صاعاً بصاع المكاييل
 ليظفنا في أهل شام وجامل
 فجاج أبا عمرو بنا ثم خائل
 بلى قد تراه جهرة غير خائل
 من الأرض بين أخشب فجادل
 بسمعك فينا معرضاً كالحائل
 ورحمته فينا ولست بجاهل
 حود كدوب مبغض ذي دغاول
 كما مر قيل من عظام المقاول
 ويرغم أتي لست عنكم بغافل
 شفيق ويخفي عارمات الدواخل
 ولا معظم عند الأمور الجلائل
 أولي جدل من الخصوم المساجل
 وإني متى أوكل فليست بوائل
 عقوبة شر عاجلاً غير آجل
 له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفت أحلام قوم تبدلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
وسهم ومخزوم تملأوا وألبوا
فبعد مناف أنتم خير قومكم
لعمري لقد وهنتم وعجزتم
وكنتم حديثاً خطب قدر وأنتم
ليمن بني عبد مناف عقوقنا
فإن نك قوماً نثر ما صنعتم
[(١) وسائط كانت في لؤي بن غالب
وربط نفيل شر من وطى الحصى
فأبلغ قصياً أن سينشر أمرنا
ولو طرقت ليلاً قصياً عظيمة
ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم
فكل صديق وابن اخت أعدّه
سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة
] (٢) وهنأهم حتى تبدد جمعهم
وكان لنا حوض السقاية فيهم
شباب من المطّيين وهاشم
فما أدركوا ذحلاً ولا سفكوا دماً
بضرب ترى الفتیان فيه كأنهم
بني أمة محبوبة هند كية
ولكننا نسل كرام لسانه
ونم ابن أخت القوم غير مكذب
اشم من الشم البهليل يفتني
لعمري لقد كلفت وجداً باحمر

بني خلف قيصاً بنا والفياطل
وآل قصي في الخطوب الاوائل
علمنا العدى من كل طمل وخامل
فلا تشرکوا في أمرکم کلّ واغل
وجثم بأمر مخطئ للمفاصل
الآن أحطاب أقدر ومرجل
وخذلانا وتركنا في المعازل
وتحنلېوها لقحة غبير باهل
فناهم إلينا كل صقر حلال
والأم حاف من ممد وناعل
وبشر قصياً بعدنا بالتخاذل
إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
لكننا أسي عند النساء المطافل
لعمري وجدنا غبه غير طائل
براء إلينا من معقة خاذل
ونحسر عنا كل باغ وجاهل
ونحن الكدى من غالب والكواهل
كبيض السيوف بين أيدي الصياقل
ولا حالفوا إلا شرار القبائل
ضواري أسود فوق لحم خراذل
بني جمع عبيد قيس بن عاقل
بهم نبي الاقوام عند البواطل
زهير حساماً مفرداً من حائل
إلى حسب في حومة الجحد فاضل
وإخوته دأب المحب المواصل

(١) لم يرد هذان البيتان في الاصلين ، وزدناها من سيرة ابن هشام .

(٢) هذه الايات السبعة لم ترد في الاصلين ، وزدناها من سيرة ابن هشام .

فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكماء عند التفاضل
 حلیم رشید عادل غیر طائش یوای الهما ليس عنه بغافل
 کریم المساعی ماجد وابن ماجد له إرث مجدي ثابت غير فاضل
 وأیده رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقاً غير زائل
 فوالله لولا أن أجيء بسببة تجرّ على أشياخنا في المحافل
 لكنّا تبعناه على كل حالة من الدهر جئنا غير قول التهازل
 لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الأباطل
 فاصبح فينا أحمد في أرومة يقطر عنها سؤرة المتطاول
 حدثت بنفسي دونه وحيته ودافعت عنه بالدرى والكلا كل

قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .
 قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع قولها إلا من نسبت اليه ، وهي أفضل من
 المعلقات السبع ، وابلغ في تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردها الاموي في مغازيه مطولة بزيادات
 آخر والله أعلم ^(١)

فَضْرِبْهُ بِالْأَنْزَالِ

قال ابن اسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ص ، من أصحابه فوثبت كل
 قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة
 ، إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم
 ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم ، فكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جمح مولداً من
 مولديهم وهو بلال بن رباح ، واهم أمه حمامة ، وكان صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن
 خلف يخرججه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا
 (١) في سيرة ابن هشام زيادة على ما أورده المؤلف من هذه القصيدة واختلاف في بعض الألفاظ
 وتقديم وتأخير ليس هنا محل بسطه ولهذه القصيدة نسخ مطبوعة على حديثها فليرجع اليها من أراد
 ذلك وزاد ابن هشام هذه الايات :

فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها وزينا لمن والاه رب المشا كل
 رجال كرام غير ميل تمام إلى الخير آباء كرام المحاصل
 فان تك كعب من لوى صقبة فلا بد يوماً مرة من تزايل

تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد (ص)، وتعبد اللات والعزى فيقول: - وهو في ذلك - أحد أحد. قال ابن اسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك وهو يقول أحد أحد، فيقول أحد أحد والله يابلال، ثم يقبل على أمية بن - ف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لا تأخذنه خنانا.

قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول (يا أيها المدثر) فكيف يمر ورقة ببلال، وهو يعذب وفيه نظر. ثم ذكر ابن اسحاق مرورا بـ بكر ببلال وهو يعذب، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتراه الجماعة ممن أسلم من العبيد والاماء، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عيسى (١) التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها، والتهدية وأبذتها اشتراها من بني عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعا وهي تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر: حل يا أم فلان، فقالت حل أنت أفستهما فاعتقهما: قال فيكم هما؟ قالت بكذا وكذا. قال قد أخذتهما وهما حرتان، أرجما إليهما طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم رده إليهما؟ قال: ذلك إن شئتما. واشترى جارية بني مؤمل - حتى من بني عدى - كان عمر يضربها على الإسلام. قال ابن اسحاق: فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله. قال قال أبو قحافة لابنه أبي بكر: يا بني إني أراك تعتق ضعفاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ قال فقال أبو بكر: يا أباة إني إنما أريد ما أريد. قال: فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى آخر السورة وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود. قال أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله (ص)، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب. وبلال، والمقداد فاما رسول الله (ص)، ففعله الله بعنه، وأبو بكر ممنعه الله بقومه، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فلبسوا أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد. ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسل.

قال ابن اسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت اسلام - إذا حيت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة. فيمر بهم رسول الله (ص)، فيقول - فيما بلغني - : (١) كذا في الاصلين. والصحيح أن الذي أصيب بصرها (زنيرة) وضبطها السهيلي بكسر الزاي وتشديد النون فكانها سقطت من الناسخ لأن ابن هشام ذكرها بعد أم عيسى.

«صبراً آل ياسر موعدكم الجنة» وقد روى البيهقي عن الحاكم عن ابراهيم بن عصاة العدل حدثنا السري بن خزيمة حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام بن أبي عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر ان رسول الله (ص) مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: «أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة» فاما أمه فيقتلونها فتأبى الا الاسلام . وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد . قال أول شهيد كان في أول الاسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها . وهذا مرسل .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش ، إن مع رجل قد أسلم له شرف ومنعة أبنه وخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفن حملك ، ولنغلبن رأيك ، ولنضمن شرفك . وإن كان تاجراً قال والله لنكسبن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به لعنه الله وقبحه . قال ابن اسحاق : وحدثني حكيم بن جبير عن سعيده بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله (ص) من العذاب ما يعذبون به في ترك دينهم ؟ قال نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم ! افتداه منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى [من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم] الآية فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ ، أجازنا الله من ذلك بحوله وقوته . وقال الإمام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت . قال : كنت رجلاً قيناً وكان لي علي العاص بن وائل دين ، فابتذله انتقاضه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال فاني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيتك ؟ فانزل الله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) إلى قوله (ويأتينا فرداً) أخرجاه في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الاعمش به . وفي لفظ البخاري كنت قيناً بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت انتقاضه فذكر الحديث . وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بنان واسماعيل . قالوا : سمعنا قيساً يقول سمعت خباباً يقول : أثبت النبي (ص) وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ؟ فقدم وهو محموج به . فقال : « قد كان من كان قبلكم لمشط بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما

يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل « زاد بنان » والذئب على غنمه « وفي رواية « ولكنكم تستعجلون » انفراد به البخاري دون مسلم . وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هـ . والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وابن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن سميد بن وهب عن خباب . قال شكونا إلى النبي (ص) ، شدة الرمضاء فما أشكنا — يعني في الصلاة — وقال ابن جعفر : فلم يشكنا . وقال أيضا : حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت سميد بن وهب يقول سمعت خبابا يقول : شكونا إلى رسول الله (ص) ، الرمضاء فلم يشكنا ، قال شعبة يعني في الظهيرة . ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي اسحاق السبيعي عن سميد بن وهب عن خباب . قال شكونا إلى رسول الله (ص) ، حر الرمضاء . — زاد البيهقي في وجوهنا واكفنا — فلم يشكنا . وفي رواية شكونا إلى رسول الله (ص) ، الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا . ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الاعمش عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب العبدي عن خباب . قال : شكونا إلى رسول الله (ص) ، حر الرمضاء فلم يشكنا . والذي يقع لي — والله أعلم — أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكوا إليه (ص) ، ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيقتلون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن اسحاق وغيره ، وسألوا منه (ص) : أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراهنة وأخبرهم عن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينصره في الاقاليم والافات حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون . ولهذا قال شكونا إلى رسول الله (ص) ، حر الرمضاء في وجوهنا واكفنا فلم يشكنا ، أي لم يدع لنا في الساعة الراهنة . فن استدلل بهذا الحديث على عدم الإبراد أو على وجوب مباشرة المصل بالكف كما هو أحد قولي الشافعي فقيه نظر والله أعلم .

باب

مجادلة المشركين رسول الله (ص) ، وإقامة الحججة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبنياً وجحوداً
قال اسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السخيتاني عن عكرمة عن ابن عباس . أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله (ص) ، فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له فبلغ

ذلك أبا جهل فقام فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ؟ قال ليعطوكه فانك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال قد علمت قریش أتى من أكثرها مالا ، قال قل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له . قال وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالشعار منى ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده منى ، ولا بالشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذى يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمشمر أعلاه منفق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلو ، وإنه ليحطم ما تحته . قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال قف عني حتى أفكر فيه ، فلما فكر . قال : ان هذا الا سحر يؤثر يأنره عن غيره فنزلت (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبين شهودا) الآيات هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعاني بمكة عن اسحاق به . وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسل . فيه أنه قرأ عليه [إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون] وقال البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة - أو عكرمة عن ابن عباس - أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قریش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر المواسم فقال ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قول بعضهم بعضا . فقيل : يا أبا عبد شمس قل واقم لنا رأيا نقوم به ، فقال بل أنتم تقولوا وأنا اسمع . فقالوا نقول كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن رأيت الكهان . فبأهو بزممة الكهان . فقالوا نقول مجنون ؟ فقال ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بحنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . فقال نقول شاعر ؟ فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقرضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر . قالوا فنقول هو ساحر ؟ قال ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرم فما هو بنفته ولا بعقده . قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لمندق ، وان فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل ، وان اقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد لا حذروه اياه وذكروا لهم أمره وأنزل الله في الوليد (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبين شهودا) الآيات وفي أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عضين (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) . قلت : وفي ذلك قال الله تعالى اخبارا عن جهلهم وقلة عقولهم [بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليئتنا بآية كما أرسل الاولون] فخاروا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل : لأن

من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى : (أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً) . وقال الامام عبد بن حميد في مسنده حدثني أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي ابن مسهر عن الاجلح هو ابن عبد الله الكندي عن الزيات بن حرملة الاسدي عن جابر بن عبد الله . قال : اجتمع قريش يوماً فقالوا أنظروا أعلمكم بالسحر والسكمان والشعر فليات هذا لرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكن له ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فاتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله (ص) . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله (ص) . قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وان كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة ^(١) قط أشأم على قومه منك فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وان في قريش كاهناً . والله ما تنتظر إلا مثل صيحة الجبل أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى تقتلنا : أيها الرجل إن كان بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلتزوجك عشراً . فقال رسول الله (ص) : « فرغت ؟ » قال نعم . فقال رسول الله (ص) . [بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون] الى ان بلغ [فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود] . فقال عتبة : حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا . فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه الا كلمته . قالوا : فمـل أجابك ؟ فقال نعم اثم قال لا والذي نصبها بليّة ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويحك يكلمك الرجل بالمرية لا تدري ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة . وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم عن الاصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الاجلح به . وفيه كلام ، وزاد : وان كنت إنما بك الرياسة عقداً أؤيتنا لك فكنت رأساً ما بقيت وعنده أنه لما قال : (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ، ولم يخرج الى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : والله يامعشر قريش ما نرى عتبة الا صباً الى محمد وأعجبه طمأمة ، وما ذاك الا من حاجة اصابته ، انطلقوا بنا اليه فاتوه . فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا الا أنك صبت الى محمد وأعجبتك أمره ، فان كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب واقسم بالله لا يكلم محمد ابداً . وقال : لقد علمت أني

(١) كذا في الاصلين . وفي النهاية السخل : المولود المحبب الى أبويه .

من أكثر قريش مالا، ولكنني أتيتهم وقص عليهم القصة فاجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم) حتى بلغ (فإن اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فغفت أن ينزل عليكم العذاب. ثم قال البيهقي عن الخاتم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً حليماً، قال - ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله (ص) جالس وحده في المسجد - : يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله (ص) فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله (ص) من المال والملك وغير ذلك. وقال زياد بن اسحاق فقال: عتبة يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة وراوا أصحاب رسول الله (ص) يزيدون ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله (ص) فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشجرة والمكان في النسب، وأنت قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم، وسفنت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آياتهم. فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال فقال له رسول الله (ص): «يا أبا الوليد اسمع». قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا تقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رعباً نراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتدأوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة. قال له النبي (ص): «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال نعم! قال اسمع مني، قال: أفعل! فقال رسول الله (ص): (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) فمضى رسول الله (ص) يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله (ص) إلى السجدة فسجدها ثم قال: «سمعت يا أبا الوليد؟» قال سمعت. قال: «فانت وذاك» ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا مفاوذك يا أبا الوليد؟ قال ورأى أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش

أطيعوني واجعلوها بي . خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بنيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزمكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم . ثم ذكر يونس عن ابن اسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الادمي بمكة حدثنا أبو أيوب احمد بن بشر الطيالسي حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا المشي بن زرعة عن محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله (ص) على عتبة بن ربيعة (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، واعصوني فيما بعد ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت اذناي كلاماً مثله ، وما دريت ما أرد عليه وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق حدثني الزهري . قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله (ص) ، وهو يصلي بالليل في بيته ، فاخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه : وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلورآكم بعض سفهاؤكم لا وقعتم في نفسه شيئاً . ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا لا نبرح حتى تتعاهد أن لا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء اعرفها واعرف ما يراد بها فقال الاخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فأعطينا ، حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرنسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه . فقام عنه الاخنس بن شريق ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا احمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبه . قال : إن أول يوم عرفت رسول الله (ص) أتى أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله (ص) .

فقال رسول الله ﷺ، لأبي جهل: «يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله». فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منتقم من سب آلنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أتى أعلم أن ما تقول حق لا تبعثك. فأنصرف رسول الله ﷺ. وأقبل على فقال: والله أنى لأعلم أن ما يقول حق، ولكن [بمعنى] شئ. إن بنى قصى قالوا: فينا الحجابة. فقلنا نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا الندوة، فقلنا نعم. ثم قالوا فينا اللواء، فقلنا نعم. ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبى، والله لا أفعل.

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا محمد بن خالد حدثنا أحمد بن خلف حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق. قال: مر النبي ﷺ، على أبي جهل وأبي سفيان، وهما جالسان. فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بنى عبد شمس. قال أبو سفيان: وتمجب أن يكون منا نبى؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياء، ورسول الله ﷺ، يسمع. فأتاهما فقال: «أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل. وأما أنت يا أبا الحكم، فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيراً» فقال: بئسما تعدنى يا ابن أخى من نبوتك. هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

وقول أبي جهل — لعنه الله — كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه [وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً، أهذا الذى بعث الله رسولا؟ إن كاد ليلضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها. وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً].

وقال الامام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ، متوارٍ بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلاً) وهكذا رواه صاحبها الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به.

وقال محمد بن اسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ، إذا جهر بالقرآن — وهو يصلى — تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ، بعض ما يتلو، وهو يصلى، استرق السمع؛ دونهم فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذا هم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله ﷺ، لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فانزل الله تعالى (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع، فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلاً).

باب

هجرة أصحاب رسول الله ، من مكة الى ارض الحبشة

قيد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد . والاهانة البالغة . وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسوله (ص) ، ومنعه بعنه أبي طالب ، كما تقدم تفصيله والله الحمد والمنة . وزوى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وأنهم اتهموا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة تنصف دينار إلى الحبشة . وهم عثمان بن عفان ، وامراته رقية بنت رسول الله (ص) ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وامراته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبوسلة بن عبد الاسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة البغزلي ، وامراته ليلى بنت أبي حشة ، وأبوسبرة بن أبي رهم ، وإيقل بل أبو [حاطب بن عمرو^(٢) ، وسهيل بن بيضاء ، وعبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهم أجمعين . قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلا ، سوى نساءهم وابنائهم ، وعمار بن ياسر ، نسيك . فان كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلا .

وقال محمد بن اسحاق : فلما رأى رسول الله (ص) ما يصيب أصحابه من ابتلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من الابتلاء . قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؟ فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق - حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ص) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الاسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت رسول الله (ص) . وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشر بن موسى^(١) عن الحسن الحسن بن زياد البرجي حدثنا قتادة . قال : أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة - يعني أنس بن مالك - يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امراته رقية بنت رسول الله (ص) إلى أرض الحبشة ، فابطأ على رسول الله (ص) خبرها فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امراته . قال : « على أي حال رأيتهما ؟ »

(١) وفي ز : عن يونس بن عيسى . (٢) التصحيح عن ابن هشام والاصابة عن محمود الامام

قالت رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه اللبابة ، وهو يسوقها ، فقال رسول الله (ص) : « صحبهما الله ، ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن اسحاق : وأبو حذيفة بن عتبة ، وزوجته سهيلة بنت سهيل بن عمرو - وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة - والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة - وولدت له بها زينب - وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة - حليف آل الخطاب ، وهو من بني عتر بن وائل وامراته ليلى بنت أبي حشمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم العامري ، وامراته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو - ويقال أبو حاطب ابن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر - وهو أول من قدمها فيما قيل - وسهيل بن بيضاء . فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني . قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن اسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس ، وولدت له بها عبد الله بن جعفر . وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله (ص) ، إلى الشعب ، وفي هذا نظر والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها . وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولاً ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا ، فلما قدموا مكة - وكان فيمن قسم عثمان بن مظعون - فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة . وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهي الهجرة الثانية - كما سيأتي بيانه . قال موسى بن عقبة : وكان جعفر ابن أبي طالب فيمن خرج ثانياً . وما ذكره ابن اسحاق من خروجه في الرعيل الأول أظهر كما سيأتي بيانه والله أعلم : لكانه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولاً ، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره ، كما سنورده مبسوطاً . ثم إن ابن اسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضي الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وامراته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرز بن شق الكناني ، وأخوه خالد ، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي . وولدت له بها سعيداً ، وأما التي تزوجها بعد ذلك الزبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال وعبد الله بن جحش بن رثاب ، وأخوه عبيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمه ، وامراته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان ، ومعيقيب بن أبي فاطمة ، وهو من موالى سعيد بن العاص قال ابن هشام : وهو من دوس . قال وأبو موسى [الأشعري] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن

ربيعة . وسنتكلم معه في هذا . وعتبة بن غزوان ، ويزيد بن زمة بن الاسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد ، وسويبط بن سعد بن حريمة ، وجهم بن قيس العبدوي ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بن خزيمية ، وولده عمرو بن جهم وخزيمية بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر ابن الحارث بن كلفة ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أذهر بن عبد عوف الزهري ، وامرأته رمة بنت أبي عوف بن ضبيرة . وولدت بها عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الاسود ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وامرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، وولدت له بها موسى ^{والمثنية} وزينب وفاطمة ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة ، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومي . قال وإنما سمي شماساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان . وهبار بن سفيان بن عبد الاسود المخزومي ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ابن المغيرة ، ومعتب بن عوف بن عامر . ويقال له عيهامة . وهو من حلفاء بني مخزوم . قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المجل ، وابناء منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وامرأته حسنة ، وابناء منها جابر وجنادة ، وابناء من غيره ، وهو شرحبيل بن عبد الله . أحد الفوث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذي يقال له شرحبيل ابن حسنة ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، وخنيس بن حذافة بن قيس ابن عدي ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل ابن سعيد ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس ابن عدي ، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد ابناء الحارث ، وسعيد بن قيس ابن عدي لأمه وهو سعيد بن عمرو التيمي ، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم . سعيد بن سهم ، وحليف لبني سهم ، وهو محمية بن جزء الزبيدي ، ومعمر بن عبد الله العبدوي ، وعروة بن عبد العزى ، وعدي بن فضلة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مخزومة العامري ، وعبد الله ابن سهيل بن عمرو ، وسليط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سودة بنت زمة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عمرة بنت السعدى ، وأبو حاطب بن عمرو العامري ، وحليفهم سعد بن خولة . وهو من اليمن ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وسهيل بن بيضاء . وهى أمه ، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال

ابن ضبة بن الحارث ، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ،
وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمرو بن الحارث بن زهير
ابن أبي شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير اخوات ، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط ،
وأخوه الحارث الفهريون . (١)

قال ابن اسحاق : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم
الذين خرجوا بهم صفاراً وولدوا بها - ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .
قلت : وذكر ابن اسحاق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب
جداً . وقد قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي اسحاق
عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : بعثنا رسول الله (ص) إلى النجاشي ، ونحن نحواً من
ثمانين رجلاً ، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عرفة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى
فاتوا النجاشي . وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي
سجدوا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له : إن نفراً من بني عمناء نزلوا أرضك ورغبوا عنا
وعن ملتنا . قال فأين هم ؟ قالوا : في أرضك ، فابعث اليهم ، فبعث اليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم
اليوم فاتبعوه ، فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل
قال وما ذاك ؟ قال إن الله بعث إلينا رسولا ثم أمرنا أن لا نسجد لاحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة
والزكاة . قال عمرو : فاتهم يخالفونك في عيسى بن مريم ، قال فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟ قال
نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول ، التي لم يمسها بشر ، ولم يفرضها ولد . قال
فرجع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذي نقول
فيه ما سوى هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله (ص) ، وأنه الذي نحمد في
الإنجيل . وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ، أنزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من
الملك لأتيت حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه . وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ، ثم تعجل عبد الله
ابن مسعود حتى أدرك بدرأ . وزعم أن النبي (ص) «استغفر له حين بلغه موته . وهذا إسناد جيد
قوي وسياق حسن . وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم
يكن ذكره مدرجاً من بعض الرواة والله أعلم . وقد روي عن أبي اسحاق السبيعي من وجه آخر .
(١) . وقع اختلاف بين الأصلين وبينهما وبين السيرة لابن هشام في أسماء المهاجرين وعددهم
وحيث المؤلف اسند النقل عن ابن اسحاق فما وافق احد الأصلين مع ابن هشام اعتمده .

فقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا
 عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل . وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا الحسن بن
 علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الخثلي حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا إسرائيل . وحدثنا أبو
 أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا اسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا
 عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : أمرنا رسول
 الله (ص) أن نتطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن
 العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية وقدموا على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها وسجدوا له
 ثم قال عمرو بن العاص : إن ناساً من أرضنا يرغبوا عن ديننا وهم في أرضك . قال لهم النجاشي في
 أرضي ؟ قالوا نعم ! فبعث اليها ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد . أنا خطيبكم اليوم ، فأتيناهما
 إلى النجاشي ، وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره . والقنيسون
 جلوس سباطين . وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك . فلما انتهينا بدرنا من عنده من
 القيسيين والرهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل . فلما انتهينا إلى
 النجاشي قال ما منعك أن تسجد ؟ قال لا نسجد إلا لله . فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال إن الله
 بعث فينا رسولا - وهو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه
 أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا
 عن المنكر . فاعجب النجاشي قوله : فلما رأى ذلك عمرو بن العاص : قال : أصلح الله الملك إنهم
 يخالفونك في عيسى بن مريم ، فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم في ابن مريم ؟ قال يقول فيه قول
 الله : هو روح الله وكلمته أخرجته من العذراء البتول التي لم يقر بها بشر ولم يفرضها ولد : فتناول
 النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القيسيين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول
 في ابن مريم ولا وزن هذه . مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فانا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي
 بشر به عيسى . ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل أعليه ، أمكبثوا في أرضي ما شئتم ، وأمر
 لنا بطعام وكسوة . وقال ردوا على هذين هديتهما ، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عمارة
 رجلاً جليلاً ، وكانا أقبلتا في البحر ، فشربا مع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو امرأتك
 فلتقبلي . فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فاخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو : يناشد عمارة
 حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو في ذلك . فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خلفك عمارة
 في أهلك : فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فطار مع الوحش . وهكذا رواه الحافظ البيهقي في
 دلائل من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر بأسناده مثله إلى

قوله : فامر لنا بطعام وكسوة . قال وهذا اسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى : أنهم بلغهم مخرج رسول الله (ص) ، وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضعة وخمسين رجلا في سفينة ، فالتفتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فامره جعفر بالأقامة ، فاقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله (ص) ، زمن خيبر . قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي ، فأخبر عنه . قال ولعل الراوي وهم في قوله : أمرنا رسول الله (ص) ، أن ننطلق والله أعلم .

وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة . حدثنا محمد بن الملاء حدثنا أبو أسامة حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : بلغنا مخرج النبي (ص) ونحن باليمن ، فركبنا سفينة فالتفتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فاقفنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبي (ص) ، حين افتتح خيبر ، فقال النبي (ص) : « لکم أنتم أهل السفينة هجرتان » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن برآد [بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى] كلاهما عن أبي أسامة به ، وروياه في مواضع آخر . طولا والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فان الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم . وأم سلمة كما سيأتي . فاما رواية جعفر فانها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندي عن أبي الحسين بن النور عن أبي طاهر الخالص عن أبي القاسم البغوي . قال حدثنا أبو عبد الرحمن الجمعي عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا أسد بن عمرو البجلي عن مجالد بن سميد عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه . قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي . فقالوا له - ونحن عنده - : قد صار اليك ناس من سفيلتنا وسفلائنا ، فادفعهم إلينا ، قال لا حتى أسمع كلامهم . قال فبعث إلينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسولا فأمانا به وصدقناه . فقال لهم النجاشي أعييدهم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : قلتم عليهم دين ؟ قالوا لا . قال فخلوا سبيلهم . قال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول ، قال إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار . فإرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى ، قال ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ؟ قلنا يقول : هو روح الله وكلمته القاها إلى عذراء بتول ، قال فإرسل فقال ادعوا لي فلان القس ، وفلان الراهب : فأتاه ناس منهم فقال : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقالوا أنت أعدنا ، فما تقول ؟ قال النجاشي — وأخذ شيئاً من الأرض — قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكم أحداً ؟ قالوا نعم ! فتأذى من آذى أحداً منهم فاغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم ؟ قلنا لا ، فأضعفها . قال فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلناه إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة ، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرجيل إليه ، فردنا . قال نعم ! فحملنا وزودنا . ثم قال أخبر صاحبك بما صنعت اليكم ، وهذا صاحبكم معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله . وقل له يستغفر لي . قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلغاني رسول الله ﷺ واعتنقني ، ثم قال : « ما أؤذي أنا بفتح خير أفرح أم بقدوم جعفر ؟ » ووافق ذلك فتح خير ، ثم جلس فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسل ما صنع به صاحبنا ، فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . وقال لي قل له يستغفر لي . فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات « اللهم اغفر للنجاشي » فقال المسلمون آمين . ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ . ثم قال ابن عساكر حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها . أنها قالت : لما ضاقت مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ ، وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « إن بارض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فاحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » فخرجنا إليها رسالاً حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظالماً . فلما رأيت قريش أننا قد أصبنا داراً وأمناء ، غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هبوا له هدية على حدة ، وقالوا لها ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه فان استعظم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا . فقدموا عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم . فبعثنا قومهم ليردوا الملك عليهم ، فإذا نحن كلنا فاشيروا عليه بأن يضل فقالوا نفعل . ثم قدموا إلى النجاشي هداياه ، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم — وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج — فلما أدخلوا عليه هداياه . قالوا له : أيها

الملك بنى إلى فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاهذا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد
 لجئوا إلى بلادك ، وقد بعثنا اليك فيهم عشائرهم ، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم ، فانهم أعلوا
 بهم عينا ، فانهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردم عليهم
 حتى أدعوهم ، فأكلهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجئوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى فان
 كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنم
 عينا . [وذكر موسى بن عقبة أن أمراء أشاروا عليه بأن يردم اليهم . فقال : لا والله ! حتى اسمع
 كلامهم واعلم على أى شئ هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له . فقال : أيها الرهط ألا
 تهبطونى مالكم لا تحيونى كما يحيينى من أئمانا من قومكم ؟ فآخبرونى ماذا تقولون فى عيسى وما دينكم ؟
 أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا . قال أفهروا أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فلى دين قومكم ؟ قالوا : لا . قال فما
 دينكم ؟ قالوا الاسلام . قال وما الاسلام ؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئا . قال : من جاءكم بهذا ؟
 قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من
 قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وإداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الاوثان وأمرنا بعبادة الله وحده
 لا شريك له ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعدنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا
 قومنا وعادوا النجى الصادق وكذبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الاوثان ، ففررنا اليك بديننا
 ودمائنا من قومنا . قال : والله إن هذا لمن المشكاة التى خرج منها أمر موسى . قال جعفر : وأما
 التحية فان رسول الله (ص) ، أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك فحييناك بالذى يحى
 بعضنا بعضا . وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء
 البتول . فاخذ عودا وقال : والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عطاء الحبشة : والله
 لئن سمعت الحبشة لتخلعنك . فقال : والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبدا ، وما أطاع الله الناس فى
 حين رد على ملكى فاطم الناس فى دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن اسحاق (١) [
 فأرسل اليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شئ ابغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن
 يسمع كلامهم . فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون ؟ فقالوا وماذا نقول ، نقول
 والله مانعرف . وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا (ص) . كائن من ذلك ما كان ، فلما
 دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه . فقال له النجاشى : ما هذا
 الدين الذى أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا فى يهودية ، ولا نصرانية . فقال له جعفر : أيها
 الملك كنا قوما على الشرك نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار ، يستحل المحارم بعضنا من

(١) ما بين المربعين زيادة من النسخة المصرية .

بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا تحل شيئاً ولا تحرمه . فبعث الله اليها نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه
وصدقه وامانته فدعانا الى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الارحام ونحبي الجوار ونصلي لله
نزيلاً ، ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

وقال ريباد عن ابن اسحق : فدعانا الى الله الواحد ولعبدته ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من
دونه من الحجارة والاوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار
والكف عن المحارم والدماء ، ونهاينا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ،
وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قال - فعدوا عليه أمور
الاسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم
نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا واحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليقتنونا عن ديننا
ويردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا
وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجعنا في
جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به ؟ وقد
دعا اساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله . فقال له جعفر : نعم : قال هلم فأتل على مما جاء به ، فقرأ
عليه صدره من كيعص فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته وبكت اساقفته حتى أخضلوا
مصاحفهم . ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين
لا والله لا أردم عليكم ولا أعمكم عينا . فخرجنا من عنده وكان أبى الرجلين فينا عبد الله بن
ربيعة . فقال عمرو بن العاص : والله لا آتينه غدا بما استأصل به خضراء هم ، ولا أخبرنه أنهم
يزعمون أن إله الذي يعبد عيسى بن مريم عبد . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فانهم وإن
كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لا أفعل . فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك
إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فإرسل إليهم فسلمه عنه . فسمع الله اليهم ولم ينزل بنا مثلها ،
فقال بعضهم لبعض ماذا تقولون له في عيسى أن هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله الله
فيه ، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقه فقال ما تقولون في عيسى بن مريم ؟
فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله ووجهه وكنيته القاها الى مريم العذراء البتول . فدلى النجاشي
يده الى الارض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ما عهدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد .
فتناخرت بطرقته . فقال : وان تناخرتم والله اذهبوا فانتم سيوم في الارض - السيوم الامنون في
الارض ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، فإنا ما أحب أن يديروا واني اذنت
رجلا منكم - والدير بلسانهم الذهب . وقال ريباد عن ابن اسحاق ما أحب أن يديروا من ذهب . قال

ابن هشام : ويقال زبرا وهو الجبل بلغتهم . ثم قل النجاشي : فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي ، ولا أطاع الناس في فاطيع الناس فيه . ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها . واخرجنا من بلادنا فخرجنا مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به . قالت : فاقنا مع خير جار في خير دار ، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينارعه في ملكه ، فوالله ما علمنا حزنا حزنا قط هو أشد منه ، فرقا من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي فخرج اليه سائرا فقال أصحاب رسول الله (ص) : بعضهم لبعض : من يخرج فيحضر الواقعة حتى ينظر على من تكون ؟ وقال الزبير - وكان من أحدهم سنا - أنا ، فنفخوا له قرية فجعلها في صدره ، فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الواقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشي عليه . فجاءنا الزبير فجعل يلبح لنا بردائه ويقول ألا فابشروا ، فقد أظهر الله النجاشي . قلت : فوالله ما علمنا [أننا] فرحنا بشئ قط فرحنا بظهور النجاشي ثم اقنا عنده حتى خرج من خرج منا إلى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزهري : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة . فقال عروة : أتدرى ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فأخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس في فاطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ! ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة . فقال عروة : فان عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لاب النجاشي ولد غير النجاشي فادارت الحبشة رأيا بينها فقالوا : لو أتا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فان له اثنا عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك ، لبقيت الحبشة عليهم دهرًا طويلا لا يكون بينهم اختلاف ، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه . فدخل النجاشي بعنه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فلما رأيت الحبشة مكانه من عه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمره فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أننا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً إلا قتله ، فكلّموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا ، فمشوا إلى عه فقالوا : قد رأينا مكان هذا القتي منك ، وقد عرفت أننا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وأنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فأما أن تقتله وأما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالامس واقتله اليوم . بل اخرج من بلادكم . فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قدّفه في سفينة بسائة درهم أو بسبعائة فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عه يتمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته ففرعوا إلى ولده فاذا هم محمقون ليس في أحد منهم خير فخرج على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض تعلمون والله إن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم الغداة ، فان كان لكم بأمر الحبشة

حاجة فادر كوه قبل أن يذهب ، فخرجوا في طلبه فادر كوه فردوه ففقدوا عليه تاجه واجلسوه على سريره وملكوه ، فقال التاجر : ردوا على مالي كما أخذتم مني غلامي ، فقالوا : لا نعطيك . فقال : اذا والله لا كلنه ، فمضى اليه فكلمه فقال أيها الملك اني ابتعت غلاماً فقبض مني الذئب باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامي فترعوه من يدي ولم يردوا على مالي ، فكان أول ما خبر به من صلاية حكمه وعيدك ان قال : لتردن عليه ماله . أو لتجعلن يد غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه ماله فاعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله مني الرشوة فأخذ الرشوة حين رد على ملكي ، وما أطاع الناس في فاطيع الناس فيه .

وقال موسى بن عقبة : كان أبو النجاشي ملك الحبشة ، مات والنجاشي غلام صغير فإوصى الى أخيه أن اليك ملك قومك حتى يبلغ ابني ، فاذا بلغ فله الملك فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار فمات عمه من ليلته وقضى ، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصراً وسياق ابن اسحق أحسن وأبسط فإله أعلم . والذي وقع في سياق ابن اسحاق انما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، والذي ذكره موسى بن عقبة والاموي وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ ، حين تضحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره ، وهو ساجد عند الكعبة . وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري . والمقصود انهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة وكان عمارة طمع في امرأة عمرو ابن العاص ، فالتقى عمراً في البحر ليهلكه فسيح حتى رجع اليها . فقال له عمارة : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك ، ففقد عمرو وعليه فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر به النجاشي فسحرح حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش . — وقد ذكر الاموي — قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن أمانة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلني أرسلني والامت فلما لم يرسله مات من ساعته فإله أعلم . وقد قيل أن قريشا بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الاول مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبي ربيعة . نص عليه أبو نعيم في الدلائل والله أعلم . وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهري ، لينالوا ممن هناك ثاراً فلم يجبه النجاشي رضى الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا فإله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن اسحاق : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أياً ما يحضه فيها على العدل وعلى الاحسان إلى من نزل عنده من قومه :

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرُ وعمرو وأعداء العدو الأقارب
وما نالت أفعال النجاشي جعفرًا وأصحابه أو عاق ذلك شاعِبُ
ونعلم، أبيت اللعن أنك ماجدة كريم فلا يشقى إليك المجانب
ونعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب

وقال يونس عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والمشهور أن جعفرًا هو المترجم رضي الله عنهم . وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها . قالت لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور ، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق به لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقال زياد عن محمد بن اسحاق : حدثني جعفر بن محمد عن أبيه . قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فارسل إلى جعفر وأصحابه فيها لهم سفنا . وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم ثم جمعه في قبائه عند المنكب اليمين وخرج إلى الحبشة وصفوا له . فقال : يا معشر الحبشة الست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا خير سيرة . قال : فما بكم ؟ قالوا فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله . قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه - : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا ، وإنما يعني على ما كتب ، فرضوا وأنصرفوا . فبلغ رسول الله (ص) ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له . وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله (ص) . نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات . وقال البخاري : «موت النجاشي . حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر . قال قال رسول الله (ص) - حين مات النجاشي - مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيك أصحمة . وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن بجر^(١) وكان عبداً صالحاً لبيبا زكياً وكان عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه . وقال يونس عن ابن اسحاق اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي اصحم وهو بالعربية عطية

(١) في الاصلين : اصحمة بن بجر والتصحيح عن القاموس نقلاً عن محمود الامام .

قال وإنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ولعله يريد به قيصر فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطليموس لمن ملك اليونان وقيل الهند وخاقان لمن ملك الترك . وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لأنه كان يكتنم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلماذا صلى عليه (س) . قالوا : فالغايب ان كان قد صلى عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ؟ ولهذا لم يصل النبي (ص) في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلى عليه فيها فإله أعلم .

قلت : وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي ، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر ^(١) التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر ولهذا روى أن النبي (ص) قال : « والله ما أدري بأيهما أنا أسرف بفتح خيبر أم بقدم جعفر بن أبي طالب » وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي (ص) وصحبته أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم ، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخى النجاشي ذونخرا أو ذونخمرأ أرسله ليعخدم النبي (ص) عوضا عن عمه رضي الله عنهما وأرضاهما . وقال السهيلي : توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله أعلم . وقال البيهقي أنبأنا النقيع أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي حدثنا أبي العلاء بن مذكاة حدثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة . قال قدم وفد النجاشي على رسول الله (ص) فقام يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكفيهم » . ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي حدثنا طلحة بن زيد عن الوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي قتادة . قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله (ص) فقام رسول الله (ص) يخدمهم فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكفيهم » . تفرد به طلحة بن زيد عن الوزاعي . وقال البيهقي حدثنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو .

(١) كذا في الاصلين . ولعل العبارة (في السنة التي الخ) .

قال : لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج اليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو ان اصبحت برغم ان صاحبكم نبي ..

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله (س) ، ودهم النجاشي بما بكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لأبرام ما وراء ظهره امنيع به أصحاب رسول الله (س) وبمحزمة حتى غاظوا قريشا فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .. قلت : وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب وقال زياد البكائي حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم . قال قال ابن مسعود : إن أسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قال ابن اسحاق : وكان أسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله (س) إلى الحبشة . حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حشمة قالت : والله إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف على وهو على شركه ، فقالت وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا قالت فقال إنه الانطلاق يا أم عبد الله ، قلت نعم والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ أديتمونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل الله لنا مخرجا . قالت فقال سبحانه الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر أنفا ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت في إسلامه قالت قلت نعم قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الاسلام . قلت : هذا برد قول من زعم أنه كان تمام الاربعين من المسلمين فان المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا ما ذكره ابن اسحاق ههنا في قصة اسلام عمر وحده رضى الله عنه ، وسياقها فانه قال : وكان اسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت واسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون باسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من بني عدى قد أسلم أيضا مستخفيا باسلامه من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرأها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله (س) ورهطا من أصحابه

فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله ﷺ، عمة حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ، بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة. فلقبه نعيم بن عبد الله فقال أين تريد يا عمر؟ قال أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقته. فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال: وأي أهل بيتي، قال خمتك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أسلموا وتابعا محمداً ﷺ، على دينه، فعليك بهما فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أوفى بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها: فلما دخل قال ما هذه الهيمنة التي سمعت؟ قال له ما سمعت شيئاً. قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتا محمداً على دينه وبطش بختته سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وبختته نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع وأرعوى، وقال لاخيه أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرأون أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمداً؟ وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها، قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها اليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت يا أخى انك نجس على شركك، وإنه لا يمسّه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدراً. قال: ما أحسن هذا الكلام أكرمته. فلما سمع ذلك خباب بن الارت خرج إليه فقال له: والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بسعرة نبيه ﷺ، فاني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام - أو بعمر بن الخطاب - فوالله الله يا عمر فقال عند ذلك: فدلى يا خباب على محمد حتى آتبه فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه، فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب: فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشح بالسيف، فقال حمزة فاذن له فان كان جاء يريد خيراً بذلناه وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: «ايدن له» فاذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ، حتى لقيه في الحجرة فاخذ بحجزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبة شديدة

فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر يا رسول الله جئت لك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، قال فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فعرّف أهل البيت أن عمر قد أسلم، ففترق أصحاب رسول الله (ص) من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعلموا أنهم سيمنعان رسول الله (ص)، وينتصفون بهما من عدوهم قال ابن اسحاق فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه.

قال ابن اسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه علماء ومجاهد وعن روى ذلك: أن اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للاسلام مباحداً وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك فلم أجده فيه منهم أحداً فقلت لو أني جئت فلانا الخمار لعلّي أجده عنده خمرًا فاشرب منها، فخرجت فجيئته فلم أجده قال فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت سبعا أو سبعين، قال فجئت المسجد فاذا رسول الله (ص) قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الاسود واليماني، قال فقلت حين رأيته والله لو أني استعمت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه لاستمع منه لاروعه. فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدا ورسول الله (ص) قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة: قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي وبكيت ودخلني الاسلام، فلم أزل في مكاني قائما حتى قضى رسول الله (ص) صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين - وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية - قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزرهر أدركته. فلما سمع حسي عرفني فظن أني انما اتبعته لا وزيه، فقهمني^(١) ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قال قلت جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عنده. قال فحمد الله رسول الله (ص) ثم قال: «قد هداك الله يا عمر» ثم مسح صدرى ودعاني بالثبات ثم انصرف ودخل رسول الله (ص) بيته. قال ابن اسحاق فالله أعلم أي ذلك كان. قلت: وقد استقصيت كيفية اسلام عمر رضى الله عنه وما ورد في ذلك من الاحاديث والآثار مطولا في أول سيرته التي أفردتها على حدة والله الحمد والمنة.

قال ابن اسحاق وحدثني قافع مولى ابن عمر عن ابن عمر. قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش انقل للحديث؟ فقيل له جميل بن ميمر الجمحي فعدا عليه، قال عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كلما رأيته - حتى جاءه فقال له: اعلمت يا جميل اني أسلمت ودخلت في دين

(١) التهم: الزجر والنهم زجر الاسد.

محمد (ص) ؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلا صوته يا معشر قريش - وهم في انديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا . قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد اسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وناروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم . قال وطلح ^(١) فقمعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم ؟ فقالوا صبا عمر ، قال فنه ؟ رجل اختار لنفسه امرأً فإذا تريدون ؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل . قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبة من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم اسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي ، وهذا اسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر اسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت احد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه ، فيكون اسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة ينخو تسع سنين والله أعلم .

وقال البيهقي : حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق . قال ثم قدم على رسول الله (ص) ، عشرون رجلاً وهو بمكة - أو قريب من ذلك - من النصاري حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه في المجلس ، فكلموه وسألوه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله (ص) ، عما أرادوا ، دعاهم رسول الله (ص) ، إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال : خبيكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترادون لهم فتاتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن بحالكم عنده حتى فارقتهم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحق منكم - أو كما قال - قالوا لهم : لا نجاهلكم سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً . فيقال إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أي ذلك كان . ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات : (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) .

(١) وطلح : أي أعبي كذا في النهاية في تفسيره هذا الخبر .

قال البيهقي في الدلائل : باب ما جاء في كتاب النبي (ص)، إلى النجاشي ، ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق . قال : هذا كتاب من رسول الله (ص)، إلى النجاشي ^(١) الأصم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فاسلم تسلم [يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون] فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره ههنا نظر ، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه ، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي . قال الزهري : كانت كتب النبي (ص)، إليهم واحدة ، يعني نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف فإنه من صدر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير والله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول ، وقوله فيه إلى النجاشي الأصم لعل الأصم مقحم من الراوى بحسب ما فهم والله أعلم .

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضاً عن الحاكم عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه - برو - حدثنا حماد بن أحمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق . قال : بعث رسول الله (ص)، عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصم ملك الحبشة ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته القاها إلى مريم البنول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخته ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته وأن تبغني فتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعث إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فاقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي ،

(١) في المصرية : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى الخ وقوله الأصم كذا في الأصلين وتقدم في ص ٧٧ أنه أصحمة .

والسلام على من اتبع الهدى . فكتب النجاشي إلى رسول الله (ص) : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصم بن أبجر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فو رب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فاشهد أنك رسول الله صادقاً ومصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بارحاً ابن الأصم بن أبجر فاني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فملت يا رسول الله ، فاني أشهد أن ما تقول حق .

فَضْلُكَ

في ذكر مخالفة قبائل قريش بنى هاشم و بنى عبد المطلب في نصر رسول الله (ص) وتحالفهم فيما بينهم عليهم . على أن لا يبايعوهم ولا ينالوا كحومهم حتى يسلموا إليهم رسول الله (ص) ، وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة ، وكتباتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (ص) ، علانية . فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (ص) ، شعبهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيماناً و يقيناً . فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (ص) ، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فاجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله (ص) ، للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً وهوائيق لا يقبلوا من بنى هاشم صلحاً أبداً ولا يأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل . فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ص) ، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله (ص) ، فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرّاً واغتيلاً له ، فإذا نام الناس أمرا أحد بنيه أو أخوته أو بنى عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله (ص) ، وأمر رسول الله (ص) ، أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واءتخفوا

بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه ، وبعث الله على صحتهم الأرضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق . ويقال كانت معلقة في سقف البيت لم تترك أسما لله فيها إلا لحسته ، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم ، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحتهم فذكر ذلك رسول الله (ص) لابي طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبتني فاطلق يمشي بعصابتة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله (ص) . فتكلم أبو طالب فقال قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فاتوا بصحفتكم التي تعاهدتم عليها فعلم أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فاتوا بصحيتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله (ص) مدفوعا اليهم فوضعوها بينهم . وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فأنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . فقالوا أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف ، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - إن الله يرى من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحال كل اسم هوله فيها وترك فيها غدركم وقطيعةكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم . فان كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فافيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا ، وإن كان الذي قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتموه أو استحييتهم . قالوا : قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدق (ص) ، قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط الاسحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم ، والبشدة على رسول الله (ص) ، والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه . فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فانا نعلم إن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بني تركه أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي - في رجال من اشرافهم وجوهمهم : نحن براء مما في هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قضى بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحتهم ويمدح النفر الذين تبرؤا منها وفضوا ما كان فيها من عهد ويمدح النجاشي .

قال البيهقي : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ - يعني من طريق ابن لهيعة عن أبي

الاسود عن عروة بن الزبير - يعنى كسباق موسى بن عقبة رحمه الله - وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله (ص) لهم في ذلك فالله أعلم .

قلت : والاشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضا فذكرها ههنا أنسب والله أعلم . ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن اسحاق . قال : لما مضى رسول الله (ص) على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه ، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفه من قومه . فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى تمده ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن لا ينا كحوم ولا ينكحوا اليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فآذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديداً ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبياتهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيتهم الظالمة ، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرض فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان فاخبر الله تعالى بذلك رسول الله (ص) ، فاخبر بذلك عمه أبو طالب ، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم .

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن اسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله (ص) قد نزلوا بلداً أصابوا منه امناو قراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمة مع رسول الله (ص) وأصحابه ، وجعل الاسلام يفسو في القبائل فاجتمعوا وأثتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . قال ابن هشام : ويقال انضر ابن الحارث ، فدعا عليه رسول الله (ص) فقتل بعض أصحابه . وقال الواقدي : كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدوي .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن اسحاق ، وهو الذي شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها : أنظروا إلى منصور بن عكرمة . قال الواقدي : وكانت الصحيفة

معلقة في جوف الكعبة . قال ابن اسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم . وحدثني حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة ابن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا . فقال : يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقتها وظاهر عليها ؟ قالت : نعم ! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنه كان يقول - في بعض ما يقول - يمدني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه فيقول تبالسكا لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فانزل الله تعالى (تبت يدا أبي لهب وتب) . قال ابن اسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب :

ألا أبلغنا عني على ذات بيننا	لؤياً وحُصاً من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً	نبياً كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحب ^(١)
وأن الذي الصفتوا من كتابكم	لكم كائن نوحاً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى	ويصبح من لم يحن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما	أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسل أحداً	لعرأة من عضّ الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ومنكم سوائف	وأيدرت أثرت بالقاسية الشهب
بمترك ضيق ترى كسر القنا	به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كان ضحالة الخيل في حجراته	وممعة الإبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شدة أزره	وأوصى بنيه بالطمان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى نملنا	ولا نستكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهي	إذا طار أرواح الحكمة من الرعب

قال ابن اسحاق : فقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا مرراً مستخفياً به من أراد صلته من قريش ، وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكر - لقي حكيم بن (١) قال السهيلي قوله : ولا خير البيت . هو مشكل جداً . وأشبه ما يقال في البيت أن خير مخفف من خير كهين وميت . وقوله ممن من متعلقة بمحذوف كأنه قال لا خير أخير ممن خصه الله الخ .

حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله (ص) في الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد. فقال: مالك وله. فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال له أبو البختري طعام كان لعمته عنده بعثت به إليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خل سبيل الرجل قال فابي أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه فاخذ أبو البختري لحي بعير فضر به فشجه ووطئه ووطئا شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (ص)، وأصحابه فيشتمون بهم ورسول الله (ص)، على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً منادياً بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحداً من الناس. فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهزونه ويستهزؤن به ويخاصونه وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته، منهم من ملى لنا ومنهم من نزل القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار. فذكر ابن اسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه، وأميه بن خلف ونزول قوله تعالى (ويل لكل همزة لمرة) السورة بكاملها فيه. والعاص بن وائل ونزول قوله (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولداً) فيه. وقد تقدم شيء من ذلك. وأبا جهل بن هشام وقوله للنبي (ص)، لتتركن سب آل هنتا أو لنسبن آل هنتك ونزول قول الله فيه (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الآية. والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة - ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلي - وجلسه بعد النبي (ص)، في مجالسه حيث يتلو القرآن ويدعو إلى الله، فيتلو عليهم النضر شيئاً من أخبار رسم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما اكتبها، فانزل الله تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي تمل عليه بكرة وأصيلاً) وقوله (ويل لكل أفاك أثيم).

قال ابن اسحاق: وجلس رسول الله (ص)، - فيما بلغنا - يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله (ص)، فعرض له النضر، فكلمه رسول الله (ص)، حتى أخفمه، ثم تلا عليه وعليهم [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها ذفير وهم فيها لا يسمعون]. ثم قام رسول الله (ص)، وأقبل عبد الله بن الزبيري السهمي حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آتفا وما قدم، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبيري: أما

والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً أكل من لعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد عيسى ، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخاصم^(١) فذكر ذلك لرسول الله (ص) . فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده في النار ، انهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » فانزل الله تعالى : [إن الذين سبقتم لمنا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها وهم فيها اشتبهت أنفسهم خالدون] أى عيسى وعزير ومن عبد من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . ونزل فيها يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) والآيات بعدها . ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبيري [ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون] وهذا الجدل الذى سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لا لا يعقل ، فقله : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الاحجار التى كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى . فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) ثم قال (إن هو) أى عيسى (إلا عبد أئمننا عليه) أى بنبوتنا (وجهلناه مثلاً لبني اسرائيل) أى دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الاخرى (ولنجعل آية للناس) أى أمانة ودليلاً على قدرتنا الباهرة (ورحمة منا) نرحم بها من نشاء .

وذكر ابن اسحاق : الاخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه (ولا قطع كل خلاف مهين) الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث . قال : أنزل على محمد وأترك وأنا كبير قریش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو^(٢) الثقفى سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين . ونزل قوله فيه (وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) والى بعدها ، وذكر أبى بن خلف حين قال لعقبة بن أبى معيط : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً وممعت منه وجهى من وجهك حرام إلا أن تتغل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله ، فانزل الله [ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى

(١) كذا في الاصلين وفي ابن هشام ، ولعل الصواب (وخصم) .

(٢) كذا في ح . وفي المصرية : عمرو بن عمر . وفي ابن هشام : عمر بن عمير .

اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتنا ليتنى لم آتخذ فلانا خليلا [والى بعدها . قال ومشى أبى بن خلف بعظم بال قد أرم . فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله . فقال : نعم ! أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار . وأنزل الله تعالى [وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم] إلى آخر السورة . قال واعترض رسول الله . - فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة - الاسود بن المطلب : والوليد بن المغيرة ، وأمىة بن خلف ، والعاض بن وائل . فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت فى الأمر . فانزل الله فيهم (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) إلى آخرها . ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم . قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلنترقم فانزل الله تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله . ورسول الله يكلمه وقد طمع فى اسلامه فر به ابن أم مكتوم - عائكة بنت عبد الله بن عنكشة - الاعمى فكلم رسول الله . وجعل يستقره القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغل عمار كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه فانزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) إلى قوله (مرفوعة مطهرة) وقد قيل إن الذى كان يحدث رسول الله . حين جاءه ابن أم مكتوم أمىة بن خلف فآله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم اسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت فى الصحيح وغيره أن رسول الله . جلس يوما مع المشركين ، وأنزل الله عليه (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم) يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد . فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والانس ، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى [وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى . الذى الشيطان فى أمنيه فيفسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم] وذكر واقصة الفرائيق وقد أحبيننا الاضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة فى الصحيح . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : سجد النبي . بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفرد به البخارى دون مسلم . وقال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت الاسود عن عبد الله . قال : قرأ النبي . والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصا - أو تراب - فرفعه إلى جبهته وقال : يكفينى هذا ، فرأيت به قتل كافرا

ورواه مسلم وأبو داود والنفثاني من حديث شعبة . وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم حدثنا رباح عن
معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه . قال قرأ
رسول الله (س) بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعت رأسى وأبيت أن أسجد ولم
يكن أسلم يومئذ المطلب . فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه . وقد رواه النفثاني
عن عبد الملك بن عبد الحميد عن احمد بن حنبل به . وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد
ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناء ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم .
والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله (س) أعتقد أنهم قد أسلموا
واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم : فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا
صحّة ذلك فاقبل منهم طائفة طامعين بذلك : وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر
ابن اسحاق اسماء من رجع منهم : عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله (س) ، وأبو حذيفة بن
عتبة بن ربيعة ، وامراته سهيل بنت سهيل ، وعبد الله بن جحش بن رثاب ، وعتبة بن غزوان ،
والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وسويبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف
والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبوسلمة بن عبد الاسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية
ابن المغيرة ، وشماس بن عثمان ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة - وقد حبس بمكة حتى
مضت بدرأ واحداً والخنديق - وعمار بن ياسر - وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا . ومعتب
ابن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأغراء قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخنيس بن
حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل - وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق - وعامر بن ربيعة ، وامراته
ليلى بنت أبي حثمة . وعبد الله بن مغرمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو - وقد حبس حتى كان يوم
بدر فأنحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرأ - وأبو سبرة بن أبي رهم ، وامراته أم كلثوم بنت سهيل ،
والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامراته سودة بنت زمعة - وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلف
على امراته رسول الله (س) - وسعد بن خولة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمر بن الخطاب بن زهير
وسهيل بن بيضاء ، وعمر بن أبي سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلاً رضى الله عنهم . وقال البخارى
وقالت عائشة قال رسول الله (س) : « أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر
قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة . فيه عن أبي موسى واسماء رضى الله
عنهما عن النبي (س) : « وقد تقدم حديث أبي موسى وهو فى الصحيحين ، وسيأتى حديث اسماء بنت
عميس بعد فتح خيبر حين قسم من كل تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة . وقال
بخارى حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله . قال

كنا نسلم على النبي (ص)، وهو يصلي فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا، قلنا: يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد علينا؟ قال إن في الصلاة شغلا، وقد روى البخاري أيضا ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق آخر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به، وهو يقوى تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله (وقوموا لله قانتين) فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. على أن المراد جنس الصحابة فان زيدا أنصاري مدني، وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بمكة، فتعين الحمل على ما تقدم. وأما ذكره الآية وهي مدنية فشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك وإنما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم.

قال ابن اسحاق: وكان ممن دخل معهم بجوار، عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوار خاله أبي طالب فان أمه برة بنت عبد المطلب. فاما عثمان بن مظعون فان صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان. قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله (ص)، من البلاء وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد ابن المغيرة قال والله ان غدوي ورواحي في جوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلتقون من البلاء والاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي، فشئى الى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك. قال لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكني أَرْضَى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال فانطلق الى المسجد فاردد على جوازي علانية كما أجرتك علانية. قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد بن المغيرة: هذا عثمان قد جاء برد على جوارى. قال صدق قد وجدته وفيما كريم الجوار ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان رضى الله عنه وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قریش يمشدم، فجلس معهم عثمان فقال لبيد:

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فقال عثمان: صدقت. فقال لبيد:

* وكل نعم لا محالة زائل *

فقال عثمان: كذبت نعم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قریش والله ما كان يؤذى جليكم فتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: ان هذا سفیه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرها فقام اليه ذلك الرجل ولطم عينه فحضرها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان. فقال: والله يا ابن أخي ان كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد

كنت في ذمة منيعة . قال يقول عثمان : بل والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما اصاب اختها في الله واني لني جوار من هو اعز منك واقدر يا ابا عبد شمس . فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي الى جوارك فعد . قال : لا .

قال ابن اسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الاسد فحدثني أبي اسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن أبي سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بي وهو ابن اختي وإن أنا لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن أخي . فقام أبو لهب . فقال : يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتفتنن أو لتقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا بل نتصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله (ص) ، فابقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله (ص) ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله (ص) :

إن امرأاً أبو (١) عُنَيْبَةَ عُمُهُ
أقول لهء وَأَيْنَ مِنْهُ نصيحتي
ولا تقبلن الدهرَ ما عشتَ خَطَّةً
وولك سبيلَ العجزِ غيرك منهم
وحاربُ فان الحربَ تُصَفِّ ولن ترى
وكيفَ ولم يجنوا عليك عَظِيمَةً
جزى اللهُ عنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً
بتفريقهم من بعدِ ودمٍ وألفَةٍ
كذبتم وبيدِ الله نَبْزِي (٣) محمداً
قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

عزم الصديق على الهجرة الى الحبشة

قال ابن اسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن

(١) كذا في الاصل وفي ابن هشام : (أبو عُنَيْبَةَ) . وبه يتوزن البيت .

(٢) كذا في الاصل : وكنيته (أبو عتبة) (٣) قال ابن هشام : نبزى ؛ نسلب .

عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الازدي ورأى من تظاهر قريش على رسول الله (ص)، وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله (ص) في الهجرة فاذن له، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً - أو يومين - لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش. قال الواقدي: اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة. وقال السهيلي: اسمه مالك. فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي. قال ولم؟ فوالله إنك لتزين المشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم. أرجع فانك في جوارى. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد الا بخير. قال: فكفوا عنه. قالت: وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكي قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يمجون لما يرون من هيئته، قال ففشي رجال من قريش إلى ابن الدغنة. فقالوا: يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيئة ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم، فاته فره بان يدخل بيته يليصن فيه ما شاء. قالت: ففشي ابن الدغنة اليه فقال: يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومي. وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك، فادخل بينك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله. قال فاردد على جوارى. قال: قد رددته عليك. قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم. وقد روى الامام البخاري هذا الحديث متفرداً به وفيه زيادة حسنة. فقال حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن هشام فاخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي (ص) قالت: لم أعقل ابواى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ص) طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي. فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. وأنا لك جار فارجع فأعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، وطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مرا يا بكر فليعبد ربه في داره. ويصل فيها وليقرأ

ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . فقال ابن الدغنة ذلك لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره . ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فكان ^(١) نساء المشركين وأبنائهم يعجبون منه وينظرون اليه . وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فarsلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم . فقالوا : إنا كنا أجرين أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فاعلن في الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فانه فأن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربه في داره فعل ، وأن أبي إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا نخفرك ولاننا مقرين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذي قد عاقدت عليه قريش ^(٢) فاما ان تقتصر على ذلك وأما ان ترد إلى ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل . ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله - كما سيأتي مبسوطا .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : لقيه - يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة - سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحشا على رأسه تراباً ، فربأى بكر الوليد بن المغيرة - أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر رضي الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول أي رب ما أحملك ، أي رب ما أحملك ، أي رب ما أحملك .

فَضِيلَةُ النَّبِيِّ

كل هذه القصص ذكرها ابن اسحاق معترضا بها بين تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم أيام في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهي أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على ابن اسحاق .

نقض الصحيفة

قال ابن اسحاق : هذا وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم

(١) في النسخة المصرية : فيتقذف نساء المشركين الخ .

(٢) في المصرية : قد عاقدتك عليه .

في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض الصحيفة نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه ، وكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني - يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا قد أوقره طعاماً ، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطاه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك ، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير أقدر رضىت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟ أما إنني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعائك اليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : وبمك يا هشام فإذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقيت في نقضها . قال قد وجدت رجلاً ، قال من هو ؟ قال أنا قال له زهير أبغنا ثالثاً ، فذهب إلى المطعم بن عدى فقال له يا مطعم أقدر رضىت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموم من هذه لتجدنهم اليها منكم سرعاً ، قال وبمك فإذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، قال قد وجدت لك ثانياً . قال من ؟ قال أنا ، قال أبغنا ثالثاً قال قد فعلت . قال من هو ؟ قال زهير بن أبي أمية . قال أبغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال نحوما قال للمطعم بن عدى ، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال نعم قال من هو ؟ قال زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى وأنا معك . قال أبغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له وهل على هذا الأمر الذي تدعوني اليه من أحد ؟ قال نعم ثم سمى القوم . فاتعدوا حطم الحجون ليلاً باعلاً مكة فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير . أنا أبدوكم ما كون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس . فقال : يا أهل مكة أنا كل الطعام وتلبس الثياب وبنو هاشم هلكني لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد - والله لا تشق . قال : زمعة بن الأسود أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت . قال أبو البختري : صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به . قال المطعم بن عدى : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . قال هشام بن عمرو ونحواً من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى بليل تشور فيه بغير هذا المسكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد

وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشتقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باممك اللهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيها برعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله س . قال لأبي طالب : « يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان » . فقال أربك أخبرك بهذا ؟ قال « نعم » . قال فوالله ما يدخل عليك أحد : ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا فهل صحيفتكم فإن كانت كما قال فأنتهوا عن قطيعتنا وأنزلوا عنها ، وإن كان كاذباً دفعت اليكم ابن أخي . فقال القوم : قد رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله س . فزادهم ذلك شراً فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن اسحاق : فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة بمدحهم :

ألا هل أتى بحرينا ^(١) صنع ربنا	على نأيهم والله بالناس أروء
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت	وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفاك وسحر مجمع	ولم يلف سحراً آخر الدهر يصعد
قداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطارها في رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة بائمة	ليقطع منها ساعة ومقاد
ويظعن أهل المسكتين فيهربوا	فرائضهم من خشية الشر ترء
ويترك حراث يقلب أمره	أيهم فيها عند ذاك ويشجد
وتصمد بين الأخشين كتيبة	لها حدج سهم وقوس ومرهد
فمن ينش من نثار مكة عزة	فعرتنا في بطن مكة أتلد
نشأتها بها والناس فيها قلائل	فلم تنفكك نرداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدي المفيضين نرعد
جزى الله رهطاً بالحجون تجتمعوا	على ملأه يهدي الحزم ويرشد
فعوداً لذي حطم الحجون كأنهم	مقاوله بل هم أعز وأجد
أعان عليها كل صقر كأنه	إذا ما مشى في رفرج الدرع أحرد

(١) قال السهيلي : بحرنا يعني الذين بارض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . وشرح

الالفاظ الغريبة لهذه القصيدة وقد قابلناها على شرح غريب السيرة للخشني .

جريّ على جبل الخطوب كأنه
من الأكرمين من لؤي بن غالب
طويل النجاد خارج نصف ساقه
عظيم الرماد سيّد وابن سيّد
ويبني لأبناء العشيرة صالحاً
الظّ بهذا الصلح كلّ مبرأ
قضوا ما قضوا في ليّهم ثم أصبحوا
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً
متى شرك الاقوام في حلّ أمرنا
وكنّا قديماً لا نقرّ ظلامه
فيال قصي هل لكم في نفوسكم
فاني وإياكم كما قال قائل
شهاب بكفي قابس يتوقد
إذا سيم خسفاً وجهه يتردد
على وجهه يسقي الغمام ويسعد
يخصّ على مقرى الضيوف ويمهد
إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
عظيم اللوام أمره ثم يحمد
على أهل وسائر الناس رقد
وسرّ أبو بكر بها ونحمد
وكنّا قديماً قبلها نتودد
وندرك ما شئنا ولا نتشدد
وهلّ لكم فيما يجي به غد
لديك البيان لو تكلمت أسود

[(١) قال السهيلي : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول لديك
البيان لو تكلمت أسود ، أي يا أسود لو تكلمت لابنت لنا عن قتله] .

ثم ذكر ابن اسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدى وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة
الظالمة الفاجرة الفاشمة . وقد ذكر الاموى هنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن اسحاق .
وقال الواقدي : سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟
قالا : في السنة العاشرة - يعني من البعثة - قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خروجه توفى أبو طالب عم رسول الله ص ، وزوجته خديجة بنت
خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

فَضِيحَةُ الْبَيْتِ

وقد ذكر محمد بن اسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمن نصب عداوة
قريش لرسول الله ص ، وتنفيذ أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه ،
وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيبنا لهم فيما
يرمونه من البنى والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول ، والله

(١) ما بين المربعين زيادة من النسخة المصرية (عمود الامام) .

غالب على أمره . فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسله ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع به اشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً^(١) فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن اسمعه . قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله (ص) قائم يصلي عند الكعبة ، قال فقممت منه قريباً فابى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال فسمعت كلاماً حسناً ، قال فقلت في نفسي وائكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته . قال : فكشيت حتى انصرف رسول الله (ص) إلى بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا — الذي قالوا — قال فوالله ما برحوا بي يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض علي أمرك : قال فعرض علي رسول الله (ص) : الاسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعجل منه . قال فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي ، وإني راجع إليهم وداعيتهم إلى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه . قال فقال : « اللهم اجعل له آية » قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعتني على الحاضر ، وقع بين عيني نور مثل المصباح . قال فقلت : اللهم في غير وجهي فاني اخشى أن يظنوا بها مثالة وقعت في وجهي لفراق دينهم ، قال فتحول فوق في رأس سوطي قال فجعل الحاضرون يترأون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أتهبط عليهم من الثنية حتى جئتهم فاصبحت فيهم ، فلما نزلت أتاني أبي — وكان شيخاً كبيراً — فقلت : اليك عني — يا أبا فلست منك ولست مني ، قال ولم يا بني ؟ قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد (ص) . قال : أي بني فدينك ديني . فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم أتتني حتى أعلمك مما علمت . قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم . قال ثم أتتني صاحبتي فقلت اليك عني فلست منك ولست مني . قالت : ولم ؟ بأبي أنت وأمي . قال قلت فرق بيني وبينك الاسلام ، وتابعت دين محمد (ص) . قالت فدينك دينك . قال : فقلت فاذهبي إلى حمي ذي الشرى فتطهري منه ، وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحمي حمي حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل . قالت : بأبي أنت وأمي أتخشى علي الصبية من ذي الشرى شيئاً ؟ قلت لا ، أنا ضامن لذلك . قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فاسلمت ، ثم دعوت دوساً إلى الاسلام فابطؤا علي ، ثم جئت رسول

(١) الكرسف هو القطن كذا في هامش الحلبيية .

الله (س) بمكة . فقلت : يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : « اللهم أهد دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » . قال فلم أزل بارض دوس أدعوهم إلى الاسلام حتى هاجر رسول الله (س) إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله (س) بمن أسلم معي من قومي ورسول الله (س) بخير حتى نزلت المدينة بسبعين - أو ثمانين بيتاً - من دوس فلحقنا برسول الله (س) بخير فأسهم لنا مع المسلمين . ثم لم أزل مع رسول الله (س) حتى فتح الله عليه مكة . فقلت : يا رسول الله ابشئني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . قال ابن اسحاق : فخرج اليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أقدم من ميلادك

• إني خشيت النار في فؤادك •

قال ثم رجع رسول الله (س) فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله (س) فلما أرتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فصار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى البصرة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى البصرة فقال لأصحابه إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فدخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيت أنه حبس عني ؟ قالوا : خيرا قال : أما أنا والله فقد أولتها ، قالوا ماذا ؟ قال أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج منه فروحي ، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالارض تحفر لي فاغيب فيها ، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فاني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني . فقتل رحمه الله تعالى شهيدا بالبصرة وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيدا رحمه الله . هكذا ذكر محمد بن اسحاق قصة الطفيل بن عمرو ومرسله بلا اسناد . ونظيره شاهد في الحديث الصحيح . قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة . قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله (س) قال إن دوسا قد استعصت قال : « اللهم اهد دوسا وائت بهم » رواه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله (س) يديه فقلت هلكت دوس . فقال : « اللهم اهد دوسا ، وائت بهم » اسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر . أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة ؟ قال حصن كان لدوس في الجاهلية - فابي ذلك

رسول الله (ص) للذي ذخر الله للانصار ، فلما هاجر النبي (ص) إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتروا المدينة ففرض فجزع فاخذ مشاقص فقطع بها براجه فشخبت يدها فما رقا الدم حتى مات . فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة ، ورآه مغطيا يديه . فقال له : ما صنع ربك بك فقال غفر لي بهجرتي إلى نبيه (ص) . قال فما لي أراك مغطيا يديك ؟ قال قيل لي ان يصلح منك ما أفسدت . قال فقصها الطفيل على رسول الله (ص) . فقال رسول الله (ص) : « اللهم وليديه فاغفر » . رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبه واسحاق بن ابراهيم كلاهما عن سليمان ابن حرب به . فان قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريقتي الحسن عن جندب قال قال رسول الله (ص) : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فاخذ سكيناً فجزع بها يده فما رقا الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدي بادرنى بنفسه فخرمت عليه الجنة » . فالجواب من وجوه : أحدها أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار وإن كان شركه مستقلاً إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أئمة . الثاني قد يكون هذا عالمًا بالتحريم وهذا غير عالم لخدائه عهده بالاسلام . الثالث قد يكون ذاك فعله مسجلاً له وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً . الرابع قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك . الخامس قد يكون هذا قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلبس النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه (ص) . ولكن بقي الشين في يده فقط وحسنت هيئة سائر فغطى الشين منه فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له مالك ؟ قال قيل لي ان يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله (ص) دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أي فاصلح منها ما كان فاسداً . والمحقق أن الله استجاب لرسول الله (ص) ، فصار صاحب الطفيل بن عمرو .

قصة أعشى بن قيس

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قره بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل عن أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله (ص) يريد الاسلام ، فقال يمدح النبي (ص) :

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدت وبنت كما باتت السليم مسجدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهتدا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن اذا أصلحت كفتاي ملا فافسدا

كهولاً وشباناً قديتاً ونزوةً
 وما زلت أبني المال مذاتاً يافع
 وأبتذل العيس المراقيل تعلي
 ألا أهنذا السائل أين يمت
 فان تسألني عني فيارب سائل
 أجدت برجليها النجاد ورائجته
 وفيها إذا ما هجرت عجرفة
 وآليت لا آوي لها من كلاله
 متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
 نبي برى مالا تزون وذكره
 له صدقات ما تغيب ونائل
 أجبتك لم تسمع وصاة محمد
 إذا أنت لم ترحل بزاد من التقي
 ندمت على أن لا تكون كمثل
 فإياك والميتات لا تقربنها
 وذا النصب المنصوب لا تنسكنه
 ولا تقربن جارة^(١) كان سرها
 وذا الرجم القربي فلا تقطعنه
 وسبح على حين العشية والضحى
 ولا تسخرن من بأس ذي ضراقة
 فلا تهر هذا الدهر كيف ترددا
 وليداً وكهلاً حسن شئت وأمردا
 مستأفة ما بين النجير فصرخدا
 فان لها في أهل يثرب موعدا
 حتى عن الأعشى به حيث أصعدا
 يداها خفافاً لينا غير أحردا
 إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
 ولا من حتى حتى تلاقى محمدا
 تراحي وتلقي من فواضله ندى
 أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
 فليس عطاء اليوم مانعة غدا
 نبي الأكل حيث أوصى وأشهدا
 ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
 فترصد للأمر الذي كان أرصدا
 ولا تأخذن سهماً حديداً لتقصدا
 ولا تعبدن الاوثان والله فاعبدا
 عليك حراماً فانكحرن أو قابدا
 لعاقبة ولا الأسير المقيدا
 ولا تحمدن الشيطان والله فاحمدا
 ولا تحسبن المال للرم مخلصدا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة - أو قريب منها - اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله
 عن أمره فاخبره أنه جاء يريد رسول الله (ص) ليسلم . فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنا . فقال :
 الاعشى والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير إنه يحرم الخمر . فقال الاعشى :
 أما هذه فوالله إن في نفسي منها العلالات ولكنى منصرف فاتروى منها عامى هذا ، ثم آتاه فاسلم
 فأنصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى النبي (ص) . هكذا أورد ابن هشام هذه القصة هنا وهو
 كثير المزايدات لمحمد بن اسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله ، فان الخمر

(١) في المصرية وابن هشام (حرة) وفي ح : مكان سرها (أمرها) .

إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم الاعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شعره ما يدل على ذلك وهو قوله :

ألا أيها ذا السائل أين يمت فان لها في أهل يثرب موعدا

وكان الأنسب والاليق بابن هشام أن يخرج ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يردها هاهنا والله أعلم . قال السهيلي : وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فان الناس مجمعون على أن الحرم ينزل تحريمها إلا في المدينة بعد أحد . وقد قال : وقيل إن القائل للاعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة . وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله (ص) . قال وقوله . ثم آتاه فاسلم - لا يخرججه عن كفره بلا خلاف والله أعلم . ثم ذكر ابن اسحاق هاهنا قصة الاراشي وكيف استعدي إلى رسول الله (ص) من أبي جهل في نين الجبل الذي ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصص مصارعة ركانة

وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت (ص) .

قال ابن اسحاق : وحدثني أبي اسحاق بن يسار قال وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريشا ، فخلا يوما برسول الله (ص) في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله (ص) : ياركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه قال إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعثك فقال له رسول الله : « أفرايت إن صرعتك أعلم أن ما أقول حق ؟ » . قال نعم ! قال : « فقم حتى أصارعك » . قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله (ص) أضجعه لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصارعه . فقال يا محمد والله إن هذا للمعجب ، أتصرعني ؟ قال : « وأعجب من ذلك أن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى » . قال وما هو ؟ قال : « أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني » . قال : فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله (ص) . فقال لها : ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها قال فذهب ركانة إلى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع . هكذا روى ابن اسحاق هذه القصة مرسله بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أبي الحسن المسقلاني عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه . أن ركانة صارع النبي (ص) . فصارعه النبي (ص) ، ثم قال الترمذي غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي (ص) : فصرعه النبي (ص) ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من الغنم فلما كان في الثالثة قال يا محمد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض إلى منك . وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقام عنه رسول الله (ص) : ورد عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فاقبلت فسيأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة إن شاء الله وبه الثقة . وقد تقدم عن أبي الأشدّين أنه صارع النبي (ص) فصرعه رسول الله (ص) . ثم ذكر ابن اسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشي والله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) إذا جلس في المسجد يجلس إليه المستضعفون من أصحابه خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة ، ويسار مولى صفوان بن أمية ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين . هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا . فانزل الله عز وجل فيهم : [ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم] . قال وكان رسول الله (ص) كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام^(١) نصراني يقال له جبر ، عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به الاجبر ، فانزل الله تعالى في ذلك من قولهم [انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين] . ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله (ص) : إنه ابتر أي لا عقب له فاذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : (إن شئت لك هو الابتر) أي المقطوع الذكر بعده ، ولو خلف الوفا من الفسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الاولاد والا نسال والعقب ، وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير والله الحمد . وقد روى عن أبي جعفر الباقر : أن العاص بن وائل انما قال ذلك حين مات القاسم بن النبي (ص) ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبية . ثم ذكر نزول قوله : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا

(١) في الاصلين : بيعة وفي ابن هشام والسهيلي : مبيعة (وزان مفعلة) وقوله : عبد لبني الحضرمي الذي في ابن هشام عبد لابن الحضرمي .

ملكاً لقضى الأمر) وذلك بسبب قول أبي بن خلف وزمة بن الاسود والعاص بن وائل والنضر ابن الحارث ؛ لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك .

قال ابن اسحاق : ومر رسول الله (ص) فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل ابن هشام فهمزوه واستهزؤا به ؛ فغاضه ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) .

قلت : وقال الله تعالى [ولقد استهزئ برسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين] وقال تعالى (أنا كفيناك المستهزئين) . قال سفيان عن جعفر بن اياس عن سميد بن جبير عن ابن عباس . قال : المستهزؤن الوليد بن المغيرة ، والاسود بن عبد يغوث الزهري ، والاسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل^(١) ، والعاص بن وائل السهمي . فأتاه جبريل فشكاهم اليه رسول الله (ص) ، فراه الوليد فآشار جبريل الى أنمله وقال كفيت ، ثم أراه الاسود بن المطلب فأومأ الى عنقه وقال كفيت ، ثم أراه الاسود بن عبد يغوث فأومأ الى رأسه وقال كفيت ، ثم أراه الحارث بن عيطل فأومأ الى بطنه وقال كفيت ، ومر به العاص بن وائل فأومأ الى أخمصه وقال كفيت . فاما الوليد فمر برجل من خراعة وهو يرش نبلا له فاصاب أنمله فقطعها ، وأما الاسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فأت منها ، وأما الاسود ابن المطلب فعنى . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئا . وجعل يقول يا بني ألا تمنعون عني قد هلك ، ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني . فجعلوا يقولون ما نرى شيئا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الحارث بن عيطل فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فأت منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت منها فأت منها . وقال غيره في هذا الحديث : فركب الى الطائف على حمير فربض به على شبرقة - يعني شوكة - فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته . رواه البيهقي بنحو من هذا السياق .

وقال ابن اسحاق : وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم ؛ الاسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله (ص) فقال : « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » . والاسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلائة . وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم [فاصنع بما تؤمر وأعرض (١) كذا في الاصلين . وسيأتي أنه ابن الطلائة وابن الطلائل وهكذا في ابن هشام والسيهلي وقد اختلف اصحاب السير في ذلك ومنهم من حكى القولين معا

عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجملون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون [. وذَكَرَ أَنَّ جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الأسود ابن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعصى ، ومر به الأسود بن عبد يغوث فآشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه جناً . ومر به الوليد بن المغيرة فآشار إلى أنزجرح بأسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يرش نبلاً له من خزاعة فتعلق سهم بأزاده فخدشه خدشاً يسيراً ، فانتفض بعد ذلك فمات . ومر به العاص بن وائل فآشار إلى إخص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فرأى به على شبرقة فدخلت في إخص رجله شوكة فقتلته . ومر به الحارث بن الطلائع فآشار إلى رأسه فامتعض قيحا فقتله .

ثم ذكر ابن اسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بني أوصيكم بثلاث ، دمي في خزاعة فلا تطلوه ، والله إنني لأعلم أنهم منه براء ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم . ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى عند أبي أزيهر الدوسى فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد تزوج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عقرها منه - وهو صدأها - فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتصمون منهم عقل الوليد ، وقالوا إنما قتله سهم صاحبكم ، فابت عليهم خزاعة ذلك حتى تناولوا أشماراً وغلظ بينهم الأمر . ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل واصطلحوا وتماجزوا .

قال ابن اسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز فقتله ، وكان شريفاً في قومه . وكانت ابنته تحت أبي سفيان - وذلك بعد بدر - فعمد يزيد بن أبي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائباً ، فلما جاء أبو سفيان غاضبه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضر به وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً في رجل من دوس ؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحض أبا سفيان في دم أبي أزيهر ، فقال بئس ما ظن حسان أن يقتل بعضنا بعضاً وقد ذهب إشرافنا يوم بدر . ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل في ربا أبيه من أهل الطائف ؟ .

قال ابن اسحاق : قد ذكر لي بعض أهل العلم إن هؤلاء الآيات نزلن في ذلك (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين) وما بعدها .

قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني أزيهر ثأر لعلمه حتى حجز الإسلام بين الناس ، إلا أن ضرار ابن الخطاب بن مرداس الأسلمى خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس فقتلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فارادت دوس قتلهم بأبي

أزهر قامت دونه أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعهم . قال السهيلي : يقال إنها أدخلته بين
درعها وبدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه ،
فقال لها عمر : لست بأخيه إلا في الإسلام ، وقد عرفت منك عليه فاعطاها على أنها بذت سبيل .
قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض
الرمح ويقول : انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام رضى الله عنهما

فَضِيحَةُ النَّارِ

وذكر البيهقي هاهنا دعاء النبي (ص) على قریش حين استعصت عليه سبع مثل سبع يوسف
وأورد ما أخرجه في الصحيحين من طريق الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن
مسعود . قال : خمس مخزني ، الزام (١) والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر . وفي رواية عن ابن
مسعود . قال : إن قریشاً لما استعصت على رسول الله (ص) وأبطأوا عن الإسلام . قال : « اللهم
أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » قال فاصابهم سنة حتى خفت كل شيء ، حتى أكلوا الجيف
والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع . ثم دعا فكشف الله
عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية (إنا كشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون) قال فمادوا فكفروا
فاخروا إلى يوم القيامة — أو قال فاخروا إلى يوم بدر — قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة
كان لا يكشف عنهم (يوم نبعث البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال : يوم بدر . وفي رواية عنه .
قال : لما رأى رسول الله (ص) من الناس أدياراً . قال : « اللهم سبع كسبع يوسف » فاخذتهم سنة
حتى أكلوا الميتة والجلود والمظام . فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك
بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم . فدعا رسول الله (ص) ، فسقوا الغيث ، فاطبقت
عليهم سبعة فشكل الناس كثرة المطر . فقال : « اللهم حولينا ولا علينا » فأنجذب السحاب عن
رأسه فسقى الناس حولهم ، قال لقد مضت آية الدخان — وهو الجوع الذي أصابهم — وذلك قوله (إنا
كشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون) وآية الروم ، والبطشة الكبرى . وانشق القمر ، وذلك
كله يوم بدر . قال البيهقي : يريد — والله أعلم — البطشة الكبرى والدخان وآية الزام كلها حصلت
ببدر . قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب
عن عكرمة عن ابن عباس . قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله (ص) يستغيث من الجوع لأنهم لم

(١) الزام : هو يوم بدر ذكر ذلك في النهاية .

يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن ، فانزل الله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) قال فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين والله أعلم .

قصة أبي بكر

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) . ثم روى من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر فذكره أبو بكر للنبي ﷺ ، فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : إجعل بيننا وبينك أجلاً إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ ، فقال : « ألا جعلته أداة » . قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك . وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المباحث - أي المراهن - لأبي بكر أمية ابن خلف وأن الرهن كان على خمس قلايص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ ، وفي الرهن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر - أو كان يوم الحديبية - فالله أعلم . ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق ، كل ذلك في خمس عشرة سنة .

قصة أبي بكر

الاسراء برسول الله (ص) من مكة الى بيت المقدس

ذكر ابن عساکر أحاديث الاسراء في أوائل البعثة ، وأما ابن اسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين ، وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : أسرى برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة . ثم روى الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي . أنه قال : فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس

ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً ، فعلى قول السدي يكون الاسراء في شهر ذي القعدة ، وعلى قول الزهري وعروة يكون في ربيع الاول . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عثمان عن سعيد ابن مينا عن جابر وابن عباس . قالوا : ولد رسول الله (ص) عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول . وفيه بعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن - روبر المقدسي في سيرته وقد أورد حديثاً لا يصح سنده ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم . ومن الناس من يزعم أن الاسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم . وينشد بعضهم في ذلك :

ليلة الجمعة عُرِّجَ بالنبي ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه ركافة وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به . وقد ذكرنا الاحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الاسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية والله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص كلام ابن اسحاق رحمه الله فانه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول : ثم أسرى برسول الله (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس من إيلياء - وقد فشا الاسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها . قال وكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه (ص) عن ابن مسعود وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنهم والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقنادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر لي من أمره وكان في مسراه (ص) وما ذكر لي منه بلاء . وتمحيص وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الالباب ، وهدي ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد . وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني يقول : أتى رسول الله (ص) بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله ، تضع حافرها في موضع مبتغى طرفها فتحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية من لبن وخمر ، وماء . فذكر أنه شرب اثناء اللبن ، فقال لي جبريل هديت وهديت أمتك . وذكر ابن اسحاق في سياق الحسن البصري مرسل أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فاركبه

البراق وهو دابة أبيض بين البغل والحمار وفي تخذه جناحان يحفز بهما رجله يضع حافره في منتهى طرفه . ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

قلت : وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن اسحاق أن رسول الله (ص) لما أراد ركوب البراق شمس به فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع ، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال فاستحي حتى أرفض عرقاً ثم قرحتي ركبتك . قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله (ص) ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله (ص) فصلى بهم ، ثم ذكر اختياره إناؤه اللين على إناؤه الخمر وقول جبريل له هديت وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر . قال ثم انصرف رسول الله (ص) إلى مكة فأصبح يخبر قريشا بذلك فذكر أنه كذبه أ كثر الناس وارتدت طائفة بعد إسلامها ، وبادر الصديق إلى التصديق وقال بني لا صدقه في خبر السماء بكرة وشية أفلا أصدقه في بيت المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله (ص) قال فيومئذ سمى أبو بكر الصديق . قال الحسن وأنزل الله في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الآية . وذكر ابن اسحاق فيما بلغه عن أم هانئ . أنها قالت : ما أسرى رسول الله (ص) إلا من بيتي نام عندي تلك الليلة بعد ما حلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما كان الصبح وصلينا معه . قال : « يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » ثم قام ليخرج فأخذت بطرف رداءه فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك . قال : « والله لأحدثنهموه » فأخبرهم فكذبوه . فقال وآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حس ففندلهم بعير فدلتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بصحنان مررت بعير بني فلان فوجهت القوم نياما ولم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كن . وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التميم البيضاء يقدمها جبل أ ورق عليه غرارتان إحداها سوداء والاخرى بقاء . قال فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من أجل الذي وصف لهم ، وسألوه عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه . وذكر يونس بن بكير عن اسباط عن اسماعيل السدي أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم . قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقي .

قال ابن اسحاق : وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله (ص) يقول : « لما

فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر ، فاصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه يريد من الملائكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك ، قال يقول رسول الله : (إذا حدث بهذا الحديث (وما يعلم جنود ربك الا هو) . ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جداً وقد سقناه باسناده ولفظه بكامله في التفسير وتكاملنا عليه فإنه من غرائب الاحاديث وفي اسناده ضعف ، وكذا في سياق حديث أم هانئ فإن الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس أن الاسراء كان من المسجد من عند الحجر وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوده قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله : وذلك قبل أن يوحى اليه ، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى اليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك ، وذلك قبل أن يوحى اليه بل جاءه بعد ما أوحى اليه فكان الاسراء قطعاً بعد الايماء إما بقليل كما زعم طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعم آخرون وهو الاظهر ، وغسل صدره تلك الليلة قبل الاسراء غسلان - أو ثلثاً - على قول أنه مطلوب إلى الملائكة الاعلى والحضرة الالهية ثم ركب البراق رفعة له وتمظيها وتكريمها فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الانبياء ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته تحية المسجد . وأنكر حذيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب ، والنص المثبت مقدم على النافي . ثم اختلفوا في اجتماعه بالانبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سند كرد على قولين فالله أعلم . وقيل إن صلاته بالانبياء كانت في السماء ، وهكذا نخيره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح والمقصود أنه : لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة : فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مقر بوها ومن فيها من أكابر الملائكة والانبياء وذكر أعيان من رآه من المرسلين كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية^(١) وإدريس في الرابعة ، وموسى في السادسة - على الصحيح - وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافاً ثم لا

(١) كذا في الاصلين ولم يذكر الثالثة ولا الخامسة . وفي ابن هشام : أنه رأى في الثالثة يوسف الصديق وفي الخامسة هارون .

يعودون اليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، ورفعت لرسول الله (ص) سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها كقلال حجر ، وغشها عند ذلك أمور عظيمة الوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراش من ذهب وغشها من نور الرب جل جلاله ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذي يقول الله تعالى [ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى] أى ما زاغ يميننا ولا شمالا ولا ارتفع عن المكان الذى حد له النظر اليه . وهذا هو الثبات العظيم والادب الكريم وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين . والاولى هى قوله تعالى [علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى] وكان ذلك بالابطح ، تدلى جبريل على رسول الله (ص) : ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى ، هذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم . فلما قول شريك عن أنس فى حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوى فاقحمه فى الحديث والله أعلم . وإن كان محفوظا فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شئ آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم . وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد (ص) وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمنة إلى خمس . وقال هى خمس وهى خمسون الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتئذ ، وأئمة السنة كالمطبقين على هذا ، واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين ، قاله ابن عباس وشاذفة ، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، ومن أطلق الرؤية أبو هريرة واحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين وأختاره ابن جرير وبالغم فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين . ومن نص على الرؤية بعينى رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه . وقالت طائفة لم يقع ذلك لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم . قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورانى أراد » وفى رواية « رأيت نورا » . قالوا ولم يكن رؤية الباقى بالعين الغائبة ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى فى بعض الكتب الإلهية يا موسى إنه لا يرانى حتى إلامات ، ولا يابس إلا تدهده والخلاف فى هذه المسئلة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم . ثم هبط رسول الله (ص) إلى بيت المقدس

والظاهر أن الانبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجتمعون بأحد قبل الذي طلبوا إليه ، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل - عند ما يتقدم ذاك للسلام عليه - هذا فلان فسلم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية . ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة : أمتهم . ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل ، فاستفاد بعضهم من هذا أن الامام الأعظم يقدم في الإمامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس ^١ ، ودار اقامتهم ، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة ورفار . وقد عاين في تلك الليلة من الآيات والامور التي لوراها - أو بعضها - غيره لاصبح مندهشاً أو طائش العقل ، ولكنه (س) ، أصبح واجماً - أي ساكناً - يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه ، فتلطف بأخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة وذلك أن أبا جهل لعنه الله - رأى رسول الله (س) ، في المسجد الحرام وهو جالس واجم . فقال له : هل من خير ؟ فقال نعم ! فقال : وما هو ؟ فقال اتى أسرى في الليلة إلى بيت المقدس . قال إلى بيت المقدس ؟ قال نعم ! قال أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أنخبرهم بما أخبرتني به ؟ قال نعم ! فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله (س) ، جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أئديتهم فقال أخبر قومك بما أخبرتني به ، فقص عليهم رسول الله (س) ، خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه ، فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيباً له واستبعاداً لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس إلى أبي بكر رضى الله عنه فأخبروه أن محمداً (س) ، يقول كذا وكذا . فقال : انكم تكذبون عليه فقالوا والله إنه ليقوله . فقال : ان كان قاله فلقد صدق . ثم جاء إلى رسول الله (س) ، وحوله مشركى قريش فسأله عن ذلك فأخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به . وفي الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله (س) ، عن ذلك . قال : فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس على بعض الشيء ، فجلى الله لى بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنته لهم . فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابن اسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه ما بهم ، فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم الحجة ، فأمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه . كما قال الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) أى اختباراً لهم وامتحاناً . قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله (س) ، وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الاسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه

وصعوده في المعراج وغير ذلك . ولهذا قال فقال : [سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه] والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد والعبء عبارة عنهما وأيضا فلو كان مناما لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسرى به يقظة لا مناما . وقوله في حديث شريك عن أنس : ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر معدود في غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ الطائف فكذبوه ، قال فرجعت مهموما فلم استفق إلا بقرن الثعالب ، وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحدثه فوضعه على نخذ رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرجع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر . وهذا الحمل أحسن من التغليب والله أعلم . وقد حكى ابن اسحاق فقال حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ . ولكن الله أسرى بروحه . قال وحدثني يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن اسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) وكما قال إبراهيم عليه السلام (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) وفي الحديث : « تنام عيني وقلبي يقظان » .

قال ابن اسحاق : فأنه أعلم أي ذلك كان . قد جاء وعين فيه ما عين من أمر الله تعالى على أي حاله كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق .

قلت : وقد توقف ابن اسحاق في ذلك وجوز كلا من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذي لا يشك فيه ولا يتماهى أنه كان يقظانا لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده ﷺ . ما فقد وإنما كان الأسراء بروحه أن يكون مناما كما فهمه ابن اسحاق ، بل قد يكون وقع الأسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعين ما عين حقيقة ويقظة لا مناما . لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك . لا ما فهمه ابن اسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الأسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فإنه ﷺ . كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناما قبله ليكون ذلك من باب الارهاص والتوطئة والتثبيت والايئاس والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء في أن الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة ؟
 فمنهم من يزعم أن الاسراء في اليقظة ، والمعراج في المنام . وقد حكى المهلب بن أبي صفرة في شرحه
 البخاري عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الاسراء مرتين ؛ مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظة
 وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه . قال السهيلي : وهذا القول
 يجمع الاحاديث فان في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ،
 وقال في آخره : ثم استيقظت فاذا أنا في الحجر وهذا منام . ودل غيره على اليقظة ، ومنهم من يدعى
 تعدد الاسراء في اليقظة أيضا حتى قال بعضهم : إنها أربع اسراءات ، وزعم بعضهم أن بعضها كان
 بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع في روايات
 حديث الاسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث اسراءات ، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على
 البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم
 إلى السموات .

فنقول : ان كان انما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث
 في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فليُنظر فيما جمعناه مستقصا
 في كتابنا التفسير عند قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وان كان انما حمله أن التقسيم
 انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحصر العقلي والوقوع
 كذلك في الخارج الا بدليل والله أعلم . والعجب أن الامام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر
 الاسراء بعد ذكره موت أبي طالب فوافق ابن اسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفه في
 ذكره بعد موت أبي طالب ، وابن اسحاق أخر ذكر موت أبي طالب على الاسراء : والله أعلم أي
 ذلك كان . والمقصود أن البخاري فرق بين الاسراء وبين المعراج فبوب لكل واحد منهما بابا على
 حدة فقال : باب حديث الاسراء وقول الله سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) حدثنا
 يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سمعت
 جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « لما كذبتني قريش كنت في الحجر فجلى الله لي
 بيت المقدس فطفقت أحدثهم عن آياته وأنا أنظر إليه » . وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من
 حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر به . ورواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن
 الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بشواه . ثم قال البخاري باب حديث المعراج :
 حدثنا هبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبي
 (ص) حدثهم عن ليلة أسرى به . قال : « بينا أنا في الحطيم — وربما قال في الحجر — مضجعا

اذ أناني آت « فقال وسمعته يقول : « فشق ما بين هذه الى هذه » فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به . قال من نقرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته . « فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايماناً فغسل قلبي ثم حشيت ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض « فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : أنس نعم ! : « يضع خطوه عند أقصى طرفه . فحملت عليه فانطلق بي جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي الى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه [قال نعم !] قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح . فلما تجاوزت بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمي . ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت اذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم رفعت الى سدة المنتهى وإذا أربعة أنهار : نهران ظهران ، ونهران باطنان . فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟

قال : أما الباطنان قهران في الجنة ، وأما الظاهران فالتليل والقرات ، ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أتيت بإناه من خمر وإناه من لبن وإناه من عسل ، فأخذت اللبن قال : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك . ثم فرض على الصلوات خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمرت على موسى فقال بما أمرت ؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشرة . فرجعت إلى موسى فقال مثله . فرجعت فوضع عنى عشرة . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك . قال : سألت ربي حتى استخنيته ولكن أرضي وأسلم . قال فلما تجاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي » . هكذا روى البخاري هذا الحديث بهنا . وقد رواه في مواضع أخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة . ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبي بن كعب . ومن حديث أنس عن أبي ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبي (ص) . وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه في التفسير ، ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس ، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الانفع عنده . ومن جعل كل رواية اسراد على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعد جدا . وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفي كل منها يعرف بهم ، وفي كلها يفرض عليه الصلوات . فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك ؟ هذا في غاية البعد والاستحالة والله أعلم . ثم قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) . قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله (ص) ليلة أسرى به إلى بيت المقدس ، والشجرة الملعونة في القرآن . قال : هي شجرة الزقوم .

والمسلمون يأتمنون بالنبي (ص)، وهو يقتدى بجبرائيل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر: «أمنى بجبرائيل عند البيت مرتين». فبين له الوقتين الأول والآخر، فهما وما بينهما الوقت الموسع، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب. وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو وكلها في صحيح مسلم. وموضع بسط ذلك في كتابنا الأحكام والله الحمد. فأما ما ثبت في صحيح البخاري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. وكذا رواه الأوزاعي عن الزهري، ورواه الشعبي عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة في السفر، وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى: [وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن ختم أن يفتنكم الذين كفروا]. قال البيهقي: وقد ذهب الحسن البصري إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً كما ذكره مرسل من صلاته عليه السلام صبيحة الأسراء الظهر أربعاً، والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً يجرى في الأوليين، والعشاء أربعاً يجرى في الأوليين. والصبح ركعتين يجرى فيهما. قلت: فلمل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الأسراء تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ما هي عليه، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً وعلى هذا لا يبقى أشكال بالكلية والله أعلم.

فَضْلُ الْقَمَرِ

انشقاق القمر في زمان النبي (ص).

وجعل الله له آية على صدق رسول الله (ص)، فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت اشارته الكريمة، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: [اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام. وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. وقد تفصينا ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة، ونحن نشير هنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته. وذلك مروى عن أنس بن مالك، وجابر بن مطعم، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

أما أنس قتل الأملم أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال:

سأل أهل مكة النبي (ص)، آية، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر)
ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وهذا من مرسلات الصحابة، والظاهر أنه تلقاه عن
الجم الغفير من الصحابة، أو عن النبي (ص)، أو عن الجميع وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث
من طريق شيبان . زاد البخاري وسعيد بن أبي عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثهم عن قتادة عن
أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله (ص) أن يريهم آية فاراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما
لفظ البخاري

وأما جبير بن مطعم فقال الامام احمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين
ابن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم [عن أبيه] . قال انشق القمر على عهد رسول الله (ص) .
فصار فرقتين . فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا إن كان
سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به احمد . وهكذا رواه ابن جرير من حديث
محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . وقد رواه البيهقي من طريق ابراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما
عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا
في الاسناد .

وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في الدلائل من طريق عن عطاء بن السائب عن أبي
عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمداين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (اقتربت
الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد
آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضار وغدا السباق . فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى
الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة . فلما كنا في الطريق قلت لأبي
ما يعني بقوله - غداً السباق . قال من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخاري حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك
عن عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس . قال : إن القمر انشق في زمان النبي (ص) .
ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر - وهو ابن نصر - عن جعفر قوله : (اقتربت الساعة
وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . قال : قد مضى ذلك كان قبل الهجرة
انشق القمر حتى رأوا شقيه . وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مرسلاته .
وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغني بن سعيد حدثنا
موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن
عباس في قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله

(س) منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والاسود ابن عبد يغوث ، والاسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم . فقالوا للنبي (س) : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان : فقال لهم النبي (س) : « إن فعلت تؤمنوا ؟ » قالوا نعم ! وكانت ليلة بدر - فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا ، فامسى القمر قد سلب نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان ، ورسول الله (س) ينادي يا أبا سلمة بن عبد الأسد والارقم بن الارقم اشهدوا . ثم قال أبو نعيم وحدثنا سليمان بن احمد حدثنا الحسن بن العباس الرازي عن الهيثم بن العمان حدثنا اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . قال : انتهى أهل مكة إلى رسول الله (س) ، فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن انتفعوا بها . فاخبرهم رسول الله (س) ، بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا ، ثم قالوا بإبصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا . فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحر واهب فانزل الله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم روى الضحاك عن ابن عباس . قال : جاءت أخبار اليهود إلى رسول الله (س) ، فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن بها ، فسأل ربه فاراهم القمر قد انشق بجزئين ، أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب . فقالوا : هذا سحر مفترى . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا احمد بن عمرو الرزاز حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد ابن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كسف القمر على عهد رسول الله (س) فقالوا مسح القمر فترلت : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . وهذا اسناد جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الارض ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الارض ويقال : إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبني بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر .

وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (س) ، شقتين حتى نظروا اليه ، فقال

رسول الله (ص)، اشهدوا . وهكذا أخرجاه من حديث سفيان - وهو بن عيينة - به . ومن حديث
الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن صبرة عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع
رسول الله (ص)، بنى ، فقال النبي (ص) : « اشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل . لفظ البخاري ثم
قال البخاري وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله بمكة - وقابله محمد بن مسلم عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه . وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي
الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص)، فقالت
قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة . فقالوا : أنظروا ما يأتيكم به السفار ؟ فان محمدا لا يستطيع أن
يسحر الناس كلهم . قال فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو
العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن أبي
الضحى عن مسروق عن عبد الله . قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين . فقال كفار قريش
لأهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، أنظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق
وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال فسئل السفار قال - وقدموا من كل وجهة -
فقالوا : رأينا وهكذا رواد أبو نعيم من حديث جابر عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن
عبد الله به . وقال الامام احمد حدثنا مؤمل حدثنا اسرايل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن
عبد الله - وهو ابن مسعود - . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص)، حتى رأيت الجبل بين
فرجتي القمر . وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سماك به . وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا
أبو بكر الطلحي حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعي حدثنا يحيى الحماني حدثنا يزيد عن
عطاء عن سماك عن ابراهيم بن علقمة عن عبد الله . قال : كنا مع النبي (ص)، بنى وانشق القمر
حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبي (ص) : « اشهدوا ، اشهدوا » وقال أبو نعيم حدثنا
سليمان بن احمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم بن أبي إياس ثنا الليث بن سعد حدثنا
هشام بن سعد عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد
رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بنى ونحن بمكة . وحدثنا احمد بن اسحاق حدثنا أبو بكر بن أبي
عاصم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله . قال :
انشق القمر بمكة فرأيت فرقتين . ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن
عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود . قال : رأيت القمر والله
منشقا باثنتين بينهما حراء . وروى أبو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس . قال : انشق القمر فلتقتين . فلقة ذهب ، وفلقة بقيت . قال ابن مسعود : لقد رأيت

جبل حراء بين فلتى القمر ، فذهب فلقة . فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا هذا سحر مصنوع سينهب . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) ، فصار فرقتين . فقال النبي (ص) : لا بى بكر : « فاشهد يا أبا بكر » وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق ، فهذه طرق متعددة قوية الاسانيد تفسد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الارض حتى دخل في كم النبي (ص) ، وخرج من السكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفترى ليس بصحيح . والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي (ص) ، انشق عن اشارته فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك . وما وقع في رواية أنس في مسند احمد : فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين والله أعلم .

فضيلة

وفاة أبي طالب عم رسول الله (ص)

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله (ص) ، ورضى الله عنها . وقيل بل هي توفيت قبله والمشهور الاول . وهذان المشفقان ؛ هذا في الظاهر وهذه في الباطن ، هناك كافر وهذه مؤمنة صديقة رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابع على رسول الله (ص) المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء " بسكن اليها ، وبهلك عم أبي طالب وكان له عضداً وحرزاً في أمره ، ومنعة وناصر على قومه . وذلك قبل مهاجرة إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله (ص) من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فثرت على رأسه تراباً . فحدثني هشام بن عروة عن أبيه . قال : فدخل رسول الله (ص) بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي ، ورسول الله (ص) يقول : « لا تبكى يا بنيت فان الله مانع أبالك » ويقول بين ذلك : « ما نالتى قريش شيئاً ٢ كرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن اسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الاذى في برمة إذا نصبت له . قال فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة يخرج بذلك الشئ على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق .

(١) في ابن هشام : على الاسلام يشكو اليها .

قال ابن اسحاق : ولما اشتهى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فانا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا . قال ابن اسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبي طالب وكلوه - وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجل من أشرافهم - . فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ماترى ونخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه نخذ لنا منه ونخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه . فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليعطوك وليأخذوا منك . قال فقال رسول الله (ص) : « يا عم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات . قال : « تقولون لا إله إلا الله ونخلعون ما تعبدون من دونه » . فصقوا بأيديهم . ثم قالوا : يا محمد أترى أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب . قال ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل يعطيك شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا . قال فقال أبو طالب : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألهم شططا . قال فطع رسول الله (ص) فيه فجعل يقول له : « أي عم فانت فعلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » فلما رأى حرص رسول الله (ص) قال : يا ابن أخي والله لولا مخافة السببة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أني إنما قتلها جزعا من الموت لقتلها ، لا أقولها إلا لأسرك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه بحرك شفتيه فاصفى إليه بآذنه . قال فقال : يا ابن أخي والله لقد قال أخى الكلمة التي أمرته أن يقولها . قال فقال رسول الله (ص) : « ولم أسمع » قال وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط (ص) والقرآن ذى الذكر بل القدين كفروا في عزة وشقاق) الآيات . وقد تسكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة .

وقد استدلل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس هذا الحديث ؛ يا ابن أخي لقد قال أخى الكلمة التي أمرته أن يقولها - يعني لا إله إلا الله - والجواب عن هذا من وجوه . أحدها أن في السند مبهما لا يعرف حاله وهو قوله عن بعض أهله وهذا إبهام في الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد . وقد روى الامام احمد والنسائي وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة عن الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس . ورواه الثوري أيضا عن الاعمش عن يحيى بن عمارة الكوفي عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس قد كره بغير زيادة قول العباس . ورواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير
أيضا . ولفظ الحديث من سياق البيهقى فيما رواه من طريق الثورى عن الاعمش عن يحيى بن عمار
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي (ص) عند
رأس أبي طالب ، فجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك . وشكوه إلى أبي طالب . فقال : يا ابن
أخي ما تريد من قوهك ؟ فقال : « يا عم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب ، وتؤدى إليهم بها
الجزية المعجم ، كلمة واحدة » . قال : ما هي ؟ قال : « لا إله إلا الله » قال فقالوا أجعل الآلهة إلهها
واحداً إن هذا لشيء عجيب ! قال : ونزل فيهم (ص والقرآن ذى الذكر) الآيات إلى قوله (إلا
اختلاق) ثم قد عارضه — أعنى سياق ابن اسحاق — ما هو أصح منه ، وهو ما رواه البخارى قائلا
حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه رضى الله عنه .
أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي (ص) ، وعنده أبو جهل . فقال : « أى عم قل لا إله
إلا الله كلمة أحج لك بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أنزغب
عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل يكلمه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب . فقال النبي
(ص) : « لا أستغفر لك ما لم أنه عنك » فنزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) ونزلت (إنك لا تهدي من أحببت)
ورواه مسلم عن اسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن عبد الرزاق . وأخرجاه أيضا من حديث
الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه . وقال فيه : فلم يزل رسول الله (ص) يعرضها عليه
ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال : على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لا إله إلا الله
فقال النبي (ص) : « أما لاستغفرون لك ما لم أنه عنك » فانزل الله — يعنى بعد ذلك — (ما كان
للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) ونزل في أبي طالب (إنك لا تهدي
من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا روى الامام احمد ومسلم والترمذى
والنسائى من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب
أتاه رسول الله (ص) . فقال : « يا عماء قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن
أميرنى قريش يقولون ما حملته عليه الا فزع الموت لا قررت بها عينك ، ولا أقولها الا لا قربها
عينك . فانزل الله عز وجل (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)
وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض
عليه رسول الله (ص) : أن يقول لا إله الا الله فابى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الاشياخ وكان آخر
ما قال : هو على ملة عبد المطلب . ويؤكد هذا كله ما قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن

سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث قال حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال قلت للنبي (ص) : ما أغضبت عن عمك فانه كان يحوطك ويفضبك لك ؟ قال : « [هو] في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل » ورواه مسلم في صحيحه من طرق عن عبد الملك ابن عمير به أخرجاه في الصحيحين من حديث الليث حدثني ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي (ص) ذكر عنده عنه فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » لفظ البخاري . وفي رواية « تغلي منه أم دماغه » وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال : « أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، متمثل بمنطين من نار يغلي منها دماغه » وفي مغازي يونس بن بكير « يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلي وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا عمرو - هو ابن أمية - بن مجالد - حدثنا أبي عن مجالد عن الشعبي عن جابر . قال سئل رسول الله (ص) : « أوقيل له - هل نعت أبا طالب ؟ » قال : « أخرجه من النار الى ضحضاح منها » تفرد به البزار . قال السهيلي : وإنما لم يقبل النبي (ص) شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان اذ ذاك كافراً غير مقبول الشهادة .

قلت : وعندى أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم . ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي (ص) بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم ، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغررة حين لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت علياً يقول : لما توفي أبي أتيت رسول الله (ص) فقلت إن عمك قد توفي . فقال : « اذهب فواره » فقلت إنه مات مشركاً ، فقال : « اذهب فواره ولا تحدثن شيئاً حتى تأتيني » ففعلت فاتيته ، فامرني أن أغتسل ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة . ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان عن أبي اسحاق عن ناجية عن علي : لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه ؟ قال : « اذهب فواراً أباك ولا تحدثن شيئاً حتى تأتيني » فاتيته فامرني فاغتسلت ، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء . وقال الحافظ البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني حدثنا أبو أحمد بن عدي حدثنا محمد بن هارون بن حميد حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة حدثنا الفضل عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس : أن النبي (ص) عاد من جنازة أبي طالب فقال : « وصلتك رحم : وجزيت خيراً يا عم » . قال وروى عن أبي اليمان الهوزني عن النبي (ص) مرسلًا وزاد ، ولم يقم على قبره . قال : وإبراهيم بن

عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه .

قلت : قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السينائي ومحمد بن سلام البيكندی ، ومع هذا قال ابن عدي ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة . وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والحاجة والممانعة عن رسول الله (ص) ، والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من المادح والثناء ، وما أظهره له ولاصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلوبة التي لا تداني ولا تسامى ، ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها ، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله (ص) صادق بار راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه . وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري ، وشاهد ذلك قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى في قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يافردون مشبوراً) وقول بعض السلف في قوله تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله (ص) ، وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق . فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب ابن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر والله أعلم . والأظهر والله أعلم الرواية الأخرى عن ابن عباس ، وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد . وهو اختيار ابن جرير . وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به . ولهذا قال (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) وهذا اللفظ وهو قوله (وهم) يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون في سياق الكلام وقوله (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) يدل على تمام الذم . وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله (ص) ، وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال . ولكن مع هذا لم يقدر الله له الايمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الايمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترجمنا عليه .

موت خديجة بنت خويلد

وذكر شئ من فضائلها ومناقبها رضى الله عنه وأرضاها، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومشواها .
وقد فعل ذلك لا بحالة بخبر الصادق المصدق حيث بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه
ولا نصب .

قال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب . قال قال
عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة . ثم روى من وجه آخر عن
الزهري أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله (ص) إلى المدينة ، وقبل أن تفرض
الصلاة . وقال محمد بن اسحاق : ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد . وقال البيهقي : بلغني أن
خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام . ذكره عبد الله بن منده في كتاب المعرفة ، وشيخنا
أبو عبد الله الحافظ . قال البيهقي : وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث
سنين عام خرجوا من الشعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء ، وكان الانسب بنا أن نذكر وفاة
أبي طالب وخديجة قبل الاسراء كما ذكره البيهقي وغير واحد ، ولكن أخرنا ذلك عن الاسراء
لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك فان الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تنف على ذلك إن شاء الله .
وقال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي
هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه
إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة
من قصب لا صخب فيه ولا نصب . وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به . وقال البخاري
حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن اسماعيل . قال قلت لعبد الله بن أبي أوفى : بشر النبي (ص) خديجة ؟
قال نعم ! ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب . ورواه البخاري أيضا ومسلم من طرق عن
اسماعيل بن أبي خالد به .

قال السهيلي : وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب - يعني قصب اللؤلؤ - لأنها حازت قصب
السبق إلى الإيمان ، لا صخب فيه ولا نصب لأنها لم ترفع صوتها على النبي (ص) . ولم تتبعه يوما من
الدهر فلم تصخب عليه يوما ولا آذته أبدا . وأخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن
أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما غرت على امرأة للنبي (ص) ما غرت على خديجة .

وهلكت قبل أن يتزوجني - لما كنت اسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وإن كان ليدبح الشاة فيهدى في خلائها منها ما يسمعن : لفظ البخاري ، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله (ص) ، أياها . وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه - أوجبرائيل - أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وفي لفظ له قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي (ص) ، ما غرت على خديجة - وما رأيتهما - ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة . فربما قلت كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : « إنها كانت وكانت » ، وكان لي منها ولد » ثم قال البخاري حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله (ص) ، فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال : « اللهم هالة » . فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجم قرش حمراء الشدين هلكت في الدهر أبدلك الله خيراً منها . وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به . وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلاً وإما عشرة . إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ولكن قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذكر رسول الله (ص) يوماً خديجة فاطنب في الثناء عليها . فادركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجم قرش حمراء الشدين . قال فتغير وجه رسول الله (ص) ، تغيراً لم أرد تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند الخيلة حتى يعلم رحمة أو عذاباً . وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به . وزاد بعد قوله حمراء الشدين : هلكت في الدهر الأول . قال قال فتغير وجهه تغيراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند الخيلة حتى ينظر رحمة أو عذاباً . نفع به أحمد . وهذا اسناد جيد . وقال الإمام أحمد أيضاً عن ابن اسحاق أخبرنا بحالد بن السمي عن مسروق عن عائشة . قالت : كان النبي (ص) ، إذا ذكر خديجة أثني عليها باحسن الثناء . قالت فغرت يوماً فقلت : ما أكره ما تذكرها حمراء الشدين قد أبدلك الله خيراً منها . قال « ما أبدلني الله خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني ، وآستني بما لهما إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » تفرد به أحمد أيضاً . وإسناده لا بأس به وبحالده روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم . ولعل هنا أعني قوله : ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء . كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبي (ص) ، من مارية ، وقبل مقدمها بالكعبة وعدا . فإن جميع أولاد النبي (ص) ، كما تقدم وكما سيأتي من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية

المصرية رضى الله عنها . وقد استدلل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها ، وتكلم آخرون فى اسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عشرة وهو محتمل أو ظاهر . وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عشرينها ، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكى نفسها وتفضلها على خديجة ، فان هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء) الآية وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديماً وحديثاً وبجانبها طرفا يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم لا يمدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها ، وكون ولد النبي (ص) جميعهم - إلا إبراهيم - منها . وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها ، وتقدير إسلامها ، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق فى أول البعثة . وبذلت نفسها ومالها لرسول الله (ص) . وأما أهل السنة فبهم من يغلو أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة فانه لم يكن فى الامم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كحبته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيراً طيبا مباركا فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لهره وحيره ، والاحسن التوقف فى ذلك إلى الله عز وجل . ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه فى هذا الباب فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها فالطريق الاقوم والمسالك الاسلام أن يقول الله أعلم . وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال قال رسول الله (ص) : « خير نساءها مريم بنت عمران ، وخير نساءه خديجة بنت خويلد » أى خير زمانهما . وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن اياس رضى الله عنه . قال قال رسول (ص) : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ؛ مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواه ابن مردويه فى تفسيره . وهذا اسناد صحيح إلى شعبة وبعده . قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبيا مرسلأ وأحسننت الصحبة فى كفالتها وصدقته . فآسية ربت موسى وأحسننت اليه وصدقته حين بعث ، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل . وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله (ص) بها وبذلت فى ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل . وقوله

« وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة أيضا عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمداني عن أبي موسى الأشعري . قال قال رسول الله (ص) : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون . ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعا وهو أنحر طعام العرب كما قال بعض الشعراء :

إذا ما الخبز تأدته بلحم فذاك أمانة الله ، الثريد

ويحمل قوله « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوفا فيعلم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاما فيها عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف بمحتمل التسوية بينهما فيحتاج من رجع واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم .

فَضْلُهَا

في تزويجه (ص) بعد خديجة

والصحيح أن عائشة تزوجها أولا كما سيأتي . قال البخاري في باب تزويج عائشة * حدثنا علي بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي (ص) قال لها : « أريتك في المنام مرتين ، أرى أنك في سرقة من حرير ، ويقول هذه امرأتك . فأكشف عنها فإذا هي أنت ، فاقول إن كان هذا من عند الله يمضه » قال البخاري باب نكاح الابكار . وقال ابن أبي مليكة قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبي (ص) بكرا غيرك * حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قلت يا رسول الله : أرايت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال : « في التي لم يرتع منها » تعني أن النبي (ص) لم يتزوج بكرا غيرها . انفرد به البخاري ثم قال حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال لي رسول الله (ص) « أريتك في المنام فيجئ بك الملاك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك انثوب فإذا أنت هي ، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه » (١) وفي رواية « أريتك في المنام ثلاث ليل » وعند الترمذي أن جبريل جاءه بصورتها في خرقه من حرير خضراء فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة . وقال البخاري تزويج الصغار من الكبار ، حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث

(١) كذا بالأصل : ونص البخاري يخالف هذه الرواية .

من يزيد بن عراك عن عروة أن رسول الله (ص) خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال » هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخاري والمحققين متصل لانه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها ، وهذا من افراد البخاري رحمه الله . وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : تزوج رسول الله (ص) عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبني بها وهي ابنة تسع . ومات رسول الله (ص) وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة . وهذا غريب . وقد روى البخاري عن عبيد ابن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي (ص) بثلاث سنين ، فلبث سنتين - أو قريباً من ذلك - ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بني بها وهي بنت تسع سنين ، وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الامر . وقوله تزوجها وهي ابنة ست سنين وبني بها وهي ابنة تسع مالا خلاف فيه بين الناس - وقد ثبت في الصحاح وغيرها - وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر . فان يعقوب بن سفيان الحافظ قال حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله (ص) ، متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع - أو ست - سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألب في أرجوحة وأنا مجمة ، فبأتني وصنعنني ثم أتني بي إلى رسول الله (ص) ، وأنا ابنة تسع سنين . فتقوله في هذا الحديث متوفى خديجة يقتضى أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم . وقال البخاري حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت تزوجني النبي (ص) ، وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فقلنا في بني الحارث بن الخزرج . فوعكت فتمزق شعري وقد وفيت لي جميمة فاتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعى صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما أدري ما تريد مني فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمست به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار قال فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني اليهن فاصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله (ص) ، فأسلمتني اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين . وقال الامام احمد في مسند عائشة أم المؤمنين حدثنا محمد بن بشر حدثنا بشر حدثنا محمد بن عمرو وأبو سلمة ويحيى . قالوا : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال من ؟ قالت إن شئت بكراً ، وإن

شئت ثيبا ، قال فمن البكر ؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر . قال ومن النيب ؟ قالت
 سودة بنت زمعة . قد آمنت بك واتبعنك . قال فاذهي فاذكريهما علي . فدخلت بيت أبي بكر
 فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول
 الله (س) ، أخطب عليه عائشة ، قالت انظري أبا بكر حتى يأتي ، فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر ماذا
 أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قال وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله (س) ، أخطب عليه عائشة
 قال وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله (س) ، فذكرت ذلك له قال : « ارجعي
 إليه فقل له أنا أخوك وأنت أختي في الاسلام ، وابنتك تصلح لي » فرجعت فذكرت ذلك له قال
 انظري ، وخرج . قالت أم رومان إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، والله ما وعد أبو بكر
 وعدا قط فاخلفه ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبي . فقالت : يا ابن أبي
 قحافة لعلك مصبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج اليك ؟ فقال أبو بكر للمطعم
 ابن عدى أقول هذه ؟ يقول إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من
 عدته التي وعده . فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله (س) ، فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت
 ست سنين ، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ما أدخل الله عليك من الخير والبركة
 قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله (س) ، أخطبك إليه . قالت وددت ادخلي إلى أبي بكر
 فاذكري ذلك له . وكان شيخا كبيرا قد أدركه السن قد تخلف عن الحج . فدخلت عليه فحييته
 بتحية الجاهلية ، فقال من هذه ؟ قالت خولة بنت حكيم . قال فما شأنك ؟ قالت أرسلني محمد بن
 عبد الله أخطب عليه سودة . فقال كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبك ؟ قال تحب ذلك . قال ادعها
 إلى فدعتها قال أي بنية إن هذه تزعم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو
 كفؤ كريم انحبين أن أزوجه بك به ؟ قالت نعم . قال ادعها لي فجاء رسول الله (س) ، فزوجها إياه . فجاء
 أخوها عبد بن زمعة من الحج فجاء يمشي على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إني لسفيه يوم
 أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله (س) ، سودة بنت زمعة . قالت عائشة : قدمنا المدينة
 فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السبخ . قالت فجاء رسول الله (س) ، فدخل بيتنا واجتمع إليه
 رجال من الانصار ونساء ، فجاءني أمي وأنا لني أرجوحة بين عذقين يرجح بي فانزلتني من الأرجوحة
 ولى جيممة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني
 لانهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فاذا رسول الله (س) ، جالس على سرير في بيتنا وعنده
 رجال ونساء من الانصار ، فاجلستني في حجرة ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم ، وبارك
 لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبني رسول الله (س) في بيتنا ما انحوت على جزور ، ولا

ذبحت على شاة . حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله (ص) ، إذا دار إلى نسائه ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين . وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الجبار حدثنا عبد الله بن إدريس الأزدي عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . قال قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال ومن ؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال من البكر ومن الثيب ؟ قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك . قل فاذكريهما على . وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم . وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي . وقال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لي ، فكان رسول الله (ص) يقسم لي بيومها مع نسائه . قالت وكانت أول امرأة تزوجها بعدى . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثني شهر حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله (ص) خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية ، كان لها خمس صبية — أو ست — من بعلها مات . فقال رسول الله (ص) : « ما يمنعك مني ؟ » قالت والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إلي ، ولكنني أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال فهل منعك مني غير ذلك ؟ قالت لا والله ، قال لها رسول الله (ص) يرحمك الله ان خير نساء ركبن اعجاز الابل ، صالح نساء قريش احنا على ولد في صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده . قلت وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه . هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدماً على العقد بسودة وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهري واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة وحكاها عن قتادة وأبي عبيد . قال ورواه عقيل عن الزهري .

فَضْلُ الْمَرْءِ

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله (ص) ، وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفصال ، فلما مات اجتراً سفهاء قريش على رسول الله (ص) وقالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه . كما قد رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعاني حدثنا يوسف بن مهلول حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن

اسحاق عن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر . قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله (ص) سفينة من سفهاء قريش فالتقى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أي بنية لا تبكين فإن الله مانع أباك » ويقول ما بين ذلك « ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » . قد رواه زياد البكائي عن محمد ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلًا والله أعلم . وروى البيهقي أيضاً عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله (ص) قال : « ما زالت قريش كاعين^(١) حتى مات أبو طالب » ثم رواه عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين حدثنا عقبة الجدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي (ص) قال : « ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب » وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صعير وحكيم بن حزام أنهما . قالوا : لما توفي أبو طالب وخديجة - وكان بينهما خمسة أيام - اجتمع على رسول الله (ص) مصيبتان ولزم بيته وأقل الخروج ، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه ، لا واللوات لا يوصل اليك حتى أموت . وسب ابن الغيطلة رسول الله (ص) ، فاقبل إليه أبو لهب فقال منه ، فولى يصيح يا مشر قريش صبا أبو عتبة . فاقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكنني أمتنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد . فقالوا لقد أحسنت وأنجملت ووصلت الرحم فكث رسول الله (ص) كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبي معيط وأبوجهل إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقال له أبو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال مع قومه . نفخج إليهما فقال قد سألتك فقال مع قومه . فتالا يزعم أنه في النار . فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله (ص) : ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار . فقال أبو لهب - لعنه الله - والله لا أبرحت لك إلا عدواً أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار . واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن اسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله (ص) في بيته أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الهذلي . وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له ، حتى أخذ رسول الله (ص) حجراً يستتر

(١) الكاعة جمع كاع وهو الجبان . كع الرجل يكع كما جبن عنه . في النهاية .

به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرخوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول :
يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق .

قلت : وعندي أن غالب ما روى مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي كما
رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتتهم ، ثم لما انصرف رسول
الله (ص) دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقه
له عليه السلام خنقا شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .
وكذلك عزم أبي جهل - لعنه الله - على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فخيّل بينه وبين ذلك ، وما
أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها هنا أنسب وأشبه .

فضيلة

في ذهابه (ص) إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله

قال ابن اسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ما لم تكن
تألفه منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله (ص) إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة
والمنعة بهم من قومه : ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج إليهم وحده . فحدثني
يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . قال : انتهى رسول الله (ص) إلى الطائف وعهد إلى
نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة : عبد ياليل ، ومعوذ ، وحبيب بنو عمرو
ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بني
جمع ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه
من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله
أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت
أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك
فقام رسول الله (ص) من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذكر لي - إن فعلتم
ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله (ص) : أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم ^(١) ذلك عليه . فلم يفعلوا
وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فعمد إلى ظل

(١) قال ابن هشام : فيذئروهم يعني يحرقون بينهم ، وأورد في ذلك شعرا .

حيلة^(١) من عنب فجلس فيه وابنا ربعة ينظران اليه ويريان ما يلقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله ص. - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جمح ، فقال لها ماذا لقينا من أحمائك . فلما اطمأن قال - فيما ذكر - « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وهو اتى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي الى من تكافى ، الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » . قال فلما رآه ابنا ربعة عتبة وشيبة وما لقي فحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عداس [وقال له] خذ قطعاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل قتل له يا كل منه . ففعل عداس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ص. - ثم قال له كل ، فلما وضع رسول الله ص. - يده فيه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله ص. - : ومن أهل أى بلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى . فقال رسول الله ص. - : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ص. - : ذلك اخي كان نبياً وأنا نبي . فأكب عداس على رسول الله ص. - يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال يقول أبناء ربعة احدهما لصاحبه اما سلامك فقد افسده عليك . فلما جاء عداس قال له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد اخبرني بأمر ما يعلمه الانبي . قال له : ويحك يا عداس لا يصرفبك عن دينك فان دينك خير من دينه .

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق الا انه لم يذكر الدعاء وزاد ، وقعد له اهل الطائف صفين على طريقته ، فلما صر جملوا لا يرفع رجله ولا يضعهما الا رخصهما بالحجارة حتى ادموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء فعمداً الى ظل نخلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربعة ، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله . ثم ذكر قصة عداس النصراني كمنحو ما تقدم . وقد روى الامام احمد عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ص. - في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس - أو عصي - حين أتاهم يبتغى عندهم النصر ، فسمعه يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها . قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الاسلام

(١) في النهاية : الحيلة الاصل أو القضيبة من شجر الاعناب . وزاد في السهيلي والكرمة .

قال فدعني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ قرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه . وثبت في الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب ^(١) أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله (ص) ، هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال : « ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم . ثم ناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد قد بعثني الله إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت إن شئت تطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله (ص) : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً » .

فصل في

وقد ذكر محمد بن اسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله (ص) ، وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى بصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا اليه قراءته هنالك . قال ابن اسحاق وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) . قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير ، وتقدم قطعة من ذلك والله أعلم . ثم دخل رسول الله (ص) مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدى وازداد قومه عليه حنفاً وغيظاً وجرأة وتكذيباً وعناداً والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الاموي في مغازيه أن رسول الله (ص) بعث أريقط إلى الاخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة . فقال : إن خليف قريش لا يجير علي صميمها . ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال : إن بني عامر بن لؤي لا يجير علي بنى كعب بن لؤي . فبعثه إلى المطعم بن عدى ليجيره فقال نعم اقل له فليأت . فذهب اليه رسول الله (ص) فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال رسول الله (ص) : طفواحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف ، فاقبل أبو سفيان إلى مطعم . فقال : أيجير أو تابع ؟ قال لا بل يجير . قال إذا لا تخفر . فجلس معه حتى قضى رسول الله (ص) طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو

(١) وفي السهيلي : عبد الله بن يوسف وهو خطأ . وإنما هو عبد الله بن وهب الفهري القرشي .

سفيان إلى مجلسه . قال فكث أياما ثم أذن له في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة توفي مطعم بن عدى بعده بيسير فقال حسان بن ثابت والله لأرثينه فقال فيما قال (١) :

فلو كان مجد مخلدَ اليوم واحد من الناس نحى مجده اليوم مُطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبادك ما لبى مُحَلَّ وأحرما
فلو سئلت عنه مَعَدَّ بأمرها وقحطان أو باقي بقية جُرمها
لقالوا هو الموفى بخُفرة جاره وذمته يوماً إذا ما نجسها
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم على مثله فيهم أعز وأكرما
إباءً إذا يابى وألين شيمه وأنوم عن جارٍ إذا الليل أظلما

قلت ولهذا قال النبي (ص) : يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألتني في هؤلاء النقباء لو هبتم له » .

فَضِيلَةُ النَّبِيِّ

في عرض رسول الله (ص) نفسه الكريمه على احياء العرب

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله (ص) مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسول الله (ص) يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن اسحاق : فحدثني من أصحابنا من لا أتتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلى - ومن حديثه أبو الزناد عنه - وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة ابن عباد يحدثه أبي . قال : إني لغلّام شاب مع أبي بنى ورسول الله (ص) يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يا بنى فلان إني رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلصوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به » . قال وخلفه رجل أحول وضى له غدیرتان عليه حلة عدنية ، فاذا فرغ رسول الله (ص) من قوله وما دعا اليه . قال ذلك الرجل : يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تخلصوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة

فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال قلت لابي يا أبت من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب . وقد روى الامام احمد هذا الحديث عن ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدئل - وكان جاهليا فأسلم - قال رأيت رسول الله (ص) في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب - يتبعه حيث ذهب - فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب . ورواه البيهقي من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدئل : رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعهم الى الله ، ووراءه رجل أحول تقذ وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قالوا هذا أبو لهب . وكذا رواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن أبي ذئب وسعيد ابن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه . ثم رواه البيهقي من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال : رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسنى عليه التراب فاذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال في هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهما ويحتمل أن يكون قارة يكون ذا ، وقارة يكون ذا وأنهما كلما يتناوبان على اذائه (ص) .

قال ابن اسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح ، فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فابوا عليه : قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن حصين أنه أتى كلبا في منازلهم الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول : « يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أيكم » فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم . وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله (ص) أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب اقبح رداً عليه منهم . وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكات به العرب ، ثم قال له أرايت إن نحن تابعتك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » . قال فقال له أقتهيف نحورتا للعرب دونك فاذا

أظهرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه . فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم فقالوا : جاءنا قتي من قریش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بني عامر هل لها من تلاف ؟ هل لذنا بها من مطلب ؟ والذي نفس فلان بيده ما تقو لها اسماعيلي قط ، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان رسول الله (ص) في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول « لا أكره أحداً منكم على شيء » ، من رضى منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي ، وحتى يقضى الله لي وللمن صحبني بما شاء . فلم يقبله أحد منهم ، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟ ! وكان ذلك مما ذخره الله للانصار وأكرههم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموي كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن العباس . قال قال لي رسول الله (ص) : « لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجي إلى السوق غداً حتى تقرر في منازل قبائل الناس » وكانت مجمع العرب . قال فقلت هذه كندة ولها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بني عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك ؟ قال فبدأ بكندة فاتاهم فقال ممن القوم ؟ قالوا من أهل اليمن . قال من أي اليمن ؟ قالوا من كندة . قال من أي كندة ؟ قالوا من بني عمرو بن معاوية ، قال فهل لكم إلى خير ؟ قالوا وما هو ؟ قال « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » . قال عبدالله بن الأجلح : وحدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له : إن ظفرت نجعل لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله (ص) : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا به . وقال الكلبي فقالوا : أجيئنا لتصدنا عن آلهتنا وننايذ العرب : الحق بقومك فلا حاجة لنا بك . فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم ؟ قالوا من بكر بن وائل . فقال من أي بكر بن وائل ؟ قالوا من بني قيس بن ثعلبة . قال كيف العدد ؟ قالوا كثير مثل الثرى . قال فكيف المنعة ؟ قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم . قال « فتجملون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين ، وتحمده ثلاثاً وثلاثين ، وتسكبروه أربعاً

وثلاثين » قالوا ومن أنت ؟ قال أنا رسول الله . ثم انطلق فلما ولي عنهم قال الكلبي : وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله ، ثم مر أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل ؟ قال نعم هذا في الذروة منافع أي شأنه تسألون ؟ فآخبروه بما دعاهم إليه وقالوا زعم أنه رسول الله ، قال : ألا لا ترفعوا برأسه قولاً فإنه مجنون يهذي من أم رأسه . قالوا قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر .

قال الكلبي : فآخبرني عبد الرحمن المعافري عن أشياخ من قومه قالوا : أنا رسول الله (س) ونحن بسوق عكاظ ، فقال ممن القوم ؟ قلنا من بني عامر بن صعصعة . قال من أي بني عامر بن صعصعة ؟ قالوا بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنعة ؟ قلنا لا يرأى ما قبلنا ، ولا يسطلي بنا رنا . قال فقال لهم « إني رسول الله وآتيكم لتنعموني حتى أبلغ رسالة ربي ولا أكره أحداً منكم على شيء » قالوا ومن أي قريش أنت ؟ قال من بني عبد المطلب . قالوا فأين أنت من عبد مناف ؟ قال هم أول من كذبني وطردني . قالوا ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك قال فنزل إليهم والقوم يتسوقون ، إذ أناهم بحيرة بن فراس القشيري فقال من هذا الرجل أراه عندكم أنكره ؟ قالوا محمد بن عبد الله القرشي . قال فما لكم وله ؟ قالوا زعم لنا أنه رسول الله (س) فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال ماذا ردديتم عليه ؟ قالوا بالترحيب والسعة ، فخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا . قال بحيرة : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء ترجعون به بدءاً ثم لتنا بدوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به لو أنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، أنعمدون إلى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتم . ثم أقبل على رسول الله (س) فقال : قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك . قال فقام رسول الله (س) إلى ناقته فركبها ، فغمر الخبيث بحيرة شاكلتها فقمصت برسول الله (س) فآلقته . وعند بني عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله (س) بمكة جاءت زائرة إلى بني عمها ، فقالت يا آل عامر — ولا عامر لي — أليصنع هذا رسول الله (س) بن أظهركم لا يمنعه أحد منكم ؟ فقام ثلاثة من بني عمها إلى بحيرة واثنين أعاناه ، فاخذ كل رجل منهم رجلاً فجلبه به الأرض ، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطماء ، فقال رسول الله (س) « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » قال فأسلم الثلاثة الذين نصره وقتلوا شهداء وهم : غطفان وغطفان ابنا سهل ، وعروة — أو عذرة — بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم . وقد روي هذا الحديث بهامة الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغلزيه عن أبيه به . وهلك الآخرون وهم : بحيرة بن فراس ، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بني عذيل

لنعم الله لنا كثيراً . وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه في قصة عامر بن صعصعة وقبيح ردهم عليه . وأغرب من ذلك وأطول ما رواد أبو نعيم والحاكم والبيهقي - والسياق لأبي نعيم رحمهم الله - من حديث ابان بن عبد الله البجلي عن ابان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس حدثني علي بن أبي طالب . قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فلم ، وكان أبو بكر مقدماً في كل خير ، وكان رجلاً نساباً فقال ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة ، قال وأى ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها ؟ قالوا بل من هامها العظمى . قال أبو بكر فمن أى هامتها العظمى . فقال ذهل الأكر ، قال لهم أبو بكر : منكم عوف الذى كان يقال لأحر بوادى عوف ؟ قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا لا . قال فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالها أنفسها ؟ قالوا لا . قال فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا لا . قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا لا . قال فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا لا . قال فأنتم اصهار الملوك من نخم ؟ قالوا لا . قال لهم أبو بكر رضى الله عنه : فلسنم بذهل الأكر ، بل أنتم ذهل الأصغر . قال فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الدهلي - حين بقل وجيء - فاخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول :

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعَبُّ لَا نَعْرِفُهُ أَوْ نُحْمِلَهُ

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً ، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت ؟ قال رجل من قريش . فقال الغلام : يخ يخ أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديتها فمن أنت من قريش ؟ فقال له رجل من بنى تيم بن مرة . فقال له الغلام : أمكنت والله الراعى من سواء الشجرة ؟ أفنكم قصي بن كلاب الذى قتل بمكة المتنبلين عليها واجلى بقيتهم وجفع قومه من كل أوب حتى أوطئهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجعاً ، وفيه يقول الشاعر :

أَلَيْسَ أَبُوكُمْ كَانَ يُدْعَى مَجْعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ قَهْرٍ

قال أبو بكر لا . قال فمنكم عبد مناف الذى انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر لا . قال فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذى هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، فيه يقول الشاعر :

عَمَرُوا الْغُلَا هَشْمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجُلًا مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عَجَافُ
سَنُوا إِلَيْهِ الرَّحْلَتَيْنِ كُلَهُمَا عِنْدَ الشَّامِ وَرَحْلَةَ الْأَصْيَافِ

كانت قریش بيضة فتفلقت فالحج خالصة لعبد مناف
الراشدين وليس يعرف رايش والقائلين هلم للأضياف
والضاربين الكبش يترق بيضه^(١) والمائمين البيض بالأسياف
لله درك لو نزلت بدارهم منوك من أزل^(٢) ومن إقراف

فقال أبو بكر لا . قال فنسبكم عبد المطب شعبة الحمد ، وصاحب غير مكة ، ومطعم طير السماء
والوحوش والسباع في الفلا الذي كأن وجهه قمر ينالاً في الليلة الظلماء ؟ قال لا . قال أفمن أهل
الإفاضة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال لا .
قال أفمن أهل السقاية أنت ؟ قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت ؟ قال لا . قال فمن المفيضين أنت ؟
قال لا . ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف در السيل در يدقمه يهيمه حيناً وحيناً برفه

ثم قال : أما والله يا أخا قریش لو ثبت لخبرت أنك من زعمات قریش ولست من النوائب .
قال فاقبل الينا رسول الله . يتبسم قال على : فقلت له يا أبا بكر لقد وقعت من الإعرابي على
باقعة . فقال أجعل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول . قال
ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم - قال
على وكان أبو بكر مقدما في كل خير - فقال لهم أبو بكر ممن القوم ؟ قالوا من بنى شيبان بن ثعلبة ،
فالتفت إلى رسول الله . فقال : باني أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم ، وفي رواية ليس
وراء هؤلاء عذر من قومهم ، وهؤلاء غرر في قومهم ، وهؤلاء غرر الناس . وكان في القوم مفروق
ابن عمرو ، وهاني بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبي
بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان
تسقطان على صدره . فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال
له إنا لنزيد على الف ، ولن تغلب الف من قلة . فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال علينا الجهد
ولكل قوم جد . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون
لقاء حين لغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله .
يديلنا مرة ويديل علينا . لعلك أخو قریش ؟ فقال أبو بكر إن كان بلغكم أنه رسول الله فما هو هذا
فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله . فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه

(١) يريد ما كان خلال صوفه الأبيض سواد .

(٢) الأزل : الضيق والشدة ، والجذب . والإقراف التهم .

فقال (س): «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله، وأن تؤوونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به، فإن قریشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد». قال له وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قریش؟ فتلا رسول الله (س): [قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً] إلى قوله (ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) فقال له مفروق: وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قریش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله (س): [إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون] فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قریش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال: وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانىء: قد سمعت مقاتلتك يا أخا قریش وصدقت قولك، وإنى أرى أن تركنا ديننا وأتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر فى أمرك، وننظر فى عاقبة ما تدعوا إليه زلة فى رأى، وطيشة فى العقل، ذولة نظر فى العاقبة وإلما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقداً. ولكن ترجع وارجع وتنظر وتنظر، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقاتلتك واستحسنيت قولك يا أخا قریش، وأعجبني ما تكلمت به. والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة وتركنا ديننا وأتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا وإلما نزلنا بين صريين أحدهما الإمامة، والآخر السماوة. فقال له رسول الله (س): وما هذان الصريان؟ فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى وإلما نزلنا على عهد أخذه علينا كبرى أن لا نحدث حدثاً، ولا تؤوى محدثاً. ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فاما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فان أردت أن تنصرك ونمنعك مما يلى العرب فعلنا. فقال رسول الله (س): ما أسأتم الرد إذ افصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه. ثم قال رسول الله (س): «أرايتم ان لم تلبثوا الا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه؟» فقال له النعمان ابن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أخا قریش! فتلا رسول الله (س): (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً) ثم نهض رسول الله (س)، قابضاً على يدي أبي بكر. قال

على ثم التفت اليه رسول (س) فقال : « يا على أية (١) أخلاق للعرب كانت في الجاهلية — ما أشرفها — بها يتحاجزون في الحياة الدنيا ». قال ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فانهضنا حتى بايعوا النبي (س) . قال على : « وكأنا صدقاء صبراء فسر رسول الله (س) من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بانسابهم . قال فلم يلبث رسول الله (س) الا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم : « احمدا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس : قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبني نصرنا » . قال وكانت الوقعة بقرقر إلى جنب ذي قار وفيها يقول الاعشى :

فدى لبني ذهل بن شيبان فاقني ورا كها عند اللقاء وقلت
مهما ضربوا بالخنزير خنزير قرقر مقدمه الهاموز حتى تولت
فلا عينا من رأى من فوارس (٢) كذهل بن شيبان بها حين ولت
فثاروا وثراً والمودة بيننا وكانت علينا غيرة فتجلت

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الاخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم قرقر — مكان قريب من الفرات — جعلوا شعارهم اسم محمد (س) فنصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الاسلام

وقال الواقدي : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله (س) في منازلنا بمنى ونحن نازلون بأزاء الجرة الاولى التي تلي مسجد الخيف وهو على راحلته مردفا خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خبرنا ، قال وقد كنا معننا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي . فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي . فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به . وطمع رسول الله (س) في ميسرة فكلمه فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ، ولكن قومي يخالفونني وإنما الرجل بقومه فاذا لم يعضدوه فالعدى (٣) أبعد فانصرف رسول الله (س) وخرج القوم سادرين إلى أهلهم .

(١) كذا في السهيلي وفي الاصل : أبت أخلاق في الجاهلية ما أشرفها الخ .

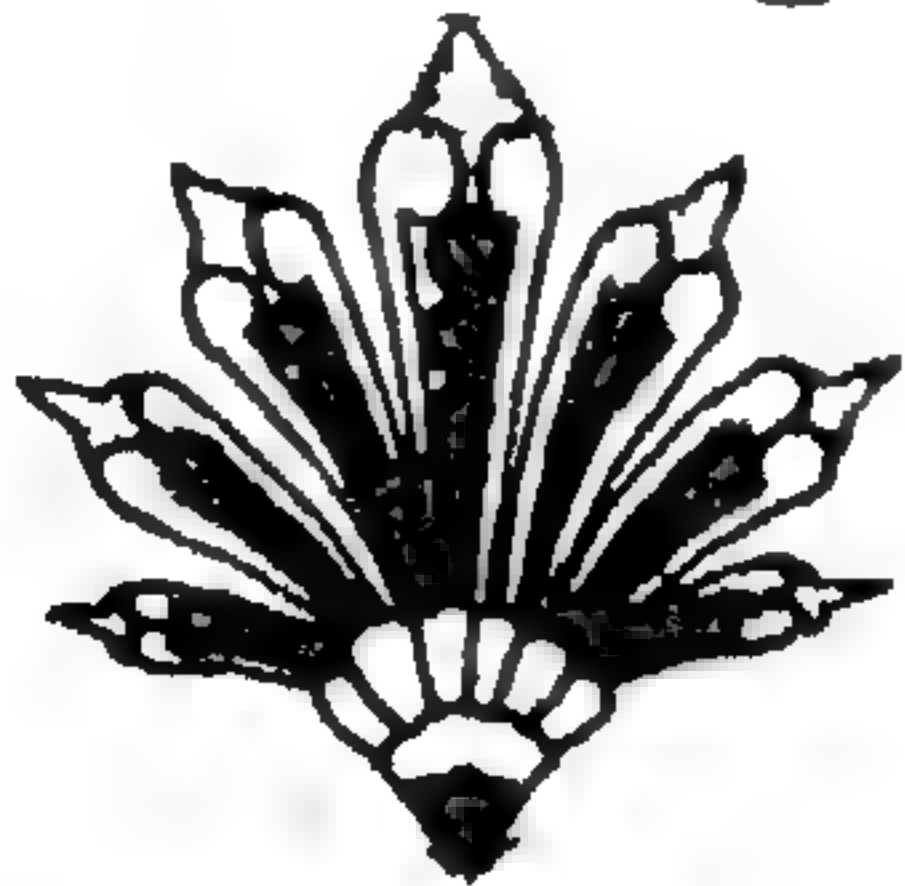
(٢) هذا البيت والذي بعده لم نجدهما في ديوانه ولا في المراجع التي لدينا وكان في الاصل هكذا :

فيه عينا من رأى من فوارس كذهل بن شيبان حتى ولت عمود الاسام

(٣) العدى بالكسر : الغرباء والاجانب والاعداء ، وبالضم : الاعداء خاصة . من النهاية .

فقال لهم ميسرة : ميلوا نأثي فذك فان بها يهوداً نسائلهم عن هذا الرجل : فقالوا إلى يهود فاخرجوا سفراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله (ص) النبي الأُمي العربي يركب الحمار ويمتزي بالسكرة ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجمع ولا بالسبط ، في عينيه حمرة مشرق اللون . فان كان هو الذي دعاكم فاجيبوه وادخلوا في دينه فانما تحسد ولا تتبعه ، وإنا منه في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب الا اتبعه والا قاتله فكونوا ممن يتبعه . فقال ميسرة : يا قوم ألا [إن] هذا الأمر بين ، فقال القوم نرجع الى الموسم ونلقاه فرجعوا الى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم فلما قدم رسول الله (ص) المدينة مهاجراً وحج حجة الوداع لقيه ميسرة فعرفه . فقال : يا رسول الله والله ما زلت حريصاً على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله الا ما ترى من تأخر اسلامي ، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله (ص) : « كل من مات على غير دين الاسلام فهو في النار » فقال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبي بكر مكان . وقد استقصى الامام محمد بن عمر الواقدي قصص [خبر] القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر وغسان وبني فزارة وبني مرة وبني حنيفة وبني سليم وبني عبس وبني نضر بن هوازن وبني ثعلبة بن عكابة وكندة وكتب وبني الحارث بن كعب وبني عذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم . وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك طرفاً صالحاً والله الحمد والمنة .

وقال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر أنا اسرائيل عن عثمان - يعني ابن المغيرة - عن سالم ابن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله . قال : كان النبي (ص) يعرض نفسه على الناس بالوقوف فيقول « هل من رجل يحملني الى قومه فان قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل ؟ » فأتاه رجل من همدان فقال ممن أنت ؟ قال الرجل من همدان . قال فهل عند قومك من منعة ؟ قال نعم ! ثم إن الرجل خشى أن يخفّره قومه فأتى رسول الله (ص) فقال آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل ! قال نعم ! فانطلق وجاء وفد الانصار في رجب . وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن اسرائيل به ، وقال الترمذي حسن صحيح .



قصص النبوة

قدوم وفد الانصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله (ص) ببيعة
بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول الله (ص) الى المدينة .

حديث سويد بن صامت الانصارى

وهو سويد بن الصامت ^(١) بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن
الاوس ، وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسويد
هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله .

قال محمد بن اسحاق بن يسار : وكان رسول الله (ص) على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس
بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة
ولا يسمع بقدام يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض
عليه ما عنده . قال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم
سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً - أو معتمراً - وكان سويد إنما يسميه قومه
فيهم الكامل جلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :

ألا رب من تدعو صدقاً ولوترى	مقاتله بالغيبر ساء لك ما يفري
مقاتله كالشهد ما كان شاهداً	وبالغيبر مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحب أديمه	نيمه غش يتتري عقب الظم
تبين لك العينان ما هو كاتم	من الفل والبغضاء بالنظر الشر
فرشني بخير طالما قد برئتني	وخير الموالى من يرش ولا يبري

قال فتصدى له رسول الله (ص) : حين سمع به فدعاه إلى الله والاسلام ، فقال له سويد : فلعل
الذى معك مثل الذى معي . فقال له رسول الله (ص) : وما الذى معك ؟ قال بحلة لقمان - يعنى
حكمة لقمان - فقال رسول الله (ص) : أعرضها على ، فعرضها عليه فقال « إن هذا الكلام حسن ،
والذى معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله على هو هدى ونور » فتلا عليه رسول الله (ص) القرآن
ودعاه إلى الاسلام . فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه
فلم يلبث أن قتله الخزرج . فان كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل

(١) كذا فى الاصل ، وفى السهيلي : سويد بن الصلت بن حوط .

بعث . وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق بأخصر من هذا .

اسلام اياس بن معاذ

قال ابن اسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد . قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم اياس بن معاذ يلتبسون الخلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله (ص) ، فاتاهم فجلس اليهم فقال : « هل لكم في خير مما جئتم له ؟ » قالوا وما ذاك ؟ قال أنا رسول الله الى العباد أدعوه الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل على الكتاب . ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال : اياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - يا قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلم يردى لقد جئنا لغير هذا . قال فصمت اياس وقام رسول الله (ص) عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج . قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فاخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون بهلل الله ويكبره ويمجده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات . ولما ، لقد كان استشرع الاسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله (ص) . ما سمع . قلت : كان يوم بعث - وبعث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل . وقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أمامة عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت : كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ، قدم رسول الله (ص) إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم ^(١) ، وقتل سرائهم .

باب

بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه . وانجاز مواعده له ، خرج رسول الله (ص) في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله (ص) : قال لهم « من أنتم ؟ » قالوا نفر من الخزرج قال « أمن موالى يهود ؟ » قالوا نعم ! قال « أفلا تجلسون أكلهم ؟ » قالوا بلى . فجلسوا معه فدعاهم ^(١) الملاء : اشراف الناس ورؤسائهم ومقدموهم الذين يرجع الي قولهم وجمعه املاء .

إلى الله وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال وكان مما صنع الله بهم في الاسلام أن
يهود كانوا معهم في بلادهم . وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد
غزوه وبيلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا إن نبيا مبعوث الآن قد أظلم زمانه تتبعه ، تقتلكم
معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله . قال بعضهم لبعض :
يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه ، فاجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه
وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة
والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي
أجبتك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى
بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن اسحاق : وهم فيما ذكر لي ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرار
بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم
من الانصار من الخزرج . ومن الاوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك
ومعاذ بن عفراء والله أعلم . وعوف بن الحارث بن رفاع بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن
النجار - وهو ابن عفراء - النجاريان ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرقى وقطبة
ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد
ابن ساردة^(١) بن يزيد بن جشم بن الخزرج السلمي ثم من بني سواد ، وعقبة بن عامر بن نابت بن زيد
ابن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضا ، ثم من بني حرام . وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان
ابن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أيضا ، ثم من بني عبيد رضى الله
عنهم . وهكذا روى عن الشعبي والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة في رآه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم
كانوا ثمانية وهم : معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زرار ، ورافع بن مالك ، وذكوان - وهو ابن عبد
قيس - وعباد بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن
ساعدة . فأسلموا وواعدوه إلى قابل . فرجعوا إلى قومهم فدعواهم إلى الاسلام ، وأرسلوا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلا يفتقنا . فبعث اليهم مصعب بن
عمير فتنزل على أسعد بن زرار وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق ثم من سياق موسى بن
عقبة والله أعلم .

(١) في الاصل : ساوة بن يزيد وهو خطأ ، وفي ابن هشام : ساردة بن يزيد .

قال ابن اسحاق : فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله (ص) ، ودعوتهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله (ص) ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثني عشر رجلا وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارمة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضا ، وذو كوان ابن عبد قيس بن خلد بن مخالد بن عامر بن زريق الزرقى . قال ابن هشام : وهو انصارى مهاجرى وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم البلوى ، والعباس بن عبادة ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني ، وعقبة بن عامر بن نابت المتقدم ، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم ، فهؤلاء عشرة من الخزرج ، ومن الاوس اثنان وهما : عويم بن ساعدة . وأبو الهيثم مالك بن التيهان . قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كيت وميت .

قال السهيلي : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس . قال وقيل إنه أراشي وقيل بلوى . وهذا لم ينسبه ابن اسحاق ولا ابن هشام . قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضرب من النبت ، والمقصود أن هؤلاء الاثني عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسول الله (ص) ، فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الاولى . وروى أبو نعيم أن رسول الله (ص) أقرأ عليه من قوله في سورة ابراهيم (وإذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) الى آخرها . وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله البرقي عن عبد الرحمن ابن عسيلة الصنابحي عن عبادة - وهو ابن الصامت - قال : كنت ممن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلا : فبايعنا رسول الله (ص) على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف ، فان وفيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمرکم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر . وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب به نحوه .

قال ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني أن عبادة بن الصامت حدثه . قال : بايعنا رسول الله (ص) : لیسلة العقبة الأولى أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف ، فان

وفيتهم فلکم الجنة، وإن غشيتهم من ذلك شيئاً فأخذتهم بحمد في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهري به نحوه. وقوله على بيعة النساء — يعني وفق على ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام المدينة — وكان هذا بما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في سيرته وفي التفسير، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير متلو فهو أظهر والله أعلم.

قال ابن اسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله (ص) معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويقيمهم في الدين. وقد روى البيهقي عن ابن اسحاق قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (ص) إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه اليهم، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى.

قال البيهقي: وسياق ابن اسحاق أنهم وقال ابن اسحاق: فكان عبد الله بن أبي بكر يتركهم لا أدري ما العقبة الأولى. ثم يقول ابن اسحاق: بلى لعمرى قد كانت عقبة وعقبة. قالوا كلهم: فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرئ، قال ابن اسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمهم بعض رضى الله عنهم أجمعين.

قال ابن اسحاق: وحدثني محمد بن أبي أمية بن سهل بن حنيف عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الاذان بها صلى على أبي أمية أسعد بن زرارة. قال فكثرت حيناً على ذلك لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له. قال فقلت في نفسي والله إن هذا لي لعجز، ألا أسأله؟ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الاذان للجمعة صليت على أبي أمية؟ فقال أي بني كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبيت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضات^(١) قال قلت وكم أنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً. وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن اسحاق رحمه الله. وقد روى الدارقطني عن ابن عباس أن رسلاً الله (ص): كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بأقامة الجمعة، وفي اسناده غرابة والله أعلم.

(١) كذا الاصل: وفي ابن هشام: بقيع بالنون. وأورده السهيلي بالباء والنون وذكر فيه

روايات مختلفة.

قال ابن اسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة قد دخل به حائطا من حوائط بني ظفر على أثر يقال له بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومه من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأسيد لا أبالك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانهما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما . قال فاخذ أسيد بن حضير حر بته ثم أقبل اليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكله . قال فوقف عليهما متشبا فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بانفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة . فقال له غلام : أتيتنا في دارنا بهذا الرعيد الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوا اليه قال ابن اسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرأ قبلكه ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال أنصفت ، قال ثم ركز حر بته وجلس اليهما فكلما مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشرافه وتسفله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قال له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن . سعد بن معاذ . ثم أخذ حر بته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في نادبهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا . قال . أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بنير الوجه الذي ذهب به من عندهم ، فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت ؟ قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا . وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالك ليحقروك ، قال فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادرا مخوفا للذي ذكر له من بني حارثة وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا . ثم خرج اليهما سعد فلما رآها مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشبا ثم قال لاسعد بن زرارة : والله يا أبا أمانة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أتفشاننا في دارنا بما نكره ؟ قال وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سعد من دوائه قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . قال فقال

له مصعب : أو تقعد فتسمع فان رضيت أمراً رغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن . وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسبله ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا تفتسل فتطهر وتطهر نوبك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال فقام فاغتسل وطهر نوبه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حر بته فاقبل عائداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نلحف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً وأميننا تقيية : قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة ، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى لم تبقى دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس وهم من الاوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الاسلت واسمه صيفي . وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وقيل عبيد الله واسم أبيه الاسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس . وكذا نسبه الكلبي أيضاً . وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الاسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الاسلت هذا ذكر له ابن اسحاق أشعاراً بائنة حسنة تقرب من أشعار أمية بن الصلت الثقفي .

قال ابن اسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحى من الاوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود . فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الاسلت أخو بني واقف . قال السهيلي : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى ابن النجار ، قال وهو الذي أنزل فيه وفي عمر (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) الآية . قال ابن اسحاق : وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهراً . كانت تحته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي وكان يقيم عندهم السنين بأمراته . قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيدته ويأمرهم بالكف

عن رسول الله (ص):

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ
رَسُولَ أَمْرِي قَدْرَاعَهُ ذَاتُ بَيْنِكُمْ
وَقَدْ كَانَ عِنْدِي لِلْهُمُومِ مَعْرَسٌ
نَبِّئْتُكُمْ شَرْجِينَ، كُلُّ قَبِيلَةٍ
أَعْيَذُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ صُنْعِكُمْ
وَإِظْهَارِ أَخْلَاقٍ وَنَجْوَى سَقِيمَةٍ
فَذَكَّرْهُمْ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
وَقُلْ لَهُمْ وَاللَّهُ يَحْكُمُ حُكْمَهُ
مَتَى تَبْعُثُوهَا تَبْعُثُوهَا ذَمِيمَةٍ
تَقْطَعُ أَرْحَامًا وَتُهْلِكُ أُمَّةً
وَتَسْتَبْدِلُوا بِالْأَتْخُمَةِ بِمَدَّهَا
وَبِالْمَسْكِ وَالْكَافُورِ غَيْرَ سَوَابِنَا
فَايَاكُمْ وَالْحَرْبَ لَا تَغْلِقْكُمْ
تَزِينُ لِلْأَقْوَامِ نَمَّ يَرُودُهَا
تَحْرَقُ لَا تَشْوَى ضَعِيفًا وَتَنْتَحِي
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ
وَكَمْ ذَا أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مَسْرُومٍ
عَظِيمٍ رَمَادِ النَّارِ يُحْمَدُ أَمْرُهُ
وَمَاءُ هَرِيقٍ فِي الضَّلَالِ كَأَنَّمَا
يُخْبِرُكُمْ عَنْهَا أَمْرٌ حَقٌّ عَالِمٍ
فَبِيعُوا الْحَرَابَ مِلْحَارِبٍ وَادْكُرُوا
وَلِيَّ أَمْرِي فَاخْتَارَ دِينًا فَلَا يَكُنْ
أَقِيمُوا لِنَادِينَا خَنِيْفًا فَاتَّمُوا
وَأَنْتُمْ هَذَا النَّاسِ نَوْرٌ وَعِصْمَةٌ

مَغْلَقَةٌ عَنِّي لُؤْيٍ بِنَ غَالِبٍ
عَلَى النَّأْيِ مُحْزُونٌ بِذَلِكَ نَاصِبٌ
وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَتِي وَمَآرِبِي
لَمَّا أَزَلَّ مِنْ بَيْنِ مُذَكِّرٍ وَحَاطِبٍ (١)
وَشَرَّ تَبَاغِيكُمْ وَدَسَّ الْعَقَارِبِ
كُوخِزِ الْأَشَافِي وَقَعَهَا حَقٌّ صَائِبٌ
وَإِحْلَالِ إِحْرَامِ الظُّبَاءِ الشَّوَارِبِ
ذُرُوا الْحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمْ فِي الْمَرَاكِيبِ
هِيَ الْغَوْلُ لِلْأَقْصَيْنِ أَوْ لِلْأَقَارِبِ
وَتَبْرِي السَّيْفِ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ
شَلِيلًا وَأَصْدَاءً ثِيَابَ الْحَارِبِ
كَأَنَّ قَتِيرِيهَا عَيُونُ الْجَنَادِبِ
وَحَوْضًا وَخَيْمَ الْمَاءِ مُرَّةَ الْمَشَارِبِ
بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّتَتْ أُمَّ صَاحِبِ
ذَوِي الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحَتُوفِ الصَّوَائِبِ
فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبٍ حَاطِبِ
طَوِيلِ الْعَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ
وَذِي شَيْعَةٍ تَحْضِي كَرِيمِ الْمُضَارِبِ
أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
بِأَيَّامِهَا وَالْعِلْمِ عِلْمِ التَّجَارِبِ
حَسَابِكُمْ وَاللَّهُ خَيْرُ مُحَاسِبِ
عَلَيْكُمْ رَقِيبٌ غَيْرُ رَبِّ الثَّوَابِ
لَنَا غَايَةٌ قَدْ يُهْتَدَى بِالذَّوَابِ
تُؤْمُونَ وَالْإِحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

(١) قال السهيلي: نبيئتكم شرجين أي فريقين مختلفين، و [فيه] نبيئتكم [بالهمز] وقال إنّه لفظ مشكل، وقال فيه زحاف خرم وشرحها شرحاً حسناً.

وأنتم إذا ما حصل الناس جوهراً
تصونون أنساباً^(١) كراماً عتيقة
يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم
لقد علم الاقوام أن سراتكم
وأفضله رأياً وأعلاه سنة
فقوموا فصلوا ربكم ونمسحوا
فمنكم منه بلاء ومصدق
كتيبته بالسهل تمشي ورجله
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم
فولوا سراعاً هاربين ولم يؤث
فإن نهلكوا نهلك وتهلك مواضعهم
لكم سرّة البطحاء ثم الارانب
مهذبة الأنساب غير أشائب
عصائب هلكى تهدي بعصائب
على كل حال خير أهل الجباب^(٢)
وأقوله للحق وسط المواقب
بأركان هذا البيت بين الأخائب
غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
على القاذفات في رهوس المناقب
جنود الملك بين ساف وحاصب
إلى أهله ولحبش غير عصائب
يماش بها قول امرئ غير كاذب

وحرب داحس الذي ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة ، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره : أن فرساً يقال له داحس كانت لقيس بن زهير بن جذيمة ابن رواحة الغطفاني . أجراه مع فرس حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوبة الغطفاني أيضاً يقال لها الغبراء ، فجاءت داحس سابقاً فامر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حمل بن بدر فلطم مالكاً ، ثم إن أبا جنيد العبسي لقي عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله ، فشبت الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل ابن بدر وجهات آخرون ، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .

قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والخنفاء ، والاول أصح . قال وأما حرب حاطب بن الحارث بن قيس بن هينة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس . كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج اليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمز بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن قسح في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الاوسي ، قتله المجذر بن زياد حليف بني عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب (١) وفي ابن هشام : تصونون أجساداً كراماً عتيقة . (٢) قال السهيلي الجباب منازل منى ، وقيل حفر بها لدم البدن .

يطول ذكرها أيضا . والمقصود أن أبا قيس بن الاسلم مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الاسلام ، فاسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أى محلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بنى واقف قبيلة أبي قيس ثبطهم عن الاسلام وهو القائل أيضا :

أرب الناس أشياء ألت يلف الصعب منها بالذل
أرب الناس إنا أن ضلنا فسترنا لمروفر السبيل
فلولا ربنا كنا يهوداً وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا حنيفاً ديننا عن كل جيل
نسوق الهدي ترسف مدعيات مكشفة المناكب في الجلول

وحاصل ما يقول أنه جأرفها وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله . فتوقف الواقفي في ذلك مع علمه ومعرفته . وكان الذي ثبطه عن الاسلام أولا عبدالله بن أبي بن سلول بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر يهود فنعاه عن الاسلام .

قال ابن اسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج ، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدي . قال : كان عزم على الاسلام أول ما دعاه رسول الله .، فلامه عبد الله بن أبي خلف لا يسلم إلى حول فمات في ذي القعدة . وقد ذكر غيره فيها حكاية ابن الاثير في كتابه [اسد] الغابة ، أنه لما حضره الموت دعاه النبي .، إلى الاسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله . وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله .، عاد رجلاً من الانصار ، فقال « يا خال قل لا إله إلا الله » فقال : أخال أم عم ؟ قال بل خال قال : فخبرني أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله .، نعم ! تفرد به احمد رحمه الله وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم ، فسألت رسول الله .، في ذلك فأنزل الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) الآية .

وقال ابن اسحاق وسعيد بن يحيى الاموي في مغازيه : كان أبو قيس هذا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الاوثان ، واعتزل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتاً له فأتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب . وقال : أعبد إله ابراهيم حين فارق الاوثان وكرها ، حتى قدم رسول الله .، فاسلم فحسن اسلامه ، وكان شيخنا كبيراً وكان قوالاً بالحق معظماً لله في جاهليته يقول في ذلك أشعاراً حسناً وهو الذي يقول :

يقول أبو قيس وأصبح عادياً فأوصيكم بالله والبر والتقى وإن قومكم سادوا فلا تحسبنهم وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم وإن ناب غرم فادح فارقوهم وإن أنتم أمعزتم فتمفقوا وقال أبو قيس أيضاً :

سبّحوا الله شرق كل صباح
عالم السر والبيان جميعاً
وله الطير تستزيد وتأوي
وله الوحش بالفلاة تراها
وله هودت يهود ودانت
وله شمس النصارى وقاموا
وله الراهب الحبس تراه
يا بني الارحام لا تقطعوها
واتقوا الله في ضعاف الشامي
واعلموا أن لليتيم ولياً
ثم مال اليتيم لا تأكلوه
يا بني النخوم لا تجزّلوها
يا بني الأيام لا تأمنوها
واعلموا أن أمرها لنفاد
واجمعوا أمركم على البر والتقى

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضاً يذكر ما أكرههم الله به من الاسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم .

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً موالياً
وسياتى ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن اسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خراج من الانصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ . العقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله . فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الانصار - حدثه أن أباه كعباً حدثه - وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها - قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقمنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟ قلنا وما ذاك ؟ قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها قال فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه . فقال : إني لمصل إليها ، قال فقلنا له لكننا لا نفعل . قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلي هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة . قال لي يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ ، حتى أسأله عما صنعت في سفرى هذا فإنه قد وقع في نفسى منه شيء . لما رأيت من خلافكم إياي فيه . قال فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ - وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ ، قال هل تعرفانه ؟ قلنا لا ، فقال هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال قلنا نعم ! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ، قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله ﷺ : للعباس : « هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ » قال نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومنا وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ : الشاعر ؟ قال نعم ! فقد له البراء بن معرور : يا نبي الله إني خرجت في سفرى هذا قد هداني الله تعالى للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسى من ذلك شيء فإذا ترى ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام ، قال وأهل يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحجة وواعدنا رسول الله ﷺ . العقبة من أواسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحجة وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ فيها ومعنا عبد الله بن عمرو

ابن حرام أبو جابر سسيد من سادتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن نكون حطباً للنار غداً ، ثم دعونا إلى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله (ص) ، إيانا العقبة قال فاسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا .

وقد روى البخارى حدثني ابراهيم حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال عطاء قال جابر : أنا وأبي وخالي من أصحاب العقبة . قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة : أحدهم البراء بن معرور . حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان قال كان عمرو يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بي خلاى العقبة .

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن جثيم عن أبي الزبير عن جابر . قال مكث رسول الله (ص) بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم ، عكاظ وبجدة ، وفي المواسم يقول « من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال فيه - فيأتيه قومه وذوورحهم فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمضى بين رحلهم وهم يشيرون اليه بالاصابع حتى بعثنا الله اليه من يثرب فأويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون باسلامه حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام ، ثم اتهموا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله (ص) يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافقنا فقلنا يا رسول الله علام نبأيتك ؟ قال « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة » فقمنا اليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي - وهو أصغر السبعين - إلا أنا ، فقال رويداً يا أهل يثرب فاما لم نضرب اليه أكناد الابل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن اخرجنا اليوم مناواة للعرب كافة وقتل خياركم وتمصم السيوف . فاما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه . فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله . قالوا أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلها أبداً . قال فقمنا اليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة . وقد رواه الامام احمد أيضا والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن المطار - زاد البيهقي عن الحاكم - بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما

عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه . وهذا اسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر . قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله - . . . ورسول الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله - « أخذت وأعطيت » وقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان - هو الثوري - عن جابر - يعني الجعفي - عن داود - وهو ابن أبي هند - عن الشعبي عن جابر - يعني ابن عبد الله - قال قال رسول الله - : « لتلقين من الانصار : « تؤوونني وتمنعوني ؟ » قالوا نعم قالوا فما لنا ؟ قال « الجنة » ثم قال : لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد عن جابر ، ثم قال ابن اسحاق عن معمر عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك . قال فتمننا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله - . . . لتسبل تسبل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، واسماء ابنة عمرو بن عدي بن نافي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع . وقد صرح ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه بأسانهم وأنسابهم وما ورد في بعض الاحاديث أنهم كانوا سبعين : والعرب كثيراً ما تحذف الكسر ، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة ، قال منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم قال وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله . قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا في الشعب تنتظر رسول الله - . . . حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق به ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج - . . . قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزة من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللاحق بكم ، فإن كنتم ترون أنفسكم وافون له بما دعوتوه اليه وما تعود ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنفسكم مساهوه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده . قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله نخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، قال فتكلم رسول الله - . . . فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الاسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » قال فاخذ البراء بن معمر بيده [و] قال نعم ! فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما تمنع منه أزرتنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الخروب ورتناها كابراً عن كابر . قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله - . . .

أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا فقال فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم . أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » قال كعب وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أخرجوا إلى منكم اثني عشر قبيلاً يكونون على قومهم بما فيهم » فأخرجوا منهم اثني عشر قبيلاً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس .

قال ابن اسحاق : وهم أبواؤاامة أسعد بن زرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن أمية القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن أمية القيس [بن عمرو بن أمية القيس] ^(١) بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي ابن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ابن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج . فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الاوس ثلاثة وهم ، أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن أمية القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن أمية القيس بن مالك بن الاوس ، ورافعة بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعه هذا ، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن اسحاق . واختاره السهيلي وابن الاثير في الغابة . ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الانصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة - ليلة العقبة الثانية - حين قال :

أبلغ أيتها أنه قال رأيته وحان غداة الشعب والحين واقع
أبي الله ما منتك نفسك إنه بمصادر أمر الناس رأي وسامع

(١) ما بين المربعين زيادة من ابن هشام . وفي الاصابة : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن أمية القيس بن عمرو بن أمية القيس الاغر بن ثعلبة الخ نقل عن محمود الامام .

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدلنا
 فلا ترغب في حشد أمر تريده
 ودونك فاعلم أن نقض عهدنا
 أباه البراء وابن عمرو كلاهما
 وسعد أباه الساعدي ومنذر
 وما ابن ربيع إن تناولت عهده
 وأيضاً فلا يعطيك ابن ربيعة
 وفاء به، والقولي بن صامت
 أبو هيثم أيضاً وفي مثلها
 وما ابن حضير إن أردت بمطيع
 وسعد أخو عمرو بن عوف فانه
 أولاك نجوم لا يغبك منهم
 بأحد نور من هدى الله ساطع
 وألّ وجمع كل ما أنت جامع
 أباه عليك الرهط حين تباعوا
 وأسعد أباه عليك ورافع
 لأنفك إن حاولت ذلك جادع
 بمسلم لا يطمئن ثم طامع
 وإخفاره من دونه السم نافع
 بمندوحة غما تحاول يافع
 وفاء بما أعطى من العهد خانع
 فهل أنت عن أحوقه الغي نازع
 ضروح لما حاولت ملأمر مانع
 عليك بنحس في دجى الليل طالع

قال ابن هشام : قد كرفيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذ كر رفاة .

قلت : وذكّر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة . وروى يعقوب بن سفيان
 عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك . قال : كان الانصار ليلة العقبة سبعون رجلاً ،
 وكان نقبائهم اثني عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس . وحدثني شيخ من الانصار أن
 جبرائيل كان يشير الى رسول الله (ص) ، إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد
 النقباء تلك الليلة . رواء البيهقي . وقال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله
 (ص) قال للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل
 على قومي » قالوا نعم ! وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله (ص) قال
 العباس بن عباد بن فضالة الانصاري أخو بني سالم بن عوف : يامعشر الخزرج هل تدرون علام
 يبايعون هذا الرجل ؟ قالوا نعم ! قال إنكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس ، فان كنتم
 ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي
 الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه اليه على نهكة الاموال وقتل الأشراف
 فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فاما نأخذ على مصيبة الاموال وقتل الأشراف فما
 لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال « الجنة » قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه . قال عاصم
 ابن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عمادة ذلك ليشد العقيد في أعناقهم وزعم عبد الله بن أبي

بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد
لخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، قاله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن اسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمية أسعد بن زاررة كان أول من ضرب على
بده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن اسحاق : وحدثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال :
فكان أول من ضرب على يد رسول الله (ص) البراء بن معرور ، ثم بايع القوم . وقال ابن الأثير في
[اسد] الغابة : وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتشد كعب بن مالك . وقد ثبت في صحيح البخاري
ومسلم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك في
حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدت مع رسول الله (ص) ليلة العقبة حين تواثقت
على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدرًا كثير في الناس منها . وقال البيهقي
أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا أبو نعيم
حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : انطلق رسول الله (ص) مع العباس عمه إلى
السبعين من الانصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فان
عليكم من المشركين عينا ، وإن يعلوها بكم يفضحوك » فقال قائلهم - وهو أبو أمية - سل يا محمد
لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت . ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا
فعلنا ذلك . قال : « أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن
تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم » قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال « لكم الجنة »
قالوا فلك ذلك . ثم رواه حنبل عن الامام احمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي عن أبي
مسعود الانصاري فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم . وقال احمد عن يحيى عن اسماعيل بن أبي
خالد عن الشعبي قال : فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها . وقال البيهقي أخبرنا أبو طاهر محمد بن
محمد بن محمد بن محمش أخبرنا محمد بن ابراهيم بن الفضل الفحام أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي أخبرنا
عمرو بن عثمان الرقي حدثنا زهير ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن اسماعيل بن عبيد الله بن رفاعه
عن أبيه قال : قدمت روابيا خرا ، فاتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله (ص)
على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن ننصر رسول الله (ص) إذا قدم
علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة . فهذه بيعة رسول الله (ص) التي بايعناه
عليها ، وهذا اسناد جيد قوى ولم يخرجوه . وقد روى يونس عن ابن اسحاق حدثني عبادة بن

الوليد بن عباد بن الصامت عن أبيه عن جده عباد بن الصامت . قال : يايعنا رسول الله ص .
بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا تنازع
الامر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم .

قال ابن اسحاق في حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال :
فلما يايعنا رسول الله ص . صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط ؟ يا أهل الجبابج
- والجبابج المنازل - هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله
ص . : « هذا أرب العقبة ، هذا ابن أربب » . قال ابن هشام : ويقال ابن أربب . « أسمع
أى عدو الله ؟ أما والله لا تفرغنك . ثم قال رسول الله ص . : « ارفضوا إلى رحاكم » قال فقال
العباس بن عباد بن فضالة : يارسول الله والذي لعنك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيا فإنا
قال فقال رسول الله ص . : « لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحاكم » . قال فرجعنا إلى
مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا :
يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بيتن أظهرنا وتبايعونه
على حربنا . وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم
قال فأنبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون ما كان من هذا شئ وما علمناه ، قال وصدقوا لم
يعلموا ، قال وبعضنا ينظر إلى بعض . قال ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي
وعليه نملان له جديدان ، قل فقلت له كلمة - كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - يا أبا جابر
أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال فسمعنا الحارث
نخلمهما من رجله ثم رمى بهما إلى . قال والله لتنتعلنهما ، قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى
فاردد إليه نعليه . قال قلت والله لا أردهما ، قال والله صالح ، لئن صدق الفأل لاسلبنه .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل
ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا الامر جسيم ما كان قومى ليتفرقوا ^(١) على مثل هذا وما علمته
كان . قال فأنصرفوا عنه . قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان ، فخرجوا في
طلب القوم فادرخوا سعد بن عباد باذاخر والمنذر بن عمرو وأخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج
وكلاهما كان تقيبا . فأما المنذر فاعجز القوم ، وأما سعد بن عباد فآخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج
رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجملته - وكان ذا شعر كثير - . قال سعد :

(١) كذا في الاصلين . وفي ابن هشام ليتفوتوا على . وقوله فتنطس . قال السهيلي : التنطس

تدقيق النظر .

فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضئ أبيض شعشاع حلوم من الرجال ،
 قتلت في نفسي إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا . فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة
 شديدة قتلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى
 لي رجل ممن معهم . قال : ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال قلت بلى
 والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي . وللحارث بن حرب بن
 أمية بن عبد شمس : فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما ، قال ففعلت
 وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن
 ليضرب بالابطح ليهتف بكما ، قالا ومن هو ؟ قال سعد بن عبادة . قالا : صدق والله إن كان لجبير
 لنا تجارتنا ومنعهم أن يظلموا ببلاده ، قال فجاء نخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذي لكم
 سعداً سهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذي أوى له أبو البختري بن هشام . وروى البيهقي
 بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير قال سمعت قريشاً قائلين يقول في الليل على أبي قبيس :

فإن يسلم السعدان يصبح محمدٌ بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ فلما كانت الليلة
 الثانية سمعوا قائلين يقول :

أيأسعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ويأسعد سعد الخزرجين الفطارف

أجيباً إلى داعي الهدى وتمنياً على الله في الفردوس منية عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات رعارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

فصل في أخبار بني النضير

قال ابن اسحاق : فلما رجع الانصار الذين بايعوا رسول الله (ص) ليلة العقبة الثانية إلى المدينة
 أظهروا الاسلام بها . وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجموح بن
 زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان
 عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة وأشرفهم ، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له
 مناة كما كانت الاشراف يصنعون بتخذة إلهة يعظمه ويظهره ، فلما أسلم فتيان بني سلمة ، ابنه
 معاذ ، ومعاذ بن جبل كاتوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني
 سلمة وفيها عنز الناس منكساً على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على إلهنا هذه

الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطرهه ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيتك . فإذا أمسى ونام عمرو وعمدوا عليه ففعلوا مثل ذلك ، فيغدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطيبه ويطهره ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكنزوا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطرهه وطيبه . ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، هذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عمدوا عليه فاخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم القوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجوح فلم يجد في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكرك صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف للملئك إلهاً مستدين الآن فتشاك عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرثين

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية

ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

فمن الأوس أحد عشر رجلاً ؛ أسيد بن حضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان بدرى أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وقش بدرى ، وظهير بن رافع ، وأبو بردة بن دينار بدرى ، ونهير بن الهيثم بن نابت بن مجدة بن حارثة ، وسعد بن خيثمة أحد النقباء بدرى وقتل بها شهيداً ، ورفاعة ابن عبد المنذر بن زهير نقيب بدرى ، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدي بن الجند بن عجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوى حليف للأوس شهد بدرًا وما بعدها وقتل بالهامة شهيداً ، وعويم بن ساعدة شهد بدرًا وما بعدها . ومن الخزرج اثنان وستون رجلاً ؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدرًا وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ، ومعاذ بن الحارث وأخوه عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدريون ، وعمارة بن حزم شهد بدرًا وما بعدها وقتل بالهامة ، وأسعد بن زرارة أبو أمانة أحد النقباء مات قبل بدر ، وسهل بن عتيك بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل بدرى ، وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على

الساقية يوم بدر، وعمرو بن غزية، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وخارجة ابن زيد شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وعبد الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدرًا. وأحد والخندق، وقتل يوم مؤتة أميرا، وبشير بن سعد بدرى، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أرى النداء وهو بدرى، وخلاد بن سويد بدرى إحدى خندقى وقتل يوم بنى قريظة شهيداً طرحت عليه رحي فشدخته فيقال إن رسول الله (ص) قال: «إن له لأجر شهيدين» وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى قال ابن اسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سناً ولم يشهد بدرًا، وزباد بن لبيد بدرى، وفروة بن عمرو بن ودقة، وخالد بن قيس بن مالك بدرى، ورافع بن مالك أحد النقباء، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخسل بن عامر بن زريق، وهو الذى يقال له مهاجرى أنصارى لأنه أقام عند رسول الله (ص) بمكة حتى هاجر منها وهو بدرى وقتل يوم أحد، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد ابن عامر بن زريق بدرى، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضاً، والبراء بن معرور أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبي (ص)، المدينة وأوصى له بثلاث ماله فردّه رسول الله (ص)، على ورثته، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومات بخير شهيداً من أكله مع رسول الله (ص)، من تلك الشاة المسمومة رضى الله عنه، وسنان بن صفى بن صخر بدرى، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدرى، وقتل يوم الخندق، وممقل بن المنذر بن سرج بدرى، وأخوه يزيد بن المنذر بدرى، ومسعود بن زيد بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى، ويزيد بن خدام بن سبيع، وجبار بن طاهر [بن أمية] بن خنساء بن سنان بن عبيد بدرى، والطفيل بن مالك بن خنساء بدرى، وكعب بن مالك، وسليم بن عامر بن حديدة بدرى وقطبة بن عامر بن حديدة بدرى، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضاً، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى، وصيفى بن سواد بن عباد، وثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابت بدرى واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدى، وعبس بن عامر بن عدى بدرى، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابت، وعبد الله بن أنيس حليف لم من قضاة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدرى واستشهد يوم أحد، وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجوح بدرى وثابت بن الجذع بدرى وقتل شهيداً بالطائف، وعمر بن الحارث بن ثعلبة بدرى، وخديج بن سلامة حليف لم من بلى، ومعاذ بن جبل شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون عمواس فى خلافة عمر بن الخطاب، وعبادة ابن الصامت أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها، والعباس بن عبادة بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضاً وقتل يوم أحد شهيداً، وأبو عبد الرحمن يزيد ابن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم حليف لم من بلى، وعمرو بن الحارث بن كندة، ورفاعة بن عمرو بن

زيد بدرى ، وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لم بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فاقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وسعد بن عباد بن دليم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدرى احدى وقتل يوم بئر معونة أميرا وهو الذى يقال له أعتق لموت ، وأما المراتان فام عمارة نسيبة يفت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية . قال ابن اسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ : وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها خبيب وعبد الله ، وابنها خبيب هذا هو الذى قتله مسيلة الكذاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يديه لا يزيد على ذلك ، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلة ورجعت وبها اثني عشر جرحا من بين طعنة وضربة رضى الله عنها ، والاخرى أم ضبيع أسماء ابنة عمرو بن عدى بن قابى بن عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة رضى الله عنها .

باب

الهجرة من مكة الى المدينة

قال الزهرى عن عروة عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين : « قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبعة ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين . رواه البخارى . وقال أبو موسى عن النبي ﷺ : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر ، فاذا هى المدينة يثرب » وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع آخر بطوله . ورواه مسلم كلاهما عن أبى كريب زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبى أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى عن النبي ﷺ : الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرو حدثنا إبراهيم بن هلال حدثنا على بن الحسن بن شقيق حدثنا عيسى بن عبيد الكندى عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبي ﷺ قال : « إن الله أوحى إلى أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فى دار هجرتك ، المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة اليها .

هذا حديث غريب جداً وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامع منفرداً به عن أبى عمار
الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامرى عن
أبى زرعة بن عمر بن جرير عن جرير . قال قال رسول الله (ص) : « إن الله أوحى إلى أى هؤلاء
الثلاثة نزلت فى دار هجرتك ، المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا
من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات إلا أنه قال : روى عن
أبى زرعة حديثاً منكراً فى الهجرة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله
على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الآية . فلما أذن الله
فى الحرب وتابعه هذا الحى من الانصار على الاسلام والنصرة له ، ولبن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين .
أمر رسول الله (ص) أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة
والهجرة إليها والالحاق بأخوانهم من الانصار وقال : « إن الله قد جعل لكم أخواناً وداراً تأمنون
بها » فخرجوا إليها أرسالاً وأقام رسول الله (ص) بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة
والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين
من قريش من بنى مخزوم ، أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها
ثم بلغه أن بالمدينة لهم أخواناً فعزم إليها .

قال ابن اسحاق : فحدثني أبى عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة عن جدته أم سلمة
قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة بن
أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بي بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا هذه نفسك
غلبتنا عليها ، أرايت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت فتزعوا خطام البعير من
يده وأخذوني منه ، قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبى سلمة وقالوا والله لا نترك ابنتنا
عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو
عبد الاسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت ففرق بيني وبين
ابني وبين زوجي . قالت فكنت أخرج كل غداة فاجلس فى الابطح فما أزال أبكى حتى أمسى
- سنة أو قريباً منها - حتى مر بي رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بي فرحنى ، فقال لبنى
المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكنة ؟ فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت فقالوا لى الحق

برزجك إن شئت . قالت فرد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني ، قالت فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعت في حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، قالت وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بنى عبد الدار فقال الى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت أريد زوجى بالمدينة ، قال أو ما مملك أحد ؟ قلت ما معى أحد إلا الله وبنى هذا ، فقال والله مالك من مترك فآخذ بخطام البعير فأنطلق معى يهوى بى فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر بعيرى فخط عنه ثم قيدته في الشجر ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الروح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال اركبى فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فآخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة فلما نظر إلى قرية بنى عمرو ابن عوف بقاء قال : زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخلها على بركة الله . ثم انصرف راجعا إلى مكة ، فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة السدري هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالده بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وأخوته ، الحارث وکلاب ومسانع ، وعمه عثمان بن أبي طلحة . ودفع اليه رسول الله (ص) يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة «الك بنى شيبة مفاتيح الكعبة أقرها عليهم في الاسلام كما كانت في الجاهلية ، ونزل في ذلك قوله تعالى (إن الله يأمرکم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) الآية .

قال ابن اسحاق . ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى حدى ، معه امرأته لیلی بنت أبي حشمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه حليف بنى أمية بن عبد شمس احتل بأهله وأخيه عبد أبي احمد ، اسمه عبد كما ذكره ابن اسحاق وقيل ثمامة . قال السهيلي : والاول أصح . وكان أبو احمد رجلاً ضربه البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . فنقلت عامر بنى جحش هجرة ، فربها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وممسكون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يبأها ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك لعن الصعداء وقال :

وكل دار وإن طالت سلامتها يوماً ستدرکها النكباء والحوب

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دودان الأيادي في قصيدة له . قال السهيلي : واسم أبي دودان

حنظلة بن شريق وقيل حارثة . ثم قال عتبة : أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من فل بن فل ^(١) ثم قال - يعني للعباس - هذا من عمل ابن أخيك ، هذا فرق جماعتنا ، وشقت أمرنا ، وقطع بيننا .

قال ابن اسحاق : فقتل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقاء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون ارسالا قال وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونسائهم وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو احمد ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأربد بن حميرة ^(٢) ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن فضلة ، وزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو وربيعة بن أكرم . والزبير بن عبيدة ، وتام بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحملة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت نعيم . قال أبو احمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأني أم أحمد غادياً بذمت من أخشى بغيب وأرهَب
تقول لما كنت لا بد فاعلاً فيتم بنا البلدان ولنأ يثرب
قللت لما ما يثرب بمظنة ^(٣) وما يشأ الرحمن فالبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يُقيم إلى الله يوماً وجهه لا يُجيب
فكم قد تركنا من جميع مناصح وما صحق تبكي بدمع وتندب
تري أن وترأ نائياً عن بلادنا ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم رلقن دمانهم وللحق لما لاح للناس ملجب
أجابوا بحمد الله لما دعاهم إلى الحق داع والنجاح فأرعبوا
وكننا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين إما منهم فوق على الحق مهدي وفوج معذب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم عن الحق ابليس نخابوا وخبيروا
ورعنا إلى قول النبي محمدٍ فطالب ولأه الحق منا وطيبوا

(١) قال ابن هشام : الفل الواحد . واستشهد بييت لبيد بن ربيعة :

كل بني حرة مصيرهم فل وإن أكثر من العدد

(٢) قال ابن هشام : ويقال ابن حميرة . (٣) في ابن هشام : قللت لما بل يثرب اليوم وجهنا .

نَمَتْ بِأَرْحَامِ الْبِهِمْ قَرِيبَةٍ وَلَا قُرْبَ بِالْأَرْحَامِ إِذَا لَا تَقْرُبُ
فَأَيُّ ابْنِ أُخْتٍ بَعْدَنَا يَا مَتَنَكُمُ وَأَيَّةَ صَهْرٍ بَعْدَ صَهْرِي يَرْقُبُ
سَتَعْلَمُ يَوْمًا أَيُّنَا إِذَا تَزَايَلُوا وَزَيْلُ أَمْرِ النَّاسِ لِلْحَقِّ أَصُوبُ

قال ابن اسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة . فحدثني
أفع عن عبد الله بن عمر عن أبيه . قال : اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي
ربيعة وهشام بن العاص ، التناضب من إضاعة بني غفار فوق سرف ، وقلنا أينما لم يصبح عندها فقد
حبس فليمض صاحباه ، قال فاصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وقتن فافتتن ، فلما
قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى
عياش . وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما . حتى قدما المدينة ورسول الله (ص) بمكة ، فكلما وقلا
له إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق
لما قللت له إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل
لامشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال فقال : أيرقسم أمي ولي هنالك مال فأخذه
قال قلت والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قریش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال فابي
على إلا أن يخرج معهما ، فلما أبي إلا ذلك قلت أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فانها ناقة
نجبية ذلول فالزم ظهرها ، فان رابك من أمر القوم ريب فانج عليها . فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا
ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه
قال بلى . فاناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ، ثم دخلا به
مكة وفتناه فافتتن . قال عمر : فكنا نقول لا يقبل الله من افتنن توبة . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم
حتى قدم رسول الله (ص) المدينة وأنزل الله (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن
يأتكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتكم العذاب
بغثة وأنتم لا تشعرون) قال عمر : وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما أتتني
جعلت أقرأها بذى طوى أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فألقى الله في قلبي
أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا ، قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه
فلحقت برسول الله (ص) بالمدينة . وذكر ابن هشام أن الذي قدم بهشام بن العاص ، وعياش
ابن أبي ربيعة إلى المدينة ، الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش
معهما ، ففتر قدميت أصعبه فقال :

هل أنت إلا أصبغ دُميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبه أنبأنا أبو اسحاق سمع البراء . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عمار و بلال . وحدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفرًا من أصحاب النبي (س) . ثم قدم النبي (س) . فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله (س) . حتى جعل الاماء يقلن : قدم رسول الله (س) . : فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من الفصل . ورواه مسلم في صحيحه من حديث اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء ابن عازب بنحوه وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله (س) . المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله (س) . والصواب ما تقدم .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد ابن الخطاب وعمر وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى حليفان لهم من بني عجل وبنو البكير إياس وخالد وعافل وعامر وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعه بن عبد المنذر بن زهير في بني عمرو بن عوف بقاء .

قال ابن اسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن إسماعيل بن بلحارث بن الخزرج بالسنع . ويقال بل نزل طلحة على أسعد ابن زرارة .

قال ابن هشام : وذكري عن أبي عثمان النهدي أنه قال بلغني أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صلوكا حقيرا فكثرت مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرايتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلي ؟ قالوا نعم ! قال فاني قد جعلت لكم مالى . فبلغ ذلك رسول الله (س) . فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب » وقد قال البيهقي : حدثنا الحافظ أبو عبد الله - إملاء - أخبرنا أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أخبرنا عبدان الاهوازي حدثنا زيد بن الجريش حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا حصين بن حذيفة بن صفي بن صهيب حدثني أبي وعمومتى عن سعيد بن المسيب عن صهيب . قال قال رسول الله (س) : « أريت دار هجرتكم بسبخة بين ظهرائي حرتين ، فاما أن تكون هجر أو تكون يثرب » قال وخرج رسول الله (س) . إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت

قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا قد شغلنا الله عنكم بيظنه - ولم أكن شاكيا - فناموا . فخرجت ولحقني منهم فاس بعد ما سرت يريدوا ليردوني فقلت لهم إن أعطيتكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لى ففعلوا فتبعتمهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان بها أواقى ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين . وخرجت حتى قدمت على رسول الله (ص) ، بقاء قبل أن يتحول منها ، فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت يا رسول الله ما سبقنى اليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن اسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كنان بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفاه حمزة ، وأنسة وأبو كبشة مولى رسول الله (ص) ، على كلثوم بن المذمم أخى بنى عمرو بن عوف بقاء ، وقيل على سعد بن خيشمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارته والله أعلم . قال ونزل عبيدة بن الحارث وأخوه الطفيل وحصين ومسطح بن أنانة وسويبط بن سعد ابن حريملة أخو بنى عبد الدار وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخى بلعجلان بقاء ^(١) ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بنى جحجج ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولا على سلمة . قال ابن اسحاق وقال الاموى على خبيب بن اساف أخى بنى حارثة ، ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش فى بنى عبد الاشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار . قال ابن اسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيشمة وذلك أنه كان عزبا والله أعلم أى ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى احمد بن أبى بكر بن الحارث بن زرارته بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه . قال : قدمنا مكة فقتلنا العصبة ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة . فكان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة لانه كان أكثرهم قرآنا .

فَضْرُوءُ النَّبِيِّ

فى سبب هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة

قال الله تعالى (وقل ربى أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك

(١) كذا بالأصلين ، وفى ابن هشام : على عبد الله أخى بلعجلان بن الحارث بن النضر بن الخزرج

سلطاناً نصيراً) أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء [و] أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً ، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الانصار والاحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال احمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان ^(١) عن أبيه عن ابن عباس : كان رسول الله (س) بمكة ، فأمر بالهجرة وأنزل عليه (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) وقال قتادة (أدخلني مدخل صدق) المدينة (وأخرجني مخرج صدق) الهجرة من مكة (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) كتبه الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن اسحاق : وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أوفتن ، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله (س) في الهجرة فيقول له « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » فيقطع أبو بكر أن يكونه . فلما رأت قريش أن رسول الله (س) قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلام ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله (س) اليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها يتشاورون فيها يصنعون في أمر رسول الله (س) حين خافوه . قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس . وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس . قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله (س) غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ جليل عليه بقة ^(٢) فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم لسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصيحاً . قالوا أجل فادخل ، فدخل معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش عتبة وشيبة وأبو سفيان وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم بن عدى والحارث بن عامر بن نوفل والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج

(١) كذا في المصرية وفي الحلبية : جبر عن قابوس بن أبي طهمان .

(٢) كذا في سيرة ابن هشام ، وفي ح : غيبة (وعلها عليه) تب له ، وفي المصرية : عليه ثب

له وكل ذلك تصحيف .

وأمية بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجتمعوا فيه رأيا ، قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم - قيل إنه أبو البختري بن هشام - احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والناطقة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم : فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى . فتشاوروا ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أملككم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أدبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتي شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتي منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا . فرضوا منا بالعقل فقتلناه لهم ، قال يقول الشيخ النجدي : القول ما قاله الرجل هذا الرأي ولا رأى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم في مؤن له . فأتى جبرائيل رسول الله (ص) فقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت نبيت عليه . قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله (ص) مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : «نم على فراشي وتسبح ببردى هذا الحضرمي الأخضر ، قم فيه فانته لن يخلص اليك شيء تسكره منهم » وكان رسول الله (ص) ينام في برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابن اسحاق قد رواها الواقدي بأسانيد عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال - وهم على بابه - إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الاردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح

ثم بعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها . قال فخرج رسول الله (ص) ، فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك أنت أحدم » وأخذ الله على أبصارهم غيبه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم) الى قوله (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه تراباً ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا محمداً ، فقال خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً الا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ! أفما ترون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله (ص) ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد فأتاه عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا .

قال ابن اسحاق : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى [وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين] وقوله (أم يقولون شاعر نتر بص به ريب المنون قل تر بصوا فاني معكم من المتربصين) قال ابن اسحاق فاذن الله لنبيه (ص) عند ذلك بالهجرة .

باب

هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة من مكة الى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أول التاريخ الاسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العمريّة كما بيناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين . قال البخاري حدثنا مطر بن الفضل ثنا روح ثنا هشام ثنا عكرمة عن ابن عباس . قال : بعث النبي (ص) لأربعين سنة ، فكث فيها ثلاث عشرة يوحى اليه ، ثم مر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقد كانت هجرته عليه السلام شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ونبي يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله (ص) في الهجرة فقال له : لا تعجل بل الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسول الله (ص) إنما يعنى نفسه ، فابتاع راحلتين بهما في داره يملفهما اعداداً لذلك . قال الواقدي : اشتراهما بثمانمائة درهم .

قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أنهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله (ص) أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله (ص) في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أنا رسول الله (ص) بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله (ص) في هذه الساعة إلا لأمر حدث ! قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله (ص) وليس عند رسول الله (ص) (١) أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله (ص) : « أخرج عني من عندك » قال : يا رسول الله إنما ابفتأي ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟ قال : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » قالت فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟ قال : « الصحبة » قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي . ثم قال : يا نبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعدتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقم قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن أريقط . رجلا من بني الدئل بن بكر ، وكانت أمه من بني سهم بن عمرو ، وكان مشركا يدلها على الطريق ودفعها إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاها لميما دنها قال ابن اسحاق : ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله (ص) أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر ، أما علي فان رسول الله (ص) أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله (ص) وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته . قال ابن اسحاق : فلما أجمع رسول الله (ص) [الخروج] أتى بأبي بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لآبي بكر في ظهر بيته . وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق . قال : بلغني أن رسول الله (ص) لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً ، اللهم أعني على هول الدنيا ، وبناتق الدهر ، ومصائب الليالي والأيام . اللهم اصحبني في سفرى . واخلفني في أهلى ، وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللتى . وعلى صالح خلقى . قومنى ، واليك رب فجيبتى ، وإلى الناس فلا تكلفى ، رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض ، وكشفت به الظلمات ، وصلاح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تحل على غضبك ، وتنزل بي سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نعمتك ، وتحول عافيتك وجميع سخطك . لك العقبى عندي خير ما استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

(١) كذا بالأصلين ، والذي في ابن هشام وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي ، وهذا ما يقتضيه

سياق الكلام .

قال ابن اسحاق : ثم عمدا إلى غار ثور - جبل بأسفل مكة - فدخله ، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريهما عليهما إذا أمسى في الغار . فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله (ص) ، وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا . فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعني عليه . وسيأتي في سياق البخاري ما يشهد لهذا وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله (ص) سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور ، وأمر عليا أن يدلّه على مسيره ليلجقه ، فلجقه في أثناء الطريق . وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

قال ابن اسحاق : وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ، قالت أسماء : ولما خرج رسول الله (ص) ، وأبو بكر أماناً ففر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم فقالوا أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت قلت لا أدري والله أين أبي . قالت فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا . قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله (ص) ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه ، قالت فدخل علينا جدى أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال : والله إني لأرأى قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت قلت كلا يا أبة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلت يا أبة ضع يدك على هذا المال . قالت فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن اسكن الشيخ بذلك .

وقال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن البصري . قال : انتهى رسول الله (ص) ، وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله (ص) ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أوحية ، بقى رسول الله (ص) بنفسه . وهذا فيه انتطاع من طرفيه . وقد قال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن عمرو الضبي ثنا نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة : أن النبي (ص) ، لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي (ص) ، مرة : وخلفه مرة . فسأله النبي (ص) عن

ذلك قال : إذا كنت خلفك خشيت أن تؤذي من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤذي من خلفك . حتى إذا انتهى إلى النار من نور قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدي فاحسه وأقصه فان كانت فيه دابة أصابتنى قبلك . قال تافع : فبلغنى أنه كان في الغار جحر فالتهم أبو بكر رجله ذلك الجحر فخوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذى رسول الله (س) ، وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضى الله عنه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق أنا موسى بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان بن مسلم ثنا السري بن يحيى ثنا محمد بن سيرين . قال : ذكر رجل على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر . فبلغ ذلك عمر فقال : والله ليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر . لقد خرج رسول الله (س) ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه : حتى فطن رسول الله (س) ، فقال : « يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدي ؟ » فقال : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شيء لأجبت أن يكون بك دوني ؟ » قال نعم والذي بعثك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل . ثم قال عمر : والذي نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر . وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشى بين يدي رسول الله (س) قارة ، وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيت رجلا رسول الله (س) حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل الغار سد تلك الأجمة كلها وبقي منها جحر واحد ، فالتهم كعبه فجعلت الأفاعى تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله (س) : « لا تحزن إن الله معنا » وفي هذا السياق غرابة ونكارة . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قال : ثنا أبو العباس الأصم ثنا عباس الدوري ثنا أسود بن عامر شاذان ثنا إسرائيل عن الأسود عن جندب بن عبد الله . قال : كان أبو بكر مع رسول الله (س) في الغار ، فأصاب يده حجر فقال : **إِنَّ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَغَ دُمَيْتٌ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتُ**

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري أن مقصدا مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) قال : تشاورت فريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوفاق ، يريدون النبي (س) . وقال بعضهم بل اقتلوه . وقال بعضهم بل أخرجه . فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات على فراشه

النبي (س)، تلك الليلة، وخرج النبي (س)، حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً بحسبونه النبي (س)، فلما أصبحوا ناروا عليه، فلما رأوا علياً رد الله عليهم مكرهم. فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدري. فاقتنوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه. فكش فيه ثلاث ليال. وهذا اسناد حسن وهو من أجود ما روى في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله رسوله (س).

[وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر حدثنا بشاز الخفاف ثنا جعفر وسليمان ^(١) ثنا أبو عمران الجوني حدثنا المولى بن زياد عن الحسن البصري. قال: انطلق النبي (س)، وأبو بكر إلى الغار. وجاءت قریش يطلبون النبي (س)، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد، وكان النبي (س)، قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي (س): هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أثل ^(٢) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي (س): «يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا» وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد، وفيه زيادة صلاة النبي (س) في الغار. وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلى وروى هذا الرجل. — اعني أبو بكر أحمد بن علي القاضي — [عن عمرو الناقد عن خلف بن نعيم عن موسى بن مطر عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر. قال لابنه: يا بني إذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله (س). فكن فيه فانه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا] ^(٣).

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول:

نسج داود ما حى صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوت

وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضاً، وقد نظم ذلك المصري في شعره حيث يقول:

فغنى عليه العنكبوت بنسجه وظل على الباب الحمام يبيض

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا عمرو بن علي ثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسي - ويلقب غوين - حدثني أبو مصعب المكي. قال: أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك، يذكر أن النبي (س)، ليلة الغار أمر الله شجرة

(١) كذا في الأصل، ولعله جعفر بن سليمان الضبي من رجال الخلاصة.

(٢) أل المريض والحزين أن وحن ورفع صوته وصرخ عند المصيبة

(٣) ما بين المربعين زيادة في النسخة الحلبية. ولم تره في النسخة المصرية.

نفرجت في وجه النبي (ص)، تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله (ص)، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله (ص)، قدر مائتي ذراع قال الدليل - وهو سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي - هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطئ منذ الليلة . حتى إذا أصبحن قال : انظروا في الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي (ص)، قدر خمسين ذراعاً ، فإذا الحمامتان ترجع (١) فقالوا ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمعها النبي (ص)، فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمت عليهما - أي برك عليهما - وأحدرها الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى . وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعوين - بإسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين ، وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتنى لم الاثر سراقه بن مالك المدلجي وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه أن الذي اقتنى لم الاثر كرز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتنيا الاثر والله أعلم . وقد قال الله تعالى [إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا] فأنزل الله سكيفته عليه وأيده بمجنود لم ترهما وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم [يقول تعالى مؤثراً لمن يخلف عن الجهاد مع الرسول (إلا تنصروه) أنتم فان الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا) من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره ولهذا قال (ثاني اثنين إذ هما في الغار) أي وقد لجأ إلى النار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما ، وذلك لأن المشركين حين فقدوها كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجبال ، وجعلوا لمن ردها - أو أحدها - مائة من الابل ، واقتصوا آثارها حتى اختلط عليهم ، وكان الذي يقتص الاثر لقریش سراقه بن مالك بن جعشم كما تقدم ، فصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يبرون على باب الغار ، فتجاذى أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما ، حفظاً من الله لهما كما قال الامام احمد حدثنا عفان ثنا همام أنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه . قال قلت للنبي (ص) ونحن في الغار . لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ؟ فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث همام به وقد ذكر

(١) يظهر أن هنا نقص معناه : فرجع الدليل

بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي (ص) : « لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا » فنظر الصديق إلى الغار وقد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ، وسفينة مشدودة إلى جانبه . وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك بأسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صح أو حسن سندنا قلنا به والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله (ص) ، فكن فيه ، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية . ثم قال البزار : لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك ، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه . وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن الصديق قال في دخولها الغار ، وسيرها بعد ذلك وما كان من قصة سراقته كما سيأتي شعراً . فنه قوله :

قال النبي - ولم أجزع - يوقرني ونحن في سُدْفٍ من ظلمة الغار
لا تخش شيئاً فإن الله نالنا وقد توكل لي منه بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن اسحاق فذكرها مظلومة جداً ، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير . قال فكث (رسول الله ص) بعد الحج - يعني الذي بايع فيه الانصار - بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله (ص) ، أو يجبسوه . أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه (وإذ يمكر بك الذين كفروا) الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه ، وإن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً . وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضاً وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل . قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي (ص) ، قالت : لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ص) ، طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ برك الغماد (١) لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة ، فذكرت ما كان من رده لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر : فاني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله . قالت والنبي (ص) ، (١) برك الغماد ، بفتح الباء وكسرهما وضم الفين وكسرهما ، موضع باليمن وقيل وراء مكة بخمس ليال .

يومئذ بمكة فقال النبي (ص) : « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين : وهما الحرقان . فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة الى المدينة ، وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسول الله (ص) : « على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله (ص) ، ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - ^(١) أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر . قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في حر الظهيرة ، فقال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله (ص) متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله (ص) فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي (ص) : « أخرج من عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلكت بأبي أنت يا رسول الله . قال فانه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت وأمي ، قال النبي (ص) : « نعم » . قال أبو بكر : نخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين . فقال رسول الله (ص) بالثمن . قالت عائشة فجهرناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سميت ذات النطاقين . قالت ثم لحق رسول الله (ص) وأبو بكر بغار في جبل ثور ، فكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، لا يسمع أمراً يكاد ان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة ^(٢) من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيعهما - حتى [ينق بها ^(٣)] عامر بن فهيرة بفلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث . واستأجر رسول الله (ص) وأبو بكر رجلا من بني الدئل وهو من بني عبد ابن عدى هاديا خريتا - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلقاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعنا اليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال بإحليلتهما صبح ثلاث ليال . وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذهم طريق السواحل . قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدبلي وهو ابن أخي سراقه أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن مالك ^(١) كذا بالاصلين ، والذي في النهاية : السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح ، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها .

(٢) أي غنم فيها لبن ، وقد تقع المنحة على الهبة مطلقاً لا قرضاً ولا عارية .

(٣) الذي في الاصلين : حتى سمعوهما وفي النهاية نعت الراعي بالغنم ينطق إذا دعاها لتعود اليه .

ابن جشم . يقول : جاءنا رسل كفار قريش يحملون في رسول الله (س) ، وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : يا سراقة إني رأيت آتفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم قتلتم له إنيهم ليسوا بهم ؛ ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأبهرت جاريته أن تخرج فرمى وهي من وراء أكمة فتجبسها على ، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخطت بزجه الأرض وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعته ففرت بي حتى دنوت منهم ، ففرت بي فرسي ففرت عنها فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فأنزجتها منها الإزلام فاستقسمت بها أضرم أم لا ، فخرج الذي أكره . فركبت فرسي وعصبت الإزلام فجعل فرسي يقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله (س) وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين ، ففرت عنها فأهويت ، ثم زجرتها فتهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الإزلام تخرج الذي أكره ؛ فناديتهم بالأمان فوقوا فركبت فرسي حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله (س) . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتكم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يرداني ولم يسألاني إلا أن قالوا اخف عنا . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر ابن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم . ثم مضى رسول الله (س) .

وقد روى محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالإزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضره ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالإزلام ويخرج الذي يكره لا يضره . حتى ناداهم بالأمان . وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمانة ما بينه وبين رسول الله (س) ، قال فكتب لي كتابا في عظم - أو رقعة أو خرقة - وذكر أنه جاء به إلى رسول الله (س) وهو بالجرانة مرجعه من الطائف ، فقال له « يوم وفاء وبر ، أدته » فدنوت منه وأسلمت . قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جشم^(١) وهذا الذي قاله جيد . ولما رجع سراقة جعل لا يلتقي أحدا من الطلب إلا رده وقال : كفيتم هذا الوجه ، فلما ظهر أن رسول الله (س) قد وصل إلى المدينة . جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي (س) وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . فخلف رؤساء قريش معرفته ، وخشوا أن يكون ذلك سببا

(١) كذا في الأصل وفي سيرة ابن هشام .

لإسلام كثير منهم ، وكان سراقه أمير بني مدج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل - لعنه الله - إليهم :

بني مدج إني أخاف سفيتكم سراقه مستغوي لنصري محمد
عليكم به ألا يفرق جمعكم فيصبح شتي بعد عز وسؤدد

قال قتال سراقه بن مالك يحجب أبا جهل في قوله هذا :

أباحكم والله لو كنت شاهداً لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
عجيب ولم تشكك بأن محمداً (١) رسول وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك فكف القوم عنه فإنني أخال لنا يوماً ستبدو معاله
بأمر تود النصر فيه فإنهم وإن جميع الناس طراً مساله

[(٢) وذكر هذا الشعر الاموي في مغازيه بسنده عن أبي اسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن اسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً] .

وقال البخاري بسنده إلى ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) ، لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسى الزبير رسول الله (ص) ، وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة يخرج رسول الله (ص) من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطلوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول الله (ص) ، وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلا صوته : يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله (ص) ، بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله (ص) ، صامتا فطلق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله (ص) ، يحجي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله (ص) ، فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه . فعرف الناس رسول الله (ص) ، عند ذلك فلبث رسول الله (ص) ، في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله (ص) ، ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله (ص) ، بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين . وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يقيمين في حجر اسعد بن زرارة . فقال رسول الله (ص) ، حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » ، ثم دعا رسول الله (ص) ، الغلامين فساومهما بالمرء ليتخذاه مسجداً ، فقالا بل نهيه لك

(١) في المصرية : نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه .

(٢) ما بين الربيعين سقط من النسخة الحلبية .

يا رسول الله : فأبى رسول الله .س. أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما . ثم بناه مسجداً . فطلق
رسول الله .س. ينقل معهم اللبن في بنيانه ، وهو يقول حين ينقل اللبن :
هذا الجمال لأجمالٍ خَيْرٍ هذا أبرُّ ربنا وأطهر
ويقول :

لَا هُمْ إِنْ الْأَجْرُ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ (١)

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي . قال ابن شهاب : ولم يلفتنا في الأحاديث أن رسول
الله .س. تمثل بيت شعر تام غير هذه الأبيات . هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم ،
وله شواهد من وجوه أخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية ، ولندكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً
أولاً فأولاً .

قال الامام احمد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العنقري ثنا اسراييل عن أبي اسحاق عن
البراء بن عازب . قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب : مر
البراء فليحمله إلى منزلي . فقال : لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله .س. وأنت
معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فادخلنا فاحتشنا بومنا ولبلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة : فضربت
بصري هل أرى ظلاً نأوى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها : فسويته لرسول الله
س. وفرشت له فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من
الطلب فإذا أنا براعى غنم ، فقلت لمن أنت يا غلام ؟ فقال رجل من قريش - فسماه فرفته - فقلت
هل في غنمك من لبن ؟ قال نعم ! قلت هل أنت حالب لي ؟ قال نعم ! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم
أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعى إداوة على فخذه فخلب
لي كشبة (٢) من اللبن فصبيت على التمدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله .س. فوافيته وقد
استيقظ ، فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رذيت ، ثم قلت هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم
يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جشم على فرس له ، فقلت يا رسول الله هذا
الطلب قد لحقنا ؟ قال « لا تحزن إن الله معنا » حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح - أو

(١) كذا في الاصل ، وفي ابن هشام : أن المسلمين كانوا يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الانصار والمهاجرة

وأن رسول الله .س. يقول : لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والانصار .

(٢) الكشبة من اللبن التبايل منه ، وكل قليل جمعه من طعام وغيره . عن النهاية .

رحمين أه قال رحمين أو ثلاثة - قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ وبكيت، قال لم تبكي؟
 قلت | أما والله ما على نفسي أبكى، ولكن أبكى عليك. فدعا عليه رسول الله (ص) فقال:
 « اللهم اكفناه بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد
 قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه، فوالله لأعطين على من ورأى من الطلب،
 وهذه كنانتي نخذ منها سهما فانك ستمر بأبلى وغنمى بموضع كذا وكذا نخذ منها حاجتك. فقال
 رسول الله (ص): « لا حاجة لى فيها » ودعاه رسول الله (ص). فأطلق ورجع إلى أصحابه، ومضى
 رسول الله (ص). وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا في الطرق على الاناجير^(١) واشتد
 الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله (ص)، جاء محمد، قال وتنازع القوم
 أيهم ينزل عليه، قال فقال رسول الله (ص): « أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب
 لا كرمهم بذلك » فلما أصبح غدا حيث أمر. قال البراء: أول من قدم علينا من المهاجرين
 مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بنى فهر، ثم قدم
 علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، قلنا ما فعل رسول الله؟ قال هو على أنرى، ثم قدم
 رسول الله (ص). وأبو بكر معه. قال البراء: ولم يقدم رسول الله (ص). حتى قرأت سوراً من المفصل
 أخرجه في الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا الخ. فقد انفرد به
 مسلم فرواه من طريق إسرائيل به.

وقال ابن اسحاق: فاقام رسول الله (ص) في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين
 فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه
 ببيعيريهما وبعير له، وأتتهما اسماء بنت أبي بكر بسفرتيهما، ونسيت أن تجعل لهما عصاما فلما ارتحلا
 ذهبت لتعلق السفرى فاذا ليس فيها عصام، فتحل نطاقتها فتجعله عصاما ثم علقها به. فكان يقال
 لها ذات النطاقين لذلك.

قال ابن اسحاق: فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله (ص)، قدم له أفضلهما ثم قال:
 اركب فداك أبى وأمى، فقال رسول الله (ص): « إني لا أركب بعيراً ليس لى » قال: ففى لك
 يا رسول الله بأبى أنت وأمى. قال « لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به » قال كذا وكذا. قال « أخذتها
 بذلك » قال هى لك يا رسول الله.

وروى الواقدى بإسناده أنه عليه السلام أخذ القصواء، قال وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة
 درهم. وروى ابن عساکر من طريق أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: وهى الجدعاء

(١) فى النهاية: تلقته الناس على الاجاجير والاناجير، يعنى السطوح.

وهكذا حكى السبيل عن ابن اسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاة خلفه ليخدمهما في الطريق فحدثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله ﷺ ، وأبو بكر أفاقا ففر من قريش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم . قالت : فكننا ثلاث ليل ما ندرى أين وجه رسول الله ﷺ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خيرا جزائه رفيقين حلّا خيمتي أمّ معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
ربن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدهما للمؤمنين بمصر

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن اسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقد ^(١) كذا يقول ابن اسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الدثلي . وكان إذ ذاك مشركا .

قال ابن اسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسфан ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ^(٢) ثم أجاز بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا ، ثم أجاز بهما مدجلة لقف ، ثم استبطن بهما مدجلة بحاج ثم سلك بهما مرجح بحاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذى العضوين ، ثم بطن ذى كشد ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الاجرد ، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدجلة تعين ، ثم على العبايد ، ثم أجاز بهما القاحة ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم ، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيذة ، خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن بين ركوبة

(١) كذا في الاصلين ، وفي ابن هشام عن ابن اسحاق في جميع المواضع : عبد الله بن أرقط ، واستدرك على ابن اسحاق بقوله : ويقال عبد الله بن أريقط . (٢) في الاصلين الخرار . وهي جمع الحرة ، والذي في ابن هشام : الخرار بالخاء المعجمة وتشديد الراء موضع بالحجاز وقيل واد أو ماء بالمدينة كما في المعجم لياقوت .

— ويقال ثنية الفائر فيها قال ابن هشام — حتى هبط بهما بطن ريم ، ثم قدم بهما ^(١) . [قباء على بني عمرو بن عوف لا تثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت لشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم مر يريق الواقدى نحرًا من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها والله أعلم قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحاق عن السراج حدثنا محمد بن عبادة ابن موسى العجلي حدثني أخى موسى بن عبادة حدثني عبد الله بن سيار حدثني إياس بن مالك بن الاوس الاسلمى عن أبيه . قال : لما هاجر رسول الله (ص) ، وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله (ص) : « لمن هذه الابل ؟ » فقالوا رجل من أسلم ، فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سلت إن شاء الله ، فقال ما اسمك ؟ » قال مسعود ، فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سعت إن شاء الله » . قال فاتاه أبي فحملة على جمل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد قسم عن ابن عباس أن رسول الله (ص) ، خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة واجتاز في مروره على أم معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة ، قال ابن هشام . وقال يونس عن ابن اسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم . وقال الاموى : هي عاتكة بنت تبيع حليف بنى منقذ بن ربيعة بن أصرم بن صلبيس ^(٢) بن حرام بن خنيسة بن كعب بن عمرو ، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد ، واسمها أكتم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم ابن صلبيس ، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضها .

وهذه قصة أم معبد الخزاعية . قال يونس عن ابن اسحاق : قتل رسول الله (ص) ، بخنيسة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم فارادوا القرى فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله (ص) ، ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العس حتى أرغى وقال « اشربي يا أم معبد » فقالت اشرب فانت أحق به فرده

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة المصرية . (٢) كذا في الاصلين في المكانين وفي الاصابة خبيس مصغراً ذكر ذلك في ترجمة أخيها حبيش الاشعري والذي في السهيلي : عاتكة بنت خلد إحدى بنى كعب من خزاعة وهي أخت حبيش بن خلد ، وولد الاشعر أبوها هو ابن خنيف بن منقذ [بالدال المهملة] بن ربيعة بن أصرم بن ضميم بن عرم بن حبشية بن كعب ابن عمرو .

عليها فشربت ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عافراً ، ثم تروح . وطلبت قريش رسول الله (ص) حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه فقالوا أرأيت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدري ما تقولون ، قد منّا قتي حالب المحائل . قالت قريش : فذاك الذي نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن عتبة ابن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ثنا أبي عن أبيه عن جابر . قال : لما خرج رسول الله (ص) وأبو بكر مهاجرين فدخلوا الغار ، إذا في الغار جحر فالتقه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله (ص) منه شيء . فأقاما في الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بختات أم معبد فارسلت إليه أم معبد إني أرى وجوها حسانا ، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى ، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة : فقال رسول الله (ص) : « أردد الشفرة وهات لنا فرقا » يعنى القدح فارسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد . قال هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فحلب فلأ القدح فشرب وسقى أبا بكر : ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد . ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا بهذا الاسناد . وعبد الرحمن بن عتبة لا نعلم أحداً حدث عنه إلا يعقوب بن محمد وإن كان معروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر الصديق . قال : خرجت مع رسول الله (ص) من مكة فاتمينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله (ص) إلى بيت منتحيا فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد فعليكم بعظيم الحى إن أردتم القرى ، قال فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها باعتر يسوقها فقالت يا بنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين قل لهما تقول لكما أمى اذبحا هذه وكلا وأطعمانا ، فلما جاء قال له النبي (ص) : « انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح » قال إنها قد عزبت وليس بها لبن ، قال انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبي (ص) ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال انطلق به إلى أمك ، فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال انطلق بهذه وجئنى بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي (ص) . فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فرأى أبو بكر فرأى ابنها فعرفه فقال يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك . فقامت إليه فقالت : يا عبد الله من الرجل الذى كان معك ؟ قال أو ما تدريين من هو ؟ قالت لا ، قال هو نبي الله . قالت فادخلنى عليه . قال فادخلها

فأطعمها رسول الله (ص)، وأعطاهما — زاد ابن عبدان في روايته : — قالت فداني عليه ، فانطلقت معي وأهدت لرسول الله (ص)، شيئاً من أقط ومتاع الاعراب . قال فكساها وأعطاهما . قال ولا أعلمه إلا قال وأسلمت . اسناد حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هي والله أعلم . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي . قال : ثنا أبو العباس الأصم ثنا الحسن بن مكرم حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ثنا أبو بكر بن الصباح عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله (ص)، خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحبني وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي ، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك . وقالت لو كان عندنا شيء ما أعوذكم القرى ، وإذا القوم مرملون مسفتون . فنظر رسول الله (ص)، فإذا شاة في كسر خيمتها فقال « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ » فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال « فهل بها من لبن » قالت هي أجهد من ذلك . قال تأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا رسول الله (ص)، بالشاة فمسحها وذكّر اسم الله ومسح ضرعها وذكّر اسم الله ودعا بأناء لها يربض الرهط ^(١) فتفاجت ^(٢) واجترت فحلب فيه نجا حتى ملأه [وأرسله إليها] فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل ، حتى إذا رويوا شرب آخرهم وقال « ساقى القوم آخرهم » ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا قال قلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزراً عجافاً يتساوكن هزلي لا نقي بهن ^(٣) مخنن قليل فلما رأى اللبن عجب وقال من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاة عازب . فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . فقال صفيه لي فوالله إني لا زاه صاحب قریش الذي تطلب . فقالت رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة حسن الخلق ، ليسح الوجه لم تعبهُ نَجْلة ^(٤) ولم تزر به صملة ^(٥) قسيم وسيم في عينيه دمعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل . أحول أ كحل أزج أقرن في عنقه سطع وفي لحيته كناية . إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فصل لا تزر ولا هنر كأن منطقته خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب . ربعة لا تنساه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدماً له رقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا

(١) أي يشبع الجماعة حتى يربضوا . عن السهيلي . (٢) أي فرجت بين رجلها . (٣) النقي المخ . (٤) نَجْلة ؛ أي ضخم بطن ، ويرى بالنون والحاء ، أي نحول ودقة . والصملة صنر الرأس عن النهاية .

لأمره . محفود محشود لا عابس ولا معتد^(١) فقال - يعني بعلمها - : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب ، ولو صادفته لالتصمت أن أصحبه ، ولا جهدين إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمونه ولا يرون من يقول وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتملا به^(٢) فافلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإفاتها فلتكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاهي بشاة حائل فتخلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد^(٣)
فغادره رهنا لديها لحالب يدر لها في مهمل ثم مورد

قال وأصبح الناس - يعني بمكة - وقد فقدوا نبيهم ، فاخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا

برسول الله . قال وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم^(٤) وقد سر^(٥) من يشري اليهم ويفتدي
ترحل عن قوم فرالت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
[هدام به بعد الضلالة زهمهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد^(٦)]
وهل يستوي ضلال قوم تسفوها عى وهداة يهتدون بمهند
نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غاب فتصديقها في اليوم أوفي ضحى الغد
لبن أبا بكر سعادة جدّه بصحبته ، من يُعبد الله يسعد
ويهن بني كعب مسكان فتاتهم ومقعد لها للسلبين بمزبد^(٧)

قال - يعني عبد الملك بن وهب - فبلغني أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبي . . . وهكذا

(١) في أصل المصرية : ولا منفذ وفي الحلبية مهمل من النقط والتصحيح من الخشنى في غريب السيرة . (٢) كذا بالأصليين ، وفي ابن هشام : هما نزلا بالبر ثم تروحا .

(٣) كذا بالمصرية والسهبلى والنهاية وفيها : الضرة أصل الضرع ، وفي ح : ليديه بضرع ثرة الشاة مزبد . والثرة كثرة اللبن . (٤) الذى فى السهبلى : غاب بدل زال .

(٥) فى الاصليين وفى السهبلى : وقد سر ، والذى فى شرح السيرة للخشنى : وقدس وفسره بمعنى

طهر . (٦) هذا البيت زده من السهبلى ولم يرد فى الاصل . (٧) هذا البيت أورده السهبلى

فى الايات التى قبلها ونسبها إلى رجل من الجن ولم يورده حسان .

روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي قد ذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله (ص) ، ثم رواه أبو نعيم من طرق عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي عن أبيه محرز بن مهدي عن حوام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله (ص) ، أن رسول الله (ص) حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمة أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحتهى بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سواء . قال وحدثناه — فيما أظن — محمد بن أحمد بن علي بن مخلد ثنا محمد بن يونس بن موسى — يعني الكديمي — ثنا عبد العزيز ابن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ثنا محمد بن سليمان بن سليط الانصاري حدثني أبي عن أبيه سليط البدرى . قال : لما خرج رسول الله (ص) في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدهم على الطريق ، مر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال : ها يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ قالت لا والله إن الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة ؟ قالت خلفها الجهد عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم .

ثم قال البيهقي : يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة ، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ — إملاء — حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن غالب ثنا أبو الوليد ثنا عبد الله بن إيراد بن لقيط ثنا إيراد بن لقيط عن قيس بن النعمان . قال لما انطلق النبي (ص) وأبو بكر مستخفين ، مروا بمعبد يرى غنماً فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب ، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء ، وقد أخذت (١) وما بقي لها من لبن فقال ادع بها فدعابها فاعتقلها النبي (ص) ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب . فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال أو تراك تسكن على حتى أخبرك ؟ قال نعم قال فأنى محمد رسول الله . فقال أنت الذى تزعم قريش أنه صابى ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال فأنى أشهد أنك نبي ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك . قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا . ورواه أبو يعلى الموصلى عن جعفر بن حميد الكوفي عن عبد الله بن إيراد بن لقيط به . وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زريق عن عبد الله بن مسعود . قال

(١) خدجت ألفت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق ، وأخذت ولدته ناقص الخلق وإن

كان تمام الحمل .

- كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعنبة بن أبي معيط بمكة ، فأتى رسول الله ﷺ ، وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال : « يا غلام عندك لبن تسقيننا ؟ » فقلت إني مؤمن ولست بساقيكما ، فقالا هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم فأتيتهما بها فاعتقلا أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع وجاء أبو بكر بصخرة متقعة فخلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع أقلص فقلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ . فقلت علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله ﷺ : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد . فقوله في هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة . فان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها والله أعلم .

[(١) وقال الامام احمد : حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله - هو الزبيرى - حدثني أبي عن فائد مولى عبادل قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد - وسعد هو الذى دل رسول الله ﷺ على طريق ركوبة (٢) - فقال ابراهيم [أخبرني] ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثني أبي أن رسول الله ﷺ : أناهم ومعه أبو بكر - وكانت لابي بكر عندنا بنت مسترضعة - وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من ركوبة وبه لسان من أسلم يقال لهما المهاان . فان شئت أخذنا عليهما ، فقال النبي ﷺ : « خذ بنا عليهما » قال سعد فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليماني . فدعاها رسول الله ﷺ . فعرض عليهما الاسلام فأسلما ، ثم سألهما عن اسمائهما فقالا نحن المهاان . فقال : « بل أنتم المسكرمان » وأمرهما أن يقدموا عليه المدينة فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله ﷺ : « أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ » فقال سعد ابن خيشمة . إنه أصاب قبلى يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع

(١) ما بين المربعين أثبتناه من النسخة الحلبية ، وسقط من المصرية . وهذا الاثر مروي في زوائد المسند عن عبد الله بن احمد من رواية القطيعي ونصه كما في جلد ٤ ص ٧٤ من النسخة المطبوعة بمصر حدثنا عبد الله حدثنا مصعب بن عبد الله هو الزبيرى قال حدثني أبي عن فائد مولى عبادل . قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة فارسل [إلى] ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أنا ابن سعد وسعد هو الذى دل رسول الله ﷺ . الخ . (٢) في الاصل ركوبة بالنون وهو خطأ ، وركوبة ثنية بين مكة والمدينة عند العرج قرب جبل ورقان

على النخل فاذا شرب مملوه ، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بنى مدلج » انفرد به احمد .

فصل في نزول النخل

في دخوله عليه السلام المدينة وابن استقر منزله

قد تقدم فيما رواه البخاري عن الزهري عن عروة أن النبي (س) دخل المدينة عند الظهيرة . قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في الصحيحين من حديث اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب عن أبي بكر في حديث الهجرة قال قدمنا ليلا فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه ، فقال رسول الله (س) : « أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلا ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا ، فان العشي من الزوال ، وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء كما سيأتي فسار فما انتهى إلى بنى النجار الاغشاء كما سيأتي بيانه والله أعلم .

وذكر البخاري عن الزهري عن عروة أنه نزل في بنى عمرو بن عوف بقباء وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة وأسس مسجد قباء في تلك الايام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكان مسجده ، وكان مر بداً لفلامين يتيمين وهما سهل وسهيل ، فابتاعه منهما وأنخذه مسجداً . وذلك في دار بنى النجار رضى الله عنهم .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير [عن عروة بن الزبير] عن عبد الرحمن ابن عويم بن ساعدة قال حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي (س) قالوا : لما بلغنا مخرج النبي (س) من مكة وتوكلنا قدومه ككنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي (س) فوالله ، ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلاً دخلنا - وذلك في أيام حارة - حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله (س) كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله (س) حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلا صوته يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء ، ونخرجنا إلى رسول الله (س) وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل منه ، وأكثرتنا لم يكن رأى رسول الله (س) قبل ذلك . وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله (س) ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخاري وكذا ذكر موسى بن عقبة في معازيه . وقال الامام احمد حدثنا هاشم ثنا سلمان عن

نابت عن أنس بن مالك . قال : إني لأسعى في الغلمان يقولون جاء محمد فاسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون جاء محمد فاسعى ولا أرى شيئاً ، قال حتى جاء رسول الله (ص) ، وصاحبه أبو بكر . فكنا في بعض خراب المدينة ، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الانصار حتى انتهوا اليهما فقالت الانصار : انطلقا آمنين مطاعين . فأقبل رسول الله (ص) ، وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقتلن أيهم هو ، أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به . قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض . فلم أريوه بين شبيهاً بهما ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بنحوه - أو مثله - وفي الصحيحين من طريق إسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة . قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر . وقال البيهقي أخبرنا أبو عمرو الأديب أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول لما قدم رسول الله (ص) المدينة جعل النساء والصبيان يقتلن :

طلّع البدرُ علينا من ثغَيّات الوداع
وجبّ الشكرُ علينا ما دعا لله داع

قال محمد بن اسحاق : قتل رسول الله (ص) - فيما يذكرون يعني حين نزل - بقاء على كلثوم ابن الهدم أخى بني عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ، ويقال بل نزل على سعد بن خيشمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول الله (ص) إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيشمة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم . ونزل ببر . كرضى الله عنه على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخى بني الحارث بن الخزرج .

قال ابن اسحاق : وأقام على بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده ، ثم لحق برسول الله (ص) ، فقتل معه على كلثوم بن الهدم فكان على ابن أبي طالب إنما كانت اقامته بقاء ليلة أو ليلتين . يقول كانت بقاء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت انساها يأتها من جوف الليل فضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطها شيئاً معه فتأخذه ، فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف ،

وقد عرف أنى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبي بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأتى ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله (ص) بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ، ثم أخرج به الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو ابن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن اسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشر ليلة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة ، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه . قال : أقام رسول الله (ص) فينا - يعنى فى بنى عمرو بن عوف بقباء - اثنتين وعشرين ليلة . وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن اسحاق : فادركت رسول الله (ص) الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى - وادى رانواء - فكان أول جمعة صلاها بالمدينة . فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عباد بن نضلة فى رجال من بنى سالم فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا فى العدة والمنة قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » لناقته نخلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا وازت (١) دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدة والمنة والمنعة قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » نخلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عباد والمندر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا فى العدة والمنة . قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » نخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وناجدة بن زيد وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدة والمنة . قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » نخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار - وهم أخواله - دنيا أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سليط بن قيس وأبوسليط أسيرة بن خارجة (٢) فى رجال من بنى عدي بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدة والمنة والمنعة قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » نخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن

(١) فى المصرية : دارت ، وفى الحلبية : وازت ، وفى ابن هشام : وازنت .

(٢) كذا فى الاصلين ، وفى الاصابة أسير بن عمرو بن قيس أبوسليط البدرى . وفى ابن هشام أبوسليط أسيرة بن أبى خارجة .

النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكل يومئذ مريداً للغلامين يقيمين من بني مالك
ابن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكاتا في حجر معاذ بن عفراء .
قلت : وقد تقدم في رواية البخاري من طريق الزهري عن عروة أنها كاتا في حجر أسعد بن
زرارة والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله (ص) مر في طريقه بعبد الله بن أبي بن سلول وهو في
بيت ، فوقف رسول الله (ص) : ينتظر أن يدعو إلى المنزل - وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم -
فقال عبد الله أنظر الذين دعوك فانزل عليهم فذكر ذلك رسول الله (ص) ، انفر من الانصار فقال
سعد بن عباد يعتذر عنه : لقد من الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج
ونملكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الانصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله (ص) من بني
عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحاً على كرامة رسول الله
(ص) وتعظيماً له وكلاماً يرد من دور الانصار دعوته إلى المنزل فيقول (ص) : « دعوها فانها مأمورة
فإنما أنزل حيث أنزلني الله » فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت
أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن اسحاق : لما بركت الناقة برسول الله (ص) ، لم ينزل عنها حتى وثبتت فسارت غير بعيد
ورسول الله (ص) واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة
فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرائنها فنزل عنها رسول الله (ص) . فأحتمل أبو أيوب
خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله (ص) ، وسأل عن المرء لمن هو ؟ فقال له
معاذ بن عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فأخذ مسجداً ،
فأمر به رسول الله (ص) أن يبني ونزل رسول الله (ص) في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه
فعمل فيه رسول الله (ص) والمسلمون من المهاجرين والانصار .

وستأتي قصة بناء المسجد قريباً إن شاء الله . وقال البيهقي في الدلائل وقال أبو عبد الله أخبرنا
أبو الحسن علي بن عمرو الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن سليمان بن اسماعيل
ابن أبي الورد ثنا إبراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن
أنس . قال : قدم رسول الله (ص) المدينة فلما دخلنا جاء الانصار برجالها ونسائها فقالوا : الينا يا رسول
الله . فقال « دعوا الناقة فانها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب فخرجت جوار من بني النجار
يضر بن بالدقوف وهن يقلن :

نَحْنُ جَوَارِمِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَاحَبْدَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فخرج إليهم رسول الله - ﷺ ، فقال « أتحبونني ؟ » فقالوا : « أي والله يا رسول الله . » فقال : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجته الحاكم في مستدركه كما يروى . ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ثنا عمر بن الحسن اللبلي حدثنا أبو خيثمة المصيصي ثنا عيسى بن يونس عن عوف الأعرابي عن ثمامة عن أنس . قال : مر النبي - ﷺ ، بحى من بني النجار ، وإذا جوار يضرب بالدفوف يقرن :

نَحْنُ جَوَارِمِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَاحَبْدَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فقال رسول الله - ﷺ : « يعلم الله أن قلبي يحبكم » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به . وفي صحيح البخارى عن معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال رأى النبي - ﷺ ، النساء والصبيان مقبلين - حسبت أنه قال من عرس - فقام النبي - ﷺ ، ممثلاً فقال « اللهم أنتم من أحب الناس إلى » قالها ثلاث مرات . وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب ثنا أنس بن مالك . قال : أقبل رسول الله - ﷺ ، الى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله - ﷺ ، شاب لا يعرف ، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير . فالتفت أبو بكر فاذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت رسول الله - ﷺ ، فقال « اللهم اصصره » فصرعته فرسه ثم قامت تحمحم ، ثم قال : مرني يا نبي الله بما شئت . فقال « قف مكانك ولا تتركن أحداً يلحق بنا » . قال فكان أول النهار جاهاً على رسول الله - ﷺ ، وكان آخر النهار مسلحة له . قال فنزل رسول الله - ﷺ ، بجانب الحرة ثم بعث الى الانصار فجاءوا فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين . فركب رسول الله - ﷺ ، وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح ، وقيل في المدينة : جاء نبي الله - ﷺ ، فاستشرفوا نبي الله ينظرون اليه ويقولون : جاء نبي الله . قال فاقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب ، قال فانه ليحدث أهله اذ مع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يحترف لهم ، فعجل أن يضع الذى يحترف فيها فجاء وهو معه ، وسمع من نبي الله - ﷺ ، ورجع إلى أهله ، وقال نبي الله : أى بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب أنا يا نبي الله ، هذه دارى وهذا بابى قال فانطلق فبني لنا مقبلاً ، فذهب فبنياً ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيأت مقبلاً قوماً على بركة الله مقبلاً ، فلما جاء نبي الله - ﷺ ، جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبي الله حقاً ، رأيتك جئت

بحق ولقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسلمهم ، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله - : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأنى جئت بحق أسلموا » . فقالوا : ما نعلمه ، ثلاثاً . وكذا رواه البخار منفرداً به عن محمد غير منسوب عن عبد الصمد به (١) .

قال ابن اسحاق : وحديثي يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله البرزني عن أبي رهم السماعي حدثني أبو أيوب . قال : لما نزل على رسول الله - في بيتي نزل في السفلى ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فظهر أنت فكن في العلو ونزل نحن فكنون في السفلى ، فقال « يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبين يفسائنا أن أكون في سفلى البيت » فكان رسول الله - في سفلى وكنا فوقه في المسكن . فلقه انكسر حب لنا فيه ماء ، فقمنا أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله - منه شيء فيؤذيهم ، قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً - أو ثوماً - فردده رسول الله - : فلم أر ليده فيه أثراً ، قال فحشته فزعاً فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أرفيه موضع يدك ؟ فقال « إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي فلما أنتم فكلوه » قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد . وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسن - أو أبي الخير - مرثد بن عبد الله البرزني عن أبي رهم عن أبي أيوب فذكره . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو عمرو الخيري ثنا عبد الله بن محمد ثنا أحمد بن سعيد الدارمي ثنا أبو النعمان ثنا ثابت بن يزيد ثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب أن رسول الله - نزل عليه فنزل في السفلى وأبو أيوب في العلو فانتبه أبو أيوب فقال : نمشي فوق رأس رسول الله - فتتحوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي - : - يعني في ذلك - فقال : « السفلى أرفق بنا » فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحول رسول الله - في العلو ، وأبو أيوب في السفلى فكان يصنع لرسول الله - طعاماً ، فإذا جئ به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله - فصنع له طعاماً فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله - : فقيل له لم يأكل فزع وصعد إليه يقال أحرام ؟ فقال النبي - : « لا ولكني أكرهه » قال فإني أكره ما تكره - أو ما كرهت - قال وكان النبي - يأتيه الملك . رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به ، وثبت في (١) هكذا في الاصلين مقتضبا والخبر بطوله في البخاري في باب هجرة النبي - واصحابه الى المدينة فراجع.

الصحيحين عن أنس بن مالك قال : جى رسول الله (س) ببدر^(١) وفي رواية بقدر فيه خضروات من بقر ، قال فسأل فاخبر بما فيها فلما رآها كره أكلها ، قال : « كل فاني أنا جى من لا تناجى » وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله (س) في دار أبي أيوب أخذ بمخاطم ناقة رسول الله (س) فكانت عنده ، وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أهديت إلى رسول الله (س) حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها ، قصعة فيها خبز منرود بلبن وسمن ، فقلت أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عباد نريد وعراق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول (س) الثلاث والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر قال وبعث رسول (س) — وهو نازل في دار أبي أيوب — مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ليعجئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله (س) ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله (س) .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا خلف بن عمرو المكبري ثنا سعيد بن منصور ثنا عطاء بن خالد ثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله (س) قدم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يا رسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دعوها فاتها مأمورة » ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحالت ، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله (س) . عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فأنقل رحلك إلي ؟ قال نعم . فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال يا رسول الله أين تحل ؟ قال « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله (س) في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد ، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه ، حيث نزل في داره رسول الله (س) . وقد رويناه من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة — وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه — فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله (س) في داره ، وملكه كل ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن

(١) أي بطبق ، شبه بالبدر في استدارته . عن النهاية

عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالف دينار وصلاح ما وهى من بنياتها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة . وكذلك نزوله عليه السلام في دار بني النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعاً كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله (ص) دار بني مالك بن النجار .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك . قال قال رسول الله (ص) : « خير دور الانصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الاشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأَنْصار خير » فقال سعد بن عباد : ما أرى النبي (ص) إلا قد فضل علينا فقيل قد فضلكم على كثير : هذا لفظ البخارى . وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبى سلمة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عباد بن سهل عن أبى حميد عن النبي (ص) بمثله سواء . زاد في حديث أبى حميد : فقال أبو أسيد لسعد بن عباد : ألم تر أن النبي (ص) خير الأَنْصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعد النبي (ص) فقال : يا رسول الله خيرت دور الانصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أوليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الانصار الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى [والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها أبداً ذلك الفوز العظيم] وقال تعالى [والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] وقال رسول الله (ص) : « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم ، الانصار شمار والناس دنار » وقال « الانصار كرشى وعيبقى » وقال « أنا سلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم » وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة حدثني عدى بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله (ص) - أو قال قال رسول الله (ص) - : « الانصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبى داود من حديث شعبة به . وقال البخارى أيضاً حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا شعبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال : « آية الايمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الانصار » ورواه البخارى أيضاً عن أبى الوليد (و) الطيالسى ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدى أربعنهم

عن شعبة به . والآيات والاحاديث في فضائل الانصار كثيرة جداً . وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس المتقدم ذكره أحد شعراء الانصار في قدوم رسول الله (ص) اليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولاصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أيضاً يذكركم ما أكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام :

نوى في قریش بضعة عشرة حجةً
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلما أنانا واطمأنت به النوى (١)
والني صديقاً واطمأنت به النوى
يقص لنا ما قال نوح لقومه
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً
بذلنا له الاموال من جُل (٢) مالنا
نمادي الذي عادى من الناس كلهم
ونعلم أن الله لا شيء غيره
أقول اذا صليت في كل بيعة
أقول اذا جاوزت أرضاً مخيفةً
فطأ ممرضا ان الخوف كثيرة
فوالله ما يدري الفتى كيف سعيه
ولا تحفل النخل المعيمة (٥) ربها
يدكر لو يلقى صديقاً مواتيا
فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وكان له عوناً من الله باديا
وما قال موسى إذ أجاب المناديا
قريباً ولا يخشى من الناس نائيا (٣)
وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
جميعاً ولو كان الحبيب المواسيا
وان كتاب الله أصبح هاديا (٤)
حنانك لا تظهر علينا الأعاديا
تباركت اسم الله أنت المواليا
وانك لا تبقي لنفسك باقيا
إذا هو لم يجعل له الله واقيا
إذا أبحث رباً وأصبح ناويا

ذكرها ابن اسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الحميدى وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الانصارى عن مجوز من الانصار قالت : رأيت عبد الله بن عباس يختلف الى صرمة بن قيس يروى هذه الايات . رواه البيهقي .

(١) والذي في ابن هشام : فلما أنانا أظهر الله دينه . (٢) كذا في المصرية ، وفي ابن هشام والذي في الحلبي : باغيا . (٣) كذا في المصرية بالجيم ومعناه : العظام الكبار من الابل أو معظم كل شيء ، وفي الحلبي وابن هشام بالخاء المهملة . (٤) والذي في ابن هشام : ونعلم أن الله أفضل هاديا ، وأيضاً في ابن هشام اختلاف بسيط عن هذه الرواية في بعض الايات . (٥) في الاصل (مقيمة) بالقاف والتصحيح عن الخشني .

وقد شرفت المدينة أيضا بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفا لاولياء الله وعباده الصالحين ومقلا وحصنا منيعا للمسلمين ، ودار هدى للعالمين والاحاديث في فضلها كثيرة جدا لها موضع آخر نوردتها فيه إن شاء الله . وقد ثبت في الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن شعبة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبي (ص) : « نحوه . وفي الصحيحين أيضا من حديث مالك عن يحيى ابن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهي المدينة تنقي الناس كما ينقي الكبر خبث الحديد (١) » وقد انفرد الامام مالك عن بقية الأئمة الاربعة بتفضيلها على مكة . وقد قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالنا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو موسى الانصاري ثنا سعيد بن سعيد حدثني أخى عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « اللهم انك أخرجتني من أحب البلاد إلى فاسكني أحب البلاد إليك » فأسكنه الله المدينة . وهذا حديث غريب جدا والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضم جسد رسول الله (ص) ، وقد استدلل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها هنا ومحلها ذكرناها في كتاب المناسك من الاحكام إن شاء الله تعالى . وأشهر دليل لم في ذلك ما قال الامام احمد حدثنا أبو البان ثنا شعيب عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن الحراء أخبره أنه سمع النبي (ص) وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » وكذا رواه احمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري به . وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهري به . وقال الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه يونس عن الزهري به . ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، وحديث الزهري عندي أصح . قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة . قال : وقف رسول الله (ص) على الحزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ، ولولا (١) جاء في النهاية : تنقى بالغاء فخرجه عنها من النقي ، وتنقى باللفاف من اخراج النقي وهو المنخ أو من التنقية وهي افراد الجيد من الردي .

أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » وكذا رواه النسائي من حديث معمر به . قال الحافظ البيهقي وهذا وهم من معمر ، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة . وقال أحمد أيضاً حدثنا إبراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن أبي سلمة عن بعضهم أن رسول الله -ص- قال وهو في سوق الخزورة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » ورواه الطبراني عن أحمد بن خليف الحلبي عن الحميدي عن الدراوردي عن ابن أخي الزهري عن محمد ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به . فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم والله أعلم .

وقائع السنة الأولى من الهجرة

اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة - في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الاسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع اليه صك - أى حجة - لرجل على آخر وفيه ، إنه يحل عليه في شعبان . فقال عمر : أى شعبان ؟ هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك . فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلپس المقدوني فكره ذلك . وقال آخرون أرخوا بمولد رسول الله -ص- وقال آخرون بل بمبعثه ، وقال آخرون بل بهجرته ، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام . فقال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتباره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخاري في صحيحه : التاريخ ومتى أرخوا التاريخ . حدثنا عبد الله بن مسلم ثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد . قال : ما عدوا من مبعث النبي -ص- ، ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة .

وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه . قال : استشار عمر في التاريخ فاجمعوا على الهجرة وقال أبو داود الطيالسي عن قرة بن خالد السدوسي ^(١) عن محمد بن سيرين قال : قام رجل إلى عمر فقال أرخوا . فقال ما أرخوا ؟ فقال شئ ففعله الاعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا . فقال

(١) في المصرية : عن فروة بن خالد السدوسي ، وفي الحلبية : فروة بن خالد عن السدي ،

عمر : حسن فارخوا ، فقالوا من أى السنين نبدا ؟ فقالوا من مبعثه ، وقالوا من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبدا ؟ قالوا رمضان ، ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم .

وقال ابن جرير : حدثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطائي عن عثمان بن محصن أن ابن عباس كان يقول في قوله تعالى (والفجر وليال عشر) هو المحرم فجز السنة وروى عن عبيد بن عمير . قال : إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى البيت ، ويؤرخ به الناس ، ويضرب فيه الورق .

وقال احمد : حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار قال : إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وأن رسول الله ص . قدم المدينة في ربيع الاول وأن الناس أرخوا لاول السنة .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح عن الشعبي أنهما قالا : أرخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم ، ثم أرخوا من بنيان ابراهيم واسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤى ، ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة - أو ثمانى عشرة - وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بإسانيده وطرقه في السيرة العمريّة والله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الاسلامي من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السهيلي وغيره عن الامام مالك أنه قال : أول السنة الاسلامية ربيع الاول لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله ص .

[وقد استدلل السهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أى من أول يوم حلول النبي ص . المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنى التاريخ عام الهجرة] ^(١) ولا شك أن هذا الذى قاله الامام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لان أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الاولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لكلا يخلط النظام والله أعلم .

فنعول والله المستعان : استهلّت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ص . مقيم بمكة ، وقد بايع الانصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا في أوسط أيام التشريق وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الانصار وأذن رسول الله ص . للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ص . ، وحبس أبو بكر

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

نفسه على رسول الله ﷺ ، ليصحبه في الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بسطه وتأخر على بن أبي طالب بعد النبي ﷺ ، بأمره ليؤدي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريباً من الزوال وقد اشتد الضحاء (١) .

قال الواقدي وغيره : وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول . وحكاه ابن اسحاق إلا أنه لم يبرج عليه ورجح أنه لثنتي عشرة ليلة خلت منه ، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور . وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال ، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبي حمزة الضبي عن ابن عباس . قال : بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة . وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبي أنس بن قيس :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً موالياً

وقال الواقدي عن إبراهيم بن اسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً موالياً

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدي خمس عشرة حجة ، وهو قول غريب جداً ، وأغرب منه ما قال ابن جرير : حدثت عن روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة قال : نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانين سنة بمكة ، وعشرًا بالمدينة . وكان الحسن يقول : عشرًا بمكة ، وعشرًا بالمدينة ، وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فكث بمكة عشرًا وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال : قرن اسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يلقى إليه الكلمة والشئ وفي رواية يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا ، وحلّل ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشرًا ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي والله أعلم .

(١) الضحاء قريباً من نصف النهار ، والضحوة ارتفاع أول النهار ، والضحى ما بين ذلك .

ولما حل الركاب النبوي بالمدينة ، وكان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف وهي قباء كما تقدم فاقام بها - أكثر ما قيل - ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثمانى عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال . والاشهر ما ذكره ابن اسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسس في هذه المدة المختلف في مقدارها - على ما ذكرناه - مسجد قباء ، وقد ادعى السهيلي أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - في أول يوم قدم إلى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) ورد قول من أعربها من تأسيس أول يوم ، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى [لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] كما تكلمنا على تقرير ذلك في التفسير وذكروا الحديث الذي في صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه . وذكروا الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا حسن بن محمد ثنا أبو إدريس ثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أقام في مسجد قباء فقال : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به ؟ » قالوا : والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يفسلون أديارهم من الغائط ففلسنا كما غسلوا . وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه وله شواهد أخر . وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس . وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وآله - قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية . ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم . ومن قال بأنه المسجد الذي أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير . ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبي والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبيرة وعطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم . وقد كان النبي - صلى الله عليه وآله - يزوره فيما بعد ويصلي فيه ، وكان يأتي قباء كل سبت قارة راكبا وقارة ماشيا وفي الحديث : « صلاة في مسجد قباء كعمرة » وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي - صلى الله عليه وآله - إلى موضع قبلة مسجد قباء ، فكان هذا المسجد أول مسجد بني في الاسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة . واحترزنا بهذا

عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لأن ذلك كان خاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم . وقد تقدم اسلام سلمان في البشارات ، أن سلمان الفارسي لما سمع بقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب اليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقباء قال هذا صدقة فكف رسول الله ﷺ فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل كل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله [(١)]

فصل في أخبار النبي ﷺ

في اسلام عبد الله بن سلام

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام . قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنجفل الناس ، فكنت فيمن أنجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب . فكان أول شيء سمعته يقول : « افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام » ورواه الترمذي وابن ماجه من طرق عن عوف الاعرابي عن زرارة ابن أبي أوفى به عنه . وقال الترمذي صحيح . ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبي ﷺ ورآه أول قدمه حين أتاه بقباء في بني عمرو بن عوف . وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أتاه عند دار أبي أيوب عند ارتحاله من بقاء إلى دار بني النجار كما تقدم ؛ فلمعه رآه أول ما رآه بقباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار والله أعلم . وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبي ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلمهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فانهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في . فارسل نبي الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأنني جئتكم بحق فاسلموا » قالوا ما نعلمه . قالوا [ذلك] للنبي ﷺ . قالها ثلاث مرار . قال « فأى رجل فيكم عبد الله »^(٢) بن سلام ؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرأيتم إن أسلم ، قالوا حاش لله ما كان ليسلم . قال « يا ابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت . فخرجهم رسول الله ﷺ . هذا لفظه . وفي رواية فلما خرج عليهم شهد شهادة

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبية . (٢) كذا في الاصلين وفي ابن هشام : الحصين

بيتي فأمرتهم فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود وقلت : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك فتغيبني عنهم ، ثم تسألم عني فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامي فانهم إن يعلموا بذلك بهتوني وعابوني ، وذكروني ما تقدم . قال فظهرت اسلامي واسلام أهل بيتي وأسلمت عمي خالدة بنت الحارث . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله ابن أبي بكر حدثني محمد بن عيسى عن صفية بنت حيي قالت : لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط اهش إليهما إلا اخذاني دونه ، فلما قدم رسول الله (ص) قباء - قرية بني عمرو بن عوف - غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فوالله ما جآنا إلا مع مغيب الشمس . فجآنا فآثرين كسلانين ساقطين يمسيان الهويناء ، فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلى واحد منهما ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال نعم والله ! قال تعرفه بنعته وصفته ؟ قال نعم والله ! قال فإذا في نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت . وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله (ص) المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه . فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بني النضير - فجلس إلى رسول الله (ص) وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعا - فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أظفني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك ، قال لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب ^(١) فلا أدري ما آل إليه أمره ، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبي (ص) وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبراً بين يدي رسول الله (ص) يوم قتل مقاتلة بن قريظة كما سيأتي إن شاء الله .

قصة قتله

ولما أرحل عليه السلام من قباء وهو راكب ناقته القصوراء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هناك ، في واد يقال له وادي رانواناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله (ص) بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقاً لانه والله أعلم لم يكن يتمكن هو

(١) كذا في الاصلين في كتب السيرة أنهم كانوا ثلاثة حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب والثالث هو جدي بن أخطب .

وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة
المشركين له ، وأذيتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله (ص) يومئذ

قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن
الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي (ص) في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف
رضي الله عنهم : « الحمد لله أحمد واستعينه ، وأستغفره واستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من
يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق
والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو
من الساعة ، وقرب من الاجل . من يطع الله ورسوله فقد رشيد ، ومن يعصهما فقد غوي وفرط
وضل ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن
يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك
ذكرى . وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومحافة ، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ، ومن
يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل
أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه
أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد . والذي صدق قوله ، وأتمجز وعده ، لا خلف لذلك ،
فانه يقول تعالى (ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر
والعلانية فإنه (من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) (ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً)
وإن تقوى الله توفى مقته ، وتوفى عقوبته ، وتوفى سخطه . وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى
الرب ، وترفع الدرجة ، خذوا بحفظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم
سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه وجاهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ولا قوة إلا بالله ، فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه
وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ،
الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » هكذا أوردها ابن جرير وفي السند ارسال .

وقال البيهقي : باب - أول خطبة خطبها رسول الله (ص) ، حين قدم المدينة - .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن

بكبير عن ابن اسحاق حدثني المنيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والاخنس بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله (ص) ، بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس قدموا لا أنفسكم تعلمن والله ليصمغن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجان ولا حاجب يحجبه دونه - ألم يأتك رسول فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدماه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يلقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزي الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام على رسول الله (١) ورحمة الله وبركاته » ثم خطب رسول الله (ص) مرة أخرى فقال : « أن الحمد لله أحمد واستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أجاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملاوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] فإنه من (٢) يختار الله ويصطفى فقد سباه خيرته من الأعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ومن كل مأثوثي الناس من الحلال والجرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته وصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله ينفضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وهذه الطريق أيضا مرسله إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت اللفاظ .

فَضْلُ الْمَدِينَةِ

في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار أبي ايوب

وقد اختلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر والله أعلم . قال البخاري حدثنا اسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد قال سمعت أبي يحدث فقال حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبي حدثنا أنس بن مالك . قال : لما قدم رسول الله (ص) المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فاقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملا بني النجار فجاءوا (١) وفي ابن هشام : والسلام عليكم وعلى رسول الله . (٢) كذا في المصرية ، وفي الحلبية فإنه من كل مختار الله . وفي ابن هشام : فإنه من كل ما يخلق الله يختار ، وما بين المرابين من ابن هشام .

متقلدى سيوفهم ، قال وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب ، قال فكان يصلى حيث أدر كته الصلاة ، ويصلى فى مرابض الغنم ، قال ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا فقال « يا بنى النجار نأمنونى بحائطكم هذا » فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل ، قال فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنُبشت ، وبالنخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادته حجارة ، قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله ﷺ معهم يقول ^(١) « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فأنصر الانصار والمهاجرة » وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد . وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزهرى عن عروة أن المسجد الذى كان مربداً - وهو بيدر التمر - ليتيمين كاتا فى حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل ، فساوهما فيه رسول الله ﷺ ، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله فابى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً . قال وجعل رسول الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب :

هذا الحمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول :

لاهم إن الأجر أجز الآخرة فأرحم الانصار والمهاجرة

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه فخلاله فى بياضة ، قال وقيل ابتاعه منهما رسول الله ﷺ . . .

قلت : وذكر محمد بن اسحاق أن المربد كان لفلانين يتيمين فى حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو فأن الله أعلم .

وروى البيهقى من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا حدثنا الحسن بن حماد الضبى ثنا عبد الرحيم ابن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن . قال : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى أغبر صدره ، فقال « ابنوه عريشا كعريش موسى » فقلت للحسن : ما عريش موسى ؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش - يعنى السقف - وهذا مرسل . وروى من حديث حماد بن سلمة عن أبى سنان عن يعلى بن شداد بن أوس عن عبادة أن الانصار جمعوا مالا فأتوا به النبى ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد ؟ فقال : « ما بى رغبة عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى » وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال

(١) وفى البخارى ورسول الله ﷺ معهم يقولون الخ .

أبو داود حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن موسى عن سنان عن فراس عن عطية العوفي عن ابن عمر أن مسجد النبي (ص) كانت سواريه على عهد رسول الله (ص) من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل : ثم إنها تخربت في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم إنها تخربت في خلافة عثمان فبناها بالآجر ، فما زالت ثابتة حتى الآن . وهذا غريب . وقد قال أبو داود أيضا حدثنا مجاهد بن موسى حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي عن أبي صالح ثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله (ص) مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر و بناء على بنائه في عهد النبي (ص) باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا . وغيره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (١) وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج (٢) وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولا قوله (ص) « من بنى لله مسجدا ولو كفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » وواقفه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيـد فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال اليه ، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبا على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن اسحاق : ونزل رسول الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله (ص) ليرغب المسلمين في العمل فيه . فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه . فقال قائل من المسلمين :

لئن قمنا والنبي يعمل لئذ لك منا العمل المضلل
وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لاعيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

فيقول رسول الله (ص) « لاعيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » قال فدخل

(١) القصة هي الجص كما في النهاية . (٢) في المصرية : بالسلاح وفي الحلبية بالساح تصحيف والساج الواح من الشجر .

عمار بن ياسر وقد ائقلوه باللبن فقال : يا رسول الله قتلوني يحملون على مالا يحملون . قالت أم سلمة
 فرأيت رسول الله (س) ، ينفذ وفرته بيده - وكان رجلا جمدا - وهو يقول : « ويح ابن ممية ليسوا
 بالذين يقتلونك إنما يقتلك الفئة الباغية » وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن
 اسحاق وبين أم سلمة وقد وصله سلم في صحيحه من حديث شعبة عن خالد الخذاء عن سعيد والحسن
 - يعني ابني أبي الحسن البصري - عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله
 (س) : « تقتل عمار الفئة الباغية » ورواه من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أمه
 عن أم سلمة أن رسول الله (س) ، قال لعمار وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا ابن ممية تقتلك الفئة
 الباغية » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت : لما كان
 رسول الله (س) ، وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب النبي (س) ، يحمل كل واحد لبنه لبنه ،
 وعمار يحمل لبنتين لبنه عنه ولبنه عن النبي (س) ، فسبح ظهره . وقال « ابن ممية ، للناس أجر ولك
 أجران ، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية » وهذا اسناد على شرط الصحيحين .
 وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة عن خالد الخذاء عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري . قال :
 كنا نحمل في بناء المسجد لبنه لبنه ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبي (س) ، فجعل ينفذ
 التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » . قال يقول
 عمار : أعوذ بالله من الفتن . لكن روى هذا الحديث الامام البخاري عن مسدد عن عبد العزيز بن
 المختار عن خالد الخذاء ، وعن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الخذاء به إلا أنه لم
 يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية .

قال البيهقي : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبي نضرة عن أبي سعيد [قال
 أخبرني من هو خير مني أن رسول الله (س) ، قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه
 ويقول : « يؤس ابن ممية » . وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة عن أبي مسلم عن
 أبي نضرة عن أبي سعيد [(١) قال حدثني من هو خير مني - أبو قتادة - أن رسول الله (س) ، قال
 لعمار بن ياسر « يؤس لك يا ابن ممية تقتلك الفئة الباغية » وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب
 عن دلود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (س) ، لما حفر الخندق كان الناس
 يحملون لبنه لبنه ، وعمار - فاقه من وجع كان به - فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد فحدثني
 بعض أصحابي أن رسول الله (س) ، كان ينفذ التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابن ممية تقتلك
 الفئة الباغية » . قال البيهقي : فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه . قال ويشبه أن

(١) ما بين المربعين عن الحلبية قطع .

يكون قوله الخندق وها أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق والله أعلم .
قلت : حمل اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا
الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد
قتله أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه . وقد كان
على أحق بالأمر من معاوية . ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة
الضالة من الشيعة وغيرهم لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فاتهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من
القتال وليس كل مجتهد مصيب بل المصيب له أجران والخطيئ له أجر ، ومن زاد في هذا الحديث
بعد تقتلك الفئة الباغية - لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة - فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله
ﷺ ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم . وأما قوله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى
النار ، فإن عماراً وأصحابه يدعوون أهل الشام إلى لغة واجتماع الكلمة . وأهل الشام يريدون
أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أو زاعاً على كل قطر امام برأسه ، وهذا
يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الامة فهو لازم مذهبهم وفاشي عن مسلكهم ، وإن كانوا لا
يقصدونه والله أعلم . وسيأتي تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول
الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه والمقصود هنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوي على بانيه أفضل
الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل حدثنا أبو عبد الله الحافظ أملاء ثنا أبو بكر بن اسحاق
أخبرنا عبيد بن شريك ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حشرج بن نباتة عن سعيد
ابن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ . قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر
فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء ولادة الأمر بعدي » : ثم رواه
من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حشرج عن سعيد عن سفينة . قال : لما بنى رسول الله
ﷺ المسجد وضع حجراً . ثم قال « ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره
إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء
الخلفاء من بعدي » وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً ، والمعروف ما رواه الامام احمد عن
أبي النضر عن حشرج بن نباتة العبسي (١) وعن بهز وزيد بن الحبيب وعبد الصمد وحماد بن سلمة
كلاهما عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون
من بعد ذلك الملك » ثم قال سفينة أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة

(١) كذا بالأصل ، وهو حشرج بن نباتة الأشجعي .

عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة على ست سنين، هذا لفظ احمد . ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق عن سعيد بن جهمان ، وقال الترمذى حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي (ص) ، أول ما بنى منبر يخطب الناس عليه ، بل كان النبي (ص) يخطب الناس وهو مستنملاً إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلى فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتى بيانه في موضعه وعدل اليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين النوق المشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده ، فرجع اليه النبي (ص) فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذى يسكت كما سيأتى تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدى وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضى الله عنهم . وما أحسن ما قال الحسن البصرى بعد ما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك : يا معشر المسلمين انخشوا نحن إلى رسول الله (ص) شوقاً اليه ، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشاققوا اليه ؟ ١٢ .

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف

قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى حدثنى أبي قال سمعت أبا سعيد الخدرى قال : اختلف رجلان رجل من بني خدره ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال الخدرى هو مسجد رسول الله (ص) ، وقال العمري هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله (ص) فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله (ص) . وقال « في ذلك خير كثير » يعنى مسجد قباء . ورواه الترمذى عن قتيبة عن حاتم بن اسماعيل عن أنيس بن أبي يحيى الاسلمى به وقال حسن صحيح . وروى الامام احمد عن اسحاق بن عيسى عن الليث بن سعد والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه . قال : تمارى رجلان في المسجد الذى أسس على التقوى ، وذكر نحو ما تقدم . وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخراط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبي سعيد كيف سمعت أباك في المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال أبي أتيت رسول الله (ص) فآلته عن المسجد الذى أسس على التقوى فآخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض . ثم قال : « هو مسجدكم هذا » وقال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التميمى عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد . قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله (ص) في المسجد فى الذى أسس على التقوى . فقال أحدهما هو مسجد رسول الله (ص) وقال الآخر هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله (ص) فسألاه فقال

« هو مسجدى هذا » وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمى عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي (ص) قال : « المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إعادة القطع بأنه مسجد الرسول (ص) وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير . وقال آخرون لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الاحاديث . لان هذا المسجد أولى بهذه الصفة . من ذلك لان هذا أحد المساجد الثلاثة التى تشد الرحال اليها كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد عن النبي (ص) قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها . وثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال : « صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وفي مسند احمد بأسناد حسن زيادة حسنة وهى قوله « فان ذلك أفضل » وفي الصحيحين من حديث يحيى القطان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » والاحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها في كتاب المناسك من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الامام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذلك بناء ابراهيم ، وهذا بناء محمد (ص) ، ومعلوم أن محمداً (ص) أفضل من ابراهيم عليه السلام . وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لانه في بلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض ، وجرمه ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين . فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره ، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فضائل المسجد النبوي

وبنى رسول الله (ص) حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولاهله وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبي الحسن البصرى — وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة — لقد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي (ص) يبنى . قلت : الا أنه قد كان الحسن البصرى شكلاً ضخماً طويلاً رحمه الله .

وقال السهيلي في الروض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من

حجارة مرضومة^(١) وسقوفها كلها من جريد . وقد حكى عن الحسن البصري ما تقدم . قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر . قال وفي تاريخ البخاري أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافر ، فدل على أنه لم يكن لا بوابه حلق . قال وقد أضيف الحجر كلها بعد موت أرواح رسول الله (س) إلى المسجد . قال الواقدي وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدثلي إلى مكة بعث معه رسول الله (س) . وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع مولى رسول الله (س) ليأتوا بأهاليهم من مكة وبمنا معهم بحملين وخمسائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاؤا ببنتي النبي (س) فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة ، وأمها أم رومان وأهل النبي (س) وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر وقد شرد بمائشة وأمها أم رومان الجبل في أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول : واعر وساء ، وابنتاه قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول أرسلني خطامه ، فأرسلت خطامه فوقف بأذن الله وسلمنا الله عز وجل . فتقدموا فترؤوا بالسبح . ثم دخل رسول الله (س) بمائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي ، وقدمت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهي حامل من عبد الله بن الزبير كما سيأتي بيانه في موضعه من آخر هذه السنة .

قصيدة

فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله (س) المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبا به كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شر الئله

وكان بلال إذا ألق عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة^(٢) بواذ وحولي اذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياةً بجنة وهل يبدؤن لي شامةً وطفيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله (س) فاخبرته فقال « اللهم حبيب الينا المديت حبنا مكة أو أشد وصحبها وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة » ورواه مسلم عن أبي بكر

(١) مرضومة : أي مصفوفة بعضها فوق بعض ، والرضام من الجبل دون المضاب .

(٢) الجليل : التمام إذا عظم وجل ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

ابن أبي شيبة عن هشام مختصراً . وفي رواية البخاري له عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول : اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء . قال رسول الله (ص) : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة » قالت وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله ، وكان بطحان يجري نجلاً (١) - يعني ماء آجنا - وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله (ص) المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى فصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر في بيت واحد فصابتهم الحمى فدخلت عليهم أدمعهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوباء فدنوت من أبي بكر فقلت كيف تجدك يا أبا ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله
قالت فقلت والله ما يدري أبي ما يقول ، قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك
عامر ؟ قال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حثفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي جلده برؤوقه
قال فقلت والله ما يدري ما يقول ، قالت وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عميره فقال :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بفخٍّ وحولى إذخر وجليل
وهل أردت يوماً مياه مجنة وهل يبتون لي شامة وطفيل
قالت عائشة : فذكرت لرسول الله (ص) ما سمعت منهم وقلت إنهم يهذنون وما يعلون من شدة الحمى فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة ، كما حببت إلينا مكة أو أشد ، وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مبيعة » ومبيعة هي الجحفة . وقال الامام احمد : حدثنا يونس ثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي بكر بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت لما قدم رسول الله (ص) المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنت عائشة رسول الله (ص) في عيادتهم فأذن لها ، فقالت لابي بكر كيف تجدك ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

(١) نجلا ، أي نزأ وهو الماء القليل . كذا في النهاية .

وسألت عامراً فقال :

إني وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حثفه من فوقه

وسألت بلالاً فقال :

ياليت شعري هل أبيتن ليلة بفتح وحولى إذخر وجليل

فأتت رسول الله ﷺ - فاخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبيب الينا المدينة كما حبيت الينا مكة ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها ، وانقل وياها إلى مهيعة » وهي الجحفة فيها زعموا وكذا رواد النسائي عن قتيبة عن الزايتي به ورواد الامام احمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قالا : ثنا أبو العباس الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله ، ووادها بطحان فجعل . قال هشام : وكان وادها معروف في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي ويثا فاشرف عليها الانسان قبل له أن يذهب نبي الحمار ، فاذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عبرت من خيفة الردي تهيق الحمار اني تجزوع

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « رأيت كأن امرأة سوداء فائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة - وهي الجحفة فأولتها أن ويا المدينة نقل إلى مهيعة - وهي الجحفة - » هذا لفظ البخاري ولم يخرجهم مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة . وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيثة ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله وانقل حماداً إلى الجحفة . قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى ورواه البيهقي في دلائل النبوة . وقال يونس عن ابن اسحاق : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيثة . فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ . وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعني مكة - عام عمرة القضاء . فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد قدهم حتى يثرب ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنتين ، ولم يمنعه أن يرملوا الا شواطئ كلها إلا الأبقاء عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة فاما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل . أو أنهم بقوا في خمار وما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم وقال زياد عن ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جاهدوا مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود ، قال نخرج رسول الله ﷺ ، وهم يصلون كذلك فقال لهم : « اعلو أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل .

فصل في الألف

في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وآبى هم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالحج قبل الانصار أيام بخت نصر حين دوح بلاد المقدس فيما ذكره الطبري . ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر مندر نزل الاوس والخزرج المدينة عند اليهود فخالفهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من انضال في العلم المأثور عن الانبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والاسلام وخذل أولئك لحسدهم وبغيتهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الامام احمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عاصم الاحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك . وقد رواه الامام احمد أيضا والبخاري ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الاحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله ﷺ بين قريش والانصار في داري . وقال الامام احمد : حدثنا نصر بن باب عن حجاج - هو ابن أرطاة - قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن النبي ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والانصار أن يعقلوا معاقلمهم ، وأن يقدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين . قال احمد وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن قاسم عن ابن عباس مثله . تفرد به الامام احمد ، وفي صحيح مسلم عن جابر . كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقولة . وقال محمد بن اسحاق : كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبي الامي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار وأهل

كل دار بنى ساعدة، وبنى جشم، وبنى النجار، وبنى عمرو بن عوف، وبنى النبيت، إلى أن قال وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا^(١) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بنى منهم أو ابتغى دسياسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كفر، ولا ينصر كافر على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وإن كل غزاة غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يبي^(٢) بعضهم بعضا بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اغتبط مؤمنا قتلًا عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد . . . وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(٣) إلا نفسه وأهل بيته، وإن يهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى الاوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف، وإن بطانة يهود كانوا أنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد، ولا ينحجر^(٤) على ثار جرح، وإنه من فتنك فبنفسه إلا من ظلم، وإن الله على أثر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأنم امرؤ بحليفه، وإن النصر للظلوم، وإن يثرب حرام حرقها^(٥) لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من

(١) المفرح المثل بالدين الكثير العيال قاله ابن هشام . (٢) يبي من البواء أى المساواة .
(٣) لا يوتغ، أى لا يوبق ويهلك . (٤) فى النهاية : لما نحجر جرحه للبره انفجر . أى
اجتمع والتأم . وفى ابن هشام : ينحجز بالزأى ولعلها تصحيف (٥) كذا بالمصرية ، وفى الحلبية :
خوفها ، وفى ابن هشام جوفها ، وفى النهاية : الجرف موضع قريب من المدينة ، ولعله الاصح .

نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فانهم يصلحونه وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم ، وان الله جار لمن برواقي ، كذا أورده ابن اسحاق بنحوه . وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فَضَّلَهُ

في مؤاخاة النبي (ص) بين المهاجرين والانصار

كما قال تعالى [والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون] وقال تعالى [والذين عاقت ايمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا] قال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد ثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولكل جعلنا موالى) قال : ورثة (والذين عاقت ايمانكم) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرون الانصارى دون ذوى رحمه للأخوة التى آخى النبي (ص) بينهم ، فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى) نسخت ثم قال (والذين عاقت ايمانكم فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له . وقال الأمام احمد قرئ على سفيان سمعت عاصما عن أنس قال : حالف النبي (ص) بين المهاجرين والانصار فى دارنا قال سفيان : كانه يقول آخى .

وقال محمد بن اسحاق : وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والانصار ، فقال : - فيما بلغنا ونمود بالله أن نقول عليه ما لم يقل - « فآخوا فى الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال « هذا أخى » فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب أخوين ، وكان حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسود رسوله وعم رسول الله (ص) ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) ، أخوين واليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين . قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة . قال ابن اسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلة بن سلامة بن وقش

أخوين ، ويقال بل كل الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبي ابن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين ، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الأشهل أخوين ، ويقال بل كان عمار وثابت ابن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند ^(١) من وجهين . قال : وأبو ذر بربر بن جنادة ^(٢) والمنذر بن عمرو الملقب لميت أخوين ، وحاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفرع ^(٣) أخوين . قال فهؤلاء ممن سمى لنا من كان رسول الله (ص) ، آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر ، أما مؤاخاة النبي (ص) ، وعلى فان من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لاجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبي (ص) ، لا أحد منهم ، ولا مهاجري لمهاجري آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي (ص) ، لم يجعل مصلحة على إلى غيره فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله (ص) ، من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاها زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار والله أعلم . وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فان جعفر ابن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال إنه أُرصد لاختوته إذا قدم حين يقسم ، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) ، آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة . وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن اسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم .

وقال البخاري باب كيف آخى النبي (ص) ، بين أصحابه . وقال عبد الرحمن بن عوف : آخى النبي (ص) ، بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة . وظل أبو جحيفة : آخى النبي (ص) ، بين

(١) في الحلية : وهذا النسب وهو خطأ . (٢) وقال ابن هشام : يقال أبو ذر جندب بن جنادة ، وفي الإصابة . قال : جندب بن جنادة ، وقيل بربر بالتصغير . (٣) قال السهيلي : الفرع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس ، وبالسكون ابن عبد الله بن ربيعة .

سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما . حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن حميد عن أنس قال قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي (ص) بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري ، ففرض عليه أن ينصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلتني على السوق . فربح شيئا من أقط وسمن ، فرآه النبي (ص) بعد أيام وعليه وضر من صفرة ، فقال النبي (ص) : « مهيم يا عبد الرحمن ؟ » قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الانصار . قال « فما سقت فيها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال النبي (ص) : « أو لم ولو بشاة » تفرد به من هذا الوجه . وقد رواه أيضا في مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن حميد به . وقال الإمام احمد حدثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله (ص) بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري ، فقال له سعد : أي أخى أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي نخذه وتحق امرأتان فانظر أيهما أعجب اليك حتى أطلقها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلتني على السوق . فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران ^(١) فقال رسول الله (ص) : « مهيم ؟ » فقال : يا رسول الله تزوجت امرأة ، قال : « ما أصدقته ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال « أو لم ولو بشاة » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيتني ولو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب ذهباً وقضة . وتعليق البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فانه لا يعرف مسنداً ^(٢) إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فانه أعلم . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس . قال قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله . قال : « لا ! ما أنتميم عليهم ودعوتهم الله لهم » هذا حديث ثلاثي الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت في الصحيحين من ^(٣) وقال البخاري أخبرنا الحكم ابن قافع أخبرنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . قال قالت الانصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال لا . قالوا أفكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة ، قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال ردول الله (ص) : « للانصار » إن إخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم ، فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله (ص) : « أو غير ذلك ؟ »

(١) كذا في الاصل ولعله ودك زعفران . (٢) في هامش الحلبية ما يأتي : قوله مسنداً هذا غريب ، بل رواه البخاري موصولاً في أول كتاب البيوع فراجعته فوجدته عن عبد الرحمن .

(٣) هنا يياض في الاصلين . وهو في البخاري في كتاب الوكالة .

قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاصمونهم الثمر » . قالوا
نعم ، وقد ذكرنا ما ورد من الاحاديث والآثار في فضائل الانصار وحسن معالمتهم عند قوله تعالى
(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) الآية .

فصل في مناقب النجاريين

في موت أبي أمانة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار
أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من
بايع رسول الله (ص) ، ليلة العقبة الثانية في قول وكان شاباً وهو أول من جمع بالمدينة في تقيع الخضعات
في هزم النبي كما تقدم .

قال محمد بن اسحاق : وهلك في تلك الاشهر أبو أمانة أسعد بن زرارة والمسجد بيني أخذته
الذبيحة - أو الشقة - . وقال ابن جرير في التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع
عن معمر عن الزهري عن أنس أن رسول الله (ص) ، كوى أسعد بن زرارة في الشوكة . رجاله ثقات .
قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله
ابن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة . قال قال رسول الله (ص) : « بئس الميت أبو أمانة ، ليهود
ومنافق العرب ، يقولون لو كان نبياً لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً »
وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مقدم النبي (ص) ، وقد زعم أبو الحسن بن الاثير في الغابة أنه
مات في شوال بعد مقدم النبي (ص) ، بسبعة أشهر والله أعلم . وذكر محمد بن اسحاق عن عاصم بن
عمر بن قتادة أن بني النجار سألوا رسول الله (ص) ، أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أمانة أسعد بن زرارة
فقال : « أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من
فضل بني النجار الذي يعتبون به على قومهم أن كان رسول الله (ص) ، نقيبهم . قال ابن الاثير : وهذا
رد قول أبي بيم وابن منده في قولهما أن أسعد بن زرارة كان نقيباً على بني ساعدة ، إنما كان على
بني النجار ، وصدق ابن الاثير فيما قال . وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ : كان أول من توفي
بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم ، لم يلبث
بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات ، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن
يفرغ بناء المسجد بالذبيحة أو الشقة .

قلت : وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن
عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الانصاري الاوسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان

شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله (ص) المدينة ، ولما قدم رسول الله (ص) المدينة ونزل بقباء نزل في منزل هذا في الليل ، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضي الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بني النجار كما تقدم . قال ابن الأثير : وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله (ص) ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبري .

فَضَّلَ

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد في الاسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة رضي الله عنهما . وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الاسود . ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حشمة عن أبيه عن جده يوزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة ، والصحيح ما قدمنا . فقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وأنا ممت فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله (ص) فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم ثقل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله (ص) ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرك عليه . فكان أول مولود ولد في الاسلام . تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي (ص) وهي حبلى . حدثنا قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير ، أتوا به النبي (ص) ، فآخذ النبي (ص) تمرة فلا كها ثم أدخلها في فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبي (ص) ، فهذا حجة على الواقدي وغيره لأنه ذكر أن النبي (ص) بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبأ رافع ليأتوا بعياله وغيلال أبي بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبي (ص) ، وأسماء حامل منهم أي مقرب قد دنا وضما لولدها ، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحوا بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولده ، فأكذب الله اليهود فيها زعموا

فَضَّلَ

وبني رسول الله (ص) بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الامام احمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن اسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه

عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله ﷺ في شوال ، وبني بي في شوال ، فأى نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني ؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال . ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به . وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير ، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وإن دخوله بها كان بالسنة نهاراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العبدین خشية المفارقة بين الزوجين وهذا ليس بشئ لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس في ذلك الوقت : تزوجني في شوال ، وبني بي في شوال - أي دخل بي - في شوال ، فأى نساءه كان أحظى عنده مني ؟ فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نساءه إليه ، وهذا الفهم منها صحيح لماد على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح البخاري عن عمرو ابن العاص : قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت من الرجال قال « أبوها » .

فَضِيلَةُ النَّبِيِّ ﷺ

قال ابن جرير : وفي هذه السنة - يعني السنة الأولى من الهجرة - زيد في صلاة الحضر - فيها قيل - ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي ثلثي عشرة ليلة مضت ، وقال : وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه . قلت : قد تقدم الحديث الذي رواه البخاري من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . وروى من طريق الشعبي عن مسروق عنها . وقد حكى البيهقي عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً والله أعلم . وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تنصروا من الصلاة) الآية .

فَضِيلَةُ النَّبِيِّ ﷺ

في الأذان ومشروعيته

قال ابن اسحاق : فلما اطمان رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع اليه الانصار استحكم أمر الاسلام ، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحرام وتبوا الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحى من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان

وقد كان رسول الله (س) حين قدمها إنما يجتمع الناس اليه للصلاة حين موابقتها بغير دعوة ، فهم رسول الله (س) أن يجعل بوقا كيقوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله (س) فقال : يا رسول الله إنه يطاف بي هذه الليلة طائف ، مري رجلا عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده ، فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ فقال وما تصنع به ؟ قال قلت ندعو به إلى الصلاة ، قال ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو ؟ قال تقول ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله ، حي على الصلاة حي على الصلاة ، حي على الفلاح حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله (س) قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، قم مع بلال فالتقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك » فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته تخرج إلى رسول الله (س) وهو يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى . فقال رسول الله (س) : فله الحمد . قال ابن اسحاق : فحدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة ابن عبد ربه عن أبيه . وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن اسحاق به ، وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما . وعند أبي داود أنه عليه الاقامة قال ثم تقول إذا أتمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن مينون عن محمد بن سلمة الخرائي عن ابن اسحاق كما تقدم . ثم قال قال أبو عبيد وأخبرني أبو بكر الحكيم أن عبد الله بن زيد الانصاري قال في ذلك :

الحمد لله ذي الجلال وذو الإكرام حمداً على الأذان كبيرا
إذ أتاني به البشير من الله فأكرم به لدي بشيرا
في ليل والى بين ثلاث كلما جاء زادني توقيرا

قلت : وهذا الشعر غريب وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليل حتى أخبر به رسول الله (س) ، قاله أعلم . ورواه الامام احمد من حديث محمد بن اسحاق قال وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن اسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ولم يذكر الشعر . وقال ابن ماجه حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ثنا أبي عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن

سالم عن أبيه أن رسول الله (ص) استشار الناس لما بهمهم من الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى . فأرى النداء تلك الليلة رجل من أئمة انصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الانصارى رسول الله (ص) ليلاً فأمر رسول الله (ص) بلالاً فأذن به . قال الزهري وزاد بلال في نداء صلاة الغداة ، الصلاة خير من النوم مرتين ، فأقرها رسول الله (ص) . فقال عمر : يا رسول الله رأيت مثل الذى رأى ولكنه سبقنى ، وسيأتى تحريه . هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة . فأما الحديث الذى أورده السهيلي بسنده من طريق البزار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب فذكر حديث الاسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الاذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد (ص) فقدمه فأمر بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلي واخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء . فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله (ص) ليلة الاسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة والله اعلم (١) .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج . قال قال لى عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول : ائتمروا بالنبي (ص) وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام لا يحملوا الناقوس بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر إلى النبي (ص) ليخبره بما رأى وقد جاءه النبي (ص) الوحي بذلك فراجع عمر إلا بلال يؤذن ؟ فقال رسول الله (ص) : حين أخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوحي » وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت : كان يبنى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ثم قال : اللهم احمدك واستمعينك على قریش لن يقيموا دينك ، قالت ثم يؤذن ، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة - يعنى هذه الكلمات وزواه أبو داود من حديثه منفرداً به .

فَضْلُ اللَّهِ

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أن رسول الله ﷺ عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من هجرته حمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترض لميراث قریش وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قریش فجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يكن بينهم قتال ، قال وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الفنوي .

فَضْلُ اللَّهِ

* في سرية عبدة بن الحارث بن عبد المطلب *

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أيضا أن النبي ﷺ عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ ، وكان لواءه مع مسطح بن أثانة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، وأنهم التقواهم والمشركون على ماء يقال له أحياء وكان بينهم الرمي دون المسابقة . قال الواقدي : وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثلث عندنا ، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص .

فَضْلُ اللَّهِ

قال الواقدي : وفيها - يعني في السنة الأولى في ذي القعدة - عقد رسول الله ﷺ . السعد بن أبي وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن الأسود ، فحدثني أبو بكر بن اسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه] . قال : خرجت في عشرين رجلا على أقدامنا ، أو قال أحد وعشرين رجلا ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى أصبحنا الخرار ضبيع خامسة ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أن لا أجلوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم . قال الواقدي : كانت العير سنين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين . قال أبو جعفر بن جرير (رح) وعند ابن اسحاق (رح) أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن اسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رح) لمن تأمله كما سنورده في أول كتاب المغازي في أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوما نحن فيه إن شاء الله ، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وستزيدها بسطا وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى . والواقدي (رح) عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محروغ غالبا فانه من أئمة هذا الشأن الكبار

وهو صدوق في نفسه مكثار كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل والله الحمد والمنة .

قصة مولد النبي

ومن ولد في هذه السنة المباركة - وهي الاولى من الهجرة - عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الاسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضي الله عنهما ، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الاول كما قدمنا بيانه والله الحمد والمنة ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبي عبيد وزياد بن ممية ولدا في هذه السنة الاولى (١) فإله أعلم . ومن توفي في هذه السنة الاولى من الصحابة ؛ كلثوم بن الهدم الاوسي الذي نزل رسول الله - في مسكنه بقباء إلى - بن ارنجل منها إلى دار بني النجار كما تقدم ، وبعده - فيها - أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار توفي ورسول الله - ، يبنى المسجد كما تقدم رضي الله عنهما وارضاهما .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة - يعني الاولى من الهجرة - مات أبو أحيحة بماله بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة . قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل .

(١) وفي الاصلين : في هذه السنة الثانية وهو خطأ وصحتها من تاريخ ابن جرير .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها ، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل ، والهدى والغي . وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان

كتاب المغازي

قال الامام محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة بعد ذكر أحبار اليهود ونصيبهم العداوة الاسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات ، ففتحهم حيي بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدي ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الاعور ، تاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بارض خيبر كما سيأتي ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو ابن جحاش ، وكعب بن الاشرف وهو من طيء ثم أحد بني نهبان وأمه من بني النضير ، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي ، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بني النضير ، ومن بني ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز - بعد - أعلم بالتوراة منه . قلت : وقد قيل إنه أسلم ، وابن صلوبا ومخيريق وقد أسلما يوم أحد كما سيأتي وكان جبر قومه ، ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيخان ^(١) وعزيز بن أبي عزيز ^(٢) وعبد الله بن ضيف ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص وأشيع ونعمان بن أضاء ، وبحري بن عمرو ، وشاش بن عدى ، وشاش بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمير ^(٣) وسكين بن أبي سكينة ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك ابن صيف ^(٤) وكعب بن راشد ، وعازر ورافع بن أبي رافع ، وخالد وازار بن أبي ازار . قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبي آزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريمة ، ورافع بن خارجة ، ومالك ابن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

(١) كذا في الاصلين شيخان : وفي ابن هشام : محمود بن سبحان . (٢) كذا في النسخة الخلبية وابن هشام والسهيلي : وفي المصرية : عزيز بن أبي عزيز بالراء (٣) كذا في المصرية وفي الخلبية : عمر ، وفي ابن هشام عمرو . (٤) وقال ابن هشام : يقال ابن الضيف بالمعجمة .

قلت : وقد تقدم اسلامه رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وكان جبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله . قال ابن اسحاق : ومن بنى قرينة الزبير بن باطا ابن وهب ، وعزال بن قموال ^(١) وكعب بن أسد وهو صاحب عقدم الذى تقضوه علم الأحزاب وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينه ، والنحام بن زيد ، وكردم بن كعب ^(٢) ووهب بن زيد ونافع بن أبي نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن زميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهودا . قال ومن بنى زريق ، لبيد بن أعصم وهو الذى سحر رسول الله ﷺ ، ومن يهود بنى حارثة ، كنانة بن صوريا . ومن يهود بنى عمرو بن عوف كردم بن عمرو ، ومن يهود بنى النجار ، سلسلة بن برهام .

قال ابن اسحاق : فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ ، وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الاسئلة لرسول الله ﷺ . على وجه التفتت والعناد والكفر قال وأصحاب النصب لأمر الاسلام ليظفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ونخيريقي ، ثم ذكر اسلام عبد الله بن سلام واسلام عمته خالدة كما قدمناه وذكر اسلام نخيريقي يوم أحد كما سيأتى وأنه قال لقومه - وكان يوم السبت - يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتل هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله - وكان كثير الاموال - ثم لحق برسول الله ﷺ . فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، قال فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغنى « نخيريقي خير يهود » .

فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ

ثم ذكر ابن اسحاق من مال إلى هؤلاء الاضداد من اليهود من المناقين من الأوس والخزرج فمن الأوس زوى ^(٣) بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصامت الانصارى وفيه نزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحر ، قتها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ ، فانكر الجلاس ذلك وحلف ما قال قتل فيه ذلك . قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المجنر بن ذكياد البلوى وقيس

(١) فى الحلبية : شمويل ، وفى ابن هشام مموال بالسين المهملة . (٢) وفى ابن هشام : كردم بالقاف

(٣) وفى ابن هشام : زوى بالراء بدل الواو .

ابن زيد أحد بنى ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان مناققا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلها ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر قد قتل أباه سويد بن الصامت في بعض حروب الجاهلية فاخذ بثأر أبيه منه يوم أحد ، كذا قال ابن هشام . وقد ذكر ابن اسحاق أن الذي قتل سويد بن الصامت إنما هو . ما ذ بن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بعث رماد بسهم فقتله . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال لأن ابن اسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله أمر عمر بن الخطاب بقتله أن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطالب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فانزل الله - فيما بلغني عن ابن عباس - (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) إلى آخر القصة . قال : ويجاد بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله . . . : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيما أدلم نأثر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله . . . ، ثم ينقله إلى المناققين وهو الذي قال : إنما محمد أذن ، من حديثه بشئ صدقه . فانزل الله فيه (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) الآية . قال : وأبو حبيبة بن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نكثنا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتب هو الذي قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا فنزل فيه الآية . وهو الذي قال يوم الأحزاب كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى وقيصر : واحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه [واذا يقول المناقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا] .

قال ابن اسحاق : والحارث بن حاطب . قال ابن هشام . ومعتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المناققين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . قال وقد ذكر ابن اسحاق ثعلبة والحارث في بنى أمية بن زيد في أسماء أهل بدر .

قال ابن اسحاق : وعباد بن حنيفة أخو سهل بن حنيف وبخرج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمر بن حرام ^(١) وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطف ، وابناه يزيد ^(٢) ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك وكان في أيام عمر سأل أهل قباء

(١) كذا في الحلبيية ، والمصرية : عمر بن حزام ، وابن هشام وعمر بن خدام .

(٢) وفي ابن هشام . زيد .

عمر أن يصلي بهم مجمع فقال : لا والله ، أوليس امام المناقطين في مسجد الضرار ؟ خلف بالله ما علمت بشئ من أمرهم فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم . قال ووديعه بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذي قال : إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك قال وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره . قال ابن هشام مستدركا على ابن اسحاق في منافق بني النبيت من الاوس وبشر ورافع ابنا زيد . قال ابن اسحاق : ومربع بن قبيط - وكان أعمى - وهو الذي قال لرسول الله (س) ، حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر في حائطى وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (س) : « دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » وقد ضربه سعد ابن زيد الاشجلى بالقوس فشججه . قال وأخوه أوس بن قبيط وهو الذي قال : إن بيوتنا عورة . قال الله (وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً) قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخاً جسيماً قد عسا^(١) في جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بني ظفر . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجمعوا يقولون : أبشر بالجنة يا ابن حاطب . قال فنجم نفاق أبيه فجعل يقول : أجل جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه . قال وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآيات . قال وقزمان حليف لبني ظفر الذى قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قاتلت إلا حمية على قومي ثم مات لعنه الله . قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني عبد الاشهل منافق ولا مباقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود خيولاء كلهم من الاوس . قال ابن اسحاق : ومن الخزرج رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو ابن سهل ، والجد بن قيس وهو الذى قال : ائذن لى ولا تفتنى ، وعبد الله بن أبي بن سلول ، وكان رأس المناقطين ورئيس الخزرج والاوز أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم في الجاهلية ، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغازله ذلك جداً ، وهو الذى قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوئل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) الآيات حين مالوا في الباطن إلى بني النضير .

(١) عسا أى كبر وأسن من عسا القضيبي اذا يبس .

فضائل الأنبياء

ثم ذكر ابن اسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا في الباطن فاتبهم بصنف المنافقين وهم من شرم ، سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقة؟ فقال رسول الله ﷺ : والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلتني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها ، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك . قال ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن خزيمة ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : يوم مات - فيما بلغنا - : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » ورافعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم موته عندهم من جمع رسول الله ﷺ ، من تبوك فقال : « إنها هبت موت عظيم من عظماء الكفار » فلما قدموا المدينة وجدوا رافعة قد مات في ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود قال فكان هؤلاء المناقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع في المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ . يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ . فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا ، فقام أبو أيوب إلى عمرو ابن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب آلهم في الجاهلية - فآخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول - لعنه الله - أخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري فليبه بردائه ، ثم نثره نثرا شديدا ^(١) ولطم ^(٢) . فآخذه من المسجد وهو يقول : أف لك مناققا خبيثا . وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فآخذ بلحيته وقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجا من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدسه بهما لدمة ^(٣) في صدره خز منها قال يقول : خذتني يا عمارة ، فقال عمارة . أبعدك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ . وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار - وكان بدريا - إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا - وليس في المنافقين شاب سواه - فجعل يدفعه قفاه حتى أخرجه . وقام رجل من بني خندرة إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو - وكان ذا جمة - فآخذ بجمته فسحبه بها سحبيا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهل لتلك أي عدو الله

(١) النثر : جذب فيه قوة وجفوة عن النهاية . (٢) أي ضربه ودفعه ، واللدغ الضرب ببطن الكف .

لما أنزل فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله (ص) ، فانك نجس ، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه أخرجاً عنيفاً وأف (١) منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتكلم على تفسير ذلك فاجاد وأفاد رحمه الله .

أول المغازي وهي غزوة الابهاء او غزوة ودان

وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي . قال البخاري كتاب المغازي . قال ابن اسحاق : أول ما غزا رسول الله (ص) الابهاء . ثم بواط ، ثم العشيرة . ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله (ص) ؟ قال : تسع عشرة شهدها سبعة عشر أولهن العسيرة - أو العشيرة - . وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله وبه الثقة . وفي صحيح البخاري عن بريدة قال : غزا رسول الله (ص) ست عشرة غزوة ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله (ص) ست عشرة غزوة ، وفي رواية له عنه أن رسول الله (ص) غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثماني منهن . وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله (ص) غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمان ، يوم بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وقديد وخيبر ، ومكة ، وحنين . وبعث أربعا وعشرين مرية . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي ثنا الهيثم بن حميد أخبرني النعمان عن مكحول أن رسول الله (ص) غزا ثمانية عشر غزوة ، قاتل في ثمان غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الاحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف (٢) قوله بئر معونة بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتي . قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله (ص) ثماني عشرة غزوة ، وسمعت مرة أخرى يقول أربعا وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهما أو شيئاً سمعه بعد ذلك . وقد روى الطبراني عن الدبري (٣) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري : قال : غزا رسول الله (ص) أربعا وعشرين غزوة . وقال عبد الرحمن بن حميد في مسنده حدثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا ابن اسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر . قال : غزا رسول الله (ص) إحدى وعشرين غزوة . وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة أن غزاه رسول الله (ص) وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين .

(١) أي ألقى طرف ثوبه على أفه وقال أف أف استقداراً . (٢) الغزوات المذكورة تسع لثمانية ظيحر . (٣) في الاصلين الدبري والدبري وإنما هو اسحاق بن ابراهيم الدبري بالبلاء .

ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت في الاكليل على الترتيب بعوث رسول الله (ص) وسراياه زيادة على المائة . قال وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر ، السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين . وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً ، وحمله كلام قتادة على ما قال فيه نظر . وقد روى الامام احمد عن أزهر بن القاسم الراسبي عن هشام الدستوائي عن قتادة أن مغازي رسول الله (ص) وسراياه ثلاث وأربعون ، أربع وعشرون بعثاً ، وتسع عشرة غزوة . خرج في ثمان منها بنفسه ، بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين . وقال موسى بن عقبة عن الزهري : هذه مغازي رسول الله (ص) التي قاتل فيها ، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الاحزاب وبنى قريظة - في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبنى الحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الابواء . وقال حنبل بن هلال عن اسحاق بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن البجلي عن معمر عن الزهري قال : أول آية نزلت في القتال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآية بعد مقدم رسول الله (ص) المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله (ص) يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال ثم غزا بني النضير ، ثم غزا أحدًا في شوال - يعني من سنة ثلاث - ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بني الحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله (ص) إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله (ص) ، الابواء ، ثم العشرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بني سليم ، ثم غزوة الابواء (١) ثم غزوة بدر الاولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث ، هكذا كتبه من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جداً ، والصواب ما سنده فيما بعد إن شاء الله مرتباً . وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازي النبي (ص) ، كما نعلم السورة من القرآن . قال الواقدي : وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمي الزهري يقول : في علم المغازي علم الآخرة والدنيا وقال محمد بن اسحاق (رح) في (١) كذا بالاصلين مكرراً غزوة الابواء والذي في ابن هشام : الابواء ، بواط ، العشرة الخ .

المغازي بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤس الكفر من اليهود والمناقبين لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل سافلين . ثم إن رسول الله (ص) تهيأ لخر به وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين ، قال وقد قدم رسول الله (ص) المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تمتدل لثقي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله (ص) يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعث الله بثلاث عشرة سنة فاقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة وولي تلك الحجة المشركون ، والمحرم ، ثم خرج رسول الله (ص) غاريا في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عباد . قال ابن اسحاق : حتى بلغ ودان وهي غزوة الالبواء ، قال ابن جرير : ويقال لها غزوة ودان أيضا ، يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه منهم مخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيدم في زمانه ذلك . ورجع رسول الله (ص) إلى المدينة ولم يلق كيذا فاقام بها بقية صفر وصدر من شهر ربيع الأول . قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها عليه السلام . قال الواقدي وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) بني مقامه ذلك بالمدينة عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين - أو ثمانين - راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز باسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به في سبيل الله في الاسلام . ثم أنصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراقي حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكاتا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار . قال ابن اسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل وروى ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء (١) عن أبي عمرو المدني أنه قال : كان عليهم مكرز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان ، أحدهما أنه مكرز ، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب وأنه رجح أنه أبو سفيان فأنه أعلم . ثم ذكر ابن اسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السرية التي أولها :

أون طيف سلى بالبطاح الدماث
أرقت وأمر في العشيرة حادث
نرى من لؤي فرقة لا يصدّها
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

(١) في ابن هشام : حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء .

رسول أنام صادق فتكذبوا عليه وقالوا لست فينا بما كـ
 إذا ما دعوناكم إلى الحق أدبروا وهرّوا هرير الحجرات اللواث
 القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزبيري في مناقضتها التي أولها :
 أمن رسم دار أقفرت بالمعاش بكيت بعين دمعها غير لا بث
 ومن عجيب الأيام - والدهر كله له عجب - من سابقات وحادث
 لجيش أنانا ذي عرام يقوده عبدة يدعى في الهياج ابن حارث
 لنترك أصناماً عيكة عكفا مواريث موروث كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الامام عبد الملك بن هشام (رح) وكان
 إماماً في اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرون هاتين القصيدتين . قال ابن اسحاق وقال سعد
 ابن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أنى رسول الله أنى حيث صحابتي بصدور نبلي
 أذود بها أوائلهم ذيادة بكل حزونة وبكل سهل
 فما يعتد رام في عدو بسهم يارسول الله قبلي
 وذلك أن دينك دين صدق وذو حق أتيت به وفضل (١)
 ينجي المؤمنون به ويخزي به الكفار عند مقام مهل (٢)
 فهلا قد غويت فلا تعني غوي الحقي وبحك يا ابن جهل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد . قال ابن اسحاق : فكانت راية
 عبدة - فيما بلغنا - أول راية عقدتها رسول الله (ص) ، في الاسلام لاحد من المسلمين . وقد خالفه
 الزهري وموسى بن عقبة والواقدي فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبدة بن الحارث والله أعلم
 وسيأتي في حديث سعد بن أبي وقاص أن أول امرأ السرايا عبد الله بن جحش الاسدي
 قال ابن اسحاق : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله (ص) ، بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء
 قبل أن يصل إلى المدينة وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهري .

فَضِّلْهُ

قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) ، في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى
 سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فلقى أبا
 (١) الذي في ابن اسحاق : وعدل . (٢) وفي ابن هشام بدل مهل سهل ومهل : إمهال وثبتت .

جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفرقةين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .
قال ابن اسحاق : وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عندها رسول الله (س) لاحد من المسلمين ، وذلك أن بعث عبيدة كاتبا معا فشبّه ذلك على الناس
قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الابداء . فلما قتل عليه السلام من الابداء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين ، وذكر نحو ما تقدم . وقد تقدم عن الواقدي أنه قال : كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها والله أعلم . وقد أورد ابن اسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعرا يدل على أن رايته أول راية عقدت في الاسلام ، لكن قال ابن اسحاق : فان كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقا ، والله أعلم أي ذلك كان . فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبادة أول . والقصة هي قوله :

ألا يا قومي لتعلم والجهل	وللتقصير من رأي الرجال والعقل
والراكيينا بالمظالم لم نطأ	لم حرمان من سوام ولا أهل
كأننا بتلناهم ولا بتل " عندنا	لم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وأمر باسلام فلا يقبلونه	ويترزل منهم مثل بمنزلة الهزل
فما برحوا حتى اتتدبت لغارقي	لم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافقي	عليه لواء لم يكن لاح من قبل
لواء لديه النصر من ذي كرامة	إله عزيز فله أفضل الفعل
عشية ساروا حاشدين وكلنا	مراجله من غيظ أصحابه ثغلي
فلما تراموا أفاخوا فقتلوا	مطاي وعقلنا مدى غرض النبل
وقلنا لم حبل إلا له نصيرنا	ومالك إلا الضلالة من حبل
فتار أبو جهل هنالك باغيا	نقاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا	وهم مائتان بعد واحتي فضل
فيال لؤي لا تطيعوا غواثكم	وفيشوا إلى الاسلام والمنهج السهل
فاني أخاف أن يصب عليكم	عذاب فتدعوا بالندامة والشكل

(١) كذا في المصرية ، ومعنى البتل القطع ، وفي الحلبية وابن هشام : نبلناهم بالنون ومعناها رميناهم بالنبل .

قال فاجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :

عجبتُ لاسبابِ الحنيفة والجهل وللشاعبين بالخلاف وبالْبَطْل
وللتاركين م وجدنا جدودنا عليه ذوى الاحساب والسؤدد الجرل
ثم ذكر تمامها . قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين النصيدتين لحزرة رضى الله
عنه ولأبى جهل لعنه الله .

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله (س) في شهر ربيع الاول - يعنى من السنة الثانية - ريد
قريشا . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الواقدي : استخلف
عليها سعد بن معاذ . وكان رسول الله (س) في مائتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبى وقاص
وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل والغان وخمسمائة بعير .
قال ابن اسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها
بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الاولى] .

غزوة العشيرة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد . قال الواقدي : وكان لواؤه مع
حزرة بن عبد المطلب . قال وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .
قال ابن اسحاق : فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيضاء الخيار ، فنزل تحت شجرة يدها
ابن أزهري قال لها ذات الساق فصلى عندها فتم مسجده ، فصنع له عندها طعاما فاكل منه وأكل
الناس معه ، فرسوم أنافى البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ثم ارتحل فترك
الخلائق (١) يسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صب للشاد (٢) حتى هبط ملل ، فنزل بمجتمعه وجمتمع
الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة
من بطن ينبع فاقام بها جمادى الاولى وليال من جمادى الآخرة وواعد فيها بنى مدلج وحلفاءهم من
(١) الخلائق بالخاء المعجمة : البر التي لاماء فيها . وقال السهيلي : بالخاء المهملة آبار معلومة ورجح
الرواية الاولى . (٢) صب للشاد كذا في المصرية وابن هشام . وقال الخشنى صب للشاد (بالسين
المهملة) ثم قال وصوابه لليسار وصحفه في الحلبية فقال : صب المسار .

بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً . وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ثنا وهب ثنا شعبة عن أبي اسحاق . قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقبل له كم غزا رسول الله (س) من غزوة ؟ قال : تسع عشرة . قلت كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة غزوة ، قلت فأيهن كان أول ؟ قال العشير - أو العسير - فذكرت لقتادة فقال : العشير . وهذا الحديث ظاهر في أن أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين وبهما مع حذف التاء ، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبي (س) زيد بن أرقم العشيرة وحيث لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهدا زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن اسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم .

قال محمد بن اسحاق : ويومئذ قال رسول الله (س) لعلى ما قال فحدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي حدثني أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر . قال كنت أنا وعلى بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن يذبع ، فلما نزلها رسول الله (س) أقام بها شهراً فصالح بها بنى مدج وحلفاءهم من بنى ضمرة فوادعهم ، فقال لي على بن أبي طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن تأتي هؤلاء النفر - من بنى مدج يعملون في عدين لهم - تنظر كيف يعملون ؟ فاتيناهم فنظرنا اليهم ساعة ففشنا النوم فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنسنا فيه ، فوالله ما أهبنا إلا ورسول الله (س) يحركنا بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله (س) لعلى : « يا أبا تراب » لما عليه من التراب ، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال : « ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين ؟ » قلنا بلى يا رسول الله فقال : « أحير ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا على على هذه - ووضع رسول الله (س) يده على رأسه - حتى تبل منها هذه - ووضع يده على لحيته - » وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر في تسمية على أبا تراب كما في صحيح البخارى أن علياً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله (س) ، فسألها عنه فقالت خرج مغاضباً فجاء إلى المسجد فليقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب » .

غزوة بدر - الأولى

قال ابن اسحاق : ثم لم يقم رسول الله (س) بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليل قلائل لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر الفهري على مسرح المدينة ، فخرج رسول الله (س) في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، وهي غزوة بدر الأولى ، وقاته كرز فلم يدركه . وقال الواقدي : وكان لواؤه مع على بن أبي طالب . قال ابن هشام والواقدي : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن اسحاق : فرجع رسول الله (ص) ، فاقام جمادى ورجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدي ذلك سبعة في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز . قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلق كيداً . هكذا ذكره ابن اسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة ، أعني بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذي القعدة كلها في السنة الأولى .

وقد قال الامام احمد : حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثني يحيى بن سعيد . وقال عبد الله بن الامام احمد وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي حدثنا أبي ثنا المجالد عن زياد ابن علاقة عن سعد بن أبي وقاص . قال لما قدم رسول الله (ص) المدينة جاءته جبهة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فاثبت حتى نأتيك وقومنا ، فاثبت لهم فاسلموا قال فبعثنا رسول الله (ص) في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جبهة فاعرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جبهة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض ما ترون ؟ فقال بعضنا تأتي نبي الله فنخبره ، وقال قوم لا بل نقيم ههنا ، وقلت أنا في أناس معي لا بل تأتي غير قريش فنقتطعها . وكان النبي إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له ، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي (ص) فآخبروه الخبر فقام غضبان محر الوجه . فقال : « أذهبتم من عندي جميعاً ورجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لا بعثت عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش الاسدي فكان أول أمير في الاسلام . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام فقالوا نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام ثم رواه من حديث أبي أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن أبي وقاص فذكر نحوه فدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم . وهذا الحديث يقتضي أن أول السرايا عبد الله بن جحش الاسدي وهو خلاف ما ذكره ابن اسحاق أن أول الرايات عقت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات عقت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم .

باب سرية حمزة بن عبد المطلب

التي كان سببها لغزوة بدر العظمى^(١) وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) ، عبد الله بن جحش بن رثاب الاسدي في رجب

(١) كذا بالأصليين ، ولعلها : التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى .

مقتله من بدر الاولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد، وهم أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محصن بن حرقان حليف بني أسد بن خزيمه، وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدي، وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدي أيضا، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدي أيضا، وسهل بن بيضاء الفهري فهؤلاء سبعة فامتهم أميرهم عبد الله ابن جحش رضي الله عنه. وقال يونس عن ابن اسحاق: كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فله أعلم.

قال ابن اسحاق: وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يشير يومين ثم ينظر فيه فيضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدا. فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فاذا فيه إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فتصد بها قرشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه بما في الكتاب. وقال: قد نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع فلما أنا فاض لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بجران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت غير قرش فيها عمرو بن الحضرمي، قال ابن هشام: واسم الحضرمي عبد الله بن عباد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فاشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه. فلما رأوه أمنوا، وقال عمار: لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا والله لئن تركتموه هذه الليلة ليدخلن الحرم فليستعن به منكم ولئن قتلتموه لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهاجوا الاقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد ابن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأمر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأقلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والاسيرين حتى ندموا على رسول الله ﷺ. وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: ان رسول الله ﷺ، فيما غنمنا الحنص فزله وقسم الباقي بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الحنص. قال لما نزل الحنص نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن اسحاق، فلما قدموا على رسول الله ﷺ، قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فوق العير والاسيرين وأبي أن يأخذ من ذلك شيئا لما قال ذلك رسول الله ﷺ، أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم أخوانهم من

المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان ، وقالت يهود : تفائل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا] أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير نائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) الآية .

قال ابن اسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق ، قبض رسول الله ﷺ العير والاسيرين ، وبعت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ « لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا » - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فأتانا نخشاكم عليهما . فان تقتلوهما تقتل صاحبكم . فقدم سعد وعتبة ففداهما رسول الله ﷺ . فاما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بدر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً قال ابن اسحاق : فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ظمعو في الأجر ، فقالوا يا رسول الله أنيطمع أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فانزل الله فيهم إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم [فوصفهم ^(١) الله من ذلك على أعظم الرجاء . قال ابن اسحاق : والحديث في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وكذا روى شعيب عن الزهري عن عروة نحوه من هذا وفيه ؛ وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين . وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

(١) كذا بالاصلين ، وفي ابن هشام : فوضعهم الله من ذلك ولعله الصواب .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الامام احمد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الاسلام . وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن اسحاق شواهد مسندة فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله (ص) بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح . أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صباة إلى رسول الله (ص) فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال « لا تسكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال ممما وطاعة لله ورسوله ، فخيرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلان وبقى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام ، فانزل الله [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير] الآية . وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن رسول الله (ص) بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فاذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص فأننى موص وماض لأمر رسول الله (ص) فسار وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فاقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فاذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتال واقد لعمر وبن الحضرمي ورجعوا بالغنيمة والاسيرين فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون إنما قتلناه في جمادى . قال السدي وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة . قلت : لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤى تلك الليلة فأن الله أعلم . وهكذا روى العوفي عن ابن عباس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم . وقد تقدم في سياق ابن اسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهبوا هذه الفرصة دخل أولئك في الحرم فيتعذر عليهم ذلك فاقبموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهري

عن عروة رواه البيهقي بالله أعلم أي ذلك كان . قال الزهري عن عروة فبلغنا أن رسول الله (ص) عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقي .
قال ابن اسحاق : فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام . قال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش :

تعدّون قتلاً في الحرام عظيمةً وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صُدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى الله في البيت ساجد
فانا وإن غيرتمونا بقتله وأرجفت بالاسلام باغ وحاسد
سقيناً من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غل من القيد عائد

فَضَّلَ

في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم كان ذلك في رجب من سنة ثنتين وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن اسحاق . وقد روى احمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي والله أعلم . وقيل في شعبان منها . قال ابن اسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله (ص) المدينة وحكي هذا القول ابن جرير من طريق السدي فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة . ذل الجمهور الاعظم : إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . ثم حكى عن محمد بن سعد عن الواقدي أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفي هذا التحديد نظر والله أعلم . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى (قد نرى قلبك وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شأره وأن الذين أورثوا الكتاب يعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون) . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك لأنه أول نسخ وقع في الاسلام هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله (ما ننسخ من آية ، أو ننسأها^(١)) فأت بغير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وقد قال البخاري حدثنا أبو نعيم

(١) كذا في الاصلين : ننسأها وهي قراءة أبي عمرو . وقراءة خفض ننسأها .

سمع زهيراً عن أبي اسحاق عن البراء أن النبي (ص) صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فرعى أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي (ص)، قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما تقول فيهم فانزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم) رواه مسلم من وجه آخر. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء. قال: كان رسول الله (ص)، قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فانزل الله [قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام]. قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. فانزل الله [قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] وحاصل الأمر أن رسول الله (ص)، كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم. وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبله إبراهيم وكان يكثر الدطاء والتضرع والابتهاال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك فانزل الله عز وجل [قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام] الآية. فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله (ص)، المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر. وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر. قال: بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله (ص)، قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك. والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد (ص)، في كتبهم من أن المدينة مهاجرة وأنه سيؤمر

بالاستقبال إلى الكعبة كما قال (وإن الذين أورثوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعتهم فقال (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي هو المالك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه الذي يفعل ما يشاء في خلقه ويحكم ما يريد في شرعه وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي خياراً (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) أي وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التي كن يصلون بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم النال والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لاجتماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة اليكم كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً من استشهد نوح بهذه الأمة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الأولى والآخرى . ثم قال تعالى مبيناً حكمته في حلول نعمته بمن شك وأرتاب بهذه الواقعة . وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة . فقال : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول) . قال ابن عباس : إلا لئلا ترى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبرة أي وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبرة المحل شديدة الأثر إلا على الذي هدى الله أي فهم مؤمنون بها ، مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويؤمنون ويعملون لأنهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقندر الحليم الخبير اللطيف العليم وقوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه (إن الله بالناس لرؤف رحيم) والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط في التفسير وستزيد ذلك بيانا في كتابنا الأحكام الكبير . وقد روى الامام احمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) - يعني في أهل الكتاب - : « إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلف الامام آمين » .

فَضْرِيكَ

في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل إنه فرض في شعبان منها ، ثم

حكى أن رسول الله (ص) حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألم عنه فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى . فقال : « نحن أحق بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن ابن عباس وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تقطع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر [الآية] وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية في ذلك والاحكام المستفادة منه والله الحمد .

وقد قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن معاذ بن جبل . قال : احييت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة . قال وأما أحوال الصيام فان رسول الله (ص) . قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) إلى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الا طعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حولان . قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فاذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح صائما ، فزأه رسول الله (ص) . قد جهد جهدا شديدا فقال : « مالي أراك قد جهدت جهدا شديدا » فاخبره ، قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول الله (ص) فذكر ذلك له فانزل الله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم) إلى قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) . ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي نحوه وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . والبخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله . ولتحريره هذا ، موضع آخر من التفسير ومن الاحكام الكبير وبالله المستعان .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أمر الناس بركة الفطر ، وقد قيل إن رسول الله (ص) . خطب

الناس قبل الفطر بيوم - أو يومين - وأمرهم بذلك . قال وفيها صلى النبي (س) صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاحها وخرجوا بين يديه بالحربة وكانت للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله (س) في الأعياد .

قلت : وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة بدر العظمى * يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقال الله تعالى [كما أخرجك ربك من بينك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون وإذ يمدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون] وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الانفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه .

قال ابن اسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله (س) سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام في غير قريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا - أو أربعون - منهم مخزومة بن نوفل وعمر بن العاص . قال موسى بن عقبة عن الزهري كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين ، قال وكان في العيرالف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فل هذا تخلف عن بدر .

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا : لما سمع رسول الله (س) بأبي سفيان متبلا من الشام ندب المسلمين إليهم وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » فانتدب الناس تخفف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله (س) يلقي حربا ، وكان أبو

سفيناء حين دنا من الحجاز يتجسس^(١) من لى من الركبان نخوفا على أموال^(٢) اساس حتى أصاب
 خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولميرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم
 عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض
 لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة . قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أنهم من
 عكرمة عن ابن عباس . ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قالا : وقد رأت عائكة بنت
 عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعته فبعثت إلى أخيها العباس بن
 عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أظفعتني ونحوخت أن يدخل على قومك منها
 شر ومصيبة فآكنتم على ما أحدثك ، قال لها وما رأيت ؟ قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى
 وقف بالابطح ثم صرخ بأعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا
 إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمنلها .
 ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمنلها ثم أخذ
 صخرة فارتطم بها فاقبلت تهوى حتى إذا كانت أسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا
 دار إلا دخلتها منها فلقته . قال العباس : والله إن هذه لرؤيا وأنت فآكنتم بها لا تذكريها لاحد ،
 ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة - وكان له صديقا - فذكرها له واستكنمه إياها فذكرها الوليد
 لابنه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش ، قال العباس ففدت لا طوف بالبيت وأبو جهل
 ابن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عائكة ، فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل
 إذا فرغت من طوافك فاقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل : يا بني
 عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ قال قلت وما ذاك ؟ قال تلك الرؤيا التي رأت عائكة
 قال قلت وما رأت ؟ قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ؟ قد
 زعمت عائكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتر بص بكم هذه الثلاث فإن يك حقا ما تقول
 فسيكون . وإن نمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت
 في العرب ، قال العباس فوالله ما كان مني إليه كبير شيء إلا أتى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون
 رأت شيئا ، قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت أقررتم لهذا
 الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء
 مما سمعت ؟ قال قلت قد والله فعلت ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لا تعرضن له فإذا عاد

(١) في الاصلين : يتجسس بالجيم ، وفي ابن هشام يتجسس بالحاء المهملة وشرحهما السهيلي

فقال : يتسمع . (٢) كذا في الحلبية وفي المصرية على أمر الناس ، وفي ابن هشام عن أمر الناس .

لا كفيكته ، قال ففدت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنى قد قاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه . قال فدخلت المسجد فرأيت فوالله إني لامشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، قال : إذا خرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت في نفسى ماله لعنه الله أكل هذا فرق منى أن أشاته ؟ ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الفغاري وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدد بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قریش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الفوث الفوث . قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر ، فتجهز الناس سراعا وقالوا أيلظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ؟ والله ليعلمن غير ذلك . وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن اسحاق . قال فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والذلول .

قال ابن اسحاق : فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قریش فلم يتخلف من اشرافها أحد الا ان أبا لهب بن عبدالمطلب بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها . قال ابن اسحاق : وحدثني ابن أبى نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرائى قومه بمجرة يحملها فيها نار ويجرح حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا على استجمر فأتما أنت من النساء . قال قبحك الله وقبح ما جئت به ، قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكذا قال ابن اسحاق فى هذه القصة . وقد رواها البخارى على نحو آخر فقال حدثني احمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة ثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى اسحاق حدثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لأمية بن خلف وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله (ص) المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمرا فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لأمية أنظر لى ساعة خلوه لعل أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار فلقبهما أبو جهل ، فقال يا صفوان من هذا معك ؟ قال هذا سعد . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما ، فقال له سعد - ورفع صوته عليه - أما والله لئن منعتنى هذا لامنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة . فقال له أمية لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم فانه سيد أهل الوادى ، قال سعد دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنهم قاتلوك » قال بمكة ؟ قال لا أدري ؟ فنزع لذلك أمية فزاشديداً

فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان ألم ترى ما قال لي سعد؟ قالت وما قال لك قال زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي، قتلته له بمكة. قال: لا أدري. فقال أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر. استنفر أبو جهل الناس فقال أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذ عبتني فوالله لا شترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية يا أم صفوان جهزي فقلت له يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك البثر بنى قال لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر. وقد رواه البخاري في موضع آخر عن محمد بن اسحاق عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي اسحاق به نحوه، تفرد به البخاري. وقد رواه الإمام أحمد عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد كلاهما عن إسرائيل وفي رواية إسرائيل قالت له امرأته: والله إن محمداً لا يكذب.

قال ابن اسحاق: ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كانوا بينهم وبين بني بكر ابن عبد مناة بن كنانة من الحرب. فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر في ابن الحنفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤي قتله رجل من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامراً وخاض بسيفه في بطنه ثم جاء من الليل فعلقه بإستار الكعبة فخافهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم.

قال ابن اسحاق: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجتمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه ابن مالك بن جشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة. فقال: أنا لكم جار من أن تأتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه: فخرجوا سراعا. قلت: وهذا معنى قوله تعالى [ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط]. وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب [غرم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم. فلما رأى الجند والملائكة تنزل للنصر وعابن جبريل نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله. وهذا كقوله تعالى (كفى للشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) وقد قال الله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) فإبليس لعنه الله لما عابن الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهباً فكان أول من

هزب يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومنامهم وما يمدهم الشيطان إلا غرورا . وقال يونس عن ابن اسحاق : خرجت قریش على الصعب والذل في تسعمائة وخمسين مقاتلاً معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويفننن بهجاء المسلمين . وذكر المطعمين لقریش يوما يوما ، وذكر الاموي أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعصفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوماً فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشراً ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشراً ، ونحر لهم علي ماء بدر أبو البختري عشراً ، ثم أكلوا من أزوادهم . قال الاموي حدثنا أبي حدثنا أبو بكر الهذلي قال كان مع المشركين ستون فرساً وتسعمائة درع وكان مع رسول الله (ص) فرسان وستون درعاً .

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيهم من مكة ومسيرهم إلى بدر . وأما رسول الله (ص) ، فقال ابن اسحاق : وخرج رسول الله (ص) في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله (ص) رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب ، والآخرى مع بعض الانصار . قال ابن هشام كانت راية الانصار مع سعد بن معاذ وقال الاموي كانت مع الحباب بن المنذر . قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار . وقال الاموي : وكان معهم فرسان على إحداهما مصعب بن عمير وعلي الآخرى الزبير بن العوام^(١) ومن سعد بن خيصة ومن المقداد بن الاسود . وقد روى الامام احمد من حديث أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروى البيهقي من طريق ابن وهب عن أبي صخر عن أبي معاوية البلخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن علياً قال له : ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود - يعني يوم بدر - وقال الاموي حدثنا أبي حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن التيمي قال : كان مع رسول الله (ص) يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن الاسود على الميسرة .

قال ابن اسحاق : وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها ، فكان رسول الله (ص) وعلي ومرثد بن (١) قوله ومن سعد إلى الاسود . كذا في الأصلين ولم تقف على صحتها فيما بأيدينا من كتب السير ولعله (ويتعقبانها مرة سعد بن خيصة ومرة المقداد بن الاسود .

أبي مرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى . وقد قال الامام احمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود . قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلى زميلي رسول الله (ص) . قال فكانت عقبة رسول الله (ص) ، فقالا نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما باقوى مني ولا أنا باغنى عن الاجر منكما » وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة به . قلت : وامل هذا كان قبل أن يرد أبا لبابة من الروحاء ، ثم كان زميلاه على ومرثد بدل أبي لبابة والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة : أن رسول الله (ص) ، أمر بالاجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، وهذا على شرط الصحيحين . وإنما رواه النسائي عن أبي الاشعث عن خالد ابن الحارث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به . قال شيخنا الحافظ المزي في الاطراف وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة فله أعلم . وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث بن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب . قال سمعت كعب بن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله (ص) في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله (ص) يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميماد تفرد به .

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله (ص) طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق ثم على ذي الحليفة ثم على أولات الجبش ثم مر على ترابان ثم على ملل ثم على غميس الجمام ثم على صخيرات اليمامة ثم على السبالة ثم على فجج الروحاء ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية لقي رجلا من الاعراب فسأله عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : لم على رسول الله (ص) ، قال أوفيك رسول الله (ص) ، قالوا نعم ! فسلم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله فآخبرني عما في بطن ناقتي هذه ، قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله (ص) وأقبل على فانا أخبرك عن ذلك ، نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة . فقال رسول الله (ص) : « أخشيت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله (ص) ، سجد وسجد وهي بشر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدر ؟ فسلك في ناحية منها حتى إذا جزع^(١) واديا يقال له وحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم

(١) جزة أى قطعه ولا يكون الا عرضاً ، وجزع الوادى منقطعه .

انصب منه حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسيس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدى ابن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسسان الاخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وغيره وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها فان كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن اسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين والله أعلم .

قال ابن اسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله (س) وقد قدمها فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل عن جبلها ما اسمها ؟ فقالوا يقال لاحدهما مسلح وللآخر مخري ، وسأل عن أهلها فقيل بنو النار ، وبنو حراق ، بطنان من غفار فكرههما رسول الله (س) والمرور بينهما وتفاؤل بأسمائهما وأسماء أهلها فتركهما والصفراء بين سار وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله (س) خيرا ودعاه . ثم قال رسول الله (س) : « أشيروا علي أيها الناس » وإنما يريد الانصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله (س) يخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا ممن دمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله (س) ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال « أجل » قال فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله قال فسر رسول الله (س) ، بقول سعد ونشطه ثم قال : « سيروا وابشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم » هكذا رواه ابن اسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به ، أتى النبي (س) وهو يدعو

على المشركين . فقال : لا تقول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي .س. أشرق وجهه وسره انفرده به البخاري دون مسلم فرواه في مواضع من صحيحه من حديث مخارق به ورواه النسائي من حديثه وعنده : وجاء المقداد بن الاسود يوم بدر على فرس فذكره . وقال الامام احمد حدثنا عبيدة - هو ابن حميد - عن حميد الطويل عن أنس قال : استشار النبي .س. مخرجه إلى بدر فإشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض الانصار : إياكم يريد رسول الله يامعشر الانصار . فقال بعض الانصار : يا رسول الله إذا لا تقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادهما إلى برك الغماد لاتبعناك . وهذا اسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح . وقال احمد أيضا حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله .س. شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقال سعد بن عبادة إيانا يريد رسول الله .س. والذي نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لاخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادهما إلى برك الغماد لفعلنا ، فندب رسول الله .س. الناس . قال فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ووردت عليهم روايا قریش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ، فاخذوه وكان أصحاب رسول الله .س. يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول مالي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف فاذا قال ذلك ضربه فاذا ضربه . قال نعم ! أنا أخبركم هذا أبو سفيان فاذا تركوه فسألوه قال مالي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ، فاذا قال هذا أيضاً ضربه ورسول الله .س. قائم يصلي ، فلما رأى ذلك انصرف فقال والذي نفسى بيده انكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم . قال وقال رسول الله .س. : هذا مصرع فلان يضع يده على الارض ههنا وههنا ، فما أطمأ أحدكم عن موضع يد رسول الله .س. ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به نحوه . وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه - واللفظ له - من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الانصاري يقول قال رسول الله .س. ونحن بالمدينة : « إني أخبرت عن غير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغمناها ؟ » قلنا نعم ! فخرج وخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا « ما ترون في القوم فانهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ » قلنا لا والله مالنا طاقة بقتال القوم ولكننا أردنا العير ، ثم قال « ما ترون في قتال القوم ؟ » قلنا مثل ذلك . فقام المقداد بن عمرو [فقال] : إذا لا تقول لك يا رسول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، قال فسمينا معشر الانصار لو أنا

قلنا مثل ما قال المقداد أحب البنا من أن يكون لنا مال عظيم فانزل الله عز وجل على رسوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) وذ كر تمام الحديث . ورؤى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبيه عن جده . قال خرج رسول الله (ص) إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر يارسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا ، قال ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ يارسول الله أيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله اليك غيره فانظر الذي أحدث الله اليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت . فتزل القرآن على قول سعد [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون] الآيات . وذكره الاموى فى مغازيه وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب البنا مما تركت . وما أمرت به من أمر فامرنا تبع لا تبرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك .

قال ابن اسحاق : ثم ارتحل رسول الله (ص) من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له الديّة^(١) وترك الحنّان يمين وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو وزجل من أصحابه . قال ابن هشام هو أبو بكر . قال ابن اسحاق - كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم ؟ فقال له رسول الله (ص) ، إذا أخبرتنا أخبرناك فقال أو ذاك بذاك ؟ قال نعم قال الشيخ فانه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به رسول الله (ص) وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذى به قريش ، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتم ؟ فقال له رسول الله (ص) نحن من ماء « ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء آمن ماء العراق ؟ قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سفيان الضمرى .

(١) كذا فى الاصلين وابن هشام . وفى معجم البلدان وفى تاريخ ابن جرير فى هذا الخبر : الديّة بالباء الموحدة مشددة وهو الصحيح .

قال ابن اسحاق : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتصقون الخيل كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فاصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فاتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالوا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابي سفيان فضر بهما ، فلما أذلقوهما قالوا نحن لابي سفيان فتركوهما وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدة وسلم . وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟ قالوا هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، والكتيب المعنقل . فقال لها رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالوا كثير . قال ما عدتهم ؟ قال لا ندري ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا يوما تسماً ويوما عشرا . فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التسمائة إلى الالف » ثم قال لها فمن فيهم من أشرف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود . قال فاقبل رسول الله ﷺ ، على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن اسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأنالا إلى تل قريب من الماء ثم أخذوا شئاً لهما يستقيان فيه . ومجدي بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدى وببس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء والمزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهما ثم أقضيك الذي لك . قال مجدي صدقت ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدى وببس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ . وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء . فقال لمجدي بن عمرو هل أحسست أحداً ؟ قال ما رأيت أحداً أنكره إلا أني قد رأيت راكبين قد أنالا إلى هذا التل ثم استقيا في شئ لهما ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما فقتله فاذا فيه النوى . فقال : هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه غيره عن الطريق فساحل بها وترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب ابن عبدمناف رؤيا . فقال : إني رأيت فيما يرى النائم واني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ووجهه بعير له ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم ابن هشام وأميمة بن خلف وفلان وفلان فمد رجلا ممن قتل يوم بدر من أشرف قريش ، ثم رأيت

ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال هذا أيضا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .
قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش انكم إنما خرجتم لتمنعوا عسركم ورجالكم وأوالكم فقد نجها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرأً وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعرف علينا القيان وتسمع بنا العرب ويمسروننا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً فاهضوا . وقال الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زهرة - وهم بالجدفة : يا بني زهرة قد نجى الله لكم أوالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جبينها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة لاما يقول هذا . قال فرجعوا فلم يشهدوا زهري واحداً ، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الاخنس فلم يشهد بدرأً من هاتين القبيلتين أحد . قال : ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة . فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال في ذلك :

لَأَنْتُمْ إِمَّا يَنْزَوْنَ طَالِبٌ فِي عُصْبَةٍ مُّخَالِفٍ مُحَارِبٍ
فِي مَقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ فَلَيْكِنْ الْمُسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ
وَلَيْكِنْ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ

قال ابن اسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل و بطن الوادي وهو ليل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش ، والقليب ببدر في المدوة الدنيا من بطن ليل إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال تعالى (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) أي من ناحية الساحل (ولو تواعدتم لآخفتكم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) الآيات . وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً فاصاب رسول الله (ص) ، وأصحابه منها ماء لبدهم الأرض ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت وفي هذا قوله تعالى [وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام] فقد ذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس وسوسته الخواطر ، وهذا تثبت الباطن

والظاهر وأنزل النصر عليهم من فوقهم في حوله (اذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فنبتوا الذين آمنوا سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق) أي على الرؤوس (واضربوا منهم كل بنان) أي لئلا يستمسك منهم السلاح (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب، ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار).

قال ابن جرير: حدثني هارون بن اسحاق ثنا مصعب بن المقدام ثنا اميرائيل ثنا أبو اسحاق عن حارثة عن علي بن أبي طالب. قال: أصابنا من الليل طش من المطر - يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله (ص) - يعني قائماً يصلي - وحرص على القتال. وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي. قال: ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد؛ ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله (ص)، تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح، وسيأتي هذا الحديث مطولاً. ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة به، وقال مجاهد: أنزل عليهم المطر طافاً به الغبار وتلبت به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم.

قلت: وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة، وقد بات رسول الله (ص) تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول «يا حي يا قيوم» يكرر ذلك ويلظ به عليه السلام.

قال ابن اسحاق: فجر رسول الله (ص) يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به قال ابن اسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجوح. قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمتزلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه. أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فأمض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله (ص): «لقد أشرت بالرأي». قال الاموي حدثنا أبي قال وزعم الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال بينا رسول الله (ص) يجمع الاقاصص^(١) وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام. فقال رسول الله (ص): «هو السلام ومنه السلام واليه السلام» فقال الملك ان الله يقول لك ان الأمر [هو] الذي أمرك به الحباب بن المنذر. فقال رسول الله (ص): يا جبريل هل تعرف هذا؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف وانه لصادق وما هو بشيطان قهض رسول الله (ص)، ومن معه من الناس

(١) الاقاصص: كذا في الاصلين ولم نعر على هذا النص في غيرها.

فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فعورت ، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه فلي ماء ثم قذفوا فيه الآنية . وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي ﷺ ، فقال الملك يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك انت الراى ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله ﷺ الى جبريل فقال ليس كل الملائكة أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان . وذكر الاموى أنهم نزلوا على القلب الذي يلي المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء .

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث ان سعد بن معاذ قال : يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله وظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك اقوام ما نحن باشد حبالك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى جربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ينصاحونك ويجاهدون معك . فإني عليه رسول الله ﷺ ، خيرا ودعاه بخير ، ثم بنى لرسول الله ﷺ عريشا كان فيه .

قال ابن اسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فاقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكتيب الذي جاؤا منه إلى الوادي . قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتسكذب رسولك اللهم فنهرك الذي وعدتني اللهم أحسنهم ^(١) الفداء » . وقد قال رسول الله ﷺ : « وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم وهو على جمل له احمر » إن يكن في أحد من القوم خير فمئذ صاحب الجمل الاحمر » إن يطيعوه يرشدوا قال : وقد كان خفاف بن ايماء بن رخصة أو أبوه ايماء بن رخصة الغفاري ، بعث إلى قريش ابنا له بجزائر أهداها لهم . وقال : « إن أحببتهم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا » قال فارسلوا اليه مع ابنه أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذي عليك ، فلمرى إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة . قال فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ ، فبهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فكان إذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كما سيأتي بيان ذات

(١) أحسنهم : أى أهلكهم من الحين وهو الهلاك ذكره الخشني في غريب السيرة .

في فصل نعتده بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

ففي صحيح البخاري عن البراء . قال : كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلثمائة وبضع عشرة على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، وما جاوزوه معه إلا مؤمن . والبخاري أيضا عنه . قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على سنين ، والانصار لينا وأربعون ومائتان . وروى الامام احمد عن نصر بن رثاب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه . قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضي من شهر رمضان يوم الجمعة . وقال الله تعالى [إذ يريكم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم] الآية . وكان ذلك في منامه تلك الليلة وقيل إنه نام في العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، ففعل القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ ، وقد أراد الله إياهم في منامه قليلا ذكره الامري وهو غريب جدا . وقال تعالى [واذ يريكموه إذ التقيم في أعينكم قليلا ويقتلكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا] . فعند ما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما في أعين الآخرين ليحترق هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة آل عمران (قد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء) فان المعنى في ذلك على أصح القرابين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثل عدد الكافرة على الصحيح أيضا ، وذلك عند التحام الحرب والمساابقة أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولا بان أراهم إياهم عند المواجهة قليلا ، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا . ولهذا قال (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعلبة لاولى الابصار) . قال اسرئيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيد وعبد الله . لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى أني لأقول لرجل الى جنبي أترام سبعين ؟ فقال أراهم مائة

قال ابن اسحاق : وحدثني أبي اسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا : لما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا القوم أصحاب محمد ، قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا ، أو ينقصون ولكن أمهلوني حتى أنظر القوم كين أو مدد . قال فضرب في الوادي حتى أبعده فلم ير شيئا ، فرجع اليهم فقال : ما رأيت شيئا ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلياء تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل

رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فرؤوا رأيكم ؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قریش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي قال قد فعلت أنت على بذلك ، إنما هو حليفى فعلى عقله وما أصيب من ماله . فأت ابن المنظلية — يعنى أبا جهل — فأتى لا أخشى أن يسجر^(١) أمر الناس غيره ، ثم قام عتبة خطيباً فقال : يا معشر قریش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه — أو ابن خاله — أو رجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا فهو يهينها^(٢) فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعثه ما قال ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي . فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد رأيت نارك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمره واعمره . قال فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الراى الذى دعاهم اليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبى جهل انتفخ والله سحره قال : سيعلم مصفر أسسته من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه بهرد له .

وقد روى ابن جرير من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعى عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن ، قال ائذن له فلما دخل قال : مرحباً يا أبا خالد أدن ، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال : حدثنا حديث بدر . فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قریش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بديراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التى قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك فى أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال أفعل ماذا ؟ قلت إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي وهو حليفك ، فتحمل بدينه ويرجع

(١) فى ابن هشام بالشين المعجمة . (٢) فى الحلبية مهملة من النقط ، وفى سيرة ابن هشام

يهينها ومعنى يهينها يتفقدوها ويصلحها . عن محمود الامام .

الناس . فقال أنت على بذلك وأذهب الى ابن الحنظلية - يعنى أيا جهل - قتل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته فاذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول : فسخت عقدى من عبد شمس ، وعقدى اليوم إلى بنى مخزوم فقلت له يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال أما وجد رسولا غيرك ؟ قلت لا ولم أكن لأكون رسولا لغيره . قال حكيم فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتنى من الخبر شئ . وعتبة منكئ على إيماء بن رخصة النخاري ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر . فطلع أبو جهل الشر فى وجهه فقال لعتبة : انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة : سستعلم ، فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال إيماء بن رخصة بثس الفأل هذا ، فعند ذلك قامت الحرب . وقد صف رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه أحسن تعبئة فروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف . قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ليلاً . وروى الامام احمد من حديث ابن لهيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول : صفنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف ، فلظار اليهم النبي صلى الله عليه وآله . فقال : « معى معى » تفرد به احمد وهذا اسناد حسن .

وقال ابن اسحاق : وحدثنى حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وآله عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يعدل به القوم . فر بسواد بن غزيرة حليف بنى عدى ابن النجار وهو مستنفل من الصف . فظعن فى بطنه بالقدح وقال « استوى يسواد » فقال يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدنى فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله عن بطنه فقال استند ، قال فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال ما حملك على هذا يسواد ؟ قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلديك ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله بخير . وقاله . قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده فى العدو حلسرا » فترزع درعا كانت عليه فقتلها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضى الله عنه . قال ابن اسحاق ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وآله الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ايس معه فيه غيره . وقال ابن اسحاق : وغيره وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفا على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وآله . اخوفا عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب مهياة لرسول الله صلى الله عليه وآله . ان احتاج اليها ركبها ورجع الى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ . وقد روى البزار فى مسنده من حديث محمد بن عقيل عن على أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين : فقال أما إني ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله عريشا قتلنا

من يكون مع رسول الله (ص)، لئلا يهوى إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله (ص)، لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس. قال واقعد رأيت رسول الله (ص)، وأخذته قريش فهذا يحاده، وهذا يتلته ويقولون أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلثل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحية ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكرم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه. ثم قال البرار لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه. فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول في العريش كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه. ورسول الله (ص)، يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به «اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض» وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه. وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوى عليه ردائه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك.

[هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال بعض مناشدتك ربك من باب الشفاق لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال: بعض هذا يا رسول الله أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر، وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الشفاق على رسول الله (ص)، وحكى السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي بانه قال: كان رسول الله (ص)، في مقام الخوف والصديق في مقام الرجاء وكان مقام الخوف في هذا الوقت — يعني أكمل — قال لأن الله أن يفعل ما يشاء نخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها، نخوفه ذلك عبادة. قلت وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام في مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم (١).

هذا وقت تواجده الفئتان وتقابل الفريقان وحضر الحصان بين يدي الرحمن واستغاث بربه سيد الأنبياء وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء. فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي. قال ابن اسحاق: وكان رجلاً شرساً سىء الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهد منه أو لأموتن دونه، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع

(١) ما بين المربعين من المصرية فقط.

على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتسم فيه يريد زعم أن تبريمنه
واتبعه حمزة فضر به حتى قتله في الحوض . قال الاموى : فحى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن
يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز فخرج
اليهم فنية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عفراء ، والثالث عبد الله بن رواحة
— فيما قيل — فقالوا من أنتم ؟ قالوا رهط من الانصار . فقالوا مالنا بكم من حاجة . وفي رواية فقالوا
أ كفاء كرام ولكن أخرجوا الينا من بنى عمنا ، وقادى مناديتهم : يا محمد اخرج الينا أ كفاءنا من
قومنا . فقال النبي .س. : « قم يا عبدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي » وعند الاموى أن النفر
من الانصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله .س. ، لانه أول موقف واجه فيه رسول الله .س. أعداءه
فاحب أن يكون أولئك من عشيرته فامرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن اسحاق فلما دنوا منهم قالوا من أنتم ؟ — وفي هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون
من السلاح — فقال : عبدة عبيدة ، وقال حمزة حمزة ، وقال علي علي . قالوا نعم ! أ كفاء كرام .
فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فلما حمزة فلم
يمهل شيبة أن قتله وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما
أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي ، بأسيا فها على عتبة فدفعا عليه واحتملا صاحبهما لحازاه إلى أصحابهما
رضى الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر : أنه كان يقسم
قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه
يوم برزوا في بدر . هذا لفظ البخارى في تفسيرها . وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا
المعتمر بن سليمان سمعت أبي ثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب . أنه قال : أنا أول
من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل في الخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت (هذان
خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة
ابن ربيعة والوليد بن عتبة ، تفرد به البخارى . وقد أوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية
ولله الحمد والمنة .

وقال الاموى حدثنا مملوكة بن عمرو عن أبي اسحاق عن ابن المبارك عن اسماعيل بن أبي خالد
عن عبد الله البهي . قال : برز عتبة وشيبة والوليد وبرز اليهم حمزة وعبيدة وعلي . فقالوا تكلموا
نعرفكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال كفؤ كريم . وقال
علي : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وقال عبيدة : أنا النى في الحلفاء ، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلهم

فقتلهم الله . قالت هند في ذلك :

أعيني مجودي بدمع سرب على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حدًا أسياهم يعلونه بعد ما قد عطب
ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبدة حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جاؤا به إلى رسول الله -
أضجموه إلى جانب . وقف رسول الله - ، فاشرفه ^(١) رسول الله - ، قدمه فوضع خده على قدمه
الشريفة وقال : يا رسول الله لو رأيته أبو طالب لعلم أني أحق بقوله :

ونُسِّلُهُ حتى نصرَّخ دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رضى الله عنه فقال رسول الله - ، « أشهد أنك شهيد » رواه الشافعي رحمه الله
وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رمى بسهم فقتله . قال ابن اسحاق
فكان أول من قتل ، ثم رمى بعده حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض
بسهم فاصاب نحره فمات . وثبت في الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان في
النظارة أصابه سهم غرب فقتله ، فجاءت أمه فقالت يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة
صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع - يعني من النياح - وكانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله - ،
« ويحك أهبلت ، إنها جنان ثمان وإن ابنك أسباب الفردوس الأعلى » .

قال ابن اسحاق : ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض . وقال : أمر رسول الله - ، أصحابه
أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال إن اكتنفتكم القوم فانضحوم عنكم بالنبل . وفي صحيح البخاري
عن أبي أسيد . قال قال لنا رسول الله - ، يوم بدر إذا كشبوكم - يعني المشركين - فارمواهم
واستبقوا نبلكم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس
ابن بكير عن أبي اسحاق حدثني عبد الله بن الزبير . قال : جمل رسول الله - ، شعار المهاجرين
يوم بدر يا بني عبد الرحمن : وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الاوس يا بني عبيد الله ، وسمى
خيله خيل الله . قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد .

قال ابن اسحاق : ورسول الله - ، في العريش معه أبو بكر رضى الله عنه - يعني وهو يستغيث
الله عز وجل - كما قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالرف من الملائكة مردفين
وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

(١) في السيرة الحلبية فأفرشه .

قال الامام احمد حدثنا أبو نوح قراد ثنا عكرمة بن عمار ثنا سهاك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس
حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ،
ونظر إلى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم القبلة وعليه رداؤه وازارده ثم قال :
« اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعد في الأرض
أبداً » فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه . فأتاه أبو بكر فاخذ رداءه فردده ثم التزمه من
من ورائه ثم قال : يا رسول الله كفناك ^(١) . مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعده فأنزل الله [إذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالآل من الملائكة مردفين] وذكر تمام الحديث كما سيأتي
وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار البجلي وصححه على
ابن المديني والترمذي ، وهكذا قال غير واحد من ابن عباس والسدي وابن جرير وغيرهم إن هذه
الآية نزلت في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ، وقد ذكر الاموي وغيره أن المسلمين عجوا إلى الله عز وجل
في الاستغاثة بجنابه والاستعانة به وقوله تعالى (بالآل من الملائكة مردفين) أي ردفاً لكم ومدداً
لفقتكم رواه العوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم . وقال
أبو كدينة عن قابوس عن ابن عباس (مردفين) وراء كل ملك ملك . وفي رواية عنه بهذا الاسناد
(مردفين) بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة . وقد روى علي بن أبي
طلحة الوالبي عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه والمؤمنين بالآل من الملائكة ، وكان جبريل في
خمسائة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة ، وهذا هو المشهور . ولكن قال ابن جرير حدثني المشي
حدثنا اسحاق ثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربيع عن أبي الخوير
عن محمد بن حبيب عن علي . قال : نزل جبريل في الف من الملائكة على ميمنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيها
أبو بكر ، ونزل ميكائيل في الف من الملائكة على ميسرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنا في الميسرة . ورواه
البيهقي في الدلائل من حديث محمد بن جبير عن علي فزاد : ونزل اسرافيل في الف من الملائكة
وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من
الملائكة ، وهذا غريب وفي اسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال ويؤيدها
قراءة من قرأ (بالآل من الملائكة مردفين) بفتح الدال والله أعلم . وقال البيهقي أخبرنا الخاتم
أخبرنا الأصم ثنا محمد بن سنان القزاز ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي حدثنا عبيد الله بن
عبد الرحمن بن موهب أخبرني اسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبي رافع عن عبد الله بن محمد بن
عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده . قال : لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال ، ثم جئت

(١) . في الحلبية : كذلك ، وفي المصرية : كذلك . والتصحيح من انسان العيون .

مسرعاً لا نظر إلى رسول الله (س)، ما فعل ، قال فجئت فإذا هو ساجد يقول « يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم » لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً ، حتى فتح الله على يده . وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن بندار عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي . وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود . قال ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمد (س) يوم بدر ، جعل يقول « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد » ثم التفت وكأن شق وجه القمر . وقال « كأنني أنظر إلى مصارع القوم عشية » رواه النسائي من حديث الأعمش به . وقال لما التقينا يوم بدر قام رسول الله (س) ، فما رأيت مناشداً ينشد حقاً له أشد مناشدة من رسول الله (س) ، وذكره . وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رؤس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتي في صحيح مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب . ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الواقعة وهو مناسب ، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل يوم وأكثر ، وإن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الواقعة والله أعلم . وقد روى البخاري من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي (س) قال وهو في قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فآخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك نخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر : أي جمع يهزم وأي جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله (س) يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ففرفت تأويلها يومئذ وروى البخاري من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول نزل على محمد بمكة - وإني لجارية العيب - (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله (س) ينشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يابني الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعده ، وقد حقق النبي (س) [خفقة] وهو في المريش ثم انتبه فقال : « أبشريا أبا بكر أفاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع » يعني الغبار . قال ثم خرج رسول الله (س) إلى الناس فخرضهم . وقال « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل

صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » قال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يا كلبن : بخ بخ أفا بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله .

وقال الامام احمد حدثنا هاشم بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : بعث رسول الله (ص) بسبسا عينا ينظر ما صنعت غير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي (ص) . قال لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ، قال فحدثه الحديث . قال فخرج رسول الله فتكلم فقال « إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا » فجعل رجال يستأذنونهم في ظهورهم في علو المدينة قال « لا إلا من كان ظهره حاضراً » وانطلق رسول الله (ص) وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله (ص) « لا يتقدم من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » فدنا المشركون فقال رسول الله (ص) « قوموا إلى جنة عرضها السموات والارض » قال يقول عمير بن الحمام الانصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض ؟ قال نعم ! قال بخ بخ ؟ فقال رسول الله « ما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال فانك من أهلها » قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة ، قال فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وجماعة عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به ، وقد ذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :

ركضاً إلى الله بغير زادٍ إلا التقي وعمل المعادِ
والصبر في الله على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النِّفَادِ
غيرُ التقي والبرِّ والرَّشَادِ

وقال الامام احمد : حدثنا حجاج حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي . قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله (ص) يتعجز عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله (ص) إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركين اليها فوجدنا فيها رجلين رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فاما القرشي فأنفلت ، وأما المولى فوجدناه فجعلنا نقول له كم القوم ؟ فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله (ص) ، فقال له كم القوم ؟ قال هم والله كثير عددهم شديد بأسهم . فجهد النبي (ص) أن يخبره كم هم فابى ثم ان النبي (ص) سأله كم ينحرون من الجزر فقال عشرًا كل يوم . فقال النبي (ص) « القوم ألف ، كل جزور لمائة وتبعها » ثم إنه أصابنا من

الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله (ص) يدعو ربه ويقول « اللهم إنيك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله (ص) وحرّض على القتال ثم قال « إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل » فلما دنا القوم منا وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل له احمر يسير في القوم ، فقال رسول الله (ص) ، « يا علي ناد حمزة » وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجبل الاحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم يا قوم أعصبوها برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنني لست بأجبنكم . فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك والله لو غيرك يقوله لا عضضته قد ملأت رئتكم جوفك رعباً . فقال : إياي تعير يا مصفر استه ؟ سيعلم اليوم أينما الجبان فيبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا : من يبارز نخرج فنية من الانصار مشيبة فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بني عمناء من بني عبد المطلب فقال رسول الله (ص) ، « قم يا حمزة ، وقم يا علي ، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب » فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين ، وأسرونا سبعين وجاء رجل من الانصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يا رسول الله والله إن هذا ما أسرفي لقد أسرفني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراد في القوم . فقال الانصاري : أنا أسرفته يا رسول الله . فقال : « اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » قال فأسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيل ونوفل بن الحارث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتي . وقد تفرد بطوله الامام احمد . وروى أبو داود بعضه من حديث اسرائيل به ، ولما نزل رسول الله (ص) من العريش وحرّض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً] الآية .

وقال الاموي حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق قال قال الاوزاعي : كان يقال قلما ثبت قوم قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو ينعض طرفه ويدكر الله رجوت أن يسلم من الرياء . وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم - يعني أصحاب النبي (ص) - جثيا على الركب كأنهم حرس يتلهظون كما تتلهظ الحيات - أو قال الافاعي - . قال الاموي في مغازيه : وقد كان النبي (ص) حين حرّض المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب . وقال « والنبي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم ، وقد قاتل بنفسه الكرمية قتالاً شديداً بيده ، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فخرضا وحشا على القتال وقاتلا بالابدان جمعا

بين المقامين الشريين . قال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن حارثة ابن مضرب عن علي قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله (ص) وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً . ورواه النسائي من حديث أبي اسحاق عن حارثة عن علي قال : كنا إذا حمى البأس ولقى القوم أتقينا برسول الله (ص) . وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبي عون عن أبي صالح الخنفي عن علي . قال : قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، واسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال يشهد الصف - وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان في الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزى لا كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة ، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق ، وكان ميكائيل على المجنبة الاخرى في خمسمائة من الملائكة فوقفوا في الميسرة وكان علي بن أبي طالب فيها [وفي حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن علي . قال كنت أسبح على القلب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل في الف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله (ص) . وهناك أبو بكر ، واسرافيل في الف في الميسرة وأنا فيها ، وجبريل في الف قال ولقد طفت يومئذ حتى بلغ إبلى] ^(١) وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أنخر بيت قاله العرب قول حسان بن ثابت :

وبيتر بدر إذ يكف مطيهم جبريل نحت لوائنا ومحمد

وقد قال البخاري حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا جبريل عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعه ابن رافع الزرق عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلى رسول الله (ص) فقال ما تعلمون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة . انفراد به البخاري . وقد قال الله تعالى [إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فنبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق - يعني الرؤس - واضربوا منهم كل بنان] وفي صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل حدثني ابن عباس . قال : بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقيا ، فنظر إليه فإذا هو خطم وشق وجهه بضربة السوط وحضر ذلك أجمع فجاء الانصارى فحدث ذلك رسول الله (ص) . فقال « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن خزم عن حدثه عن ابن عباس عن رجل من

(١) ما بين المربعين لم يرد في المصرية .

بنى غفار . قال : حضرت أنا وابن عم لي بدرآ ونحن على شركنا ، وإنا لفي جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فاقبلت سحابة فلما دنت من الجبل سمعنا منها حممة الخيل ، وسمعنا قائلاً يقول : أقدم حيزوم فاما صاحبي فانكشف قناع قلبه فبات مكانه ، وأما أنا لكنت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة - وكان شهد بدرآ - قال - بعد أن ذهب بصره - لو كنت اليوم بيدرومى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى . فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس وأوحى الله اليهم (أنى معكم فثبتوا الذى آمنوا) . وتثبتهم أن الملائكة كانت تأتى الرجل فى صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشروا فانهم ليسوا بشئ والله معكم كروا عليهم .

وقال الواقدي حدثني ابن أبي حبيبة عن دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس . قال كان الملك يتصور فى صورة من يعرفون فيقول إني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشئ إلى غير ذلك من القول فذلك قوله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) الآية . ولما رأى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى مالا ترون وهو فى صورة سراقه وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول : لا يهولكم خذلان سراقه إياكم ، فانه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال واللوات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه فى الجبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً وروى البيهقي من طريق سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال أبو اسيد - بعد ما ذهب بصره - يا ابن أخى والله لو كنت أنا وأنت بيدرومى أطلق الله بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار وروى البخارى عن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال يوم بدر « هذا جبريل آخذ برأس فرسه وعليه اداة الحرب » .

وقال الواقدي حدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرني موسى بن محمد بن ابراهيم التميمي عن أبيه . وحدثني عابد بن يحيى عن أبي الحويرث عن عمارة بن أكيمة القيثي عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا : لما حضر القتال ورسول الله (ص) رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إن ظهروا على هذه العصاة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرك الله وليبيضن وجهك ، فانزل الله الفا من الملائكة مردفين عند اكتناف العدو . قال رسول الله (ص) « أبشروا يا أبا بكر هذا جبريل معتمر بعامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والارض ، فلما نزل إلى الارض تعيب عنى ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول أناك نصر الله إذ دعوته » . وروى البيهقي عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه . قال : يا بنى لقد رأيتنا يوم

بدر وأن أحدهما يشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف
وقال ابن اسحاق حدثني والذي حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي قال إني لا أتبع
رجلا من المشركين لأضربه فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله . وقال
يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الربيع بن أنس . قال : كان الناس يعرفون قتلى
الملائكة ممن قتلهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل صمة النار وقد احرق به .

وقال ابن اسحاق : حدثني من لا أنهم عن مقسم عن ابن عباس . قال : كانت سيما الملائكة
يوم بدر عمام بيض قد أرخواها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء . وقد قال ابن
عباس لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام ، وكانوا يكونون فيها سواء من الايام عدداً
ومدداً لا يضربون . وقال الواقدي حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن
مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يوم بدر رجلاً بيضا على خيل بلق
بين السماء والارض معلمين يقتلون ويأسرون . وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره . قال :
لو كنت معكم الآن يبدروني بصري ، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك
ولا أمتري . قال وحدثني خارجة بن ابراهيم عن أبيه . قال قال رسول الله (ص) : لجبريل : « من
القاتل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ » فقال جبريل يا محمد ما كل أهل السماء أعرف .

قلت : وهذا الامر مرسل ، وهو يد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلي وغيره
والله أعلم . وقال الواقدي حدثني اسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال فما أدرى كم يد
مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلها قد رأيتها يوم بدر . وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عقيل عن أبي
بردة بن نيار قال جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتن بين يدي رسول الله (ص) ، فقلت أما رأسان
قتلتنهما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً [قتله] فاخذت رأسه . فقال رسول الله (ص) : « ذاك
فلان من الملائكة » وحدثني موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه . قال : كان السائب بن أبي حبيش
يحديث في زمن عمر يقول : والله ما أسرتني أحد من الناس ، فيقال فمن ؟ يقول لما انهزمت قرش
انهزمت معها فادركني رجل اشعر طويل على فرس أبيض فاوثقتني رباطا وجاء عبد الرحمن بن عوف
فوجدني مربوطا فنأدى في العسكر من أسره هذا ؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله (ص) . فقال من أسرك
قلت لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذي رأيت فقال رسول الله (ص) : « أسرك ملك من الملائكة »
اذهب يا ابن عوف بأسيرك . وقال الواقدي حدثني عابد بن يحيى حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن
أكبة عن حكيم بن حزام قال لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجناد من السماء قد سد الافق فاذا الوادي
يسيل نهلا فوق في نفسى أن هذا شيء من السماء أيد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ولقي الملائكة

[وقال اسحاق بن راهويه حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن محمد بن اسحاق حدثني أبي عن جبير بن مطعم . قال : رأيت قبل هزيمة القوم — والناس يقتتلون — مثل البجاد الاسود قد نزل من السماء مثل النمل الاسود ، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] ^(١) ولما نزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله (ص) . حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال « أشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثيابه النقع » يعني من المعركة ثم خرج رسول الله (ص) من العريش في الدرع فجعل يحرض على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمأنينة وقد حصل للناس الذي هو دليل على الطمأنينة والثبات والایمان ، كما قال (إذ يغشاكم الناس أمنة منه) وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن ، ولهذا قال ابن مسعود : النعاس في المصاف من الايمان ، والنعاس في الصلاة من النفاق . وقال الله تعالى [إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين] . قال الامام احمد : حدثنا يزيد ابن هارون ثنا محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال — حين التقى القوم — اللهم أقطعنا للرحم وآثانا بما لا نعرف فأخذه الغداة . فكان هو المستفتح وكذا ذكره ابن اسحاق في السيرة ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري ، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضاً قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الاموي حدثنا أسباط بن محمد القرشي عن عطية عن مطرف في قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال قال أبو جهل : اللهم [اعن] أعز الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وإذ يعدمكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) قال أقبلت غير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا وهم رسول الله (ص) يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة فاسرعوا اليها لكيلا يغلب عليها النبي (ص) . وأصحابه فسبقت العير رسول الله (ص) ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يلتقوا العير ، وسار رسول الله (ص) بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم . فنزل النبي (ص) ، والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فاصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كنتم افاطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بالف من

الملائكة . فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء ابليس في جند من الشياطين ومعه ذريته وهم في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركون : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم فلما اصطف الناس قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله امره ، يديه فقال « يارب إن تهلك هذه المصابة فلن تعبد في الأرض أبداً » . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركون من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه - وكانت يده في يد رجل من المشركون - انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل يا سراقه أما زعمت أنك لنا جار ؟ قال إني أرى مالا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة رواه البيهقي في الدلائل .

[وقال الطبراني حدثنا مسعدة بن سعد المطار ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الانصاري عن رفاعه بن رافع . قال : لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركون يوم بدر أشفق أن يخلص اليه ، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقه بن مالك ، فوكز في صدر الحارث ثم خرج هارباً حتى التقي نفسه في البحر ورفع يديه فقال : اللهم إني أسألك نظرتك إياي وخاف أن يخلص القتل اليه . وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقه بن مالك فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد فإنهم قد عجلوا ، فوللات والعزى لا ترجع حتى تفرقهم بالجبال ، فلا الفين رجلاً منكم قتل رجلاً ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى . ثم قال أبو جهل متمثلاً :

ما تنقم الحربُ الشموُسُ مني بازكُ عامينَ حديثُ سني

لمثل هذا ولدته أمي [(١)]

وروى الواقدي عن موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي بكر بن أبي سليمان عن أبي حنيفة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك ، فالح عليه فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة في الطست ، وقبض النبي - - القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا قال الواقدي وحدثنا اسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صمير سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول : انهزمنا يوم بدر

(١) ما بين المربعين لم يرد بالمصرية

ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى في الطاس في اقتدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشد الرعب علينا .
وقال الاموي حدثنا أبي ثنا ابن أبي اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعيد
أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأخذه الغداة . فكان هو
المستفتح . فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقلهم في أعينهم حتى
طمعوا فيهم ، خفق رسول الله (ص) خفقة في العريش ثم انتبه فقال « أبشريا أبا بكر هذا جبريل
معتجر بعمامة آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنياء النقع أتاك نصر الله وعدته » وأمر رسول الله (ص) فاخذ
كفا من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال « شأنت الوجوه » ثم نفحهم بها ثم قال لأصحابه
« احملوا فلم تكن إلا الهزيمة » فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم . وقال زياد
عن ابن اسحاق ثم إن رسول الله (ص) أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال « شأنت
الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال « شدوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد
قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم . وقال السدي الكبير قال رسول الله (ص) : لعلى يوم بدر
« أعطني حصباء من الارض » فناوله حصباء عليها تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك الا
دخل في عينيه من ذلك التراب شيئا ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله في ذلك
(فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهكذا قال عروة وعكرمة
ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم ان هذه الآية نزلت في ذلك يوم
بدر . وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سيأتي في موضعه إذا اتينا اليه إن شاء الله
وبه الثقة . وذكر ابن اسحاق أن رسول الله (ص) لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين
بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضا ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن
معاذ ومن معه من الانصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرر الجمعة من المشركين إلى
النبي (ص) . قال ابن اسحاق : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله (ص) - فيما ذكر
لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له « كأني بك ياسعد تكره ما يصنع
القوم ؟ » قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله باهل الشرك . فكان الانحان في
القتل أحب إلى من استبقاء الرجال . قال ابن اسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن
بعض أهله عن عبد الله بن عباس أن النبي (ص) قال لأصحابه يومئذ « إني قد عرفت أن رجلا من
بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله
ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم
رسول الله (ص) فلا يقتله ، فانه إنما خرج مستكرها » فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل

آباءنا وأبناءنا وأخواننا ونترك العباس ، والله لئن لقيناه بالحنه بالسيف . فبلغت رسول الله (ص) فقال لعمر : « يا أبا حفص » قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله (ص) . بابى حفص ، « أياضرب وجهه عم رسول الله بالسيف ؟ » فقال عمر : يا رسول الله دعنى فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق . فقال أبو حذيفة ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم البيمة شهيدا رضى الله عنه .

مقتل ابي البخترى بن هشام

قال ابن اسحاق : وإنما نهى رسول الله (ص) عن قتل أبى البخترى لأنه كان أ كف القوم عن رسول الله (ص) وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شئ يكرهه ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة فلقية المجذر بن زياد البلوى حليف الانصار فقال له : إن رسول الله (ص) نهانا عن قتلك ومع أبى البخترى زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بنى ليث . قال وزميلي ؟ فقال له المجذر لا والله ما نحن بشاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال لا والله إذا لموتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عنى نساء قریش بمكة أنى تركت زميلي حرصا على الحياة . وقال أبو البخترى وهو ينازل المجذر :

لن يترك^(١) ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

قال فاقتلا فقتله المجذر بن زياد وقال فى ذلك :

إما جهلت أو نسيت نسبي فأثبت النسبة إني من بلى
الطاعنين برماح البرني والطاعنين^(٢) الكباش حتى ينحني
بشر بيتي من أبوه البخترى أو بشرن بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بلى أطقن بالصعدة حتى تنثني
وأعبط القرن بمصب مشرفي أرزوم للوت كرزام المري
فلا يرى مجذرا يغري فرى

ثم أتى المجذر رسول الله (ص) فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى ألا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

فصل فى مقتل امية بن خلف

قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحدثني أيضا عبادة

(١) وفى ابن هشام : لن يسلم ابن حرة زميله . (٢) وفى ابن هشام : والضاربين .

ابن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف . قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلتاني ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك ؟ قال فاقول نعم ! قال فاني لا أعرف الرحمن فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به أما أنت فلا تجيبني باسمك الاول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه ، قال فقلت له يا أبا علي اجعل ما شئت . قال فانت عبد الله قال قلت نعم ! قال فكنت إذا مررت به قال يا عبد الله فأجيبه فأنحدث معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده ، قال ومعي أدرع لي قد استلبتها فانا أحملها فلما رأيته . قال يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال يا عبد الله فقلت نعم ! قال هل لك في فانا خير لك من هذه الأدرع التي معك قال قلت نعم ها الله ، قال فطرح الأدرع من يدي وأخذت بيده ويده ابنه وهو يقول : ما رأيت كالليوم قط ، أما لكم حاجة في الدين ؟ ثم خرجت أمشي بهما . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف . قال قال لي أمية ابن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما : يا عبد الله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال قلت حمزة قال ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبد الرحمن فوالله إني لا قودها إذ رآه بلال معي — وكان هو الذي يذب بلالاً بمكة على الإسلام — فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجاء . قال قلت أي بلال أسيرى ، قال لا نجوت إن نجاء ، قال ثم صرخ بأعلا صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجاء ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة ^(١) فانا أذب عنه ، قال فاخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوق ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثله قط ، قال قلت أنج بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال فهبروها بأسيا فهم حتى فرغوا منهما . قال فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالاً فجمني بأدراعي وبأسيري . وهكذا رواه البخاري في صحيحه قريباً من هذا السياق فقال في الوكالة حدثنا عبد العزيز — هو ابن عبد الله — حدثنا يوسف — هو ابن الماجشون — عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال : كتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي ^(٢) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن ، كتبتني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لآخره حين نام الناس فابصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس ^(٣) من [الأنصار فقال : أمية بن خلف ! لا نجوت إن نجاء أمية بن خلف فخرج

(١) المسكة بالتحريك السوار : أي جعلونا في حلقة كالسوار وأجدقوا بنا .

(٢) الصاغية : خاصة الإنسان والمائلون اليه .

معه فريق من الانصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنة لاشغلهم قتلوه ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له أرك فرك فالتيت عليه نفسي لامنعه فتخلوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه . سمع يوسف صالحا و ابراهيم أباه . تفرد به البخاري من بينهم كلهم . وفي مسند رفاعه بن رافع أنه هو الذي قتل أمية بن خلف .

مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أمي

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله (ص) من عدوه أمر بابي جهل أن يلتبس في القتلى ، وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة ^(١) وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص اليه ، فلما سمعتها جعلته من شأني فصممت نحوه ، فلما أمكنني حملت عليه فضربتة ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضعة النوى حين يضرب بها ، قال وضربني ابنة عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي ، واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي وإني لاسحبها خلفي فلما آذنتي وضمت عليها قدمي ثم تعطيت بها عليها حتى طرحتها . قال ابن اسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان . ثم مر بابي جهل - وهو عتير - معوذ بن صفراء فضربه حتى أثبتته ، وتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فرعبه الله بن مسعود بابي جهل حين أمر رسول الله (ص) أن يلتبس في القتلى وقد قال لهم رسول الله (ص) - فيما بلغني - أنظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته فاني أزدحم أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير ، فدفعته فوق علي ركبتيه فحجش في أحدهما حجش لم يزل أثره به . قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فمرفته ، فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بي ^(٢) مرة بمكة فأذاني ولكزني

(١) الحرجة الشجر المثلث ، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه سأل اعرابيا

عن الحرجة فقال : هي شجرة من الاشجار لا يوصل اليها .

(٢) ضبث : قبض عليه ولزمه .

ثم قلت له : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال وماذا أخزاني ؟ قال أعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال قلت لله ورسوله .

قال ابن اسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول قال لي : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يارويى الغم ، قال ثم احتزرت رأسه ثم جئت به رسول الله (ص) ، فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله . فقال « الله الذي لا إله غيره ؟ » . وكانت بين رسول الله (ص) ، فقلت نعم والله الذي لا إله غيره ثم القيت رأسه بين يدي رسول الله (ص) ، فحمد الله . هكذا ذكر ابن اسحاق رحمه الله . وقد ثبت في الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون عن صالح بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف . قال : إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالى فإذا أنا بين غلامين من الانصار حديثه اسنانهما ، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما فغمزني أحدهما فقال : يا عم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك اليه ؟ قال أخبرته أنه يسب رسول الله (ص) ، والذي نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت إلا عجل منا فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبي (ص) ، فآخبراه فقال « أيكما قتله » . قال كل منهما أنا قتلت . قال « هل مسحما سيفيكما ؟ » قالا : لا . قال فنظر النبي (ص) في السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح - والآخر معاذ بن عفراء . وقال البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده . قال قال عبد الرحمن : إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتبان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه : يا عم أرز أبا جهل ، فقلت يا ابن أخي ما تصنع به ؟ قال عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله ، قال فما سرني انني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء . وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « من ينظر ماذا صنع أبو جهل » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله فانطلق فوجدته قد ضرب به ابنا عفراء حتى برد . قال فأخذ بلحيته قال فقلت أنت أبو جهل ؟ فقال وهل فوق رجل قتلتموه - أو قال قتله قومه - وعند البخارى عن أبي أسامة عن اسماعيل ابن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزأك الله ؟ فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد . ومعى سيف ردى فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذ كر نقفاً كان ينقف

رأسي بمكة حتى ضعفت يده ^(١) فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدائرة لنا أو علينا ألسنت روعينا بمكة ؟ قال فقتلته ، ثم أتيت النبي (ص) ، فقلت قتلنا أبا جهل ، فقال الله الذي لا إله إلا هو ؟ فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي إليهم فدنا عليهم .

وقال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له ، فقلت الحمد لله الذي أخزأك الله يا عدو الله . قال هل هو إلا رجل قتله قومه فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فاصبت يده فندرت ^(٢) سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي (ص) ، كأنما أقل من الارض ^(٣) فأخبرته فقال « الله الذي لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا ، قال قلت الله الذي لا إله إلا هو قال فخرج يمشي معي حتى طام عليه فقال « الحمد لله الذي قد أخزأك الله يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة » وفي رواية أخرى قال ابن مسعود فنفلني سيفه . وقال أبو اسحاق الفزاري عن الثوري عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال أتيت رسول الله (ص) يوم بدر فقلت قد قتلنا أبا جهل فقال « الله الذي لا إله إلا هو ؟ » فقلت الله الذي لا إله إلا هو مرتين - أو ثلاثا - قال فقال النبي (ص) ، « الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال « انطلق فارنيه » فانطلقت فأريته فقال « هذا فرعون هذه الامة » . ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي اسحاق السبيعي به . وقال الواقدي وقف رسول الله (ص) على مصرع ابني عفراء فقال « رحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر » فتبيل يارسول الله ومن قتله معها ؟ قال « الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله » رواه البيهقي .

[وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن أبي اسحاق قال : لما جاء رسول الله (ص) بالبشير يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله الا هو لقد رأيته قتيلا ؟ فحلف له نحر رسول الله (ص) . اساجدا ثم روى البيهقي من طريق أبي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء - امرأة من بني أسد - عن عبد الله ابن أبي أوفى أن رسول الله (ص) صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جرى برأس أبي جهل . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال حدثتني شعثاء عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله (ص) صلى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا هشام أخبرنا بحالد عن الشعبي أن رجلا قال لرسول الله (ص) : إني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقعدة معه حتى يغيب في

(١) وفي المصرية :- صفقت يده . (٢) ندرأي سقط . (٣) أي أحمل من شدة الفرح .

الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله (س) : « ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة » . وقال الاموي في مغازيه سمعت أبي ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال جاء رجل الى رسول الله (س) : فقال إني رأيت رجلاً جالساً في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الارض ، فقال رسول الله (س) : « ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة » وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه الا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات الكرش ، فقال أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعزّة فطعنته في عينه فمات قال هشام فأنخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم غمطيت فكان الجهد أن نزعتها ، وقد انثنى طرفاها ، قال عروة فسأله إياها رسول الله (س) ، فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله (س) أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل . وقال ابن هشام حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص - ومعه - إني أراك كأن في نفسك شيئاً أراك تظن أني قتلت أباك إني لو قتلتك لم أذنر اليك من قتله ، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة فاما أبوك فاني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدث عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله .

قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن بن حريثان الاسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله (س) فأعطاه جذلاً من حطب فقال « قاتل بهذا يا عكاشة » فلما أخذه من رسول الله (س) هزه فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله (س) حتى قتله طليحة الاسدي أيام الردة ، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله :

عشية غادرت ابن أقرم^(١) ناولاً وعكاشة الغنمي عند مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتي بيانه . قال ابن اسحاق : وعكاشة هو الذي قال حين بشر رسول الله (س) أمته بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا سذاب أدع الله أن يجعلني منهم قال « اللهم اجعله منهم » وهذا الحديث مخرج في الصحيح والحسان وغيرها . قال ابن اسحاق : وقال رسول الله (س) - فيما بلغني - « منا خير فارس في العرب » قالوا ومن هو يا رسول الله ؟ قال « عكاشة بن محصن » فقال ضرار بن الازور ذاك رجل منا يا رسول الله ، قال ليس منكم ولكنه

(١) ابن أقرم : هو ثابت بن أقرم الانصاري كما في ابن هشام .

٢٩١
 منا للحلف . وقد روى البيهقي عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني عمر بن عثمان
 الخشني عن أبيه عن عمته قالت قال عكاشة بن محصن : انقطع سبقي يوم بدر فأعطاني رسول الله
 - عوداً فاذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى
 هلك . وقال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الأشهل
 - قتلوا : انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله -
 قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب^(١) فقال : اضرب به فاذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى
 قتل يوم جسر أبي عبيدة .

رده عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو سعد الماليني أخبرنا أبو أحمد بن عدي حدثنا أبو يعلى
 حدثنا يحيى الحماني ثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن
 جده قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا
 رسول الله - : فقال لا ، فدعاه فغمز حدقته براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيب وفي رواية
 فكانت أحسن عينيه . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث
 عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فردت بكمت المصطفى أبما رد
 فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشداً قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي رزن
 فأنشده عمر في موضعه حقاً :

تلك المكارم لأقربان من لبن شيبا بمار فمادا بعد أبوالا

فصل قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن صالح أخبرنا الفضل بن محمد الشعرائي
 حدثنا إبراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز بن عمران حدثني رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن
 رافع عن أبيه رافع بن مالك . قال لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبي بن خلف ، فاقبلت إليه
 فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت ابطنه ، قال فطعنته بالسيف فيها طعنة . ورميت
 - بهم يوم بدر ، ففقت عيني فبصق فيها رسول الله - . ودعاني فما أذاني منها شيء وهذا غريب
 من هذا الوجه واسناده جيد ولم يخرجوه . ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن المنذر . قال ابن
 (١) عذق ابن طاب نخل بالمدينة ، وابن طاب ضرب من الرطب .

هشام ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال : أين مالى يا خبيث
فقال عبد الرحمن :

لم يبق إلا شنكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

يعنى لم يبق إلا عدة الحرب ، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقوله فى
حال كفره . وقد رويناه فى مغازى الاموى أن رسول الله (س) جعل يمشى هو وأبو بكر الصديق بين
القتلى ورسول الله (س) يقول « نفلق هاما » فيقول الصديق :

من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعتق وأظلموا

طرح رؤوس الكفر فى بئر يوم بدر

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما أمر رسول الله (س) بالقتل أن يطرحوا فى القليب ، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه ففلاها فذهبوا ليخرجه فترايل [لجه] فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم فقال : « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فاني قد وجدت ما وعدنى ربي حقاً » قالت فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قوما موتى فقال « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله (س) لقد علموا قال ابن اسحاق : وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب النبي (س) رسول الله من جوف الليل وهو يقول « يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبه بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام - فعدد من كان منهم فى القليب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فاني قد وجدت ما وعدنى ربي حقاً » فقال المسلمون : يا رسول الله (س) أتنادى قوما قد جيفوا ؟ فقال « ما أنتم بامتع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني » وقد رواه الامام احمد عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس فذكر نحوه . وهذا على شرط الشيخين قال ابن اسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (س) قال « يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فاني قد وجدت ما وعدنى ربي حقاً » .

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضى الله عنها تتأوله من الأحاديث كما قد جمع ما كانت تتأوله من الأحاديث فى جزء وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله (وما أنت بمسمع من فى القبور) وليس هو بمعارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم

للاحاديث الدالة نصا على خلاف ما ذهبت اليه رضى الله عنها وأرضاها . وقال البخارى حدثنا عبيد
ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع
إلى النبي (ص) أن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله فقالت : رحمه الله ، إنما قال رسول الله (ص)
إنه ليعذب بمخيطته وذنبه ، وإن أهله ليبكون عليه الآن . قالت وذاك مثل قوله إن رسول الله
(ص) قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال : قال إنهم ليسمعون ما أقول وإنما
قال إنهم الآن ليعلمون إنما كنت أقول لهم حق ، ثم قرأت [إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع
من في القبور] تقول حين تبوؤا مقاعدكم من النار . وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة
به ، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من
الاحكام الكبير إن شاء الله . ثم قال البخارى حدثني عثمان ثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن
عمر قال : وقف النبي (ص) على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ثم قال « إنهم
الآن يسمعون ما أقول لهم » وذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي (ص) إنهم الآن ليعلمون أن
الذي كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت (إنك لا تسمع الموتى) حتى قرأت الآية . وقد رواه مسلم
عن أبي كريب عن أبي أسامة . وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة .
وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال
ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن رسول الله (ص) أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من
صناديد قريش فخذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة
ثلاث ليال ، فلما كان بيوم الثالث أمر بإحلتهم فشد عليهم رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا
ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفه الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان
ابن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله فأتا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا . فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال
النبي (ص) « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال قتادة : أحياء الله حتى
أسمعهم قوله توبيخا وتصفياء . نعمة وحسرة وندامة : وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق
عن سعيد بن أبي عروبة . ورواه الامام احمد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن
عن قتادة قال حدث أنس بن مالك فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة وهذا اسناد صحيح ، ولكن
الاول أصح وأظهر والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رسول
الله (ص) ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أقام مقام عليهم فقال : « يا أمية بن خلف ، يا أبا
جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فأتى قد وجدت

ما وعدني ربي حقاً» قال فسمع عمر صوته فقال يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون؟ يقول الله تعالى (إنك لا تسمع الموتى) فقال «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا». ورواه مسلم عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به. وقال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت:

عرفتُ ديارَ زينبَ بالكثيبِ كخطَّ الوحي في الورقِ القشيبِ
تداولها الرياحُ وكلَّ جَوْنٍ من الومي منهزمٍ مكتوبِ
فامسى رممها خَلِقًا وأمست يباباً بعد ساكنها الحبيبِ
فدغ عنك التذكرُ كل يومٍ وردَّ حرارة القلبِ (١) الكثيبِ
وخبر بالذي لا عيبَ فيه بصدقٍ غير أخبارِ الكذوبِ
بما صنعَ المليكُ غداةَ بدرٍ لنا في المشركين من النصيبِ
غداةَ كأنَّ جمعهمُ جِراءُ بدتْ أركانهُ جُنجَحَ الغروبِ
فلاقيناهمُ منا بجمعٍ كشد الغابِ مُردانٍ وشيبِ
أمامَ محمدٍ قد وازروه على الإعدادِ في لفتحِ الحروبِ
بأيديهم صوارمُ مرهفاتٍ وكلَّ بحرَبٍ خاطي الكعوبِ
بنو الأوسِ الغطارفُ وازرتها بنو النجَّار في الدِّينِ الصليبِ
فقادَرنا أبا جهلٍ صريعاً وعتبةً قد تركنا بالجبوبِ (٢)
وشيبةً قد تركنا في رجالٍ ذوي حسبٍ إذا نُسبوا حبيبِ
يناديهـم رسولُ الله لما قدفناهم كباكبٍ في القلبِ
ألم تَجِدُوا كلامي كان حقاً وأمرَ الله يأخذُ بالقلوبِ
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقتُ وكنتَ ذا رأيٍ مصيبِ

قال ابن اسحاق: ولما أمر رسول الله (ص) أن يلقوا في القلب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القلب فنظر رسول الله (ص) فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير لونه فقال: «يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أهلك شيء» أو كما قال رسول الله (ص) - فقال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجوه أحزنني ذلك فدعا له رسول الله (ص) بخير وقال له خيراً وقال البخاري حدثنا

(١) في ابن هشام: الصدر الكثيب. (٢) الجبوب اسم للارض لانها تجب أي تحفر.

الحميدى حدثنا سفيان ثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش ، ومحمد نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال : النار يوم بدر . قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

قومي الذين هم آووا نبيهم وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف للصالحين من الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم لما أنام كرمي الأصل مختار
أهلاً وسهلاً في أمن وفي سعة نعم النبي ونعم القسم والجار
[فأنزلوه بدار لا يخاف بها] من كان جارهم داراً هي الدار^(١)
وقامهم بها الأموال إذ قدموا مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلائم بغرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال إني لكم جار فأوردتهم شر الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولوا عن سرانهم من منجدين ومنهم رفة غاروا

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن أبي بكر وعبد الرزاق . قال : حدثنا اسراييل عن عكرمة عن ابن عباس . قال : لما فرغ رسول الله ص . من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شيء ، فناداه لعباس وهو في الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال لم ؟ قال لان الله وعده احدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعده . وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور الف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقى منهم أن سيسلم منهم بشر كثير . ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً فاهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية ، وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط وكن سبعاً فيهن من الامم والدواب والاراضي والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات واتبعهن بالحجارة التي سومت لهم كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط كما تقدم .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين وبين تعالى حكمه في ذلك فقال [فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب وازارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض] الآية . وقال تعالى [قاتلوهم

(١) البيت عن ابن هشام . وقوله في الذي يليه (الجاحد) في الاصل الجاهل . وكذا قوله (دلائم) في الاصل والاهوا والتصحيح عن ابن هشام .

يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم
ويتوب الله على من يشاء [الآية] . فكان قتل أبي جهل على يدي شاب من الانصار ، ثم بعد ذلك
يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له لقد رقيت مرتقي صعبا
يارويحي الغنم ، ثم بعد هذا حزر رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله فشفى الله به قلوب
المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه
والله أعلم .

وقد ذكر ابن اسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ولكنه خرج معهم تقية
منهم لانه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن اسلامه جماعة منهم ؛ الحارث بن زمة بن الاسود ، وأبو
قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ^(١)] وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن
الحجاج . قال وفيهم نزل قوله تعالى [الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت
مصيرا] وكان جملة الاسارى يومئذ سبعين أسيرا كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم
من آل رسول الله (ص) ، عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث
ابن عبد المطلب ، وقد استبدل الشافعي والبخاري وغيرها بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم
محرم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن عمر في ذلك فانه أعلم . وكان فيهم أبو العاص
ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبي (ص) .

فَضْرَبَ النَّبِيُّ

وقد اختلف الصحابة في الاسارى أيقتلون أو يفادون على قولين ، كما قال الامام احمد حدثنا
على بن عاصم عن حميد عن أنس - (وذكر رجل) - عن الحسن . قال استشار رسول الله (ص) ، الناس
في الاسارى يوم بدر فقال « إن الله قد أمكنكم منهم » قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب
أعناقهم ، قال فاعرض عنه النبي (ص) ، ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق
فقال يا رسول نرى أن تغفر عنهم وأن تنبل منهم الفداء . قال فذهب عن وجه رسول الله (ص) ، ما
كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء . قال وأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق
لمسكم) الآية : انفرد به احمد . وقد روى الامام احمد - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذي
وصححه وكذا على بن المديني وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا سفيان الثوري أبو زميل حدثني
(١) لم يرد في الاصول وزدناه من ابن هشام عن محمود الامام .

ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله (ص) الى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيّف وانظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فذكر الحديث كما تقدم الى قوله قتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا ، واستشار رسول الله (ص) أبا بكر وعليّا وعمر ، فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والمشيرة والاخوان واني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا . فقال رسول الله (ص) : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن نمكني من فلان قريب لعمر فاخرب عنقه ، ونمكن عليّا من عقيل فيضرب عنقه ، ونمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هراة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله (ص) ، ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد قال عمر : ففدت الى النبي (ص) ، وأبى بكر وهما يبكيان فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تبكيت لبكائك ؟ فقال رسول الله (ص) : « للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة » — لشجرة قريبة — وأنزل الله تعالى [ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم] من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث .

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله (ص) : « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ قال فقال أبو بكر : يا رسول الله قوهك وأهلك استبقهم واستأمن بهم لعل الله أن يتوب عليهم قال وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قريتهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله أنظر واديا كثير الخطب فادخلهم به ثم أضرمه عليهم نارا . قال فدخل رسول الله (ص) ، ولم يرد عليهم شيئا . فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . فخرج عليهم فقال : ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى يكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تنفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) أنتم علة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق

قال عبد الله : فقلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فاني قد سمعته يذكر الاسلام قال فسكت ، قال فما رأيته في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال : إلا سهيل بن بيضاء . قال فانزل الله [ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم] إلى آخر الآيتين وهكذا رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي معاوية . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبي أيوب الانصاري بنحوه . وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرک من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال : لما أسر الاسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الانصار قال وقد أوعده الانصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « إني لم أتم الليلة من أجل عمي العباس ، وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه » قال عمر أفايتهم ؟ قال نعم فأتى عمر الانصار فقال لهم : أرسلوا العباس : فقالوا لا والله لا نرسله ، فقال لهم عمر : فان كان لرسول الله رضى ؟ قالوا فان كان له رضى نخذه ، فاخذه عمر فلما صار في يده قال له عمر : يا عباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه اسلامك . قال واستشار رسول الله (ص) ، أيا بكر فقال أبو بكر عشيرتك فارسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم ، ففاداهم رسول الله (ص) ، فانزل الله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض) الآية . ثم قال الحاكم في صحيحه هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال : جاء جبريل إلى النبي (ص) فقال خير أصحابك في الاسارى إن شاؤا الفداء وإن شاؤا القتل على أن يقتل عاما قابلا منهم مثلهم . قالوا الفداء أو يقتل منا . وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسلًا عن عبيدة والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق عن ابن أبي نجيع عن عطاء عن ابن عباس في قوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) يقول لولا أنى لا أعذب من عصاني حتى اتقدم اليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وهكذا روى عن ابن أبي نجيع عن مجاهد أيضاً واختاره ابن اسحاق وغيره وقال الأعمش سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بداراً . وهكذا روى عن سعد ابن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، وقال مجاهد والثوري (لولا كتاب من الله سبق) أى لهم بالمغفرة . وقال الواجب عن ابن عباس سبق في أم الكتاب الاول أن المغنم وفداء الاسارى حلال لكم ، ولهذا قال بعده (فكأوا مما غنمتم حلالاً طيباً) وهكذا روى عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة والأعمش ، واختاره ابن جرير وقد ترجح هذا

القول بما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » . وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) : « لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا » . ولهذا قال تعالى (فكأولئك مما غنمتم حلالاً طيباً) فاذن الله تعالى في أكل الغنائم وفداء الأسارى وقد قال أبو داود حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العباسي ثنا سفيان بن حبيب ثنا شعبة عن أبي العنبر عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) : جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربع مائة ، وهذا كان أقل ما فودي به أحد منهم من المال ، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهم . وقد وعد الله من آمن منهم بالثمن عما أخذ منه في الدنيا والآخرة فقال تعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبهم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم) الآية . وقال الوالي عن ابن عباس نزلت في العباس ففادى نفسه بالاربعة مائة أوقية من ذهب قال العباس ؛ فأنا في الله أربعين عبداً - يعني كلهم يتجر له - قال وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه . وقال ابن اسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل ^(١) عن بعض أهله عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله (ص) يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبي (ص) ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال « سمعت أنين عمي العباس في وثاقه » فاطلقوه فسكت فنام رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب . قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو وأحد بني الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله (ص) . حين ادعى أنه كان قد أسلم فقال له رسول الله (ص) : « أما ظاهرك فكان عابداً والله أعلم باسلامك وسيعجز بك » فادعى أنه لا مال عنده قال « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها إن أصبت في سفرى فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقيم ؟ » فقال والله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل رواه ابن اسحاق عن ابن أبي نجيع عن عطاء عن ابن عباس . وثبت في صحيح البخاري من طريق موسى بن عقبة قال الزهري حدثني أنس بن مالك قال إن رجلاً من الأنصار استأذنت رسول الله (ص) : قالوا أيذن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداءه . فقال « لا والله لا تذرون منه درهما » قال البخاري وقال إبراهيم بن طهمان عن غبيرة بن صهيب عن أنس أن النبي (ص) : أتى بمال من البحرين فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكره مال أتى به رسول الله (ص) ، إذ جاءه العباس

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية معقل وفي الخلاصة العباس بن عبد الله بن مغفل .

فقال : يا رسول الله أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلًا فقال « خذ » فحشا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلى . قال « لا » قال فارفعه أنت علي ، قال « لا » فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلى قال « لا » قال فارفعه أنت علي قال « لا » فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يتبعه بصرد حتى خفي علينا عجبا من حرصه ، فما قام رسول الله (ص) وثم معها درهم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن اسماعيل بن عبد الرحمن السدي . قال : كان فداء المباس وابني أخوينة عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمائة دينار ، ثم توعد تعالى الآخرين فقال (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم) .

فَضِيْلَةُ

والشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسيأتي إن شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازب في صحيح البخاري أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين . وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدر من المسلمين من قریش ستة ومن الانصار ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعين ، وأسروا منهم تسعة وثلاثين . هكذا رواه البيهقي عنه . قال وهكذا ذكر ابن أبي لمية عن أبي الأسود عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين . ثم قال أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق . قال واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا ، أربعة من قریش وسبعة من الانصار وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا وقال في موضع آخر : وكان مع رسول الله (ص) أربعون أسيرا ، وكانت القتلى مثل ذلك . ثم روى البيهقي من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل عن الزهري قال : وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر ، ورجل من الانصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين ، وأسروا منهم مثل ذلك ، قال ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن الزبير قال قال البيهقي — وهو الأصح — فبما روينا في عدد من قتل من المشركين وأسروا منهم ، ثم استدلل على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضا من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال : أمر رسول الله (ص) على الرماة يوم أحد عبد الله ابن جبير ، فأصابوا من سبعين . وكان النبي (ص) وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا . قلت والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وكأنه أخذه من هذا الذي ذكرناه والله

أعلم . وفي حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول لقوله عليه السلام « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كما سيأتي التخصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله ، وتقدم في حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسدّي الكبير وأبو جعفر الباقر . وروى البيهقي من طريق قتيبة عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر قال : « تحروها لأحدى عشرة بقين فان صبيحتها يوم بدر » . قال البيهقي وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما شك ، وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . قال البيهقي والمشهور عن أهل المغازي أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان . ثم قال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق ثنا أبو نعيم ثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول سئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر فقال : إما لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت أو لأحدى عشرة بقيت . وإما لسبع عشرة بقيت وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قباث بن أشيم الليثي من طريق الواقدي وغيره بإسنادهم إليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله - ﷺ ، قال : وجعلت أقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، والله لو خرجت نساء قریش بالآها^(١) ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع في نفسي الإسلام ، قال فقدمتها فسألت عنه فقاتلوا هو ذاك في ظل المسجد في ملا من أصحابه ، فأنيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فقلت فقال يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، فقلت أشهد أنك رسول الله فان هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا تزمزت به إلا شيئاً حدثت به نفسي ، فلو أنك نبي ما أطلعك عليه ، هلم أبأبعك على الإسلام فاسلمت^(٢)] .

فصل ثالث

وقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر في المغنم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولي المشركون . ففرقة أهدقت برسول الله - ﷺ ، فحرسه خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه . وفرقة ساقط وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقة جمعت المغنم

(١) في الأصلين هكذا (نالها) ولعلها بالآها أي بإلاحها (٢) ما بين المربعين من الحلبة فقط .

من منفرقات الاماكن . فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالغنم من الآخر لما صنع من الأمر المهم . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فزرعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله (ص) ، فقسمه بين المسلمين عن بواء ، يقول عن سواء . وهكذا رواه احمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق به ومعنى قوله على السواء أي ساوى فيها بين الذين جبرها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخصص بها فريقا منهم ممن ادعى التخصيص بها ، ولا ينفي هذا تخصيصها وعرف الخمس في مواضعه كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم . بل قد تنفل رسول الله (ص) سيفه ذو الفقار من منام بدر . قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملا لابي جهل كان في أنه برة من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضا . وقال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو ثنا ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع النبي (ص) ، فشهدت معه بدرآ ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على الغنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله (ص) ، لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وليس لاحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم باحق به منا نحن نسينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله (ص) ، خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ، فانزل الله [يسألونك عن الانفال قل الانفال لله ولرسوله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين] فقسمها رسول الله بين المسلمين . وكان رسول الله (ص) ، إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الانفال . وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث الثوري عن عبد الرحمن ابن الحارث آخره وقال الترمذي هذا حديث حسن . ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن ، وقال انما كم صحيح على شرط مسلم ولم يخرججه . وقد روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله (ص) ، من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ، فسارع في ذلك شبان الرجال وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاؤا يطلبون الذي جعل لهم قال الشيوخ : لا تستأثروا علينا فانا كنا رداء لكم لو انكشتم لغنم الينا ، فتنازعوا فانزل الله تعالى [يسألونك

عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين [. وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً آخر يطول بسطها ههنا ومعنى الكلام أن الانفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله بحكما فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ولهذا قال تعالى (قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ثم ذكر ما وقع في قصة بدر وما كان من الامر حتى انتهى إلى قوله [واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل] الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله في الانفال الذي جعل مرده اليه وإلى رسوله ص ، فبينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى ، وهو قول أبي زيد وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله ص قسم غنائم بدر على السواء بين الناس ، ولم يخمسها . ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدم ، وهكذا روى الوابي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وفي هذا نظر والله أعلم . فان في سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها في غزوة بدر فيقتضي أن ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضاً ، ثم في الصحيحين عن علي رضي الله عنه أنه قال في قصة شار فيه اللذين اجتبأ أسنمتهم حمزة إن إحداها كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحاً على أبي عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم . بل خست كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح والله أعلم .

فَضْلُ النَّبِيِّ

في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الامور في مسيره اليها مؤيداً منصوراً عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقه ووقف على قلب بدر فقرع أولئك الذين سحبوا اليه كما تقدم ذكره ، ثم سار عليه السلام ومعه الاسارى والغنائم الكثيرة وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجمعه وبه كفر ، أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعلى المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة . قال أسامة بن زيد فاتانا الخبر حين سويننا [التراب] على رقية بنت رسول الله ص ، وكان زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه قد احتبس عندها بمرضها بالامر رسول الله ص ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدر . قال أسامة : فلما قدم أبي زيد بن حارثة جثته وهو

واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة . وأبو جهل بن هشام ، وزمة بن الاسود ، وأبو البختري العاص بن هشام ، وأميسة بن خلف ، ونبية ومنبه ابنا الحجاج . قال قلت يا أبة أحق هذا ؟ قال إى والله يا بنى . وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء زيد بن حارثة على المضياء فآفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الميعة تفرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدقت حتى رأينا الاسارى . وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعثمان بسهمه . وقال الواقدي صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من بدر العصر بالاثيل فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال : « يرى ميكائيل وعلى جناحه النع فتبسم إلى وقال إنى كنت فى طلب القوم ، وأناه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنى معقود الناصية وقد عصم ثنبيه الغبار فقال يا محمد إن ربى بعثنى اليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت ؟ قال نعم . قال الواقدي قالوا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الاثيل فجاء يوم الاحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابناربيعة ، وابن الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمة بن الاسود ، وأميسة بن خلف ، وأسر سهيل بن عمرو . قال عاصم بن عدى : فقامت اليه فنجوته فقلت أحتا يا ابن رواحة ؟ فقال إى والله وغداً يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالاسرى مقرنين . ثم تتبع دور الانصار بالعالية يبشرهم داراً داراً والصبيان يفسدون معه يقولون : قتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على فآفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلى صاح على راحلته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابن الحجاج ، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البختري وزمة بن الاسود ، وأسر سهيل بن عمرو ذو الانياب فى أسرى كثير فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلا فلا حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا . وقدم زيد حين سنوينا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالبقيع ، وقال رجل من المناققين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه ؟ وقال آخر لابی لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل عليه أصحابه قتل محمد وهذه فآفته أعرها ، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلا فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيد إلا فلا . قال أسامة فجئت حتى خلوت بآبى فقلت أحق ما تقول ؟ فقال إى والله حق ما أقول يا بنى فتويت نفسى ورجعت إلى ذلك المناقق فقلت أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لتقدمك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك ، فقال إنما هو شئ سمعته

من الناس يقولونه . قال فجئ بالأسرى وعليهم شقران . ولى رسول الله . وكان قد شهد معهم بدرًا وهم تسع وأربعون رجلاً الذين أحصوا . قال الواقدي : وهم سبعون في الأصل مجتمع عليه لا شك فيه . قال ولقي رسول الله . إلى الروحاء رؤوس الناس يهتفون بما فتح الله عليه . فقال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخافني عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها غير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت . فقال له رسول الله « صدقت » . قال ابن اسحاق : ثم أقبل رسول الله . قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام [يقال إنه] هو عدي بن أبي الزغباء - :

أقم لها صدورها يا بسبس ليس بندي الطلح لها معرس
ولا بصحراء عمير محبس إن مطايا القوم لا تحبس
فحملها على الطريق أكيس قد نصر الله وفر الأحنس

قال ثم أقبل رسول الله . حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كنيب بين المضيق وبين النازية يقال له ستر إلى سرحة به فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتفون بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذي تهتفوننا به . والله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحنراها ، فتبسم رسول الله . ثم قال : « أي ابن أحمى أولئك الملا » قال ابن هشام : يعني الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن اسحاق : حتى إذا كان رسول الله . بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله على بن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة ابن أبي معيط . قال ابن اسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله . بقتله : فمن للصبية يا محمد ؟ قال « النار » وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر . وكذا قال موسى بن عقبة في مغازيه وزعم أن رسول الله . لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره . قال ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت . قال : يا معشر قريش علام أقتل من بين من ههنا ؟ قال على عداوتك الله ورسوله . وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن

الشعبي قال : لما أمر النبي ﷺ ، بقتل عقبة قال : أتقتلني يا محمد من بين قریش ؟ قال : « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فالقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فسلته عن رأسي » قال ابن هشام ويقال بل قتل عقبة على بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لهنهما الله وقد فعل . قال ابن هشام : فقالت قتيبة بنت الحارث اخت النضر بن الحارث في مقتل أخيها :

يارا كبراً أن الائل مظنةً من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن نحيةً ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحةً جادت بوابلها وأخرى تخفق
هل يسمن النضر إن ناديت أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أحمد ياخير رضي كريمه من قورها والفحل فحله مرق
ما كان ضرك لو مننت ربما من الفتي وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فديته فلينفقن باعز ما يغلو به ما ينفق
والنضر أقرب من أسرت قرابةً وأحقهم أن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هنالك تُشقق
صبراً يقاد إلى الميتة متعباً رسف المقيدر وهو عان موثق

قال ابن هشام : ويقال والله أعلم أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال « لو بلغني هذا قبل قتله لمكنت عليه » .

قال ابن اسحاق : وقد تلقى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي حجامه عليه السلام ومعه زق خمر^(١) مملوء حيساً — وهو الخمر والسويق باليمن — هدية لرسول الله ﷺ ، فقباه منه ووصى به الانصار . قال ابن اسحاق ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم . قال ابن اسحاق : وحديثي نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالاسارى فرقمهم بين أصحابه وقال « استوصوا بهم خيراً » قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لا يبيد وأمه في الاسارى ، قال أبو عزيز : مربى أخى مصعب بن عمير

(١) كذا في الاصلين . وفي ابن هشام : ولقي رسول الله ﷺ الخ بحميت مملوء حيساً . والحميت الزق .

ورجل من الانصار يأسرني فقال شديدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه ملك ، قال أبو عزيز
فكننت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصوني
بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ص ، إياهم بنا ، ما تنفع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى
بها فأستحي فأردها فإردها على ما بمسها . قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين
بيدر بعد المنذر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لابي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال قال له
أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب إنه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدى
به قرشي فقبل لها أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم فقصدته بها . قلت : وأبو عزيز هذا
اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير في غابة الصحابة ، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة . وكان أخا
مصعب بن عمير لآبيه ، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل
يوم أحد كافراً ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم . قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي
بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة . قال قدم بالأسارى حين قدم بهم
وسودة بنت زمعة زوج النبي ص . عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، قال
وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، قال تقول سودة والله إني لعندهم إذ أتينا فقبل هؤلاء
الأسارى قد أتى بهم ، قالت فرجعت إلى بيتي ورسول الله ص . فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو
في ناحية الحجرة مجموعة يده إلى عنقه بحبل قالت فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد
كذلك أن قلت : أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ، ألا متم كراما ؟ فوالله ما أنبهي إلا قول رسول الله
ص . من البيت « يا سودة أعل الله وعلى رسوله تحرضين » قال قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق
ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت . ثم كان من قصة
الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكيفية إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد حدثنا أحمد بن
سلمان المجداد حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثني حمزة بن العباس ثنا عبد الله بن عثمان ثنا عبد الله
ابن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن - رجل من أهل صنعاء - قال
أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلتان
ثياب جالس على التراب . قال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى ما في
وجوهنا قال إني أبشركم بما يسركم . إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فاخبرني أن الله قد نصر نبيه

وأهلك عدوه وأسرفلان وفلان وقتل فلان وفلان . التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأنى أنظر إليه كنت أرى لسيدي رجل من بنى ضمرة إبله ، فقال له جعفر : ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الاخلاط ؟ قال إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقاً على عباد الله أن يتحدثوا لله تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لى نصر نبيه (ص) . أحدثت له هذا التواضع .

وصول خبر مصاب اهل بدر الى اهلهم بمكة

قال ابن اسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاف قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له ما وراءك ؟ قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميرة بن خلف ، وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ، وأبو البختري بن هشام . فلما جعل يعدد أشرف قريش قال صفوان ابن أمية والله ان^(١) يعقل هذا ، فسأله عنى فقالوا ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال هو ذاك جالس فى الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا . قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل . وذكر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أزارَ الحنيفيون بدراً وقيعةً سينقضُّ منها ركنٌ كسرى وقيصرا
أبادت رجلاً من لؤي وبرزت خرائد يضر بن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد لقد جاز عن قصير الهدى ونحيراً

قال ابن اسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله (ص) . كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتنهم اسلامه ، وكان ذا مال كثير منفرد فى قومه . وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العباس بن هشام بن المغيرة - وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً - فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبتة الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزاً ، قال وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الاقداح أنحنها فى حجرة رمزم . فوالله إني جالس فيها أنحت اقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرتنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب بجزء من بشرى ، حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية وابن هشام : والله ان يعقل هذا .

سفيان - واسمه المغيرة - ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال فقال أبو لهب : هلم إلى فنندك لعمرى الخير ، قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال والله ما هو إلا أن لقينا القوم فنحنهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ، ويأسروننا كيف شاؤا ، وإيم الله مع ذلك ما ملت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ، والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طناب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال وثأورته ^(١) فاحتلمني وضرب بي الارض ثم بك على يضر بني - وكنت رجلا ضعيفا - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضر به ضربة فبلغت في رأسه شجة منكرة ، وقالت استضعفته إن غاب عنه سيده ، فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . زاد يونس عن ابن اسحاق : فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أتت . وكانت قريش تنق هذه العدسة كما تنق الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش : ويحك ألا تستحيان أن أبا كما قد أتت في بيته لا تدفناه ؟ فقالا إنا نخشى عدوة هذه القرحة ، فقال انطلقا فانا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فاستندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة . [قال يونس عن ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت لا تمر على مكان أبي لهب هذا إلا تستر بثوبها حتى تجوز ^(٢)] .

قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد قال ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا لا تفعلوا يبلغ محمداً وأصحابه فيشتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا بهم لا يارب ^(٣) عليكم محمد وأصحابه في الفداء . قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم ، فان البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين . قال ابن اسحاق : وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكي على بنيه قال فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لفلام له - وكان قد ذهب بصره - أنظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعل أبكي على أبي حكيمة - يعني ولده زمعة - فان جوفى قد احترق ، قال فلما رجع اليه الفلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته قال فذاك حين يقول الاسود :

أبكي أن أضل لها بعير^١ ويمنعها من النوم^٢ الشهود

(١) كذا في الحلبيّة وابن هشام ، وفي المصرية : وبأدرته . (٢) ما بين المربعين من الحلبيّة

فقط ولم يرد في المصرية ولا في ابن هشام .

(٣) يارب قال في النهاية في تفسير هذا الخبر : أي يتشددون عليكم .

فلا تبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرتِ الجود
على بدرٍ سراً بني هصيصٍ ومخزومٍ ورهطٍ أبي الوليد
وبكى إن بكيتِ أبا عقيلٍ وبكى حارثاً أسد الاسود
وبكيتهم ولا تُسمي جميعاً وما لأبي حكمة من نديد
ألا قد سادَ بعدهم رجالٌ ولولا يومٌ بدرٍ لم يسودوا
بعث قريش إلى رسول الله (ص) فداءً أسراهم

قال ابن اسحاق : وكان في الاسارى أبو وداعة بن ضبيعة السهمي . فقال رسول الله (ص) : « إن
له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال وكأنسكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش لا تعجلوا
بفداء أسراكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة وهو الذي كان رسول الله
(ص) عني صدقتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل وقدم المدينة فاخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به .
قلت : وكان هذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش في فداء أسراهم فقدم بكر بن حفص بن
الاخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف فقال
في ذلك :

أسرتُ سهيلاً فلا ابتغي أسيراً به من جميع الأمم
وخنفتُ تعلم أن الفتى فتاها سهيلاً إذا يُظلم
ضربتُ بذني الشفر حتى انثنى وأكرهتُ نفسي على ذى العلم

قال ابن اسحاق : وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى . قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن
عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله (ص) : « دعني أنزع نية
سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً » فقال رسول الله (ص) : « لا أمثل
به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً » .

قلت : هذا حديث مرسل بل معضل قال ابن اسحاق : وقد بلغني أن رسول الله (ص) قال
لعمر في هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه » قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة
حين مات رسول الله (ص) ، وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها . فقام بمكة
فخطب الناس وثبتهم على الدين الخفيف كما سيأتي في موضعه .

قال ابن اسحاق : فلما قابلم فيه مكرز وانتهى إلى رضائهم قالوا هات الذي لنا قال اجعلوا رجلي
مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم . وأشد له
ابن اسحاق في ذلك شعراً أنكره ابن هشام فأنه أعلم . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي

بكر قال : وكان في الاسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب . قال ابن اسحاق وكانت أمه بنت عقبة بن أبي معيط . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبي معيط . قال ابن هشام : وكان الذي أسره على بن أبي طالب . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال قيل لابي سفيان أفد عمراً ابنك ، قال أيجتمع على دمي ومالي ، قتلوا حنظلة وأفدى عمراً ؟ دعوه في أيديهم بمسكوه ما بدا لهم . قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكل أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مريّة له وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالقيع فخرج من هناك معتمراً ولم يظن أنه يحبس بمكة إنما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بآبته عمرو وقال في ذلك :

أرھط ابن أكل أجيبوا دعاءه تماقدنم لا تسلوا السيّد الكهلا
فإن بني عمرو لئام أذلة لأن لم يكفوا عن أسيرم الكبلا
قال فاجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً لا كنر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضب حسام أو بصفراء نبعث نحن إذا ما أنبضت نهجز النبلا

قال ومشي بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله (ص) فآخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم فاعطاهم النبي فبعثوا به إلى أبي سفيان فغلى سبيل سعد . قال ابن اسحاق وقد كان في الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله (ص) وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذي أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام . قال ابن اسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله (ص) أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحي ، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية - أو أم كلثوم من عتبة بن أبي لهب ، فلما جاء الوحي قال أبو لهب : اشغلوا محمداً بنفسه ، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله (ص) ، قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومشوا إلى أبي العاص فقالوا طارق صاحبك ونحن تزوجك بأى امرأة من قريش شئت ، قال لا والله إذا لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بأمرأتى امرأة من قريش : وكان رسول الله (ص) يثنى عليه في البصرة فيما بلغني . قلت : الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابت في الصحيح كما سيأتى . قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره ، وكان الاسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول

الله (س) ، وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما . قلت : إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله (س) ، رق لها رقعة شديدة وقال « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا » . قالوا نعم ! يا رسول الله ، فاطلقوه . وردوا عليها الذى لها . [قال ابن اسحاق : فكان ممن سمى لنا ممن من عليه رسول الله (س) ، من الاسارى بغير فداء من بنى أمية أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بنى الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه ^(١)] قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله (س) ، قد أخذ عليه أن يخلى سبيل ينب - يعنى أن تهجر إلى المدينة - فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتى . وقد ذكر ذلك ابن اسحاق معنا فآخرناه لانه أنسب والله أعلم . وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي (س) ، نفسه وعقيلًا ونوفلاً ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب . وقال ابن هشام كان الذى أسره أبي العاص بوأيوب خالد بن زيد . قال ابن اسحاق : وصيفى بن أبي رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه ، فاخذوا عليه ليعتثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم : قال حسان بن ابت في ذلك :

ما كان صيفى ليوفى أمانةً قفا ثعلبٍ أعيا ببعض الموارد

قال ابن اسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمع كان محتاجاً لثلاث بنات قال يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال وإنى لذو حاجة وذو عيال فامنن على ، فمن عليه رسول الله (س) ، وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحداً فقال أبو عزة يمدح رسول الله (س) ، على ذلك :

مَنْ مَبْلَغٌ عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدًا بِأَنْكَ حَقٌّ وَالْمَلِكُ حَمِيدٌ
وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدٌ
وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوِثَّتْ فِيْنَا مَبَاهَةٌ لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودٌ
فَأَنْكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لِحَارِبٍ شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدٌ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِّرْتُ بِدَرًا وَأَهْلَهُ تَأَوَّبْتُ مَا بِي، حَسْرَةً وَقَعُودٌ

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله فرجع اليهم

(١) ما بين المربعين مقدم فى الحلبية ومؤخر فى المصرية .

فلمّا كان يوم أحد أسر أيضا ، فقال من النبي .س. أن يمن عليه أيضا فقال النبي .س. « لا أدعك
تسمع عارضيك وتقول خدعت محمدا مرتين » ثم أمر به ففرضت عنقه كما سيأتي في غزوة أحد .
ويقال إن فيه قال رسول الله .س. « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهذا من الامثال التي لم تسمع
إلا منه عليه السلام .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن
وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر ببسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا
من شياطين قريش ومن كان يؤذي رسول الله .س. وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان
ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر . قال ابن هشام : والذي أمره رفاعة بن رافع أحد بني زريق .
قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن جعفر عن عروة فذكر أصحاب القليب وهبهم فقال صفوان
والله ما أن في العيش [بعدهم] خير ، قال له عمير صدقت ، أما والله لولا دين علي ليس عندي
قضاؤه وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله فإن لي فيهم علة ابني أمير في
أيديهم . قال فاعتنمها صفوان بن أمية فقال : على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم
ما بقوا لا يسفني شيء ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكم على شأني وشأنك ، قال سأفعل . قال ثم
أمر عمير بسيفه فشحنه له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين
يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن
وهب وقد أتاه على باب المسجد متوشحا بالسيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما
جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا وحزنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله .س. فقال يا نبي
الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوحشا بسيفه . قال فادخله علي ، قال فاقبل عمر حتى أخذ
بحمالة سيفه في عنقه فلبسه بها وقال لمن كان معه من الانصار : أدخلوا على رسول الله .س. فاجلسوا
عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله .س. فلما رآه
رسول الله وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال « أرسله يا عمر ، أدن يا عمير » فدنا ثم قال أنتم صباحا
ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير
بالسلام تحية أهل الجنة » قال أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال « فما جاء بك يا عمير ؟ »
قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه ، قال « فما بال السيف في عنقك » قال قبحها
الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال « أصدقني ما الذي نجئت له ؟ » قال ما جئت إلا لذلك ، قال
« بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتهما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين
علي وعيالي عندي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن

تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك» فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كما يارسول الله نكذبت بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هدانا لهذا لم يكن لولا هذا المساق. ثم شهد بشهادة الحق. فقال رسول الله: «فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيريه» ففعلوا. ثم قال: يارسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم فاذن له رسول الله ص. فلحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قسم راكب فأخبره عن اسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنعم أبداً. قال ابن اسحاق: فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الاسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير. قال ابن اسحاق: وعمير بن وهب - أو الحارث بن هشام - هو الذي رأى عبد الله ابليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفر هاربا وقال إني برئ منكم إني أرى مالا ترون، وكان ابليس يومئذ في صورة سراقه بن مالك بن جعشم أمير مدلج.

فَضِيلَةُ الْأَنْبِيَاءِ

ثم إن الامام محمد بن اسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر وهو من أول سورة الانفال إلى آخرها فاجاد وأفاد، وقد تفصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير فن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثم والله الحمد والمنة.

فَضِيلَةُ الْأَنْبِيَاءِ

ثم شرع ابن اسحاق في تسمية من شهد بدرًا من المسلمين فسرده أسماء من شهدها من المهاجرين أولا، ثم أسماء من شهدها من الانصار أوسها وخزرجها إلى أن قال فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلا، من المهاجرين ثلثمائة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون رجلا. ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا. وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتبين على حروف المعجم بعد البداة برسول الله ص. ثم بابي بكر وعثمان وعلى رضي الله عنهم وهذه تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وفلك من كتاب الاحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وغيره بعد البداة باسم رئيسهم ونفرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ص.

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف اللام

أبي بن كعب النجاري سيد القراء ، الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم المخزومي ، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خليفة بن عامر بن العجلان .
أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال الأموي : سواد بن رزام
ابن ثعلبة بن عبيد بن عدي شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق : سواد بن زريق بن
ثعلبة ، وقال ابن عائذ سواد بن زيد ، أسير بن عمرو الأنصاري أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن
أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجي ، ولم يذكر موسى بن عقبة ، أنس بن قتادة بن ربيعة
ابن خالد بن الحارث الأوسي ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و [سماه] الأموي في السيرة أنيس .

[قلت : وأنس بن مالك خادم النبي ﷺ لما روى عمر بن شبة التميمي حدثنا محمد بن
عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال قيل لأنس بن مالك : أشهدت بدرًا ؟ قال وأين
أغيب عن بدر لا أم لك ؟] وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ثنا أبي عن
مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس : شهدت بدرًا ؟ قال لا أم لك وأين أغيب عن بدر ؟ قال
محمد بن عبد الله الأنصاري خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه قال
شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه : هكذا قال الأنصاري ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب
الغازي [(١)] . أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن
النجار ، أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ . أوس بن ثابت بن المنذر النجاري ، أوس بن خولى بن
عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي . وقال موسى
ابن عقبة أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجي أخو عبادة بن
الصامت ، إياس بن البكير بن عبد ياليل بن فاشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني
عدي بن كعب .

حرف الباء

بجير بن أبي بجير حليف بني النجار ، بحات بن ثعلبة بن خزعة بن أصرم بن عمرو بن عمارة
البلوي حليف الأنصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان
(١) ما بين المربعين من المصرية فقط .

ابن رشدان بن قيس بن جهبنة الجهني حليف بني ساعدة وهو أحد العينين هو وعدى بن أبي الزغباء
كما تقدم ، بشر بن البراء بن معرور الخزرجي الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد
ابن ثعلبة الخزرجي والد النعمان بن بشير ويقال إنه أول من بايع الصديق ، بشير بن عبد المنذر
أبو لبابة الأوسي رده عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

نسيم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، نعيم مولى
خراش بن الصمة ، نعيم مولى بني غنم بن السلم . وقال ابن هشام : هو مولى سعد بن خيثمة .

حرف التاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، ثابت بن ثعلبة ويقال لثعلبة هذا الجدع بن
زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلعة ، ثابت بن خالد بن النعمان بن حذافة بن عسيبة
ابن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجاري ، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن
عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجاري ، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد بن
مالك بن غنم بن عدى بن النجار النجاري ، ثابت بن هزال الخزرجي ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو
ابن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري (١)
ثعلبة بن عمرو بن محسن الخزرجي ، ثعلبة بن عنمة بن عدى بن نابت السلمي ، ثقف بن عمرو بن
بني حجر آل بني سليم وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري ، جابر بن
عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلعة السلمي أحد
الذين شهدوا العقبة .

[قلت : فاما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي أيضا فذكره البخاري فيهم في مسند
عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر وقال كنت أمتح
لأصحابي الماء يوم بدر . وهذا الإسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد ذكرت لمحمد بن عمر
- يعني الواقدي - هذا الحديث فقال هذا وهم من أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدرًا

(١) كذا في الأصل ونحسبه مكرراً كما في الإصابة ونظم أسماء أهل بدر .

وقال الامام احمد بن حنبل حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ص تسع عشرة غزوة ولم أشهد بديراً ولا أحداً منعني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ص عن غزاة . ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح ^(١) . جبار بن صخر السلمي ، جبر بن عتيك الانصاري ، جبير بن إياس الخزرجي .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي ، الحارث بن أوس بن معاذ بن اخي سعد بن معاذ الأوسي ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس رده عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن خزيمة بن عدى بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زعور ابن عبد الاشهل ، الحارث بن الصمة الخزرجي رده عليه السلام لأنه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرفجة الاوسي ، الحارث ابن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجي ، الحارث بن النعمان بن أمية الانصاري . حارثة بن سراقبة النجاري أصابه سهم غرب وهو في النظارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الانصاري حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الاشجعي من بني دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن اسحاق . وقال الواقدي حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود كذا ذكره ابن عائذ في مغازيه . وقال ابن أبي حاتم حاطب بن عمرو ابن عبد شمس ممعته من أبي وقال هو رجل مجهول ، الحباب بن المنذر الخزرجي ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ : حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبي حاتم حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصاري بدرى حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري أخو عبد الله بن زيد الذي أرى النداء ، الحصين ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ص .

حرف الحاء

خالد بن البكير أخو إياس المتقدم ، خالد بن زيد أبو أيوب النجاري ، خالد بن قيس بن مالك ابن العجلان الانصاري ، خارجة بن الحبر حليف بني خنساء من الخزرج وقيل اسمه حارثة بن الحبر وسماه ابن عائذ خارجة فأنه أعلم . خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديقي ، خباب بن الارت حليف بني زهرة وهو من المهاجرين الاولين وأصله من بني تميم ويقال من خزاعة ، خباب مولى

(١) ما بين المربعين عن النسخة المصرية فقط .

عتبة بن غزوان من المهاجرين الاولين ، خراش بن الصمة السلمي ، خبيب بن اساف بن عتبة الخزرجي ، خريم بن فاتك ذكره البخاري فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجي ، خليل بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الانصاري السلمي ، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي قتل يومئذ فتأيت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خوات بن جبير الانصاري ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدا بنفسه ، خولى بن أبي خولى المعجلي حليف بني عدى من المهاجرين الاولين ، خلاد بن رافع ، وخلاد بن سويد ، وخلاد بن عمرو ابن الجوح الخزرجيون .

حرف الزل

ذكوان بن عبد قيس الخزرجي ، ذو الشمالين بن عبيد بن عمرو بن نضلة من غبشان بن سليم ابن ملكان بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بني خزاعة حليف لبني زهرة قتل يومئذ شهيداً قال ابن هشام : واسمه عمير وإنما قيل له ذو الشمالين لأنه كان أعسرأ .

حرف الزه

رافع بن الحارث الاوسي ، رافع بن عنجدة قال ابن هشام : هي أمه ، رافع بن المعلى بن لودان الخزرجي قتل يومئذ . ربي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجعد بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة ربي بن أبي رافع ، ربيع بن إلياس الخزرجي ، ربيعة بن أكتم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الاولين ، ربيعة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي ، رفاعه ابن رافع الزرق أخو خلاد بن رافع ، رفاعه بن عبد المنذر بن زهير الأوسي أخو أبي لبابة ، رفاعه ابن عمرو بن زيد الخزرجي

حرف الزه

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن عمه رسول الله (ص) . وحواريه ، زياد بن عمرو وقال موسى بن عقبة زياد بن الاخرس بن عمرو الجهني . وقال الواقدي زياد بن كعب ابن عمرو بن عدى بن رفاعه بن كليب بن بردعة بن عدى بن عمرو بن الزبيري بن رشدان بن قيس بن جهينة ، زياد بن لبيد الزرق ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجي ، زيد بن أسلم بن ثعلبة ابن عدى بن عجلان بن ضبيعة ، زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله (ص) ، رضي الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، زيد بن سهل بن الاسود بن حرام التجاري أبو طلحة رضي الله عنه .

عوف السبي

سالم بن عمير الأوسى ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عائد ^(١) الخزرجى ، سبرة ابن فاتك ذكره البخارى ، سراقه بن عمرو النجارى ، سراقه بن كعب النجارى أيضا ، سعد بن خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الاولين ، سعد بن خيشمة الأوسى قتل يومئذ شهيدا ، سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيدا . سعد بن زيد بن مالك الأوسى وقال الواقدى : سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الاشهل النجارى ، سعد بن عبيد الانصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة وقال ابن عائد أبو عبيدة ، سعد بن معاذ الأوسى وكان لواء الأوس معه ، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجى ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدرآ ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبي (ص) فى ملتقى النفير من قر يش فقال سعد بن عبادة كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قيل لاستنابته على المدينة وقيل لذعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاه السهيلي عن ابن قتيبة قاله أعلم سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل قال الواقدى تجهز ليخرج فرض فمات قبل الخروج ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ابن عم عمر بن الخطاب يقال قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله (ص) بسهم وأجره ، سفيان ابن بشر بن عمرو الخزرجى ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجارى ، سليم بن عمرو السلمى ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجى ، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجارى ، سماك بن أوس ابن خرشة أبو دجانة ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجى وهو أخو بشير بن سعد المتقدم ، سهل بن حنيف الأوسى : سهل بن عتيك النجارى . سهل بن قيس السلمى ، سهيل ابن رافع النجارى الذى كان له ولاخيه موضع المسجد النبوى كما تقدم ، سهيل بن وهب النهري وهو ابن بيضاء وهى أمه ، سنان بن أبى سنان بن محصن بن حرقان من المهاجرين حليف بنى عبد شمس ابن عبد مناف ، سنان بن صيفى السلمى ، سواد بن زريق بن زيد الانصارى وقال الاموى سواد ابن رزام ، سواد بن غزيرة بن أهيب البلوى ، سويبط بن سعد بن حرملة العبدرى ، سويد بن

(١) كذا فى الاصابة وفى المصرية ابن عيشة وفى الروض عبسة بالهملة .

مخشي أبو مخشي الطائي حليف بني عبد شمس وقيل اسمه أزيد بن خبيرة .

حرف السين

شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدي أسد بن خزيمه حليف بني عبد شمس من المهاجرين الاولين
شماس بن عثمان الخزومي قال ابن هشام واسمه عثمان بن عثمان وإنما سمى شماسا لحسنه وشبهه شماسا كان
في الجاهلية ، شقران مولى رسول الله . قال الواقدي لم يسهم له وكان على الأسرى فاعطاه كل
رجل ممن له في الأسرى شيئا فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الاولين ، صفوان بن وهب بن ربيعة الفهري أخو
سهيل بن بيضاء قتل شهيدا يومئذ ، صخر بن أمية بن خلفاء السلمي .

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمي ، ضحاك بن عبد عمرو النجاري ، ضمرة بن عمرو الجهني
وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الانصار وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول
الله ص ، بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين وهو أخو
حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خلفاء السلمي . طفيل بن النعمان بن خلفاء السلمي ابن عم الذي
قبله ، طليب بن عبيد بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي ذكره الواقدي .

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح الانصاري الذي حمته الدبر حين قتل بالرجيع ، عاصم بن عدي
ابن الجند بن عجلان رده عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت
الخزرجي عاقل بن البكير أخو إلياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجاري ،
عامر بن الحارث الفهري كذا ذكره سلمة عن ابن اسحاق وابن عائذ وقال موسى بن عقبة وزياد

عن ابن اسحاق عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العنزي حليف بني عدي من المهاجرين ،
عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوي القضاعي حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غنم . قال
ابن هشام ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث
ابن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهر بن مولى أبي بكر .
عامر بن مخلد النجاري ، عائذ بن ماض بن قيس الخزرجي ، عباد بن بشر بن وقش الأوسي ،
عباد بن قيس بن عامر الخزرجي ، عباد بن قيس بن عبشة الخزرجي أخو سبيع المتقدم ، عباد
ابن الحشاش القضاعي ، عبادة بن الصامت الخزرجي ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ،
عبد الله بن أمية بن عرفة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزعة أخو بخت المتقدم ، عبد الله بن جحش
ابن رئاب الاسدي ، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي ، عبد الله بن الجدي بن قيس السلمي ،
عبد الله بن حق بن أوس الساعدي . وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ عبد رب بن حق ،
وقال ابن هشام عبد ربه بن حق ، عبد الله بن الحخير حليف لبني حرام وهو أخو خارجة بن الحخير
من أشجع ، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي ، عبد الله بن رواحة الخزرجي ، عبد الله بن
زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي الذي أرى النداء ^(١) ، عبد الله بن سراقه العدوي لم يذكره
موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ وذكره ابن اسحاق وغيره ، عبد الله بن سلمة بن مالك
المجاني حليف الانصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زعورا ، عبد الله بن سهيل بن عمرو
خرج مع أبيه والمشركون ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدا معهم . عبد الله بن طارق بن
مالك القضاعي حليف الأوس ^(٢) ، عبد الله بن عامر من بني ذكره ابن اسحاق . عبد الله بن عبد الله
ابن أبي بن سلول الخزرجي وكان أبوه رأس المناقين ، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن
عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان
السلمي ، عبد الله بن عبس ، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة بن كعب
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، عبد الله بن عرفة بن عدي الخزرجي ، عبد الله بن عمر بن حرام
السلمي أبو جابر ، عبد الله بن عمير بن عدي الخزرجي ، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري ، عبد الله
ابن قيس بن صخر بن حرام السلمي . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن
غنم بن مازن بن النجار جعله النبي س . مع عدي بن أبي الزغباء على النفل يوم بدر ، عبد الله بن
مخرمة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة من

المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مظعون الجمحي من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمي ، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمي ، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل التضاعي البلوي : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري أحد العشرة رضى الله عنهم ، عيس بن عامر بن عدي السلمي ، عبيد بن النيهان أخو أبو الهيثم بن النيهان ويقال عتيك بدل غبيد ، عبيد بن ثعلبة من بني غنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر ، عبيد بن أبي عبيد ، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضى الله عنه ، عتب بن مالك بن عمرو الخزرجي ، عتبة ابن ربيعة بن خالد بن معاوية البهراني حليف بني أمية بن لوزان ، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمي ، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين ، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمرضها حتى ماتت ففرض له بسهمه وأجره ، عثمان بن مظعون الجمحي أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين ، عدي بن أبي الزغباء الجهني وهو الذي أرسله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبسبس بن عمرو بين يديه عيناً ، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان ، عصيمة حليف لبني الحارث بن سوار من أشجع وقيل من بني أسد بن خزيمه ، عطية بن نيرة بن عامر بن عطية الخزرجي ، عقبة بن عامر بن قايي السلمي ، عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجي أخو سمع بن عثمان : عقبة بن عمرو أبو مسعود البصري وقع في صحيح البخاري أنه شهد بدرًا وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازي ولهذا لم يذكره ، عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدي أسد خزيمه حليف لبني عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عقبة بن وهب بن كلدة حليف بني غطفان ، عكاشة بن محصن العنسي من المهاجرين الأولين وعمن لا حساب عليه ، علي بن أبي طالب الهاشمي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله عنه ، عمار بن ياسر العنسي المذحجي من المهاجرين الأولين ، عمارة بن حزم بن زيد النجاري ، عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدي بهم رضى الله عنهما ، عمر ابن عمرو بن إلياس من أهل اليمن حليف لبني لوزان بن عمرو بن سالم وقيل هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر أبو حكيم ، عمرو بن الحارث بن زهير ابن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبشة بن الحارث بن فهر الفهري ، عمرو بن سراقه العدوي من المهاجرين ، عمرو بن أبي سرح الفهري من المهاجرين . وقال الواقدي وابن عائذ معمر

بدل عمرو ، عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام ، عمرو بن الجوح بن حرام الأنصاري ، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم ذكره الواقدي والأُموي ، عمرو بن قيس بن مالك بن عدى بن خلفاء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر أبو خرجة ولم يذكره موسى بن عقبة ^(١) ، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة . عمرو ابن معبد بن الأزعر الأوسي ، عمرو بن معاذ الأوسي أخو سعد بن معاذ . عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمي ، عمير بن حرام بن الجوح السلمي ذكره ابن عائد والواقدي ، عمير بن الحمام بن الجوح بن عم الذي قبله قتل يومئذ شهيداً ، عمير بن عامر بن مالك ابن الخنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني ، عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الأُموي وغيره عمرو بن عوف وكذا وقع في الصحيحين في حديث بعث أبي عبيدة إلى البحرين ، عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنبرة مولى بني سليم وقيل إنه منهم قاله أعلم ، عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجاري وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عويم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية ابن زيد ، عياض بن غنم الفهري من المهاجرين الأولين رضى الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنم بن أوس الخزرجي ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي ، فروة بن عمرو بن ودقة ^(٢) الخزرجي .

حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسي . قدامة بن مظعون الجمحي من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله ، قطبة ابن عامر بن حديدة السلمي . قيس بن السكن النجاري ، قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كن على الساقة يوم بدر . قيس بن محصن بن خالد الخزرجي ، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري .

حرف الكاف

كعب بن حمان ويقال جمار ويقال جمار وقال ابن هشام كعب بن عبشان ويقال كعب بن مالك

(١) والذي في الإصابة : عمرو بن قيس بن حزن بن عدى بن مالك بن سالم بن عوف بن مالك

الأنصاري الخزرجي . (٢) وقال السهيلي ويقال ودقة بالذال المعجمة .

ابن ثعلبة بن جمار وقال الاموي كعب بن ثعلبة بن حباله بن غنم الغساني من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة ، كعب بن زيد بن قيس النجاري ، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمي ، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين ذكره موسى بن عقبة ، كنان بن حصين بن يربوع أبو مرثد الغنوي من المهاجرين الأولين

ع ر ط

مالك بن الدخشم ويقال ابن الدخشن الخزرجي ، مالك بن أبي خولى الجعفي حليف بني عدي ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي ، مالك بن قدامة الأوسي ، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو وكلاهما مهاجري وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسد ، مالك بن قدامة الأوسي ، مالك بن مسعود الخزرجي ، مالك بن ثابت بن نميلة المزني حليف لبني عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد المنذر ابن زهير الأوسي أخو أبي لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيداً ، المجذر بن زياد البلوي مهاجري ، محرز ابن عامر النجاري ، محرز بن فضلة الاسدي حليف بني عبد شمس مهاجري ، محمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل ، مدلج ويقال مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجري ، مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، مسطح بن أنانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الانصاري النجاري ، مسعود بن خلدة الخزرجي ، مسعود بن ربيعة الفاري حليف بني زهرة مهاجري ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث . مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي ، مصعب بن عمير العبدي مهاجري كان معه اللواء يومئذ ، معاذ بن جبل الخزرجي ، معاذ بن الحارث النجاري وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي ، معاذ بن ماعض الخزرجي أخو عائذ ، معبد بن عباد بن قشير بن القدم بن سالم بن غنم ويقال معبد بن عبادة بن قيس وقال الواقدي قشعر بدل قشير وقال ابن هشام قشعر أبو خبيصة ، معبد بن قيس بن صخر السلمي أخو عبد الله بن قيس ، معتب بن عبيد بن إلياس الباهلي القضاعي ، معتب بن عوف الخزاعي حليف بني مخزوم من المهاجرين ، معتب بن قشير الأوسي ، معقل بن المنذر السلمي ، معمر بن الحارث الجمحي من المهاجرين ، معن بن عدي الأوسي ، معوذ بن الحارث الجمحي وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف ، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمي له أخو معاذ بن عمرو ، المقاداد بن عمرو البهراي وهو المقداد بن الاسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال الحمود ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مليل بن وبرة الخزرجي ، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي ، المنذر بن قدامة بن عرفة الخزرجي ، المنذر ابن محمد بن عقبة الانصاري من بني جحججي ، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

عَرَفَ النُّوفا

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب ، نعمان بن عبيد عمرو النجاري وهو أخو الضحالك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري ، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبني الأوس ، نعمان ابن مالك بن ثعلبة الخزرجي ويقال له قوقل ، نعمان بن يسار مولى لبني عبيد ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبيد الله بن فضلة الخزرجي .

عَرَفَ الرِّهَاء

هانيء بن نيار أبو بردة البلوي خال البراء بن عازب ، هلال بن أمية الواقفي وقع ذكره في أهل بدر في الصحيحين في قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي ، هلال بن المولى الخزرجي أخو رافع بن المولى .

عَرَفَ الرُّوُلُو

واقد بن عبيد الله التيمي حليف بني عدي من المهاجرين ، وديعة بن عمرو بن جراد الجيني ذكره الواقدي وابن عائد ، ورقة بن إلياس بن عمرو الخزرجي أخو ربيع بن إلياس ، وهب بن سعد ابن أبي سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائد والواقدي في بني عامر بن لؤي ولم يذكره ابن اسحاق

عَرَفَ السَّيَاء

يزيد بن الاخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمي قال السهيلي شهد هو وأبوه وابنه يعني بدرأ ولا يعرف لهم نظير في الصحابة ولم يذكرهم ابن اسحاق والأكثر كثرون لكن شهدوا معه بيعة الرضوان ، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي وهو الذي يقال له ابن قسحم وهي أمه قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ، يزيد بن المنذر بن سرح السلمي وهو أخو معقل بن المنذر .

بَيْتُ الرُّكْنِي

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري وقال ابن هشام أبو الأعور الحارث بن ظالم وقال الواقدي أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبيد الله بن عثمان تقدم . أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصاري . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه هشم ، أبو الحمراء مولى الحارث

ابن رفاعه بن عفراء ، أبو خزيمه بن أوس بن أصرم النجاري ، أبو سبرة مولى أبي رهم بن عبد العزى من المهاجرين ، أبو سنان بن محصن بن حرنان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين ، أبو الصياح ابن النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه ، أبو عرفة من خلفاء بني جعجعي ، أبو كبشة مولى رسول الله ص ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم ، أبو مرثد الغنوي كنان بن حصين تقدم ، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسي .

فَضْلُ الْبَدْرِ

فكان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله ص . كما قال البخاري حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول حدثني أصحاب محمد ص . ورضي عنهم ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طلوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلثمائة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن . ثم رواه البخاري من طريق إسرائيل وسفيان الثوري عن أبي اسحاق عن البراء نحوه . قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف إنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً وقال أيضاً حدثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن أبي اسحاق عن البراء . قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والانصار نيفاً وأربعين ومائتين . هكذا وقع في هذه الرواية وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي ثنا أبو مالك الجبني عن الحجاج — وهو ابن أرطاة — عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلاً . وكان الانصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً . وكان حامل راية النبي ص . علي بن أبي طالب . وحامل راية الانصار سعد بن عباد . وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال . قال ابن جرير : وقيل كانوا ثلثمائة وسبعة رجال .

قلت : وقد يكون هذا عددهم النبي ص . والأول عدم بدونه فالله أعلم . وقد تقدم عن ابن اسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً . وأن الأوس أحد وستون رجلاً . والخزرج مائة وسبعون رجلاً وسردهم . وهذا يخالف لما ذكره البخاري ولما روى عن ابن عباس فالله أعلم . وفي الصحيح عن أنس أنه قيل له شهدت بدرًا . فقال وأين أغيب ؟ وفي سنن أبي داود عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال : كنت أميح^(١) الأصحابي الماء يوم بدر وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء فالله أعلم .

(١) الميح التزول إلى البئر وملء الدلو منها وذلك إذا قل ماؤها ومنه قولهم :

أبها المائح دلولى دونكا إني رأيت الناس يقصدونكا

قلت : وفي الذين عدم ابن اسحاق في أهل بدر من ضرب له بسهم في مغنمها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له في التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو تسعة وهم ، عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله (ص) ، يرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضا فضرب له بسهمه وأجره وأبو لبابة بشير بن عبيد المنذر رده رسول الله (ص) من الروحاء حين بلغه خروج النضير من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله (ص) أيضا من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدي : وأجره ، وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الصياح بن ثابت خرج مع رسول الله (ص) فأصاب ساقه فصيل حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره قال الواقدي وسعد أبو مالك تجهز ليخرج فمات وقيل إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره . وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا من المهاجرين ستة وهم : عبيدة بن الحارث ابن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزهري قتله العاص بن سميم وهو ابن ست عشرة سنة ويقال إنه كان قد أمره رسول الله (ص) بالرجوع لصفه فبكي فأذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه ، وجليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي ، وصفوان بن بيضاء ، وعافل بن البكير الليثي حليف بني عدي ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ ، ومن الانصار ثمانية وهم : حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب خنجرته فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، وبزيد بن الحارث - ويقال ابن قسحم - وعمير بن الحمام ، ورافع بن الملى بن لوزان ، وسعد بن خيشمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عن جميعهم ، وكان مع المسلمين سبعون بغيراً كما تقدم . قال ابن اسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما القداد بن الأسود واسمها بفرجة - ويقال ستجة - وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب . وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل احدهما للمهاجرين علي بن أبي طالب ، والى للانصار يحملها سعد بن عباد : وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الانصار سعد بن معاذ .

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الالف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا . وقال الواقدي كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم والله أعلم . وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر

سبعون وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له :

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمَعَطْنَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عُتْبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسُودَ

وقد حكى الواقدي الاجماع على ذلك وفيما قاله بنظر ، فان موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالوا خلاف ذلك وهما من أئمة هذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم . وقد سرد أسماء القتلى والاسارى ابن اسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء في أحكامه جيداً وقد تقدم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الاسود بن عبد الاسد المخزومي ، وأول من فر وهو خالد بن الأعلم الخزاعي — أو العقيلى — حليف بني مخزوم وما أفاده ذلك فانه أسر وهو القاتل في شعره :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلْوُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمُ

فما صدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث قتلاً صبراً بين يدي رسول الله ﷺ . من بين الاسارى ، وقد اختلف في أيهما قتل أولاً على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الاسارى مجاناً بلا فداء منهم أبو العاص بن الربيع الأموى ، والمطلب بن حنطب ابن الحارث المخزومي ، وصيفى بن أبى رفاعه كما تقدم ، وأبو عزة الشاعر ، ووهب بن عمير بن وهب الجمحي كما تقدم ، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لثلاث بحايه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الانصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال لا تتركوا منه درهما ، وقد كان فداؤهم متفاوتاً فأقل ما أخذ أربع مائة ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب . قال موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب ، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الامام احمد حدثنا على بن عاصم قال قال داود ثنا عكرمة عن ابن عباس قال : كان فاس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ . فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال فجاء غلام يوماً يبكي إلى أمه فقالت ما شأنك ؟ فقال ضربني معلمى فقبلت الخبيث يطلب بدخل بدر والله لا تأتية أبداً . انفرد به احمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله والله الحمد والمنة .

فصل في فضل من شهد بدرأ من المسلمين

قال البخارى في هذا الباب حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ . فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فان يك في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الاخرى فترى ما أصنع قال « ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس » تفرد به

البخارى من هذا الوجه . وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن
 حارثة كان في النظارة وفيه « أن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » وفي هذا تنبيه عظيم على فضل
 أهل بدر فإن هذا الذي لم يكن في بحجة القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد
 إنما أضافه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى
 الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسأله إياها
 فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقعاً في نحر العدو وعدوم على ثلاثة أضماهم عدداً وعدداً
 ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن اسحاق بن راهويه عن عبيد الله بن ادريس عن حصين بن
 عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قصة حاطب بن
 أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسول الله (ص) في ضرب
 عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فقال رسول الله (ص) « قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله
 اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ولفظ البخارى « ليس من أهل بدر ولعل
 الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم الجنة - أو قد غفرت لكم - » فدمعت
 عيناه وقال الله ورسوله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر أن عبداً
 لحاطب جاء رسول الله (ص) « يشكو حاطباً قال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار » فقال رسول الله
 (ص) « كذبت لا يدخلها إنه شهد بدرًا والحديبية » وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا
 أبو بكر بن عياش حدثني الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله (ص) « لن يدخل
 النار رجل شهد بدرًا أو الحديبية » تفرد به احمد وهو على شرط مسلم . وقال الامام احمد حدثنا
 يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال
 إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . ورواه أبو داود عن احمد بن
 سنان وموسى بن اسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به . وروى البزار في مسنده ثنا محمد بن مرزوق
 ثنا أبو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)
 « إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرًا إن شاء الله » ثم قال لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا
 من هذا الوجه . قلت : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم .
 وقال البخارى في باب شهود الملائكة بدرًا حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا جرير عن يحيى بن سعيد
 عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقى عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال جاء جبريل إلى النبي
 (ص) فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد
 بدرًا من الملائكة انفرد به البخارى .

قدوم زينب بنت الرسول (ص) من مكة الى المدينة

قال ابن اسحاق : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله - يعني كما تقدم - بعث رسول اسمه زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه فقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباهما فتأتيا بها ، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر - أو شيعه (١) - فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحقوق بابيها فخرجت تجهز : قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن زينب أنها قالت بيئنا أنا أنجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلغني أنك تريد من اللحقوق بابيك قالت فقلت ما أردت ذلك : فقالت أي ابنة عم لا تفعلين إن كان لك حاجة بمناج مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تضطبني مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ، قالت والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت ولكني خفتها فانكرت أن أكون أريد ذلك . قال ابن اسحاق فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخوزوجها كنانة بن الربيع بغيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهراً يقود بها وهي في هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بندي طوى وكان أول من سبق إليها هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى النهري فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج وكانت حاملاً فيما يزعمون فطرحت وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس عنه وأتى أبو سفيان في جلة من قريش فقال يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف فاقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونسكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذ خرجت بابتنته اليه علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا إن ذلك عن ذل أصابنا وإن ذلك ضعف منا ووهن ولعمري ما لنا بحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثورة . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا والحقها بابيها ، قال ففعل . وقد ذكر ابن اسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذهبهم على ذلك :

أفي السلم أعياراً جفاءً وغِلظةً وفي الحرب أشباه النساء العوارك

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا . قال ابن اسحاق : فقامت ليال حتى إذا هدأت الاصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدا بها ليلاً على رسول الله (ص) . وقد روى البيهقي في الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن هروة (١) قوله أو شيعه أي أو نحو من شهر حكاه في النهاية تفسيراً لهذا الخبر .

ابن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما في بطنها وإن رسول الله
 (ص) بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجبي معه فتلفظ زيد فأعطاه راعيا من مكة فأعطى الخاتم
 لزينب فلما رأته عرفته فقالت من دفع اليك هذا؟ قال رجل في ظاهر مكة فخرجت زينب ليلا فركبت
 وراءه حتى قدم بها المدينة . قال فكان رسول الله (ص) يقول « هي أفضل بناتي أصيبت في » قال
 فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال ما حديث بلغني أنك تحدثه؟ فقال
 عروة والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني انتقص فاطمة حقها هو لها وأما بعد ذلك أن
 لا أحدث به أبداً . قال ابن اسحاق فقال في ذلك عبيد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بني سالم
 ابن عوف . قال ابن هشام هي لابي خيثمة :

أنا الذي لا يقدرُ الناسُ قدره	لزينب فيهم من عُقوق وماتم
وأخرجها لم يجزَ فيها محمد	على ما قطِ وبيننا عطرٌ مُنشم
وأسمى أبو سفيانُ من حلفِ ضُفم	ومن حربنا في رُغم أنفٍ وندم
قرناً أباهُ عمرًا ومولى يمينه	بذي حلقٍ جلدٍ الصلاصلا يحكم
فأقسمتُ لا تنفكُ منا كتابٌ	سراة خيسٍ بن لُهام مسوم
نزوع قریش الكفر حتى نعلمها	بخطامة فوق الأنوف يلمهم
ننزلهم أكنافَ نَجْمٍ ونخلَةٍ	وإن يُشبهوا بالخيَل والرَّجل نهم
يدى الدهر حتى لا يعودَ سرُّنا	ونلحقهم آثارَ عادٍ وجُرهم
ويندم قومٌ لم يطيعوا محمداً	على أمرهم وأى حين تندم
فأبلغ أبا سفيانٍ إما لقيته	لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلم
فأبشر بخزي في الحياة معجل	وسر بالمر قارٍ خالداً في جهنم

قال ابن اسحاق : ومولى يمين أبي سفيان الذي عنده الشاعر هو عامر بن الحضرمي . وقال ابن
 هشام إنما هو عقبة بن عبيد الحارث بن الحضرمي فاما عامر بن الحضرمي فإنه قتل يوم بدر . قال ابن
 اسحاق وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن سليمان بن يسار عن أبي
 اسحاق الدوسي عن أبي هريرة . قال : بعث النبي (ص) سرية أنا فيها فقال « إن ظفرتم بهبط بن
 الأسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فخرقوها بالنار » فلما كان التمد بعث اليها قتل « إني قد
 كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموها ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار
 إلا الله عز وجل ، فان ظفرتم بهما فاقتلوهما » تفرد به ابن اسحاق وهو على شرط المتن (١) ولم يخرجوه

وقال البخاري حدثنا قتيبة ثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال بعثنا رسول الله (ص) في بعث فقال « إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوها بالنار » ثم قال حين أردنا الخروج « إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وأن النار لا يعذب بها إلا الله ، فان وجدتموها فاقتلوهما » وقد ذكر ابن اسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش : فلما قفل من الشام لقيته سرية فاخذوا ما معه وأعجزهم هربا وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فاجارته ، فلما خرج رسول الله (ص) لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله (ص) أقبل على الناس فقال « أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت » قالوا نعم قال « أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المباهين أديانهم » ثم انصرف رسول الله (ص) فدخل على ابنته زينب فقال « أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له » قال وبعث رسول الله (ص) فحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئا فاخذ أبو العاص فرجع به إلى مكة فاعطى كل انسان ما كان له ثم قال : يا معشر قريش هل بقي لاحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما ، قال فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والله ما منعني عن الاسلام عنده ألا نخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله (ص) قال ابن اسحاق : فحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال رد عليه رسول الله (ص) زينب على النكاح الاول ولم يحدث شيئا ، وهذا الحديث قد رواه الامام احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن اسحاق ، وقال الترمذي ليس بأسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين . وقال السهيلي لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفي لفظ ردها عليه رسول الله (ص) بعد ست سنين ، وفي رواية بعد سنتين بالنكاح الاول رواه ابن جرير وفي رواية لم يحدث نكاحا وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فان القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فإن أسلم فيها استمر على نكاحها وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضي الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله (ص) وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان فمن قال ردها عليه بعد ست سنين أي من حين هجرتها فهو صحيح ومن قال بعد سنتين أي من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا ، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها في

هذه المدة التي أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الأول ؟
 فقال قائلون يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة بين يتطرق إليها الاحتمال ، وعارض آخرون هذا
 الحديث بالحديث الأول الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) رد بنته على أبي العاص بن الربيع بمهر
 جديد ونكاح جديد . قال الامام أحمد هذا حديث ضعيف واه ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن
 شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي والعرزمي لا يساوي حديثه شيئا والحديث الصحيح
 الذي روى أن النبي (ص) أقرها على النكاح الأول . وهكذا قال الدارقطني لا يثبت هذا الحديث
 والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله (ص) ردها بالنكاح الأول وقال الترمذي هذا حديث
 في اسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق
 بها ما كانت في العدة وهو قول مالك والاوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق . وقال آخرون بل الظاهر
 انقضاء عدتها ، ومن روى أنه جدد لها نكاحا فضعيف ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على أن
 المرأة إذا أسلمت وتأخر اسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك بل يبقى
 بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت اسلام زوجها أي وقت كان وهي
 امرأته ما لم تتزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم . ويستشهد لذلك بما ذكره
 البخاري حيث قال نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن حديثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام عن
 ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله (ص) والمؤمنين ،
 كانوا مشركي أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونهم ، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونهم . فكان
 إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فإذا طهرت حل لها النكاح ، فان
 هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ثم
 ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بحرفه . فقوله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل
 الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضي أنها كانت تستبرئ بحبضة لا تعد بثلاثة قروء ، وقد
 ذهب قوم إلى هذا وقوله فان هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه يقتضي أنه وإن هاجر بعد
 انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجا غيره كما هو الظاهر من قصة
 زينب بنت النبي (ص) ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء والله أعلم .

ما قيل من الاشعار في بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام :
 ألم ترَ أمراً كان من عجب الدهر وللحين أسباب مبيئة الأمر

وما ذاك الا أن قوماً أقامهم
عشية راحوا نحو بدرٍ بجحيمهم
وكنّا طلبنا العير لم نبلغ غيرها
فلما التقينا لم نكن منوية
وضرب بيض يختلي الهام حدها
ونحن تركنا عتبة الغي ناوياً
وعمرؤ نوى فيمن نوى من محاتهم
جيوب نساء من لؤي بن غالب
أولئك قوم قتلوا في ضلالم
لواء ضلال قاد ابليس أهله
وقال لهم إذ عابن الأمر واضحاً
فاني أرى مالا ترون وإني
فقدتهم للحين حتى تورطوا
فكانوا غداة البئر الفأ وجمنا
وفينا جنود الله حين يمدنا
فشدهم جبريل تحت لوائنا

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمدا . وقال علي بن أبي طالب
وانكرها ابن هشام :

ألم تر أن الله أبلى رسوله
بما أنزل الكفار دار مذلة
فامسى رسول الله قد عز نصره
فجاء بفرقان من الله منزل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا
وانكر أقوام فراغت قلوبهم
وامكن منهم يوم بدرٍ رسوله
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها
فكم تركوا من ناشئ ذي حية
بلاء عزيز ذي اقتدار وذی فضل
فلاقوا هواناً من أسارى ومن قتل
وكان رسول الله أرسل بالعدل
مبين آياته لنوي العقل
فأمسوا بحمد الله مجتمعي انشمل
فزادهم ذو العرش خبلاً على خبل
وقوماً غضاها فملهم أحسن الفعل
وقد حادثوها بالجلاء وبالصل
عريماً ومن ذي نجمة منهم كهل

تبيت عيون النائمات عليهم
نوائح تنعي عتبة النبي وابنه
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم
ثوى منهم في بئر بدر عصابة
دعا النبي منهم من دعا فأجابه
فأضحوا لدى دار الجحيم بمزل
عن الشعب والمعدن في أسفل السفلى (١)
وقد ذكر ابن اسحاق تقيضا من الحارث أيضا تركناها قصدا وقال كعب بن مالك
عجبت لأمر الله والله قادر
قضى يوم بدر أن تلاقى مشرا
وقد حشدوا واستنفروا من يلهم
وسارت الينا لا تحاول غيرنا
وفينا رسول الله والأوس حوله
وجمع بني النجار تحت لوائه
فلما لقيناهم وكلت مجاهد
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وقد عريت بيض خفاف كأنها
بين أبلتنا جمعهم فتبددوا
فكبت أبو جهل صريعا لوجه
وشيبة والتشي غادرت في الوغى
فأمسوا وقود النار في مستقرها
تلفى عليهم وهي قد شبب حمها
وكان رسول الله قد قال أقبلوا
لأمر أراد الله أن يهلكوا به
وقال كعب في يوم بدر:

ألاهل أتى غسان في نأي دارها وأخبر شي بالأمور عليها
بأن قد رمينا عن قسي عداوة معد ما يهملها وطيها

(١). كذا في المصرية وفي ابن هشام والحلبية: في أشغل الشغل.

لأننا عبدنا الله لم نرج غيره
 نبي له في قومه إرث عزة
 فساروا وسرنا فالتقينا كأننا
 ضربناهم حتى هوى في مكرنا
 فولوا ودسناهم ببض صوارم
 وقال كعب أيضا:

لعمري أيبكما يا ابني لؤي
 لما حامت فوارسكم بيدر
 وردناه ونور الله يجلو
 رسول الله يقدمنا بأمر
 فما ظفرت فوارسكم بيدر
 فلا تمجل أبا سفيان وارقب
 بنصر الله روح القدس فيها

وقال حسان بن ثابت قال ابن هشام ويقال هي لعبد الله بن الحارث السهمي :
 مستشعري خلق الماذي يقدمهم
 أعني رسول الله الخلق فضله
 وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم
 مستعصمين بجبل غير منجزيم
 فينا الرسول وفينا الحق ننبه
 واف وبماض شهاب يستضاء به
 وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة
 قتلنا سراة القوم عند مجالنا
 قتلنا أبا جهل وعتبة قبله
 قتلنا سويداً ثم عتبة بعده

(١) وبعده في ابن هشام :

ثم وردناه لم نسمع لقولكم
 حتى شربنا رواء غير تصريد

فكم قد قتلنا من كريم مسود له حب في قومه نابه الذكر
 تركناهموا للعاويات ينبتهم (١) ويصلون فاراً بعد حامية القمر
 لمرك ما حامت فوارس مالاك وأشياهم يوم التقينا على بدر
 وقال عبدة بن الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر في مبارزته هو وحمزة وعلى
 مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام :

سبيلنا عنا أهل مكة وقعة يهب لها من كان عن ذاك نائبا
 بعتبة إذ ولي وشيبة بعده وما كان فيها بكر عتبة راضيا
 تقطعوا رجلي فاني مسلم أرجي بها عيشاً من الله دانيا
 أمثال التماثيل أخلصت من الجنة العليا لمن كان عاليا
 عيشاً تعرفت صفوه وعاجلته حتى فقدت الأديان
 حن من فضل منه بشوب من الاسلام غطي المساويا
 مكروهاً إلي قتالهم غداة دعا الأكره من كان داعيا
 بع إذ سألو النبي سواءنا ثلاثنا حتى حضرنا المناديا
 لقيناهم كالأسد نخطر بالقنا نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
 فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلاثنا حتى أزيروا المنائب (٢)

وقال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه
 قومه لا يقاتل دونهم :

تبلى فؤادك في المنام خريدة تشفي الضجيع بيارد بسلام
 كالمسك تملطه بماء سحابة أو عاتق كدم الدبش مدام
 نفج الحقيبة بوصها متنضد بلها غير وشيكة الاقسام
 بنيت على قطن أجم كأنه فضلاً إذا قعدت مذك رخام
 وتكاد تسك أن نجى فراشها في جسم خرعة وحسن قوام
 أما النهار فلا أفرأ أذكرها والليل توزعني بها أحلامي
 أقسمت أنساها وأترك ذكرها حتى تغيب في الضريح عظامي
 بل من لعاذلة تلوم سفاهة ولقد عصيت على الهوى لوامي

(١) ينبهم معناه يأتونهم مرة بعد مرة . وفي رواية ينشهم أي يتناوونهم . (٢) قال الخشن
 في غريب السيرة : المنائب ، أراد المنايا فزاد الهمزة وقد تكون منقلبة من الياء الزائدة في منية

بكرت إليّ بسخرة بعد الكرى
زعمت بأن المرة يكرب عمره
إن كنت كاذبة الذي حدثني
ترك الأجابة أن يقتل كونهم
يذر العناجيج الجياد بقفرة
ملأت به الفرجين فارمدت به
وبنو أبيه ورهطه في معرك
طحنهم والله ينفذ أمره
لولا الآله وجربها لتركنه
من بين أسور يشد وثاقه
ومجدل لا يستجيب لدعوة
بالعار والذل المبين إذا رأى
بيدي أغر إذا انتهى لم يخز
بيض إذا لاقت حديداً صمت

وتقارب من حادث الأيام
عدم المعتكر من الإصرام
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ونجا برأس طمرة وجام
من الذمول بمحصد ورجام
ونوى أحبه بشر مقام
نصر الآله به ذوي الاسلام
حرب يشب سعيها بضرام
جزر السباع ودسه بحوام
صقر إذا لاقى الأسنه حام
حتى تزول شوامخ الأعلام
بيض السيوف تسوق كل هام
نسب القصار ممدع مقدم
كالبرق تحت ظلال كل غمام

قال ابن هشام تركنا في آخرها ثلاث أبيات أقدع فيها . قال ابن هشام فأجابه الحارث بن هشام
أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم ^(١) أعلم ما تركت قتالهم
وعرفت أني إن أقاتل واحداً
فصدت عنهم والأجابة فيهم
وقال حسان أيضاً :

حتى رموا فرسي ^(٢) بأشقر مزبد
أقتل ولا ينكأ عدوي مشهدي
طمأ لم بعقاب يوم مفد

يا حار قد عولت غير معول
إذ تمتطي سرح اليمين نجية
والقوم خلفك قد تركت قتالهم
الآن عطفت على ابن أمك إذ نوى
مجل الملك له فاعلك جمه

عند الهياج وساعة الإحساب
مرطى الجراء طويلة الأقارب
ترجو النجاء وليس حين ذهاب
قص الأسنه ضائع الأسلاب
بشار مخزية وسوم عذاب

(١) في ابن هشام : الله أعلم . (٢) كذا في الحلبية ، وفي ابن هشام : حتى حبوا مهري ،
وفي السهيلي ، علوا مهري . وقوله في البيت الثالث « يوم مفد » الذي في الشواهد يوم مرصد .

وقال حسان أيضا :

لقد علمت قريش يوم بدر
بأننا حين تشتجر العوالي
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا
وفر بها حكيم يوم جالت
وولت عند ذاك جموع فهر
لقد لاقيتموا ذلا وقتلا
وكل القوم قد ولوا جميعا
ولم يلوا على الحسب التليد

وقالت هند بنت أمانة بن عباد بن المطلب ترى عبدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمن الصفراء مجدا وسوددا
عبيدة فابكير لأضياف غربة
وبكته للأقوام في كل شتوة
وبكته للأيتام والريح زفرة
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها
لطارق ليل أو للتمس القري

وقال الاموي في مغازيه حدثني سعيد بن قطن قال قالت عائكة بنت عبد المطلب في رؤياها

التي رأت وتذكر بدرا :

ألم تكن رؤياي حقا ويأتكم
رأى فأنكم باليقين الذي رأى
قتلتم ولم أكذب عليكم وإنما
وما جاء إلا رهبة الموت هاربا
أقامت سيوف الهند دون رموسكم
كان حريق النار لم تلباتها
ألا بآبي يوم القاء محمدا
مرى بالسيوف المرفعات نفوسكم
فكم بردت أسيافه من مليكة
فما بال قتل في القليب ومثلهم

بتأويلها فل من القوم هارب
بمنيه ما تفري السيوف القواضب
يكذبني بالصديق من هو كاذب
حكيم وقد أعيت عليه المذاهب
وخطية فيها الشبا والتغالب
إذا ما تماطتها الليوث المشاغب
إذا عاض من عون الحروب الغوارب
كفاحا كما نمرى السحاب الجنائب
وزعزع ورد بعد ذلك صالب
لدى ابن أخي أسرى له ما يضارب

فكانوا نساءً أم أتى لنفوسهم من الله تحين ساق والحين حالب
فكيف رأى عند اللقاء محمداً بنو عمه والحرب فيها التجارب
ألم ينشكم ضرباً بحمار لوقعه السجبان وتبدو بالنهار الكواكب
حلفت لئن عادوا لنعطليتهم بحاراً تردى تهربتها المقاب
كان ضياء الشمس لمع ظلماتها لها من شعاع النور قرن وحاجب
وقالت عائشة أيضاً فيها نقله الاموي :

هلاً صبرتم للنبي محمد ولم ترجعوا عن مرهفات كانها
ولم تدبروا للبيض حتى أخذتموا ووليتوا نفرأ وما البطل الذي
أناكم بما جاء النبيون قبله سيكني الذي ضيتموا من نبيكم
بيدرومن ينشئ الوفي حق صابر حريق بايدي المؤمنين بواتر
قليلاً بايدي المؤمنين المشاعر يقاتل من وقع السلاح بنافر
وما ابن أخي البر الصدوق بشاعر وينصره الحياتر، عمرو وعامر

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ ذاك :

ألا إن عيني أنفقت دمعها سكباً ألا إن كعباً في الحرب تغاذلوا
وعامر تبكي للدماء غدوة فيا أخوتنا عبد فمسي ونوفل
ولا تصبحوا من بعد ودي وإلفه ألم تعلموا ما كان في حرب داحس
فلولا دفع الله لا شيء غيره فما إن جنينا في قريش عظيمه
أخا تفر في الدائبتر مرزوا يهايف به العاقون ينشون بابه
تبكي على كعب وما إن ترى كعباً وأرداهوا إذا الدهر واجرحوا ذنباً
فياليت شمري هل أرى لهم نقر با (١) فداً السكالا تبعدوا بيننا حرباً
أحاديث فيها كلكم يشكي النكبا وحرب أبي يكسوم إذ ملكوا الشمبا (٢)
لا صبحتموا لا تمنون لكم سرباً سوى أن حيناخير من ولى التراب
كرماً ثناء لا يخيلاً ولا ذرباً يؤمن نمرأ لا تزوراً ولا صرباً

(١) واورد ابن هشام بعد هذا البيت :

ها أخوأي لم يعبدا لنية تعد ولن يستام جارهما غصبا

(٢) كذا في الاصلين ، وفي ابن هشام : وجيش أبي يكسوم إذ ملكوا الشمبا .

فوالله لا تنفك نفسي حزينه تملل حتى تصدقوا الخزرج الضربا

فَضْرَبَ النَّبِيُّ

وقد ذكر ابن اسحاق اشعارا من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخى بنى محارب بن فهر وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيل في روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبت لفخر الأوس والحين دأر	عليهم غداً والدهر فيه بصائر
ونغر بني النجار إن كان معشر	أصيبوا بيد كلهم ثم صائر
فإن تك قتل غودرت من رجالنا	فإن رجلاً بعدهم سغادر
وتردى بنا الجرذ المناجيح وسطكم	بني الأوس حتى يشفي النفس نائر
ووسط بني النجار سوف نكرها	لها بالقنا والدارعين زوافر
فترك صرعى تعصب الطير حولهم	وليس لهم إلا الاماني فاصر
وتبكيهم من أرض يثرب نسوة	لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا	بين دم ممن يحاربن مائر
فإن تظفروا في يوم بدر فأنما	باحد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخبار هم أولياؤه	بحامون في اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمة فيهم	ويدعى علي وسط من أنت ذا كر
أولك لامن نتجت من ديارها	بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوم من لؤي بن غالب	إذا عنت الانساب كعب وعامر
هم الطاعنون السيل في كل معرك	غداة الهياج الأطيئون الا كابر

فاجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفنا ها وهي قوله :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر

قال ابن اسحاق : وقال أبو بكر واصمه شداد بن الاسود بن شعوب .

قلت : وقد ذكر البخاري أنه خلف على امرأة أبي بكر الصديق حين طلقها الصديق وذلك

حرم الله المشركات على المسلمين واصمها أم بكر :

تحبي بالسلامة أم بكر وهل لي بعد قومي من سلام
فإذا بالقلبي قلبير بدر من القينات والشرب الكرام

وماذا بالقلب قلب بدر من الشيزى تكلل بالسنام
 وكم لك بالطوي طوي بدر من الحومت والنم المسام
 وكم لك بالطوي طوي بدر من الغايات والسمع العظام
 وأصحاب الكرم أبي علي أخي الكأس الكريمة والندام
 وانك لو رأيت أبا عقيل وأصحاب الثيف من نعام
 إذا لظلت من وجده عليهم كأن السقب جائلة المرام
 يخبرنا الرسول لسوف نجيا وكيف حياة أصداء وهم

قلت وقد أورد البخاري بعضها في صحيحه ليعرف به حال قائلها. قال ابن اسحاق وقال أمية بن

أبي الصلت يرثي من قتل من قريش يوم بدر:

ألا بكيت على الكرام بني الكرام أولي المادح
 كبك الحام على فرو ع الأيك في الفصن الجواح
 يمين حراً مستكيت نك برجن مع الرواح
 أمثلن الباكية ت العولات من النواح
 من يبيهم يبي على حزن ويصدق كل مادح
 ماذا بدر والعقد قل من كرازية ججاج
 فدافع البرقين فالسحنان من طرف الأواشح
 فمطم وشبان بها ليل مغاور وحلوح
 ألا ترون لما أرى ولقد أبان لكل لامح
 أن قد تغير بطن مكة فهي موحشة الأطلح
 من كل بطريق لبطريق نقي الود واضح
 دغوص أبواب الملو ك وجانب للخرق فاح
 ومن السراطة اخلا بقة الملاوثة المناجح
 القائلين الفاعل بين الأمرين بكل صالح
 المطعين الشخم فو ق الخبز شحماً كلافح
 نقل الجفان مع الجفا ن إلى جفان كللناضح
 ليست بأصفار لمن ينفو ولا رخ رحارح
 للضيف ثم الضيف بمد الضيف والبسط السلاطح

وَقَبَّ الْمُثِينُ مِنَ الْمَكِّ بْنِ إِلَى الْمُثِينِ مِنَ الْوَأَقِ
 سَوَقِ الْمُؤَبِّلِ لِلْمُؤَبِّلِ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِ
 لِكِرَامِهِمْ فَوْقَ الْكَرَامِ مِزْيَةً وَزُنُّ الرَوَاجِحِ
 كَشَاقِلِ الْأَرْطَالِ بِالْمَسْطَاسِ بِالْأَيْدِي الْمَوَافِ
 خَذَلْتَهُمْوَا فِتْنَةً وَهُمْ يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الْفَضَائِحِ
 الضَّارِبِينَ التَّقْدِيمِيَّةَ بِالْمُهَنَّدَةِ الصَّفَائِحِ
 وَلَقَدْ عَنَانِي صَوْنُهُمْ مِنْ بَيْنِ مُسْتَقَرٍّ وَصَائِحِ
 اللَّهِ دَرٌّ فِي عَالِي أَيْمٍ مِنْهُمْ وَفَا كَحِ
 إِنْ لَمْ يُغَيِّرُوا غَارَةَ شِعْوَاءَ تَحْجُرُ كُلَّ نَابِغِ
 بِالْمَقَرَّبَاتِ الْمُبْعِدَاتِ الطَّامِحَاتِ مَعَ الطَّوَامِغِ
 مُرَدًّا عَلَى جُرْدٍ إِلَى أَسَدٍ مَكَالِبَةٍ كَوَالِغِ
 وَيَلَاقِ قِرْنَ رِقْنَهُ مَثِيَّ الْمُصَافِحِ لِلْمَصَافِحِ
 بَرْهَاءَ أَلْفٍ نَمِ أَلْفٍ بَيْنَ ذِي بَدَنِ وَرَامِغِ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين قال فيهما من أصحاب رسول الله (ص) .^(١)

قلت : هذا شعر الخنذول المعكوس المنكوس الذي حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح
 المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللثام والجهلة
 الطفام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله نحر البشر ومن وجهه أنور من القمر ذي
 العلم الاكمل والعقل الاشمحل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل
 المكرمات وبذل الالوف والمئات في طاعة رب الأرض والسماوات ، وكذلك بقية أصحابه الغر
 الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والاسلام رضى الله عن جميعهم ما اختلط
 الضياء والظلام . وما تعاقبت الليالي والايام . وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردناها ابن اسحاق رحمه
 الله خوف الاطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية والله الحمد والمثنة . وقد قال الأُموي في مغازيه
 سمعت أبي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) عفا عن شعر
 الجاهلية . قال سليمان فذكر ذلك الزهري فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التي ذكر فيها
 أهل بدر ، وكلمة الاعشى التي يذكر فيها الاخوص . وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا
 متروك والله أعلم .

(١) يوجد في بعض هذه القصائد اختلاف وتحرير اعتمدنا في تصحيحه على ابن هشام والخشني .

قال ابن اسحاق : وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقب شهر رمضان - أو في شوال - ولما قدم المدينة لم يقيم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري - أو ابن أم مكتوم الأعشى - قال ابن اسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا العقدة وأفدى في أقامته تلك جل الاسارى من قريش .

فَضْلُ الْإِسْلَامِ

غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة

قال السهيلي : والقرقرة الأرض الملساء ، والكدر طير في ألوانها كدرة . قال ابن اسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان من أعلم الانصار - حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبريمه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على يريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كثرهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا رجلاً من الانصار وحليفاً له في حرث لها فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، قال ابن اسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد القاهوا المشركون يتخفون منها وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق . قال المسلمون : يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال نعم . قال ابن اسحاق وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودي :

وإني نخيرت المدينة واحداً لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقائي فرواني كينا مداة على عجل مني سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن لافرجه أبشر بمر ومغم

تأمل فإن القوم سر وإنهم صريح لؤى لاشماطيط جرم
وما كان إلا بعض ليلة راكب أتى ساعيا من غير خلة معدم

فضيلة

في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخاري ومسلم من طريق الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال : كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي صلى الله عليه وآله أعطاني شارقا مما أفاء الله من الخس يومئذ فلما أردت ابنتي فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع أن يرثي معي فثاني بأذخرفاردي أن أبيه من الصواغين فاستعين به في ولية عرسي فبينما أنا أجمع لشارقي من الاقناب والغرائر والحبائل وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الانصار حتى جمعت ما جمعت ، فاذا أنا بشار في قد أجبت أسنمتها وبقرت خواصرها وأخذ من أكبادها ، فلم أملك عيني حين رأيت المنظر فقلت من فعل هذا ؟ قالوا فله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت وهو في شرب من الانصار وعنده قينته وأصحابه ، فقالت في غنائها :

• ألا يا حمز للشرف النواء

فوثب حمزة إلى السيف فاجب أسنمتها وبقرخواصرها وأخذ من أكبادها ، قال علي فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وآله وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي صلى الله عليه وآله الذي لقيت فقال مالك ؟ قلت يا رسول الله ما رأيت كالذي عدا حمزة علي فاجب أسنمتها وبقرخواصرها وما هو ذا في البيت معه شرب فدعا النبي صلى الله عليه وآله بردائه فارتداه ثم انطلق بمشي واتبعتة أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن عليه فاذن له فطفق النبي صلى الله عليه وآله يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل حمرة عيناه فنظر حمزة إلى النبي صلى الله عليه وآله ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم إلا عبيد لا بي ففرغ النبي صلى الله عليه وآله أنه ثمل فكص رسول الله صلى الله عليه وآله على عقبه القهقري فخرج وخرجنا معه . هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي وقد رواه في أما كن آخر من صحيحه بالفاظ كثيرة وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الاموال من أن الخس إنما نزل بعد قسمتها وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير وبيننا غلطه في ذلك في التفسير وفيما تقدم والله أعلم . وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضي الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتي وذلك

قبل تحريم الخمر والله أعلم . وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوحة لا تأثير لها
لا في طلاق ولا اقرار ولا غير ذلك كما ذهب اليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر في كتاب الاحكام
وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل سمع عليا يقول : أردت أن
أخطب الى رسول الله . . . ابنته فقلت ما لي من شيء ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها اليه فقال
« هل لك من شيء ؟ » قلت لا قال « فإن درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » قال هي
عندي قال فأعطنيها قال فأعطيتها إياه هكذا رواه احمد في مسنده وفيه رجل مبهم وقد قال أبو
داود حدثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقاني ثنا عبدة ثنا سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس
قال : لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما قال له رسول الله (ص) : أعطها شيئاً قال ما عندي شيء .
قال أين سررت الخطمية ؟ ورواه النسائي عن هارون بن اسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن
أبي عروبة عن أيوب السخيتاني به . وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصي ثنا أبو حيوة عن
شعيب بن أبي حمزة حدثني غيلان بن أنس من أهل حمص حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان
عن رجل من أصحاب النبي (ص) أن علياً لما تزوج فاطمة بنت رسول الله (ص) أراد أن يدخل بها
فمنعه رسول الله (ص) حتى يعطيها شيئاً فقال يا رسول الله ليس لي شيء فقال له النبي (ص) : « أعطها
درعك » فأعطها درعه ثم دخل بها . وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو
العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني
عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله (ص) ، فقالت : ولأية لي
هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله (ص) ، قلت لا ، قالت فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي
رسول الله (ص) ، فزوجك ، فقلت وعندي شيء أتزوج به ؟ فقالت أنك إن جئت رسول الله (ص) ،
زوجك ، قال فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله (ص) ، فلما أن قدمت بين يديه أخذت
فوالله ما استطعت أن أتسكلم بجلالة وهيبه فقال رسول الله (ص) : ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت
فقال لعلي جئت لخطب فاطمة ، فقلت نعم ! فقال « وهل عندك من شيء تستحلها به » فقلت لا
والله يا رسول الله فقال « ما فعلت درع سلحتكما » فوالذي نفس علي بيده أنها لخطمية ما قيمتها
أربعة دراهم فقلت عندي . فقال قد زوجتكها فأبعث إليها بها فاستحلها بها ، فان كانت لصادق
فاطمة بنت رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : فولدت فاطمة لعلي حسناً وحسيناً ومحمداً - مات
صغيراً - وأم كلثوم وزينب ثم روى البيهقي من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي قال جاز
رسول الله (ص) . فاطمة في خميل وقربة ووسادة آدم حشوها اذخر . ونقل البيهقي عن كتاب المرفقة
لابي عبد الله بن منبه أن علياً تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك ستة أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر يسير فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية والله أعلم .

فصل

مجل من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وذكروا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركون ، فكان ممن توفى فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجرى وأنصارى تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة ييسير أبو هلب عبد العزى ابن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم ، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركون وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله ، قد توفيت وساوا عليها التراب . وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبي ، له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه في مقام بدر وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوجه باختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ، ولهذا كُنْ يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال إنه لم يخلق أحد على ابنتى نبى واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه . وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد في صلاة الحضر على ما سلف ، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم . وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانعو المسلمين وأظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن مناقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فبقى مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله في كتابه .

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله ، المعاقل وكانت معلقة بسيفه قال ابن جرير وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها ، قال وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن اسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة في ذى الحجة منها قال فان كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الاول باطل .

تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية

ويليه الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة

فهرست الجزء الثالث

من كتاب البداية والنهاية

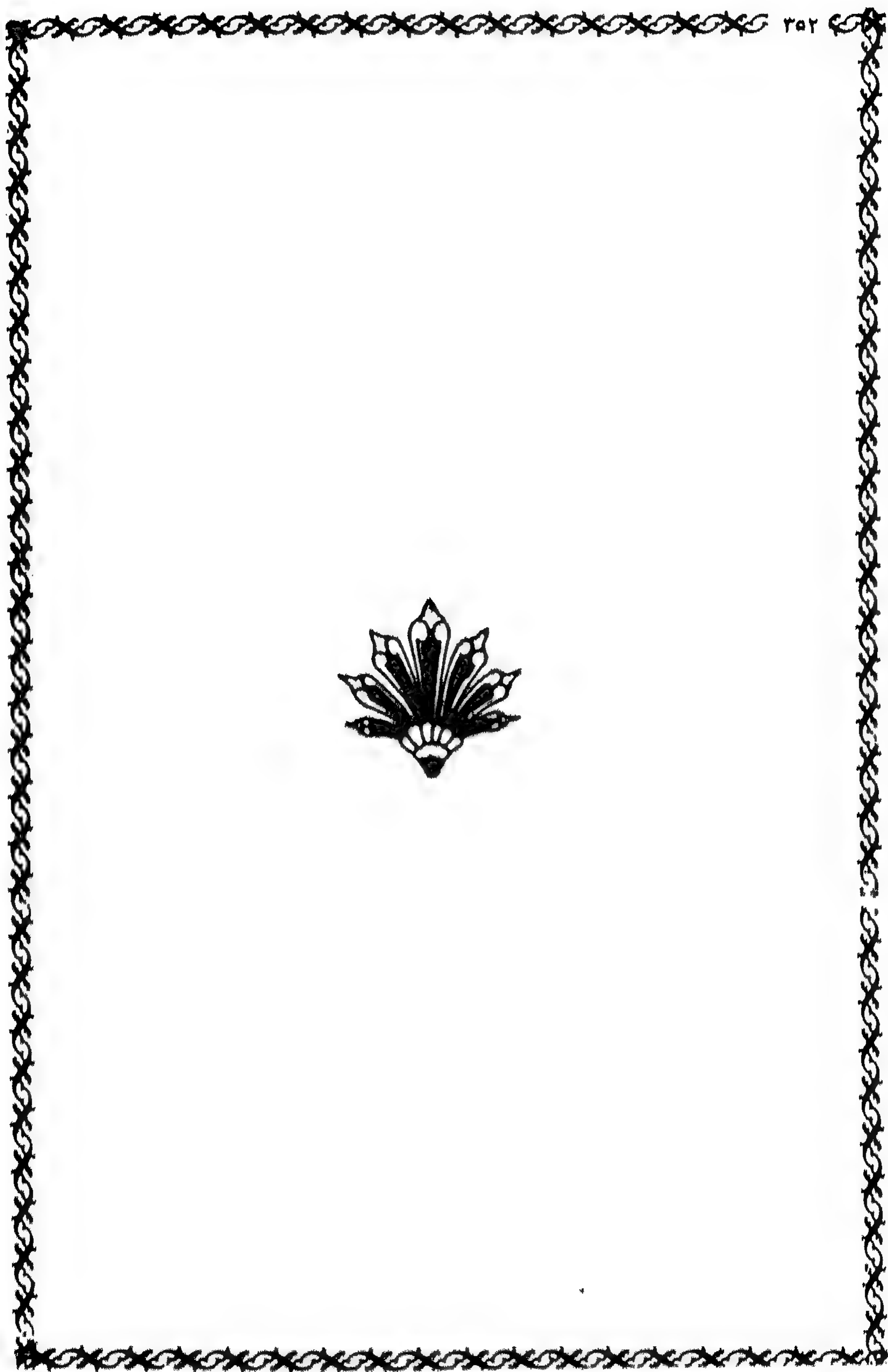
صفحة	صفحة
٥٧ - فصل	٢ - باب كيفية بدء الوحي
٦٠ - باب - مجادلة المشركين رسول الله (ص)	٤ - ذكر عمره (ص) وقت بعثته وتاريخها
وإقامة الحجّة الدامغة عليهم .. الخ	١٦ - فصل
٦٦ - باب - هجرة اصحاب رسول الله من	١٨ - فصل
مكة الى ارض الحبشة .	٢١ - فصل - في كيفية بدء اتيان الوحي الى
٨٣ - فصل	رسول الله (ص)
٨٤ - فصل	٢٣ - فصل
٩٣ - عزم الصديق على الهجرة الى الحبشة	٣٣ - فصل
٩٥ - فصل	٢٤ - فصل - اول من اسلم من متقدمي الاسلام
٩٥ - نقض الصحيفة	والصحابا وغيرهم
٩٨ - فصل	٣٣ - اسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص)
١٠١ - قصة أعشى بن قيس .	٣٤ - ذكر اسلام ابي ذر رضي الله عنه
١٠٣ - قصة مصارعة ركائنه - وكيف اراه (ص)	٣٦ - ذكر اسلام ضماد
الشجرة التي دعاها فأقبلت	٣٨ - باب الأمر بإبلاغ الرسالة
١٠٧ - فصل	٤٥ - قصة الأراشي
١٠٨ - فصل	٤٥ - فصل
١٠٨ - فصل - الإسراء برسول الله (ص) من	٤٧ - فصل
مكة الى بيت المقدس	٤٩ - فصل - في مبالغتهم في الأذية لأحاديث
١١٧ - فصل	المسلمين المستضعفين
١١٨ - فصل - انشقاق القمر في زمان	٤٩ - فصل - فيما اعترض به المشركون على
النبي (ص)	رسول الله (ص) .. الخ

صفحة	صفحة
١٢٢ - فصل - وفاة ابي طالب عم رسول الله (ص)	٢٠٥ - فصل
١٢٧ - فصل - موت خديجة بنت خويلد	٢٠٦ - وقائع السنة الاولى من الهجرة
١٣٠ - فصل - في تزويجه (ص) بعد خديجة بعائشة ثم سودة .	٢٠٩ - فصل
١٣٣ - فصل	٢١٠ - فصل - في إسلام عبدالله بن سلام
١٣٥ - فصل - في ذهابه (ص) الى الطائف يدعوهم الى دين الله	٢١٢ - فصل
١٣٧ - فصل	٢١٣ - ذكر خطبة رسول الله (ص) يومئذ
١٣٨ - فصل في عرض رسول الله (ص) نفسه الكريمة على احياء العرب	٢١٤ - فصل - في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار ابي أيوب
١٤٧ - فصل - قدوم وفد الانصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله (ص) بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول الله (ص) الى المدينة	٢١٩ - تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف
١٤٨ - إسلام إياس بن معاذ	٢٢٠ - فصل
١٤٨ - باب - بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم	٢٢١ - فصل - فيما اصاب المهاجرين من حتى المدينة
١٥٨ - قصة بيعة العقبة الثانية	٢٢٤ - فصل - في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذي امر به فكتب بينهم، والمؤاخاة التي امرم بها وقررها عليهم ومواعدته اليهود الذين كانوا بالمدينة
١٦٥ - فصل	٢٢٦ - فصل - في مؤاخاة النبي (ص) بين المهاجرين والانصار
١٦٨ - باب - الهجرة من مكة الى المدينة	٢٢٩ - فصل
١٧٤ - فصل - في سبب هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة	٢٣٠ - فصل - في ميلاد عبدالله بن الزبير في شوال سنة الهجرة
١٧٧ - باب - هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة من مكة الى المدينة ومعه ابوبكر الصديق رضي الله عنه	٢٣٠ - فصل - وبني رسول الله (ص) بعائشة في شوال من هذه السنة
١٩٦ - فصل - في دخوله عليه السلام المدينة وأين استقر منزله	٢٣١ - فصل
	٢٣١ - فصل - في الأذان ومشروعيته

صفحة	صفحة
٢٨٧ - مقتل ابي جهل لعنه الله	٢٣٤ - فصل - في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
٢٩١ - رده عليه السلام عين قتادة	٢٣٤ - فصل - في سرية عبيدة بن الجارث بن عبد المطلب
٢٩١ - فصل - قصة اخرى شبيهة بها	٢٣٤ - فصل
٢٩٢ - طرح رؤوس الكفر في بشر يوم بدر	٢٣٥ - فصل
٢٩٦ - فصل	٢٣٦ - ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة
٣٠٠ - فصل	٢٣٦ - كتاب المغازي
٣٠١ - فصل	٢٣٧ - فصل
٣٠٣ - فصل	٢٤٠ - فصل
٣٠٥ - مقتل النضر بن الجارث وعقبة بن ابي لهب	٢٤١ - فصل - اول المغازي وهي غزوة الأبواء لو غزوة ودان
٣٠٧ - ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر	٢٤٦ - غزوة بواط من ناحية رضوى
٣٠٨ - وصول خبر مصاب اهل بدر الى اهلهم بمكة	٢٤٦ - غزوة المشيرة
٣١٠ - بعث قريش الى رسول الله (ص) فداء اسرام	٢٤٧ - غزوة بدر - الاولى
٣١٤ - فصل	٢٤٨ - باب سرية عبد الله بن جحش
٣١٤ - فصل	٢٥٢ - فصل - في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر
٣١٥ - اسماء اهل بدر مرتبة على حروف المعجم -	٢٥٤ - فصل - في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر
٣١٥ - حرف الالف	٢٥٦ - غزوة بدر المعظمى - يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
حرف الباء	٢٨٥ - مقتل ابي البختري بن هشام
٣١٦ - حرف التاء	٢٨٥ - فصل - في مقتل امية بن خلف
حرف الثاء	
حرف الجيم	

صفحة	صفحة
٣٢٥ - حرف النون	٣١٧ - حرف الحاء
حرف الهاء	حرف الخاء
حرف الواو	٣١٨ - حرف الذال
حرف الياء	حرف الراء
٣٢٥ - باب الكنى	حرف الزاي
٣٢٦ - فصل	٣١٩ - حرف السين
٣٢٨ - فصل في فضل من شهد بدرأ من المسلمين	٣٢٠ - حرف الشين
٣٣٠ - قدوم زينب بنت الرسول (ص) من مكة الى المدينة	حرف الصاد
٣٣٣ - ما قيل من الأشعار في بدر المعظمي	حرف الضاد
٣٤١ - فصل	حرف الطاء
٣٤٤ - فصل - في عزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة	حرف الظاء
٣٤٧ - فصل - جل من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة	حرف المعين
	٣٢٣ - حرف الغين
	حرف الفاء
	حرف القاف
	حرف الكاف
	٣٢٤ - حرف الميم





أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبَيْدَاءُ وَالْبَيْهَاتُ

الجزء الرابع

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

بيروت - لبنان

مكتبة المحرّاف
ص. ب. : ١٧٦١ - ١١
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة تبجد ويقال لها غزوة ذي أمر . قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله
س . من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ثم غزا تبجداً يريد غطفان وهي
غزوة ذي أمر . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . قال ابن اسحاق : فأقام
بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ثم رجع ولم يلق كيداً . وقال الواقدي : بلغ رسول الله س .
أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بندي أمر يريدون حربه ، فخرج إليهم من
المدينة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن
عفان فقاتل أحد عشر يوماً وكان معه أربع مائة وخمسون رجلاً ، وهربت منه الأعراب في رموس
الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله س .
فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمراي من المشركين ، واشتغل المشركون في
شئونهم ، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث
فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد ، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول
الله س . بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في
صدره فوق السيف من يده ، فأخذه رسول الله س . ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال لا أحد وأنا
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكرر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله
س . سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرت إلى رجل طويل فدفع في
صدرى فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله والله لا أكرر عليه جمعاً ،

وجعل يدعو قومه الى الاسلام . قال : ونزل في ذلك قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْأَلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ الآية . قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فاعلمها قصتان ، قلت : ان كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ولم يكن عاهد النبي ﷺ أن لا يقاتله . والله أعلم

غزوة الفرع من بحرها

قال ابن اسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الاول كله أو الا قليلا منه ثم غدا يريد قریشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حتى بلغ بجران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع . وقال الواقدي : انما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . والله أعلم

خبر يهود بني قينقاع في المدينة

وقد زعم الواقدي انها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة فانه أعلم وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ كَتَل الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال ابن اسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزور رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع . قال وكان من حديثهم ان رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقریش من النعمة وأسلموا فانكم قد عرقتم أنى نبي مرسل يجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم . فقالوا : يا محمد انك ترى انا قومك لا يفرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلن أنا نحن الناس . قال ابن اسحاق : فحدثني مولى يزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم فقل للذين كفروا سَتْلَبُونَ وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فتنتين القتلتين يعني أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ . وقریش زفتة تقاتل في سبيل الله وأخرى كفرية يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار . قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا اول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد . قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر [بن عبد الرحمن] بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بحلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ هناك منهم فعملوا

يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت
سواتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدت اليهود على
المسلم قتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني
قينقاع . قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله (ص) حتى نزلوا على
حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن في موالى وكانوا
حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله (ص) فقال يا محمد أحسن في موالى فأعرض عنه قال فأدخل
يده في جيب درع النبي (ص) قال ابن هشام وكان يقال لها ذات الفضول فقال له رسول الله (ص)
أرسلني وغضب رسول الله (ص) حتى رأوا لوجهه طللاً ثم قال ويحك أرسلني قال لا والله لأرسلك
حتى تحسن في موالى أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدكم في غداة
واحدة أنى والله امرؤ أخشى الدوائر . قال فقال له رسول الله (ص) هم لك . قال ابن هشام واستعمل
رسول الله (ص) في محاصرته أيام أبا لبابة . بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته أيام خمس عشرة
ليلة . قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن عباد بن الوليد عن عباد بن الصامت قال لما حاربت بنو
قينقاع رسول الله (ص) تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومشى عباد بن الصامت
إلى رسول الله (ص) وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ففعلهم إلى
رسول الله (ص) وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين
وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم قال وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) الآيات حتى قوله
(فترى الذين في قلوبهم مرض يسمعون فيها يقولون تمشي أن تصيبنا دائرة) يعني عبد الله
ابن أبي إلى قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) يعني عباد بن
الصامت . وقد تكلمنا على ذلك في التفسير

سرية زبير بن جراح

إلى غير قريش صحبة أبي سفيان أيضاً وقيل صحبة صفوان * قال يونس عن بكير عن ابن
اسحاق وكانت بدو قعة بدر ستة أشهر . قال ابن اسحاق وكان من حديثها أن قريشاً خافوا
طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلخوا طريق العراق
فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهي عظم تجارتهم واستأجروا رجلاً من بكر
ابن وائل يقال له فرات بن خيان يعني المعلى حليف بني سهم ليدهم على تلك الطريق . قال ابن

اسحاق فبعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة فلقمهم على ماء يقال له القردة فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله (ص) فقال في ذلك حسان بن ثابت :
 دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاذ كافوا الخاض الاوارك
 بأيدي رجال هاجروا نحو ربههم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
 اذا سلكت للغور من بطن عالج فقولاً لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام وهذه القصيدة في أبيات لحسان وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث . وقال
 الواقدي كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين
 شهراً من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم
 ابن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه واجتمع بكثافة بن أبي الحقيق في
 بني النضير ومعه سليط بن النعمان من أسلم فشرّبوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث
 بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الاموال فخرج سليط من
 ساعته فأعلم رسول الله (ص) فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقمهم فأخذوا الاموال وأعجزهم
 الرجال وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير فحمسها رسول الله فبلغ خمسها عشرين
 ألفاً وقسم أربعة أخماسها على السرية وكان فيمن أسر الدليل فرات بن حيان فأسلم رضي الله عنه .
 قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت
 رسول الله (ص) وادخلت عليه في جمادى الآخرة منها

مقتل كعب بن الأشرف

وكان من بني طيء ثم أحد بني نهبان ولكن أمه من بني النضير . هكذا ذكره ابن اسحاق قبل
 جلاء بني النضير وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير والصحيح : اذ ذكره ابن اسحاق
 يأتي فان بني النضير انما كان أمرها بعد وقعة أحد وفي محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبيته
 بطريقه ان شاء الله . قال البخاري في صحيحه قتل كعب بن الأشرف حدثنا علي بن عبد الله حدثنا
 سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله (ص) : من لكعب بن الأشرف
 فانه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال نعم . قال فأذن
 لي أن أقول شيئاً قال قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال ان هذا الرجل قد سأننا صدقة وانه قد عذانا
 واني قد أتيتك أستسلفك . قال وأيضاً والله لتملئ . قال إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر
 الى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا قال نعم ارهنوني قلت أي شيء تريد قال ارهنوني

انساءكم فقالوا كيف نرهك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهك اللأمة . قال سفيان يعني السلاح . فواعده أن يأتيه ليلا فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاة فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو قالت أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم . قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضي عن أبي نائلة . أن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لاجاب قال ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين فقال اذا جاءه فاني مائل بشعره فأشبهه فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدبواكم فاضربوه وقال مرة ثم أشمكم فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفع منه ريح الطيب فقال ما رأيت كاليوم ريحاً أي أطيب وقال غير عمرو قال عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب قال عمرو فقال أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال نعم . فشبه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لي؟ قال نعم . فلما استمكن منه قال دونكم قتلوه ثم أتوا النبي (ص) فاخبروه . وقال محمد ابن اسحاق كان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طي ثم أحد بني نيهان وأمه من بني النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما تيقن عدو الله الخبر خرج إلى مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن صبرة السهمي وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزله وأكرمه وجعل يحرض على قتال رسول الله (ص) وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر فذكر ابن اسحاق قصيدته التي أولها:

طحنت رحي بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تستهل وتدمع

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضي الله عنه ومن غيره . ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبي (ص) وأصحابه . وقال موسى بن عقبة: وكان كعب بن الأشرف أحد بني النضير أو فيهم قد آذى رسول الله (ص) بالهجاء وركب إلى قريش فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة: أناشدك أدينتنا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ، وأينأأهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ إنا نطمع الجزور الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونطمع ما هببت الشمال . فقال له كعب بن الأشرف: أنتم أهدى منهم سبيلاً . قال فأنزل الله على رسوله (ص): (ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجلبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً) وما بعدها . قال موسى ومحمد بن اسحاق: وقدم للمدينة يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتله رسول الله (ص) وجعل يشبب بأمر الفضل بن الحارث وبغيرها من

نساء المساء
من لابن
قال فافعل
ما يعلق
يارسول
الله ، إني
محمد بن
الأشرف
بني عبد
ابن سلامة
ويحك يا
قدم هذه
العيال و
لقد كشت
تبيننا ط
تفضحت
ونرهك
لوفاء . .
إليه ، ط
قال : من
أعنيهم
فنتف به
أنت امر
ما أيقظ
لطمنة أ
إلى شع
شام يد
لثلبها ح

نساء المسلمين . قال ابن اسحاق : فقال رسول الله (ص) : كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لابن الاشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الاشول : أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله ، قال فافعل إن قدرت على ذلك ، قال فرجع محمد بن مسلمة فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله (ص) فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدرى هل أنت به أم لا . قال : إنما عليك الجهد . قال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا أن نقول ، قال : فقولوا ما به السكم فأنتم في حل من ذلك . قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشيل . وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشيل والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الاشول وأبو عباس بن جبر أخو بني حارثة ، قال فقد موا بين أيديهم إلى عدو الله كعب سلكان ابن سلامة أبو نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً — وكان أبو نائلة يقول الشعر — ثم قال : ويحك يا ابن الاشرف أتى قد جئتكم لماجة أريد ذكركم هاك فآتكم عنى ، قال أفعل . قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جئنا وجئنا عيالنا . فقال كعب : أنا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر يصير إلى ما أقول ، فقال له سلكان : أتى قد أردت أن تبئنا طاماً ونرهنك ونوثق لك ونحسن في ذلك ، قال ترهنوني أبناءكم ؟ قال لقد أردت أن تفضحننا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ونحسن في ذلك ونرهنك من الخلفة ما فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها . فقال : إن في الخلفة لوفاء . قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فاخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق فحدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله (ص) إلى بقيع الفرقد ثم وجههم وقال : « انطلقوا على اسم الله . اللهم أعينهم » ثم رجع رسول الله (ص) إلى بيته وهو في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فنفق به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيها وقالت : أنت امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ، قال إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله أتى لأعرف في دونه الشر . قال : يقول لها كعب لو دعى الفتى لطلعت أجاب ، فترل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا : هل لك يا ابن الاشرف أن تنأى إلى شعب المعجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال إن شئتم . فخرجوا فمشوا ساعة . ثم إن أبو نائلة شام يده في ثوب رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لملئها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لملئها فأخذ بفودي رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ! فاختلعت

عليه أسياقهم فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة قد كرت مغولاً في سبني فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار ، قال فوضعت في ثنيتيه ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه فوق عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه أصابه بعض سيوفنا ، قال فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ثم على بني قريظة ثم على بُعات حتى أسندنا في حرة الغريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أنانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله . . . آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتقل رسول الله . . . على جرح صاحبنا ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه . قال ابن جرير : وزعم الواقدي أنهم جافوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله . . . قال ابن اسحاق : وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

فغدر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير
على الكمين ثم وقد علته بأيدينا مشيرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلاً إلى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر ومحمود أخو ثقة جصور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ستأتي . قلت : كان قتل كعب ابن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر ، ثم ان الخزرج قتلوا أبارافع بن أبي الحقيق بعد وقعة أحد كما سيأتي بيانه ان شاء الله وبه الثقة . وقد أورد ابن اسحاق شعر حسان بن ثابت :

لله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم مرحاً كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستبصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل أمر مجحف

قال محمد بن اسحاق : وقال رسول الله . . . « من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسي على ابن سينة — رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم — قتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدو الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله . قال محيصة : قتلت والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك ، قال فوالله إن كان لأول اسلام حويصة وقال والله لو أمرك محمد بقتلي لتقتلي ؟ قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربت بها . قال : فوالله ان ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة . قال ابن اسحاق : حدثني بهذا الحديث مولى لبني

حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها . وقال في ذلك محيصة :

يلوم ابن أم لو أمرت بقتله لطبقت ذفره بأبيض قارب
حسام كلون الملح أخلص صقله متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرتني أني قتلتك طائفاً وأن لنا ما بين بصرى ومارب

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة عن أبي عمرو المدني أن هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة فان المذبول كان كعب بن يهودا فلما قتله محيصة عن أمر رسول الله (س) يوم بني قريظة قال له أحوه حويصة ما قال فرد عليه محيصة بما تقدم فأسلم حويصة يومئذ . والله أعلم

﴿ تنبيه ﴾ : ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد والصواب إيرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن اسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أن الحرحرمت ليالى حصار بني النضير وثبت في الصحيح انه اصطحب الحرحرمة من قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الحرحرمة كانت اذ ذاك حلالاً وانما حرمت بعد ذلك فتبين ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم

﴿ تنبيه آخر ﴾ : خبر يهود بن قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم وكذلك قتل كعب بن الاشرف اليهودي على يدى الاوس وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتى وكذلك مقتل أبي رافع اليهودي تاجر أهل الحجاز على يدى الخزرج وخبر يهود بن قريظة بعد يوم الاحزاب وقصة الخندق كما سيأتى

غزوة اُحُد في شوال سنة ثلاث

﴿ فائدة ﴾ ذكرها المؤلف في تسمية أحد قال سمي أحد أحداً لتوحيده من بين تلك الجبال وفي الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبه » قيل لغناه أهله وقيل لأنه كان يبشره بقرب أهله اذا رجع من سفره كما يفعل الحب وقيل على ظاهره كقوله ﴿ وان منها لما يهبط من خشية الله ﴾ وفي الحديث عن أبي عبيس بن جبر « أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة ، وعير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار » قال السهيلي مقولاً لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه السلام قال « المرء مع من أحب » وهذا من غريب صنع السهيلي فان هذا الحديث انما يراد به الناس ولا يسمى الجبل 'مرءاً' . وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث قاله الزهري وقناة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ومالك قال ابن اسحاق للنصف من شوال وقال قناة يوم السبت الحادي عشر منه قال مالك وكانت الوقعة في أول النهار وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى ﴿ واذا غصوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾ اذ همت فائقتان منكم أن تتشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون * ولقد نصركم الله يدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن
يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم
هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين [الآيات وما بعدها إلى قوله] ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب [وقد
تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة ، ولندكر ههنا ملخص
الوقعة مما ساقه محمد بن اسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رح وكان من حديث أحمد كما حدثني محمد
ابن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو
ابن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث بي بعض هذا الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع
حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا أو من قال منهم : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب
ورجع قلوبهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل
وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبنائهم وأخوانهم يوم بدر فسكروا بأبائهم
ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . فقالوا : يا معشر قريش ، ان محمداً قد وترككم وقتل
خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثاراً ، ففعلوا . قال ابن اسحاق : ففهم كما ذكر
في بعض أهل العلم أنزل الله تعالى [ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسيقتلونها
ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون] قالوا : فاجتمعت قريش
لحرب رسول الله (ص) ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأبائهم وأبنائهم وأخوانهم من قبائل
كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجعفي قد من عليه رسول الله (ص) ، يوم بدر ،
وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان في الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، انك امرؤ
شاعر فأعنا بلسانك وأخرج معنا فقال : ان محمداً قد من على فلا أريد أن أظاھر عليه . قال : بلى ،
فأعنا بنفسك فلك الله ان رجعت أن أغنيك وان قتلت أن أجعل بساتك مع بني يصبين
ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول :

أيا بني عبد مناة الزمام أنتم حجة وأبوكم حام
لا يعلو تي نصركم بعد العام لا تسلوني لا يحلّ إسلام

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جح إلى بني مالك بن كنانة
بحر ضهم ويقول :

يا مال مال الحسب المقدم أنشد ذا القربي وذا التئم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حليم الكعبة المعظم

قال : ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطيء بها فقال له : أخرج مع الناس ، فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعى طميعة بن عدى فانت عتيق . قال : فخرجت قريش بجدها وحديدها وأحايشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا بهم بالطعن التماس المفيضة وأن لا يفروا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب وهو قائد الناس ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبي جهل وزوجته ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج عم الحارث بن هشام وزوجته فاطمة بنت الوليد ابن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أم ابنه عبد الله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بأمراته قال : وكان وحشى كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به يقول ويهاأ بأدسمة اشف واشنف . يعنى تخمضه على قتل حمزة بن عبد المطلب . قال : فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل يبطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله (ص) ، والمسلمون قال لهم قد رأيت والله خيرا رأيت بقرآندج ورأيت في ذباب سبى ثلثا ورأيت أنى أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة . وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعا عن أبي كريب عن أبي أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأيت في المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها البجامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ورأيت في رؤياى هذه أنى هزرت سيفا فاقطع صدره فاذا هو ما أصيبه من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرت أخرى فعاد أحسن ما كنت فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضا بقرآ والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا انابر ما جاء الله به من انابر وثواب الصديق الذى أتانا بعد يوم بدر » وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله المافظ أخبرنا الأصم أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرنى ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : تفعل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر قال ابن عباس وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد وذلك ان رسول الله (ص) لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيهم أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرآ فخرج يارسول الله اليهم فقاتلهم بأحد ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فمزالوا يارسول الله (ص) حتى لبس أداته ثم ندموا وقالوا يارسول الله أقم ظراى رأيك . فقال لهم ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . قال وكان قال لم يومئذ قبل أن يلبس الاداة أنى رأيت أنى في درع حصينة فأولتها المدينة وأنى مردف كبشا

وأولته كبش الكتيبة ورأيت أن سيفي ذا الفقار فلأولته فلا فيكم ورأيت بقرآ يذبح فبقر والله خير»
رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به . وروى البيهقي من
طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال : رأيت فيما يرى النائم كأنني مردف
كبشاً وكان ضبة سيفي انكسرت فأولت أني أقتل كبش القوم وأولت كسر ضبة سيفي قتل
رجل من عترتي . قتل حمزة وقتل رسول الله (ص) طلحة وكان صاحب اللواء . وقال موسى بن
عقبة رح ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب وسار أبو سفيان بن حرب
في جمع قريش وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر حتى نزلوا بطن الوادي الذي قبلي
أحد وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدرآ قد ندموا على ما فعلتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو
ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرج المسلمون الذين
لم يشهدوا بدرآ بقدم العدو عليهم وقالوا : قد ساق الله علينا أميئتنا ثم إن رسول الله (ص) أرى
ليلة الجمعة رؤيا فأصبح فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم « رأيت البارحة في منامي بقرآ تذبح والله
خير ورأيت سيفي ذا الفقار انقص من عند ضبته . أو قل : به فلول فكرهته وهما مصيبتان
ورأيت أني في درع حصينة وأنني مردف كبشاً » . فلما أخبرهم رسول الله (ص) برؤياه ، قالوا :
يا رسول الله ، ماذا أولت رؤياك ؟ قال : أولت البقر الذي رأيت بقرآ فينا وفي القوم وكرهت ما
رأيت بسيفي . ويقول رجال كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه فان العدو أصاب وجهه
يومئذ وقصموا رباعيته وخرقوا شفته يزعمون أن الذي رماه عقبة بن أبي وقاص وكان البقر من
قتل من المسلمين يومئذ . وقال أولت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله وأولت الدرع الحصينة
المدينة فامكثوا واجلوا الذراري في الآطام فان دخل علينا القوم في الأزقة قاتلناهم ورسوا من فوق
البيوت وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبليان حتى [صارت] كالخس . فقال الذين لم يشهدوا بدرآ :
كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فذهب ساقه الله إلينا وقرب المسير وقال رجل من الأنصار : متى نقاتلهم
يا رسول الله اذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال رجال ماذا نمنع اذا لم نمنع الحرب برؤع ؟ وقال رجال
قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب قال : والذي أنزل عليك الكتاب
لنجدلهم . وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم : يا بني الله لا تحرمنا الجانة فوالذي
نفسى بيده لا دخلتها . فقال له رسول الله (ص) : بيم ؟ قال : بآني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم
الزحف . فقال له رسول الله (ص) : صدقت . واستشهد يومئذ . وأبى كثير من الناس إلا الخروج
إلى العدو ولم يتنهلوا إلى قول رسول الله (ص) وزأيه ولورضوا بالذي أمرهم كان ذلك ولكن
غلب القضاء والقدر وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرآ قد علموا الذي سبق

لأصحاب بدر من الفضيلة فلما صلى رسول الله (ص) الجمعة وعظ الناس وذكروهم وأمرهم بالجد
 والجهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلاءته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج فلما رأى ذلك
 رجال من ذوى الرأى قالوا : أمرنا رسول الله (ص) أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه
 الوحي من السماء فقالوا يارسول الله أمكث كما أمرتنا فقال : ما ينبغي لنبى إذا أخذ لأمة الحرب وأذن
 بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأيتكم إلا الخروج فليكن بتقوى
 الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا . قال : فخرج رسول الله
 (ص) والمسلمون فلكوا على البدائع وهم ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف فمضى رسول الله (ص)
 حتى نزل بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمائة فبقى رسول الله (ص) في سبعمائة قال
 البيهقي رح هذا هو المشهور عند أهل المغازى أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل قال والمشهور عن الزهري
 أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن اصبغ عن ابن وهب عن يونس
 عن الزهري وقيل عنه بهذا الاسناد سبعمائة والله أعلم . قال موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين
 خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لواءه مع عثمان بن طلحة قال ولم يكن مع المسلمين فرس
 واحدة ثم ذكر الوقعة كما سيأتى تفصيلها إن شاء الله تعالى . وقال محمد بن اسحاق لما قص رسول الله
 (ص) رؤياه على أصحابه قال لم أن رأيتكم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا
 بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأى رسول الله
 (ص) في أن لا يخرج اليهم فقال رجال من المسلمين من أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن
 كان فاته بدر : يارسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله
 ابن أبي يارسول الله لا يخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها
 علينا إلا أصابنا منه . فلم يزل الناس برسول الله (ص) حتى دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة
 حين فرغ من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو فمضى
 عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله (ص) ولم يكن لنا ذلك فلما خرج
 عليهم قالوا يارسول الله ان شئت فاقعد فقال ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .
 فخرج رسول الله (ص) في ألف من أصحابه . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم قال
 ابن اسحاق حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال
 أطاعهم وعصاني ما ندرى علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بن اتبه من قومه من أهل
 النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى والد جابر بن عبد الله فقال : يا قوم اذكروكم
 الله أن لا تأخذوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم . قالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم

ولكننا لا نرى أن يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه (س) . قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى [وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون] يعني انهم كاذبون في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لا خفاء ولا شك فيه وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ فوالسكم في المناقذين فقتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ الآية وذلك أن طائفة قالت فقاتلهم وقال آخرون لا فقاتلهم كما ثبت وبين في الصحيح . وذكر الزهري أن الانصار استأذنوا حينئذ رسول الله (س) في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال لا حاجة لنا فيهم . وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بني سلمة وبني حارثة لما رجع عبد الله بن أبي وأصحابه همتا أن تفشلا ففتنهما الله تعالى ، ولهذا قال ﴿ اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ قال جابر بن عبد الله ما أحب أنهما لم تنزل والله يقول ﴿ والله وليهما ﴾ كما ثبت في الصحيحين عنه . قال ابن اسحاق ومضى رسول الله (س) حتى سلك في حرة بني حارثة فذهب فرسٌ بذنبه فأصاب كلاب سيف فاستله فقال رسول الله (س) ، لصاحب السيف شم سيفك أي اغمده فاني أرى السيوف تسيل اليوم . ثم قال النبي (س) ، لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كئيب (أي من قريب) من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث أنا يارسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال لمربع بن قيس وكان رجلا منافقا ضريو البصر فلما سمع حس رسول الله (س) ومن معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التراب ويقول ان كذبت رسول الله فاني لا أحل لك أن تدخل في حائطي . قال ابن اسحاق وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من التراب في يده ثم قال والله لو أعلم أني لأصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (س) ، لا تقتلوه ، فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر ، وقد بدر اليه سعد بن زيد أخو بني عبد الاشهل قبل نعي رسول الله (س) ، فضربه بالقوس في رأسه فشجه ومضى رسول الله (س) ، حتى نزل الشعب من أحد في عبوة الوادي وفي الجبل وجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد حتى أمره بالقتال وقد سرحت قریش الظير والسكراع في زروع كانت بالصعفة من قنعة كانت للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نعي رسول الله (س) ، عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب ؟ وتعباً رسول الله (س) ، للقتال وهو في سبعمائة رجل وأمر على الرابة يومئذ عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرمية خمسون رجلاً فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فثبت مكانك

لا تؤتني من قبلك . وسيأتي شاهد هذا في الصحيحين ان شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق وظاهر رسول الله (ص) بين درعين يعني لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار قلت وقد رد رسول الله (ص) جماعة من الفلاني يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت في الصحيحين قال عرضت على النبي (ص) يوم أحد فلم يجزني وعرضت عليه يوم ائندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس بن قيس ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي ، وهو الذي يقول فيه الشماخ :-

إذا ما راية رُفِئت لجدير تلقاها عرابة باليمن

ومنهم ابن سعيد بن خيشمة ذكره السهيلي أيضاً وأجازهم كلهم يوم ائندق وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقبل يارسول الله ان رافعاً رام فأجازه فقبل يارسول الله فان سمرة يصرع رافعاً فأجازه . قال ابن اسحاق رح وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة النليل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشام وقال رسول الله (ص) : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سمالك بن خراشة أخو بني ساعدة فقال وما حقه يارسول الله؟ قال أن تضرب به في العدو حتى ينحني . قال أنا آخذه يارسول الله بحقه فأعطاه إياه . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد وعفان قال حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا ثابت عن النبي أن رسول الله (ص) أخذ سيفاً يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف فأخذ قوم فجعلوا ينظرون اليه فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سمالك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به . قال ابن اسحاق وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب وكان له عصاة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقا تل ، قال فلما أخذ السيف من يد رسول الله (ص) أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل ينبخت بين الصفيين قال : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بني سلمة قال : قال رسول الله (ص) : حين رأى أبا دجانة يتبختر : انما المشية يبغيضها الله الا في مثل هذا الموطن . قال ابن اسحاق وقد قال أبو سفيان لاصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بنى عبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل دياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكوه فمحبوبه وتواعدوه وقايلوا : نحن نسلم اليك لواءنا ! ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذي أراد أبو سفيان . قال فلما التقى الناس ودنا بعضهم من

بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال فقالت هند فيما تقول :

وَيْهًا بِنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهًا حِمَاةَ الْأَدْيَارِ ضَرْبًا بِكُلِّ بَشَّارٍ
وَتَقُولُ أَيْضًا :

أَنْ تُقْبِلُوا أَعَانِقِي وَتَفْرَشُ النَّمَارِقِ
أَوْ تُدْبِرُوا تَفَارِقِي فِرَاقِي غَيْرِ وَامِقِ

قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة وكان قد خرج الى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الأوس وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الإحاشية وعبدان أهل مكة فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق . وكان يسي في الباهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق . فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديداً ثم أرضعهم بالحجارة . قال ابن اسحاق فأقبل الناس حتى سميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أئمن في الناس قال ابن هشام وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فنعمنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قتلت اليه وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركني والله لأنفارق ما يمنع فأتيتته فأخرج عصا به له حمراء فمصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصا به الموت وهكذا كانت تقول له اذا تمصب فخرج وهو يقول :

أَنَا الَّذِي عَاهَدْتَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

وقال الاموي حدثني أبو عبيد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه وهو يقاتل به فقال له مالك ان أعطيتك تقاتل في الكيول قال لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أَنَا الَّذِي عَاهَدْتَنِي خَلِيلِي أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه اسراييل كلاهما عن أبي اسحاق عن هند بنت سالم أو غيره يروى الكيول يعني مؤخر الصفوف سمعته من عدة من أهل العلم ولم أسمع هذا المرف إلا في هذا البيت . قال ابن هشام فجعل لا يلتقي أحداً إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع جريماً إلا ذفف عليه فجعل كل منها يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين

فضرب المشرك أبا دجانة فأتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيت قد حمل
السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت الله ورسوله أعلم . وقد رواه
البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك . قال ابن اسحاق
قال أبو دجانة رأيت انساناً يحبس الناس حساً شديداً فصعدت له فلما حملت عليه السيف ولول
فاذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله . أن أضرب به امرأة وذكر موسى بن عقبة أن رسول
الله . لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه فوجدنا في أنفسهما من
ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه اليه فأعطى السيف حقه قال فزعموا أن كعب بن مالك
قال : كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رأيت مثل المشركين يقتل المسلمين قت فتجاوزت فاذا
رجل من المشركين جمع الائمة يجوز المسلمين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر النعم . قال
واذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لامة فضيت حتى كنت من وراءه ثم قت أقدر المسلم
والكافر ببصرى فاذا الكافر أفضلهما عدة وهيأة . قال فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا فضرب
المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه و تفرق فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه
وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن اسحاق وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن
عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون الاواء ، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة
وهو حامل الاواء وهو يقول :

انّ على أهل اللوائ حقاً أن يخضبوا الصّعدة أو تندقاً

فحمل عليه حمزة فقتله ثم مر به سباع بن عبد العزى النبطاني وكان يكنى بأبي نيار فقال
حمزة: هلم الي يا ابن مقطعة البطور وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت
ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله فقال وحشى غلام جبير بن مطعم والله اني لا نظل لحمزة يهد
الناس بسيفه ما يلقى شيئاً يمر به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمني اليه سباع فقال حمزة هلم يا ابن مقطعة
البطور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهزرت حربي حتى إذا رضيت منها دفعنها عليه فوقعت
في ثنثيه حتى خرجت من بين رجله فأقبل نحوى فقلب فوقع وأمهله حتى اذا مات جثت فأخذت
حربي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره . قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن
الفضل بن عياش بن ربيعة بن المارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري

قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أحد بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية فأدبرنا مع الناس فلما مررنا بمحضر وكان وحشي مول جبير قد سكنها وأقام بها فلما قسمنها قال عبيد الله بن عدي : هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بمحضر فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فان تجده صاحياً تجدا رجلاً عريياً وتجده عنده بعض مائريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه وإن تجده وبه بعض ما به فالنصر فاعنه ودعاه . قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه فإذا هو بفناء داره على طائفة له وإذا شيخ كبير مثل البغاث ، وإذا هو صاح لا بأس به ، فلما انتهينا إليه سلمنا عليه ، ورفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي فقال : ابن لعدي بن الخيار أنت ؟ قال نعم . قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أَرْضعتك بندي طوى فأني ناولتها وهي على بعيرها فأخذتك بعرضك فلبست لي قدامك حتى رفعتك إليها فوالله ما هو إلا أن وقفت على ففرقتها . قال فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتله ؟ فقال : أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله (ص) ، حين سألتني عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير : ابن قتلت حمزة عم محمد بعني فأنت عتيق . قال فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ما أخطى بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة واتبعه حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجبل الأورق يهد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء فوالله إني لأتهيب له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال هلم إلي يا ابن مقطعة البظور ، قال فضر به ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال وهزئت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثفته حتى خرجت من بين رجله وذهب لينوء نحوى فقلب وتركته وإياها حتى مات ثم أتيت فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر وقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة إنما قتله لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم أقيمت حتى إذا افتتح رسول الله (ص) مكة هربت إلى الطائف فكشمت بها فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله (ص) ليسلموا تعيت على المذاهب فقلت الحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله إني لني ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحك انه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق ، قال فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله (ص) المدينة فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رأيته قال لي : أو وحشي أنت ؟ قلت نعم يا رسول الله . قال أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ؟ قال فحدثته كما حدثتك ، فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك ، قال فكنت

أتكذب برسول الله (ص)، حيث كان لثلاثي حتى قبضه الله عز وجل، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً ويده السيف وما أعرفه قهيات له وتهاياً له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريد فبرزت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع في، وشدة عليه الانصارى بالسيف فربك أعلم أينما قتله، فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله (ص)، وقتلت شر الناس. قلت: الانصارى هو أبو دجانة سمك بن خرشة كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة. وقال الواقدي في الردة: هو عبد الله بن زيد بن جاحم المازني. وقال سيف بن عمرو: هو عدى ابن سهل وهو القاتل:

ألم تر أي ووحشيتهم قتلت مسيلمة المعتين
ويسألني الناس عن قتله قتلته ضربت، وهذا طعن

والمشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة وذفف عليه أبو دجانة، لما روى ابن اسحاق عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن ابن عمر قال: سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول: قتله العبد الأسود، وقد روى البخاري قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال خرجت مع عبد الله بن عدى بن الحليار فذكر القصة كما تقدم. وذكر أن عبيد الله بن عدى كان معتجراً عمامة لا يرى منه وحشياً إلا عينييه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم، وهذه قيافة عظيمة كما عرف بجوز المدلي أقدام زيد وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما. وقال في سباقته: فلما أن صف الناس للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز نخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فقال له: ياسباع يا ابن أم أثمار مقطعة البظور أتحاذ الله ورسوله ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب، قال وكنت لحمة تحت شجرة فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثقتي حتى خرجت من بين وركيه قال فكان ذلك آخر العهد به، إلى أن قال: فلما قبض رسول الله (ص)، وخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرج إلى مسيلمة لعل أقتله فأكفى به حمزة، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال فاذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جبل أوردني ثأر الرأس، قال فرميته بحربتي فأضعها بين يديه حتى خرجت من كتفيه، قال ووثب اليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته، قال عبد الله بن الفضل فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر البيت: وأمر المؤمنين قتله العبد الأسود، قال ابن هشام فبلغني أن وحشياً لم يزل يتحدث في الجمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة. قلت:

وتوفي وحشي بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بمحصر وكان أول من لبس الثياب المدلوكة .
قال ابن اسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله (ص) حتى قتل وكان الذي قتله ابن قتيبة
الليثي وهو يظن أنه رسول الله (ص) فرجع إلى قريش فقال قتلتم محمداً . قلت وذكر موسى بن عقبة
في مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذي قتل مصعباً هو أبي بن خلف فأنه أعلم . قال ابن اسحاق
فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (ص) اللواء علي بن أبي طالب . وقال يونس بن بكير
عن ابن اسحاق : كان اللواء أولاً مع علي بن أبي طالب ، فلما رأى رسول الله (ص) اللواء
المشركين مع عبد الدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أخذ اللواء من علي بن أبي طالب فدفعه إلى
مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواء علي بن أبي طالب . قال ابن اسحاق : وقاتل
علي بن أبي طالب ورجل من المسلمين . قال ابن هشام وحدثني مسلمة بن علقمة المازني . قال : لما
اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله (ص) تحت راية الانصار وأرسل إلى علي أن قدم الراية
فقدم علي وهو يقول : أنا أبو القحطم فناداه أبو ساعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين . هل
للك يا أبا القحطم في البراز من حاجة ؟ قال نعم فبرزوا بين الصنفين فاختلعا ضربتين فضربه علي فصرعه
ثم إنصرف ولم يجهز عليه . فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال انه استقبلني بعورته
فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله . وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صفين مع بسر
البن أبي أرطاة لما حمل عليه ليقته أبدى له عورته فرجع عنه . وكذلك فعل عمرو بن العاص حين
حمل عليه علي في بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع على أيضاً . ففي ذلك يقول الحارث بن
النضر :

أتى كل يوم فارس غير منتبه وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سبانه ويضحك منها في الخلاء معاويه

وذكر يونس عن ابن اسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدي حامل لواء المشركين يومئذ
دعا إلى البراز فأتاهم منه الناس فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جملة ، ثم
اقتحم به الأرض فالتقوا فبجده بسيفه فأتى عليه رسول الله (ص) ، قال « ان لكل نبي حوارياً
وحواري الزبير » وقال : لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من أحجام الناس عنه . وقال
ابن اسحاق قتل أبا ساعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح
فقتل نافع بن أبي طلحة وأخذ الحلاس كلاهما يشعره سهماً فأتى أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها
فتقول يا بني من أدامك فيقول مممت رجلاً حين رماني يقول خذها وأنا ابن أبي الأفلح فندرت
ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركاً أبداً ولا

بسمه ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سيأتي . قال ابن اسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر واسمه عمرو ويقال عبد عمرو بن صيفي وكان يقال لابن عامر في الجاهلية الراهب لكثرة عبادته فسماه رسول الله (ص) الفاسق لما خلف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الاسلام ومخالفة للرسول عليه السلام وحنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل لانه غسلته الملائكة كما سيأتي هو وأبو سفيان صخر بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الاوس وهو الذي يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله فقال رسول الله (ص) : « ان صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » فسئلت صاحبه قال الواقدي : هي جميلة بنت أبي ابن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة . فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله (ص) : كذلك غسلته الملائكة . وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله في صدره وقال ذنبان أصابتهما رلند نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً الرحم برأ بالوالد . قال ابن اسحاق وقال ابن شعوب في ذلك :

لأحسين صاحبي ونفسي بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعي يا ابن حرب وشهدي
ولولا مكري المهر بالنعم فرفرت

وقال أبو سفيان :

ولو شئت نجيتي كيت حليرة
وما زال مهري مزجر الكلب منهم
أقاتلهم وأدعي بالغالب
فبكي ولا ترعي مسألة ماذل
أباك وانخواناً له قد تشابهوا
وسلي الذي قد كان في النفس اني
ومن هاشم قرماً كرمياً ومهذباً
فلو اني لم أشفر نفسي منهم
فأبوا وقد أودى ابللاب منهم
أصابهم من لم يكن لدمائهم

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرت القروم القعيد من آل هاشم
ولست لزور قلته بمصير

أَلْعَجِبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حِمْرَةَ مِنْهُمْ نَجِيًّا وَقَدْ مَيَّتَهُ بِنَجِيبٍ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَغَتَبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَاجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبٍ
غَدَاةً دَعَا الْمَاحِي عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةٍ عَضْبٍ بَلَّهَ بِخَضِيبٍ

قُضِيَ بَالِغٌ

قال ابن اسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وشاهد فحسوم بالسيوف حتى
كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها . وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت
عتبة وصواحبها مشيرات هوازب ما دون أخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة على العسكر حين
كشفنا القوم عنه ونظروا ظهورنا للخييل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا ان محمداً قد قتل فانكفأنا
وانكفأ القوم علينا بعد أن أصابنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد منهم ، فحدثني بعض
أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت عقبة الحارثية فرغمته لقريش فلاتوا به
وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي الملححة حبشي وكان آخر من أخذه منهم مقاتل به حتى قطعت
يدها ثم برك عليه فاخذ اللواء ب صدره وخنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أهزرت - يعني
اللهم هل أهدرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك :

نَفَرْتُمْ بِاللَّوَاوِ وَشَرُّ نَفْسٍ لَوَاةٍ مَنِ رُدَّ إِلَى صَوَابٍ
جَعَلْتُمْ نَفَرَكُمْ فَيْدٍ لَمِيدٍ وَالْأَمْرُ مَنْ يَطَا عَفْرُ التَّرَابِ
ظَنَنْتُمْ ، وَالسَّيْفُ لَهُ ظَنُونٌ وَمَا إِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْرِ الصَّوَابِ
بَأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقَيْنَا بِمَكَّةَ يَيْتُكُمْ خَزْرُ الْعِيَابِ
أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتْ يَدَاهُ وَمَا أَنْ تُصِيبَانِ عَلَى خِصَابِ

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت عقبة اللواء لهم :

إِذَا عَضَلْ سَيْفُكَ إِلَيْنَا كَانَهَا بَدَايَةُ شَرْكِهِ تَهَلَّكَتِ الْمَوَاجِبِ
أَقْنَا لَهُمْ حَامِلًا مُبِيرًا مُشْكَلاً وَحَزَنَامُ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَلَوْلَا لَوَاةُ الْخَارِثِيَةِ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْنَ الْجَلَابِ

قال ابن اسحاق فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاه وتمحيص أكرم الله
فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ص ، فذهب بالاجرة حتى وقع لشقه فأصيبت
رباعيته وشيخ في وجهه وكلمت شفته وكان الذي أصابه خيبة بن أبي وقاص فحدثني حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي (ص) يوم أحد وشج في وجهه فحمل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأُنزل الله [ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يمدهم فانهم ظالمون] قال ابن جرير في تاريخه - حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أحمد ابن الفضل حدثنا أسباط عن السدي قال أتى ابن قثمة الحارثي فرمى رسول الله (ص) بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة وجعل رسول الله (ص) يدعو الناس: إلى عباد الله، إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فجعلوا يسرون بين يديه فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف فمأه طلحة فرمى بهم في يده فبيست يده وأقبل أنى بن خلف الجحى وقد حلف لقتل النبي (ص) فقال بل أنا أقتله فقال يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطمعه النبي (ص) في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوق وقع يخور خوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجزئك؟ قال: أليس قال لاقتلك لو كانت تجمع ربيعة ومضر لقتلهم. فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وفشا في الناس أن رسول الله (ص) قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فياخذ لنا أمانة من أبي سفيان، يا قوم ان محمداً قد قتل فارجموا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوك، فقال أنس ابن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لا يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد (ص) اللهم انى أعذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله (ص) يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله (ص) وفرح رسول الله (ص) حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله (ص) ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، فقال الله عز وجل في الذين قالوا ان محمداً قد قتل فارجموا إلى قومكم: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] الآية فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله (ص): «ليس لهم أن يعلونا، انهم ان قتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض». ثم ندب أصحابه فرمواهم بالاجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ: أعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم أحد يوم بدر. وذكر تمام القصة. وهذا غريب جداً وفيه فحارة. قال ابن هشام: وزعم ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله (ص) فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وأن عبد الله بن قثمة جرح وجنته فدخلت - لقتان من - ملو المغفر في وجنته ووقع رسول الله (ص) في حفرة

من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع طلمحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله (ص)، ثم ازدردته فقال من مس دمه دمي لم تمسه النار قلت وذكر قتادة أن رسول الله (ص)، لما وقع لشقه أغشى عليه فربه سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفقى وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبينهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية رواه ابن جرير وهو مرسل وسيأتي بسط هذا في فصل وحده قلت: كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله تعالى [وتقد صدقكم الله وعده إذا تحسبونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيت من بعد ما أراكم ما يحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين] * إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بغم] الآية قال الامام أحمد حدثنا [عبد الله حدثني أبي حدثني] سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أحد قال فأنكرنا ذلك فقال بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله أن الله يقول في يوم أحد (ولقد صدقكم الله وعده إذا تحسبونهم بإذنه) يقول ابن عباس والحسن القتيل (حتى إذا فشلتم) إلى قوله (واتقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) وإنما عني بهذا الرماة وذلك أن النبي (ص)، أقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا نغتم فلا تشركونا. فلما غتم النبي (ص)، وأباحوا عسكر المشركين اكب الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله (ص)، فهم هكذا (وشبك بين أصابع يديه) والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي (ص)، فضرب بعضهم بعضاً فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار إنما كان تحت المهراس، وصاح الشيطان: قتل محمداً فلم يشك فيه أنه حق، فمازلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله (ص)، بين السعدين نعرفه بتكفيه إذا مشى قال ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال فرقى نحونا وهو يقول اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله. ويقول مرة أخرى اللهم انه ليس لهم أن يعلونا حتى انتهى الينا فكث ساعة فاذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أعل هبل أعل هبل، مرتين (يعني آلمته)، أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب؟ فقال عمر بن الخطاب ألا أجيبه؟ قال بلى قال فلما قال أعل هبل قال: الله أعل وأجل. قال أبو سفيان يا ابن الخطاب قد أنمت

حينها ، فماد عنها - أو فمال عنها - فقال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله (ص) ، وهذا أبو بكر وها أنا ذا عمر ، قال فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر ، الأيام دول وإن الحرب سجال . قال فقال عمر : لا سواء ، قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار . قال انكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا اذن وخسرنا . ثم قال أبو سفيان : أما انكم سوف تجدون في قتلاكم مثله ولم يكن ذلك عن رأى سرائنا . قال ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أما انه ان كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن أبي حاتم والماكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان بن داود الهاشمي به وهذا حديث غريب وهو من مراسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سند كرمها ما تيسر ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان . قال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي (ص) ، جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال : لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تمينونا . فلما لقينا هريرة حتى رأيت النساء يشتدن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بنت خلاخن فآخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : عهد إلى النبي (ص) ، أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال لا تجيبوه . فقال أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال لا تجيبوه . فقال أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقى الله عليك ما يحزنك . فقال أبو سفيان : أعل هبل . فقال النبي (ص) : أجبوه ، قالوا ما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى أو جل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي (ص) : أجبوه ، قالوا ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثله لم آمر بها ولم تسؤني . وهذا من أفراد البخاري دون مسلم . وقال الامام أحمد : حدثني موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق أن البراء بن عازب قال : جعل رسول الله (ص) على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير ، قال ووضعهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا تخلفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأنام فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، قال فزعموم ، قال فأما والله رأيت النساء يشتدن على الجبل وقد بنت أسوقهن وخلاخلن وأفعات ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، أي قوم ، الغنيمة . ظهر أصحابكم ، فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله (ص) ؟ قالوا : إنا والله لنأتين الناس فلتنصبن من الغنيمة ! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله (ص) ، غير اثني عشر رجلاً فأصابوا

منا سبعين رجلاً، وكان رسول الله (ص) وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة :
 سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ؟
 ثلاثاً ، قتهاهم رسول الله (ص) ، أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ، أفي القوم ابن أبي
 قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ، أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء قد
 قتلوا وقد كفيتهم ، فما ملك عمر نفه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عدت لأحياء
 كلهم وقد بقي لك ما يسوءك . فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، أنكم ستجدون في القوم مثله
 لم آمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز : أعلُّ هبلُّ أعلُّ هبلُّ . فقال رسول الله (ص) : ألا تجيبونه
 قالوا يا رسول الله وما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلُّ وأجلُّ . قال : إن العزى لنا ولا عزى لكم ؟ قال
 رسول الله (ص) : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا وله مولى لكم .
 ورواه البخاري من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً وقد تقدم روايته له مطولة من طريق
 إسرائيل عن أبي إسحاق . وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وعلي
 ابن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهبوا النبي (ص) يذهبون في سبعة من الانصار ورجل من
 قريش ، قال : من يردم عنا وهو رفيق في الجنة ؟ فجاء رجل من الانصار فقاتل حتى قُتل . فلما
 رهبوه أيضاً قال : من يردم عنا وهو رفيق في الجنة ، حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله (ص) ،
 ما أنصفنا أصحابنا . ورواه مسلم عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال البيهقي في الدلائل :
 بإسناده عن عمارة بن غزيرة عن أبي الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله (ص) يوم أحد
 وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار واللمحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون
 فقال : ألا أحد هؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الانصار :
 فانا يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله (ص) ، ومن بقي معه ، ثم قُتل الانصارى فلحقوه ،
 فقال : ألا رجل هؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله (ص) : مثل قوله . فقال رجل
 من الانصار : فانا يا رسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قُتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله
 الأول ويقول طلحة أنا يا رسول الله فيجبه فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من
 كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوها ، فقال رسول الله (ص) : من هؤلاء ؟ فقال طلحة أنا ،
 فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال حس ، فقال لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة
 والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جوف السماء . ثم صعد رسول الله (ص) إلى أصحابه وهم مجتمعون .
 وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شيبه عن وكيع عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت
 يد طلحة شلاء وفي بها النبي (ص) يوم أحد . وفي الصحيحين من حديث موسى بن اسماعيل عن

معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان التمهدي قال : لم يبق مع النبي ص. في بعض تلك الأيام التي
 يقاتل فيها غير طلحة وسعد عن جديهما . وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن
 هاشم بن هاشم السعدي سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نزل لي
 رسول الله ص. كنيته يوم أحد وقال : ارم فذاك أبي وأمي . وأخرجه البخاري عن عبد الله بن
 محمد عن مروان بن . وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن شداد عن علي بن أبي طالب قال
 ما سمعت النبي ص. جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول يوم أحد : يا سعد ارم فذاك
 أبي وأمي . قال محمد بن اسحاق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص
 أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ص. . قال سعد فلقد رأيت رسول الله ص. يناوئني النبل
 ويقول : ارم فذاك أبي وأمي . حتى أنه ليناولني السهم ليس له نصل فأرمي به . وثبت في الصحيحين
 من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال : رأيت يوم أحد عن
 يمين النبي ص. وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال مارأيتهما قبل ذلك
 ولا بعده . يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقال أحمد حدثنا عفان أخبرنا ثابت عن أنس
 أن أبا طلحة كان يرمى بين يدي النبي ص. يوم أحد والنبي ص. خلفه يترس به وكان رامياً
 وكان إذا رمى رفع رسول الله ص. شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول
 هكذا بأبي أنت رأيت رسول الله لا يصيبك سهم ، نحري دون نحره . وكان أبو طلحة يسور
 نفسه بين يدي رسول الله ص. ويقول : أني جلد يا رسول الله ، فوجهي في حوائجك ومررتي بنا
 شئت . وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس قال : لما كان
 يوم أحد انهزم الناس عن النبي ص. وأبو طلحة بين يدي رسول الله ص. بجوئ عليه بحجفة
 له وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد التزع كسري يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجعبة
 من النبل فيقول : انثرها لأبي طلحة . قال ويشرف النبي ص. يتأخر إلى القوم فيقول أبو طلحة
 بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحره . ولقد رأيت عائشة
 بنت أبي بكر وأم سليم وانهما مشرعتان أرى خدماً سوقيهما تنقران القرب على مثرنهما تفرغانه في
 أفواه القوم ثم ترجمان فتملأان ثم تبيضان فتفرغانه في أفواه القوم . واقد وقع السيف من يد أبي
 طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً . قال البخاري وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن
 قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاها النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من
 يدي سراراً يسقط رأسه ويسقط فأسخه . هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ويشهد له
 قوله تعالى [ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم]

يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء، قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتلى إلى معاجمهم وليبتلى الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور * إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلِيم [. قال البخاري : حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال جاء رجل سجد البيت فرأى قوماً يبأسوا فقال من هؤلاء القعود قال هؤلاء قريش قال من الشيخ قالوا ابن عمر فأتاه فقال أني سألتك عن شيء أتحدثني . قال أنشدك بحمرة هذا البيت أعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد قال نعم . قال فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهد هاهنا قال نعم . قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهد هاهنا ؟ قال نعم . قال فكبر . قال ابن عمر : تعال لاخبرك ولأبين لك عما سألتني منه : أما فرارده يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت النبي (ص) ، وكانت مريضة فقال له رسول الله (ص) ، إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه ، أما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز ببعث مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي (ص) بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان . اذهب بهذا الآن معك . وقد رواه البخاري أيضا في موضع آخر والترمذي من حديث أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به . وقال الاموي في منازيه عن ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله (ص) يقول ، وقد كان الناس انبهروا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المذق دون الأعوص ، وفر عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الانصار حتى بلغوا جبل بناحية المدينة ثم إلى الأعوص فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله (ص) قال لهم : لقد ذهبتم فيها غير بضعة . والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدر ، منها حصول النعاس حول التحام الحرب وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتعام توكلاها على خلقها وبارئها . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر : [إذ ينشئكم النعاس أمانة منه] الآية وقال ماهنا [ثم أنزل عليكم من بعد النعم أمانة انما سأ يغشى طائفة منكم] يعني المؤمنين الكامل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس في الحرب من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا قوله طائفة قد أهمتهم أنفسهم الآية . ومن ذلك أن رسول الله (ص) استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله : « إن تشأ لاتعبد في الأرض » كما قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قال حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) كان يقول يوم أحد : « اللهم إنك ان تشأ لاتعبد في الأرض » ورواه مسلم

عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به . وقال البخاري : حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي (ص) يوم أحد : «أرأيت إن قُلتُ فأين أنا؟ قال في الجنة ، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قُتل » . ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاهما

فَضْرِبُوا

فيا لقي النبي (ص) يومئذ من المشركين قيتهم الله

قال البخاري : ما أصاب النبي (ص) من الجراح يوم أحد * حدثنا اسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله (ص) ، « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه — يشير الى ربايعته — اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الاموي حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله (ص) . » وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) قال يوم أحد وهو يسلي الدم عن وجهه وهو يقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا ربايعته ، وهو يدعو الى الله » فأنزل الله [ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون] . ورواه مسلم عن القعنبي عن حماد بن سلمة به ، ورواه الامام أحمد عن هشيم بن يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله (ص) كسرت ربايعته وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم » فأنزل الله تعالى [ليس لك من الأمر شيء] وقال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبي حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي (ص) ، فقال : أما والله اني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله (ص) ، ومن كان يسكب الماء وبما دووي ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) ، تغسله وعلى يسكب الماء بالجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت ربايعته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا ابن المبارك عن اسحاق عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه وأراه قال حمية ، قال فقات كن طلحة حيث فاتني ، فقلت يكون رجلا من قومي أحب الي ، وبينى وبين المشركين رجل

لأعرفه وأما أقرب إلى رسول الله (ص) منه وهو يخطف المشي خطفًا لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فأنهينا إلى رسول الله (ص) وقد كسرت ربا عيته وشج في وجهه وقد دخل في وجنته حاتقان من حلق المغفر، قال رسول الله (ص) «عليكما صاحبكما» يريد طلحة وقد نزع فلم نلتفت إلى قوله قال: وذهبت لأنزع ذلك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحق لما تركتني، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله (ص) فآزم عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحاققة وذهبت لاصنع ما صنع فقال أقسمت عليك بحق لما تركتني، قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحاققة فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هتما فأصلحنا من شأن رسول الله (ص) ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه، وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ورسول الله (ص) وسطها كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول: دلوني على محمد لا نجوت أن نجا، ورسول الله (ص) إلى جنبه ما معه أحد فجاوره، فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية، فقال والله ما رأيته، أحلف بالله أنه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إليه. قال الواقدي: ثبت عندي أن الذي رمى في وجنتي رسول الله (ص) بن قنعة، والذي رمى في شفته وأصاب ربا عيته عتبة بن أبي وقاص، وقد تقدم عن ابن اسحاق نحو هذا وإن الرباعية التي كسرت له عليه السلام هي اليمنى السفلى. قال ابن اسحاق: وحدثني صالح بن كيسان عن حماد بن سعد بن أبي وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه، ولقد كفأني فيه قول رسول الله (ص) «اشتد غضب الله على من دمي وجه رسوله». وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عثمان الحرري عن مقسم أن رسول الله (ص) دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر ربا عيته ودمي وجهه فقال «اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار. وقال أبو سليمان الجوزجاني حدثنا محمد بن الحسن حدثني إبراهيم بن محمد حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب عن أبيه عن أبي أمية بن سهل بن حنيف أن رسول الله (ص) داوى وجهه يوم أحد بعظم بال، هذا حديث غريب رأيت في أثناء كتاب المغازي للأُموي في وقعة أحد، ولما نال عبد الله بن قنعة من رسول الله (ص) ما نال رجع وهو يقول: قتلت محمداً. وصرخ الشيطان أرب العقبة يومئذ بأبعد صوت: ألا إن محمداً قد قتل! فحصل بهتة عظيمة في المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصبوا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على

مامات عليه رسول الله (س)، منهم أنس بن النضر وغيره من سيأتي ذكره، وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين] * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته من غيرها، وسنجزي الشاكرين * وكأى من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قلوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم السافرين * فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين * يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير النصافرين * سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وماؤاهم النار وبئس مثوى الظالمين [. وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير والله الحمد . وقد خطب الصديق رضي الله عنه في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله (س)، فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم] الآية . قال : فكان الناس لم يسموا قبيل ذلك ، فقام من الناس أحد ألا يتلوها . وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال : مر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الانصار وهو يتشخط في دمه . فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل . فقال الانصاري : ان كان محمداً (س) قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم . فنزل [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] الآية . ولعل هذا الانصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه وهو عم أنس بن مالك . قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال غبت عن أول قتال قاتله النبي (س) ، للمشركين ، لأن الله أشهدني قتالا للمشركين ليرين ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم اني أعترد عليك عما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ اليك عما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقية سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أصنع يا صنع ، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت [فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر] . ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن اسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي : حسن ، قالت : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه . وقال أحمد حدثنا بهز وحدثنا هاشم قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال

أنس : عمي (قال هاشم : أنس بن النضر) سميت به ولم يشهد مع رسول الله (ص) يوم بدر . قال فشق عليه وقال : أذل مشهد شهده رسول الله (ص) غبت عنه ، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله (ص) ليرين الله ما أضع . قال فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله (ص) يوم أحد ، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ وأهلاً لريح الجنة أجده دون أحد . قال فقاتلهم حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . قال فقالت أخته عمتي الزبيبة بنت النضر : فما عرفت أخى إلا بيناته . ونزلت هذه الآية [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً] قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد . ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائي وأبو داود وحماد بن سلمة أنهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذي حسن صحيح . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان أبي بن خلف أخو بني جحج قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله (ص) . فلما بلغت رسول الله (ص) حلفته قال : بل أنا أقتله إن شاء الله . فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقتعاً وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد . فحمل على رسول الله (ص) يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله (ص) بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله (ص) ترقة أبي بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة فطعمه فيها بالحرية فوق إلى الأرض عن فرسه ولم يخرج من طمته دم ، فأتاه أصحابه فاحتلوه وهو يخور خوار الثور فقبأوا له : ما أجزعك ؟ إنما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله (ص) : أنا أقتل أياً ، ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذى الجواز لما أتوا أجمعون فأت إلى النار فسحقاً لأصحاب السعير . وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب نحوه . وقال ابن اسحاق لما أسند رسول الله (ص) في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لا نجوت أن نجوت . فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله (ص) : دعوه ! فلما دنا منه تنازل رسول الله (ص) ، الحرب من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم كما ذكر لي فلما أخذها رسول الله (ص) انتفض انتفاضة تطاير ناعته تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله (ص) فطعمه في عنقه طعنة تداد منها عن فرسه مراراً . ذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه نحوه ذلك . قال الواقدي وكان ابن عمر يقول : مات أبي بن خلف بطن رابع ، قاتل لاسير بطن رابع بعد هوى من الليل إذا أنا بنار تأججت فبهتها وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيج المعش فاذا رجل يقول : لائسقه ، فانه قتل رسول الله (ص) ، هذا أبي بن خلف . وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن

أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله »
ورواه البخاري من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « اشتد
غضب الله على من قتله رسول الله بيده في سبيل الله » وقال البخاري وقال أبو الوليد عن شعبة
عن ابن المنكدر سمعت جابرًا قال : لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشفت الثوب عن وجهه ، فجعل
أصحاب النبي (ص) ، ينهونني والنبي (ص) لم ينه ، وقال النبي (ص) ، لا تبكيه أو ما تبكيه مازالت
الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع . هكذا ذكر هذا الحديث هنا معلقاً وقد أسنده في الجنايز
عن بندار عن غندر عن شعبة . ورواه مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به وقال البخاري حدثنا
عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن
ابن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة إن غطي
رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال وقتل حمزة هو خير مني ثم بسط لنا من
الدنيا ما بسط (أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا) وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجبت لنا .
ثم جعل يبكي حتى برد الطعام . انفرد به البخاري وقال البخاري حدثنا أحمد بن يونس حدثنا
زهير حدثنا الأعمش عن شقيق عن نخباب بن الأرت قال : هاجرنا مع النبي (ص) ، فبقي وجه الله
فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً كان منهم مصعب بن عمير
قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطي بها رجلاه
خرج رأسه فقال لنا النبي (ص) ، غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الأذخر . ومنا من أئتمت له
ثمرته فهو يهديها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به . وقال البخاري
حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كان
يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه : أي عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم
فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أي عباد الله أبي أبي . قال قالت فوالله
ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله مازال في حذيفة بقية خير
حتى أتى الله عز وجل . قالت كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا في الآطام مع النساء
لكبرهما وضمهما فقلنا انه لم يبق من آجالنا إلا ظم حمار فنزلا ليحضرنا الحرب فجاء طريقهما
ناحية المشركين فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ . وتصديق حذيفة بدية
أبيه على المسلمين ولم يمايب أحداً منهم لظهور العذر في ذلك

فَضْرِبُوا نَارَ قُضْرٍ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَصِيبُ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى وَجْهِهِ
فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) ، بِيَدِهِ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْلِيهِ وَأَحَدَهُمَا . وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله (ص)، مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدها وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى. وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال: أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتى فأتيتهما رسول الله (ص)، فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فمادتا تبرقان. والمشهور الأول أنه أصيبت عينه الواحدة. ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت؟ فقال له مرثجلا: .

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فمادت كما كانت لأول أمرها فيا حشنها عينا ويا حشنا ما خد
فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

تلك المكارم لأعيان من لبن شيئا بماء فعادة بعد أبو الاله
ثم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه

قصته قال ابن هشام: وقامت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد ابن أبي زيد الانصاري أن أم سبه بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها ياخاله أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار أنظر ما ي صنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فأنهيت إلى رسول الله (ص)، وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انخرت إلى رسول الله (ص)، فقامت أباشر القتال وأذب عذء بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى. قالت فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت لها من أصابك بهذا قالت ابن قتيبة أقرأه الله، لما ولى الناس عن رسول الله (ص)، أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوت أن نجما فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله (ص)، فضر بنى هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان. قال ابن اسحاق وترس أبو دجانة دون رسول الله (ص)، بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل. قال ابن اسحاق وحدثني غاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (ص)، رمى عن قوسه حتى اندقت سيبتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده. قال ابن اسحاق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدى بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والانصار وقد أتوا بأيديهم فقال فما يجلسكم قالوا قتل رسول الله (ص)، قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (ص)،. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمى أنس بن مالك. فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه

الاأخته . عرفته بينائه . قال ابن هشام : وحديثي بعض أهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف أصيب
فوه يومئذ فتم وجرح عشرين بجراحة او أكثر أصابه بعضها في رجله فخرج
فَضَرَّ النَّاسَ قال ابن اسحاق : وكان أول من عرف رسول الله (ص) بعد الهزيمة وقول الناس
قتل رسول الله (ص) كما ذكرني الزهري . كعب بن مالك قال : رأيت عينية تزهان من تحت
المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله (ص) . فأشار رسول الله (ص)
أن انصت . قال ابن اسحاق فلما عرف المسلمون رسول الله (ص) نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب
معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام
والجاث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما أسند رسول الله (ص) في الشعب أدركه أبي بن خلف
(فذكر قتله عليه السلام أبيًا كما تقدم) قال ابن اسحاق : وكان أبي بن خلف كما حدثني صالح بن
ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله (ص) بمكة فيقول : يا محمد ان عندي العود - فرسًا -
أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه . فيقول رسول الله (ص) : بل أنا أقتلك ان شاء الله . فلما
رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلني والله محمد . فقالوا له
ذهب والله فزادك ، والله ان بك بأس . قال انه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو يسق علي
لقتلني . فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة . قال ابن اسحاق فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورت الضلالة غن أنيه أبي يوم بارزه الرسول
أتيت اليه نحل رم عظم وتوعده وانت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم أمية اذ يغوث يا عقيل
وتبأ بنا ربيعة اذ أطاعا أبا جهل لا تمها الهول
وأفلت حارث لما شغلنا بأشر القوم أسرتهم قليل

وقال حسان بن ثابت أيضًا :

ألا من مبلغ عني أيتًا فقد أقيت في سحق السعير
نمتي بالضلالة من بعيد وتوسم إن قدرت مع النور
تمنيك الاماني من بعيد وقول الكفر يرجع في ضرور
فقد لاقتك طمة ذي حفاظ كريم البيت ليس بندي فجور
له فضل على الأحياء طارًا اذا ثابت ملأت الأمور

قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله (ص) الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى لا
درفته مائة من المهراس فجاء بها الى رسول الله (ص) . ليشرب منه فوجد له ريحًا فغافه ولم يشرب منه وغسل

عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول «اشتد غضب الله على من دعى وجه نبيه» وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية . قال ابن اسحاق : فبينما رسول الله (ص) في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من قریش الجبل قال ابن هشام فيهم خالد بن الوليد قال ابن اسحاق قتال رسول الله (ص) اللهم انه لا ينبغي لم أن يملونا : فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ونهض النبي (ص) الى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان يذعن رسول الله (ص) بظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله (ص) يقول يومئذ «أوجب طلحة» حين صنع برسول الله (ص) يومئذ ما صنع . قال ابن هشام وذكر عمر مولى عفرة أن رسول الله (ص) صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أرنى لا يدري من هو يقال له قزمان فكان رسول الله (ص) يقول اذا ذكر «انه لمن أهل النار» قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر . قال بماذا أبشروا الله ان قاتلت الا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت . قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كذاته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي ان شاء الله . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن المسيب عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله (ص) خيبر فقتل لرجل ممن يدعى الاسلام «هذا من أهل النار» فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً فأصابته جراحة فقتل يا رسول الله ارجل اتى قلت انه من أهل النار قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات فقال النبي (ص) «الى النار» فكاد بعض القوم يرتاب فينا هم على ذلك اذ قيل فانه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي (ص) بذلك فقال الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالا فنادى في الناس «انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» . وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به قال ابن اسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الغيطون فلما كان يوم أحد قال يا مشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لمحق . قالوا ان اليوم يوم السبت . قال لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فالى محمد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا الى رسول الله (ص) فقاتل معه حتى قتل . فقال رسول الله (ص) فيما بلغنا «مخيريق خير يهود» قال السهيلي فجعل

رسول الله (ص)، أهوال مخيريق - وكانت سبع حواط - أوقافاً بالمدينة لله قال محمد بن كعب القرظي
 وكانت أول وقف بالمدينة . وقال ابن اسحاق وحدثني الحسين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن
 معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول حدثوني عن رجل دخل
 الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول اصيرم بنى عبد الاشهل عمرو بن ثابت
 ابن وقش قال الحسين فقلت لمحمد بن أسد كيف كان شأن الاصيرم ؟ قال كان يأبى الاسلام على
 قومه فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل في عرض الناس فقال حتى
 أميته الجراحة قال فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يشمسون قتلام في المعركة اذا هم به فقالوا والله
 ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه فقالوا | ما جاء بك يا عمرو |
 أحذب على قونك أم رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم
 أخذت سيني وغدت مع رسول الله (ص)، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني . فلم يلبث أن مات في
 أيديهم فذكروه لرسول الله (ص)، فقال « انه من أهل الجنة » . قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن
 أشياخ من بنى سلة قالوا كان عمرو بن الجوح رجلاً أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة
 مثل الأسد يشهدون مع رسول الله (ص)، المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا ان
 الله قد عذرك فأتى رسول الله (ص)، وقال ان بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج
 معك فيه فوالله اني لأرجو أن أماً إمرجى هذه العنة فقال رسول الله (ص)، « اما أنت فقد عذرك
 الله فلا جوء عليك » وقال لبيده « ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة » ففرج معه
 فقتل يوم أحد رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثني صالح بن
 كيسان - والنسوة اللاتي معها يمان باقتلى من أصحاب رسول الله (ص)، يمدن الآذان ولا نوف
 حتى أخذت هند من آذان الرجل وأتوهم خدماً وقلائد وأعطت خدماً وقلائد وقرطها
 وحشياً . وبقرت عن كبد حمزة فلا كتبها فلم تستطع أن تسيغها فلنظفها . وذكر موسى ابن
 عتبة ان الذي بقر عن كبد حمزة وحشى فحملها الى هند فلا كتبها فلم تستطع أن تسيغها فآله أعلم .
 قال ابن اسحاق ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها قتالت :

نحو . جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سحر
 ما كان لي عن عتبة من صبر ولا أخي وعمري وبكر
 شفيت نفسي وقصيت نذري شفيت وحشي غليل صدري
 فشكر وحشي علي عمري حتى ترم أعظمي في قبري

قال فأجابتها هند بملت أمانة بن عباد بن المطلب قتالت :

خَزَيْتَ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَابَدْتَ وَقَاعَ عَظِيمِ الْكَفْرِ
 صَبَحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مِنَ الْمَاشِئِينَ الطَّوَالَ الزُّهْرِ
 بَكَلَ قَطَاعَ حُصَامٍ يَفْرِي حِمَزَةُ لَيْلِي وَعَلِيَّ صَقْرِي
 أَذْرَامَ شَيْبٍ وَأَبُوكَ غَدْرِي نَحْضَبًا مِنْهُ ضَوَاجِي النَّحْرِ
 وَنَذْرَكَ السَّوَاءَ فَشَرُّ نَذْرٍ

قال ابن اسحاق وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد
 الاحابيش - مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب يزوج الرمح ويقول :
 ذق عقق . فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بآبى عمه ما ترون لحما . فقال : ويحك
 اكتمها عني فانها كنت زلة . قال ابن اسحاق : ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف
 أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت ، ان الحارب سجال ، يوم بيوم بدر ، أعل هبل
 (أى ظهرك) . فقال رسول الله (ص) لعمر « قم يا عمر فأجبا فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ،
 قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار » فقال له أبو سفيان : هلم الى يا عمر . فقال رسول الله (ص)
 لعمر : ائت فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر :
 اللهم لا والله اسمع كلامك الآن . قال أنت عندى أصدق من ابن قثمة وأبر . قال ابن اسحاق :
 ثم نادى أبو سفيان : انه قد كلن في قتلاكم مثل ، والله ما رذيت وما سخطت ، وما نهيت ولا
 أمرت . قال : ولما أنصرف أبو سفيان نادى : ان موعدهم بدر العام المقبل . فقال رسول الله
 (ص) لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينك موعد . قال ابن اسحاق ثم بعث رسول الله
 (ص) على بن أبي طالب فقال : أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان كانوا قد
 جنبوا الخيل وامتطوا الابل فاتهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون
 المدينة . والذي نفسي بيده ان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لانا جزئهم . قال علي : فخرجت في
 أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة

وعاء النبي صلى الله عليه وسلم

قال الامام احمد حدثنا مروان بن معاوية الفراري حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن
 ابن رفاعة الزرقى عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله (ص)
 « استووا حتى أثنى على ربي عز وجل » فصاروا خلفه ونفوا فقال « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض
 لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضلي لمن هديت ولا معطي لما منمت

ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك
ورحمتك وفضلك ورزقك . اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول . اللهم انى
أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم انى عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر
ما منعتنا . اللهم حبب اليكنا الايمان وزينه فى قلوبنا ، وكرة اليكنا الكفر والفسق والمصيان
واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا
مقننين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم
رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائي فى اليوم
والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن
رفاعه عن أبيه به

فَضْلُ اللَّهِ . قال ابن اسحاق وقرغ الناس لتلاهم فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن أبي صعصعة المازنى أخو بنى النجار أن رسول الله (ص) قال : من رجل ينظر لى ما فعل سعد
ابن الربيع أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً فى
القتلى وبه رمق ، قال فقال له : ان رسول الله (ص) أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات
فقال : أنا فى الأموات فأبلغ رسول الله (ص) سلامى وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك
الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول
لكم : انه لا عذر لكم عند الله ان تخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف . قال ثم لم أبرح حتى
مات ونجث النبي (ص) ، فأخبرته خبره

قلت : كان الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي
وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه فلما قال ان رسول الله (ص) أمرنى أن أنظر خبرك أجابه بصوت ضعيف
وذكره . وقال الشيخ أبو عمر فى الاستيعاب كان الرجل الذى التمس سعداً أبى كعب فأنه أعلم .
وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضى الله عنه وهو الذى آخى رسول الله (ص) بينه وبين
عبد الرحمن بن عوف . قال ابن اسحاق : وخرج رسول الله (ص) فيها بلغنى يلتمس حمزة بن
عبد المطلب فوجده بيطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجذع أنفه وأذناه ، فحدثني محمد
ابن جعفر بن الزبير أن رسول الله (ص) قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية وتكون
سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى
موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » فلما رأى المسلمون حزن رسول الله (ص) هو غيظاً على

من فعل بعنه ماضل ، قالوا : والله لئن أظفرننا الله بهم يوما من الدهر لتمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب . قال ابن اسحاق فحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب ، وحدثني من لا أنهم عن ابن عباس أن الله أنزل في ذلك [] وإن عاقبتهم فاقبوا بمثل ما عوقبتهم به وإن صبرتم ذو خير للصابرين [] الآية . قال : فعفا رسول الله صبر ونهى عن المثلة . قلت : هذه الآية مكية وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلثم هذا والله أعلم . قال وحدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة قال : ما قام رسول الله ص في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة . وقال ابن هشام : ولما وقف النبي ص على حمزة قال « لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ الى من هذا » ثم قال « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسدرسوله » قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخور رسول الله ص . من الرضاة أَرْضعتهم ثلاثهم ثوية مولاة أبي لب

الصدقة على حمزه وقبلى الأحمر

وقال ابن اسحاق وحدثني من لا أنهم عن مقسم عن ابن عباس قال : « أمر رسول الله ص بحمزة فسجى بردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثلاثين وسبعين صلاة » وهذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلي : ولم يقل به أحد من علماء الأئصار . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو خلفت يومئذ رجوت أن أبرأ أن ليس أحدهما يريد الدنيا حتى أنزل الله [منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم] فلما خلف أصحاب رسول الله ص ، وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله ص ، في تسعة - سبعة من الانصار واثنين من قريش وهو عاشرهم - فلما رهنقه قال : رحم الله رجلا ردهم عنا ... فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله ص ، لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا ، فجاء أبو سفيان فقال : أعل هبل ! فقال رسول الله ص ، : قولوا الله أعلى وأجل ، فقالوا الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ص ، : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، يوم لنا ويوم علينا ، ويوم نساء ويوم نُسْر ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله ص ، : لا سواء ، أما قتلتنا فأحياء برزقون وقتلناكم في النار يعذبون . قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مثلة وإن كانت لمن غير ملا منا ، ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ،

ولا ساءنى ولا سرنى ، قال فنظروا فاذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلا كتبها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله (ص) : أأكلت شيئا ؟ قالوا لا ، قال ما كان الله ليبدخل شيئا من حمزة في النار ، قال فوضع رسول الله (ص) حمزة فصلى عليه وجىء برجل من الانصار فوضع الى جنبه فصلى عليه فرفع الانصارى وترك حمزة وجىء بآخر فوضعه الى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة « تفرد به أحمد وهذا اسناد فيه ضعف أيضا من جهة عطاء بن السائب فأنه أعلم . والذي رواه البخارى أثبت حيث قال : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله (ص) كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ إذا أشير الى أحدهما قدمه في اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنتهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا ففرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به وقال أحمد حدثنا محمد يعنى ابن جعفر حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهرى عن ابن جابر عن جابر ابن عبد الله عن النبي (ص) أنه قال فى قتلى أحد : فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة ولم يصل عليهم وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته ببسيرة كما قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا زكريا بن عدى أخبرنا المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى انانير عن عتبة بن عامر قال : صلى رسول الله (ص) على قتلى أحد بعد ثمانين سنة كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : انى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وانى وعندكم الجحش وانى لا أنظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا بلسكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكان آخر نظرة نظرتها الى رسول الله (ص) . ورواه البخارى فى واضح آخر ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث يزيد بن أبى حبيب به نحوه . وقال الأقرى حدثنى أبى حدثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبى ثابت قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر يخرج رسول الله (ص) الى أحد نستطلع انانير حتى اذا طلع الفجر اذا رجل محتجج يشهد ويقول :

لبت قليلا يشهد الميعا حمل

قال : فنظرنا فاذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك فاذا بعير قد أقبل ، عليه امرأة بين وستين قالت فدنونا منها فاذا هى امرأة عجمية بن الجحش قتلنا لما ما الخبر قالت دفع الله عن رسول الله (ص) واتخذ من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، قتلنا لما : ما هذا ؟ قالت : أننى وزوجى . وقال ابن اسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وكان

أخاها لأبيها وأما فقال رسول الله (ص)، لا ينه الزبير بن العوام : القها فارجمها لا ترى ما بأخيها
 قال لها : يا أمه ان رسول الله (ص)، يأمرك أن ترجعي . قالت ولم وقد بلغني انه مثل بأخي
 وذلك في الله فما أرضانا ما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله . فلما جاء الزبير الى رسول
 الله (ص)، وأخبره بذلك قال خل سبيلها ، فأتته فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت .
 قال ابن اسحاق : ثم أمر به رسول الله (ص)، فدفن ودفن معه ابن اخته عبد الله بن جحش وأمه
 أمية بنت عبد المطلب وكان قد مثل به غير انه لم ينقر عن كبده رضى الله عنهما . قال السهيلي :
 وكان يقال له المجدع في الله قال وذكر سعد انه هو وعبد الله بن جحش دُعيا بدعوة فاستجيبت لهما
 فلما سعد أن يلتقى فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه
 فارس فيقتله ويجمع أنفه في الله فكان ذلك وذكر الزبير بن بكار ان سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول
 الله (ص)، عرجوناً فصار في يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار
 وهذا كما تقدم لمكاشة في يوم بدر . وقد تقدم في صحيح البخارى أيضاً ان رسول الله (ص)، كان يجمع
 بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد بل في الكفن الواحد وانما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من
 الجراح التي يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد ويقدم في اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن وكان يجمع
 بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وبين عمرو بن
 الجموح لأنها كانا متصاحبين ولم يغسلوا بل تركهم بمجراحيهم ودمائهم كما روى ابن اسحاق عن الزهري
 عن عبد الله بن ثعلبة بن صعب أن رسول الله (ص)، لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : أنا شهيد
 على هؤلاء انه ما من جريح يجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم
 والريح ريح مسك . قال وحدثني عمي موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم (ص)،
 ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك
 وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم عن
 عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أمر رسول الله (ص)، يوم أحد بالشهداء
 أن يترع عنهم الحديد والجلود وقل ادفنهم بدمائهم وثيابهم . رواه أبو داود وابن ماجه من
 حديث علي بن عاصم به . وقال الامام أبو داود في سننه : حدثنا القعنبي أن سليمان بن المغيرة حدثهم
 عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر أنه قال : جاءت الانصار الى رسول الله (ص)، يوم أحد
 فقالوا قد أصابنا قرح وجه فكيف تأمر فقال : احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في
 القبر الواحد . قيل : يا رسول الله فأيهم يقدم ؟ قال : أكثرهم قرأنا . ثم رواه من حديث الثوري
 عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر قد كره وزاد واعقوا . قال ابن اسحاق : وقد

احتل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينة فدفنهم بها ثم نهى رسول الله (ص) عن ذلك وقال :
 ادفنهم حيث صرعو . وقد قال الامام احمد حدثنا علي بن اسحاق حدثنا عبد الله وعتب حدثنا
 عبد الله حدثنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المديني حدثني أبي سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد
 أبي بأحد فارسني اخواني اليه بناضح لمن قتلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجبل فادفنه في
 مقبرة بني سلمة . فقال فجثته وأعوان لي فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد فدعاني فقال : والذي
 نفسي بيده لا يدفن إلا مع اخوته فدفن مع أصحابه بأحد . تفرد به احمد . وقال الامام احمد حدثنا
 محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الاسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله أن قتلى أحد حملوا
 من مكائهم فنادى منادى النبي (ص) : أن ردوا القتلى الى مضاجعهم . وقد رواه أبو داود والنسائي
 من حديث الثوري والترمذي من حديث شعبة والنسائي أيضا وابن ماجه من حديث سفيان بن
 عيينه كلهم عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله
 (ص) من المدينة الى المشركين يقاتلهم وقال لي أبي عبد الله يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري
 أهل المدينة حتى تعلم الى ما يصير أمرنا فاني والله لولا أني أترك بنات لي بعدى لاحتبت أن تقتل بين
 يدي . قال : فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عتي بابي وخالى عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة
 لتدفنهما في مقابرنا إذ لحق رجل ينادي : ألا ان النبي (ص) . يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في
 مضارعها حيث قتلت فرجمنابهما فدفعناهما حيث قتلا فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني
 رجل فقال يا جابر بن عبد الله والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا نخرج طائفة منه . فأتيته فوجدته على
 النحر الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتل ، ثم ساق الامام قصة وفاته دين أبيه كما هو ثابت
 في الصحيحين . وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر بن عبد
 الله قال : لما أجرى معاوية العيين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استمر خنهم اليهم فأتيناهم
 فأخرجناهم فأصابنا المسحة قدم حمزة فانبعث دما . وفي رواية ابن اسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم
 كأنما دفنوا بالأسس . وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجرى العيين نادى مناديه من كان له
 قتيل بأحد فليشهد ، قال جابر فخرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو قائم على هيئته ووجدنا
 جاره في قبره عمرو بن الجوح ويده على جرحه فازيلت عنه فانبعث جرحه دما ، ويقال انه فاح
 من قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .
 وقد قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المسلم عن عطاء عن جابر
 قال : لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي ما أراي إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب
 النبي (ص) وأنى لا أترك بعدى أعز علي منك غير نفس رسول الله (ص) ، وأن على ديننا فاقض

واستوص باخوانك خيراً، فأصبحنا وكان أول قتيل فدُفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه. وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن الثوب ويبكى قنهاء الناس فقال رسول الله تبيكه أو لا تبيكه، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه. وفي رواية أن عمته هي الباكية. وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق حدثنا فيض بن وثيق البصري حدثنا أبو عبادَةَ الانصارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا جابر ألا أبشرك؟ قال بلى بشرك الله بأنير، فقال: أشعرت أن الله أحيا أباك فقال تمن على عبدى ما شئت أعطكه. قال يارب عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى الى الدنيا فأقتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى، قال: إنه سلف منى أنه إليها لا يرجع». وقال البيهقي حدثنا أبو الحسن محمد ابن أبى المعروف الاسفرائينى حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا على بن المدينى حدثنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصارى قال: سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الانصارى ثم السلمى قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «مالى أراك معتماً؟ قال: قلت يا رسول الله قتل أبى وترك ديناً وعتيلاً، فقال: ألا أخبرك ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً وقال له يا عبدى سلمنى أعطك. فقال: أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال: إنه قد سبق منى القول: أنهم إليها لا يرجعون. قال يارب: فأبلغ من ورأى. فأنزل الله [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون] الآية. وقال ابن اسحاق: وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت جابراً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أبشرك يا جابر؟ قلت بلى، قال: إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال له: ما تحب يا عبد الله ما تحب أن أفعل بك؟ قال: أى رب أحب أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك فأقتل مرة أخرى». وقد رواه أحمد عن على بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن محمد بن على بن ربيعة السلمى عن ابن عقيل عن جابر، وزاد: فقال الله إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون. وقال أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن عبد الله عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر أصحاب أحد «أما والله لو ددت أنى غودرت مع أصحابه بمحضن الجبل» يعنى سنفع الجبل، تفرد به أحمد. وقد روى البيهقي من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير عن أبى هريرة

أن رسول الله (ص) حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه فدعاه ثم قرأ [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه] الآية قال «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه» وهذا حديث غريب، وروى عن عبيد بن عمير رسالة. وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان النبي (ص) يأتي قبور الشهداء فإذا أتى فرضة الشعب قال «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر بعد النبي (ص) يفعل ما كان عمر بعد أبي بكر يفعل وكان عثمان بعد عمر يفعل. قال الواقدي: كان النبي (ص) يزورهم كل حول فإذا بلغ نقرة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان، وكانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تأتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول: ألا تسلمون على قوم يردون عليكم. ثم حكى زيارتهم عن أبي سعيد وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضي الله عنهم. وقال ابن أبي الدنيا حدثني إبراهيم حدثني الحكم بن نافع حدثنا العطار بن خالد حدثني خالتي قالت: ركبت يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لا تزال تأتيهم - فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلي وما في الوادي داع ولا مجيب إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي «السلام عليكم» قالت فسمعت رد السلام على يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة مني. وقال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال النبي (ص) «لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكوا عن الحرب ولا يزهّدوا في الجهاد. فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون]». وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فقال: أما إننا قد سألنا عن ذلك رسول الله (ص) فقال «أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، قال فبينما هم كذلك إذ أطلع عليهم ربك، اطلاعة، فقال: اسألوني ما شئتم. فقالوا ياربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا،

ف فعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا **قضية** في عدد الشهداء . قال موسى بن عقبة جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والانصار تسعة وأربعون رجلا وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلا ف الله أعلم . وقال قتادة عن أنس قتل من الانصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس انه كان يقول قارب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة يوم اليمامة . وقال مالك عن يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قتل من الانصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبي عبيد سبعون وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن اسحاق في قتلى أحد ويشهد له قوله تعالى [أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا] يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وعن ابن اسحاق قتل من الانصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون أربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان والباقون من الانصار وسرد أسماءهم على قبائلهم وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام وسرد ابن اسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا . وعن عروة كان الشهداء يوم أحد أربعة أوقال سبعة وأربعين وقال موسى بن عقبة تسعة وأربعون و قتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة تسعة عشر وقال ابن اسحاق اثنان وعشرون وقال الربيع عن الشافعى ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزة الجمحي وقد كان فى الاسارى يوم بدر فمن عليه رسول الله (س) ، بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله فلما أسر يوم أحد قال يا محمد امنن على لبنائى وأعاهد أن لا أقاتلك فقال له رسول الله (س) ، لا أدعك تمشح عارضيك يمكة وتقول خدعت محمداً مرتين ثم أمر به فضربت عنقه . وذ كر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله (س) ، « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »

قضية قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله (س) ، الى المدينة فلقيته حنة بنت جحش كما ذكر لى فلما لقيت الناس نعى اليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولوت فقال رسول الله (س) ، « لا أن زوج المرأة منها لمكان » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها . وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا اسحاق بن محمد الفروى حدثنا عبد الله بن عمر عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه عن حنة بنت جحش انه

قيل لها : قتل أخوك . فقالت : رحمه الله وأنا لله وأنا إليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزنناه . فقال رسول الله (ص) : « ان للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء » قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن اسماعيل عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : مر رسول الله (ص) بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله (ص) بأحد فلما نعوها لها قالت : ما فعل رسول الله (ص) ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أروني حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبه بعديك جليل . قال ابن هشام : الجليل يكون من القليل والكثير وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَقَتْلُ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ خِلَافُ جَلَلِ

أي صغير وقليل . قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله (ص) إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنية » فوالله لقد صدقني في هذا اليوم « وناولها على بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله (ص) : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة » وقال موسى بن عقبة في موضع آخر : ولما رأى رسول الله (ص) سيف علي مخضباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال لقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأثلج والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » وروى البيهقي عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هاك السيف حميداً فانها قد شفتني ، فقال رسول الله (ص) : « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث ابن الصمة » قال ابن هشام : وسيف رسول الله (ص) هذا هو ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد لاسيف الا ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله (ص) قال لملي : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » قال ابن اسحاق : ومر رسول الله (ص) بدار بني عبد الاشهل فسمع البكاء والنواح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله (ص) ثم قال : « لكن حمزة لا يواكي له » فلما رجع سعد بن معاذ وأمسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الاشهل أمرا نساءهن أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله (ص) . فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن بعض رجال بني عبد الاشهل قال : لما سمع رسول الله (ص) بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن يرحمكم الله » فقد آسيتن بأنفسكن » قال : ونهى رسول الله (ص) يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام ، وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل وقد أسنده الامام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحباب حدثني أسلمة بن

زيد حدثني نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ لما رجع من أحد فجعل نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله ﷺ : « ولكن حمزة لا بواكي له » قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فهن اليوم اذا يبكين يندبن حمزة » وهذا على شرط مسلم . وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مرّ بنساء بني عبد الاشهل يبكين هلكت يوم أحد فقال رسول الله ﷺ : « لكن حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الانصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله ﷺ ، فقال : « ويحون ما اتقلبن بعد ، وورهن فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله ﷺ أزقة المدينة اذا النوح والبكاء في الدور قال : « ما هذا » قالوا : هذا نساء الانصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة فمشوا الى دورهم فجمعوا كل نائحة بأكية كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الانصار حتى تبكين عم النبي ﷺ ، فانه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا ان اندي جاء بالنوايح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله ﷺ قال : « ما هذا » فأخبر بما فعلت الانصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ما هذا أردت ، بما أحب البكاء » ونهى عنه . وهكذا ذكر ابن لميعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير سواء . قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ ، وتحرزين المسلمين وظهور غش اليهود وفات المدينة بالنفاق فور المرجل وقالت اليهود : لو كان نبيا ما ظهر راعليه ولا أصيب اسمه ، ما أصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين : لو كنتم أممنا ما أصابكم الذين أصابوا ، منكم فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتمزيه المسلمين يعني فبمن قتل منهم فقال : « واذا غدوت من أهلك تبوي المؤمنين مقاعد ، لا قتال والله سميع عليم » الآيات كلها كما تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة

خروج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه

على ما بهم من الفرح والجراح في اثر أبي سليمان

قال موسى بن عقبة بعد انتصافه وقعة أحد وذكره رجوعه عليه السلام الى المدينة : وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال : نزلتهم فسمعتهم يتلاون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئا أصبتم شوكه القوم وحدهم ثم تركشوم ولم

تبثروهم فقد بقي منهم رموس يجمعون لكم ، فأمر رسول الله (ص) - وبهم أشد القرح - بطلب
العدو ليسمعوا بذلك وقال : لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال . فقال عبد الله بن أبي : أنا راكب
معدك . فقال لا ، فاستجابوا لله ورسوله على الذي بهم من البلاء فانطلقوا . فقال الله في كتابه :
[الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم]
قال وأذن رسول الله (ص) لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته ، قال وطلب
رسول الله (ص) العدو حتى بلغ حمراء الأسد . وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة
ابن الزبير سواء . وقال محمد بن اسحاق في مغازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال
فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله (ص) في
الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه ألا يخرجن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلما جابر بن
عبد الله فأذن له . قال ابن اسحاق : وإنما خرج رسول الله (ص) مرهباً للعدو ليلتهم أنه خرج
في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . قال ابن اسحاق رحمه الله :
فحدثني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من
بنو عبد الأشهل قال : شهدت أحداً وأنا وأخ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله (ص)
بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله (ص) ؟ والله ما لنا من
دابة تركبها وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله (ص) ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان
إذا غلب حملته عقبه ومشى عقبه حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون . قال ابن اسحاق : فخرج
رسول الله (ص) حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنين
والثلاثاء والاربعاء ثم رجع إلى المدينة . قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خراعة مسلمهم
وكافرهم عيبة رسول الله (ص) ، بهامة ضقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك من
برسول الله (ص) ، وهو مقيم بجمراء الأسد فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك
ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله (ص) بجمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان
ابن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله (ص) ، وأصحابه وقالوا : أصبنا
حداً أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم . فلما
رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله
قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان يخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم
من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال ويالك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي
الخليل . قال فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لنستأصل شأقتهم ، قال فاني أنهارك عن ذلك ، والله لقد

حلفي ما رأيتُ على أن قلت فيه أياتاً من شعر . قال وما قلت ؟ قال قلت :

كادت تُهدُّ من الأصواتِ راحلتي إذ سالتِ الأرضُ بالجرودِ الأبايل
تُردِّي بأشدِّ كرامٍ لا تنابله عند اللقاء ولا يميل معازيل
فظلَّتْ عدوًّا أظنُّ الأرضَ مائلةً لما سَكَموا برئيسٍ غيرِ مخنول
قلَّتْ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم إذا تغططتِ البطحاءُ بالجيل
إني نذيرٌ لأهلِ البسلِ ضاحيةً لكل ذي أربةٍ منهم ومعقول
من جيشٍ أحمدَ لا وخشَّ قنابله وليس يوصف ما أنذرتُ بالقيـل

قال فتشني ذلك أبا سفيان ومن معه . وصرَّ به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها اليه واحمل لكم ابلكم هذه غداً زبيباً بمكاظ اذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه للاستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله (ص) ، وهو بحراء الأسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكذا قال الحسن البصري . وقد قال البخاري حدثنا أحمد بن يونس أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد (ص) ، حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . تفرد برأيته البخاري وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم] قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب رسول الله (ص) ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من ينهب في ائرم فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير . هكذا رواه البخاري وقد رواه مسلم مختصراً من وجه عن هشام وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحنيدى جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق أبي سعيد عن هشام ابن عروة به ورواه من حديث السدي عن عروة وقال في كل منهما صحيح ولم يخرجاه . كذا قال . وهذا السياق غريب جداً فان المشهور عند أصحاب المغازي ان الذين خرجوا مع رسول الله (ص) الى حراء الاسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقى الباقون . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : ان الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع الى مكة وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون في ذى القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان اصاب المسلمين

القرح واشتكو ذلك الى رسول الله (ص)، واشتد عليهم الذي أصابهم وإن رسول الله (ص)،
فدب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال لنا ترحلون الآن فتأتون الحج ولا
يقدرون على مثلها حتى عام قابل فجاء الشيطان يخوف أوليائه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فاذهب
عليه الناس أن يتبعوه فقال اني ذاهب وإن لم يتبعني أحد فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي
وطليحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلا
فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله [الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم] وهذا غريب أيضاً وقال ابن هشام :
حدثنا أبو عبيدة أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع الى المدينة فقال
لهم صفوان بن أمية لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان
فارجعوا فارجعوا فقال النبي (ص)، وهو يحمره الاسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة « والذي نفسي
بيده لقد سؤمت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » قال : وأخذ رسول الله (ص)،
في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد
الملك بن مروان لا . ثشة بنت معاوية وأبا عزة الجمحي وكان رسول الله (ص)، قد أسره بيد رثم
من عليه فقال يا رسول الله أقتلني ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً
مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فاضرب عنقه . قال ابن هشام : وبلغني عن ابن المسيب أنه قال :
قال رسول الله (ص)، « ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ،
فاضرب عنقه » وذكر ابن هشام أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم
بمد ثلاث فبعث رسول الله (ص)، بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه في مكان
كذا وكذا فاقترلاه ففعلوا رضي الله عنهما . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله (ص)، الى المدينة
كان عبد الله بن أبي كما حدثني الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر له شرفاً في نفسه وفي قومه
وكان فيهم شريفاً اذا جلس رسول الله (ص)، يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ،
هذا رسول الله بين أظفاركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعززوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس
حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون ثيابه من
نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب
الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بجرأ أن قت أشدد أمره . فلقية رجال من الانصار بباب المسجد
فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قت أشدد أمره فوثب الى رجال من أصحابه يجيدونني ويعنفونني لكأنما
قلت بجرأ أن قت أشدد أمره . قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله (ص)، . قال : والله ما أبني

أن يستغفر لي . ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله [واذ غدت من أهلك تبوء المؤمنون مآعداً للقتال والله سميع عليم] قال الى تمام ستين آية . وتكلم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية . ثم شرع ابن اسحاق في ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وثمأس بن عثمان رضي الله عنهم ومن الانصار الى تمام خمسة وستين رجلاً واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام ثم سمي ابن اسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً على قبائلهم أيضاً . قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي كما ذكره الشافعي وغيره وقتله رسول الله (ص) صبراً بين يديه أمر الزبير - ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح - فضرب عنقه

فضيلة النبي

فما تقول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الاشعار

وانما نورد شعر الكفار لئلا ذكر جوابها من شعر الاسلام ليكون أبلغ في وقعها من الاسماع والافهام وأقطع لشبهة الكفرة الطغام . قال الامام محمد بن اسحاق رحمه الله وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب الخزومي وهو على دين قومه من قريش فقال :

ما بال هم عبيد بات يطرقني	بالود من هنت اذ تعدو عواديا
باتت تماذي هنت وتماذي	والحرب قد شملت عني مواليا
مهلاً فلا تماذي ان من خلقي	ما قد علمت وما ان لست أخفيا
مساعت لبني كسبر بما كلفوا	حمل عبيد وأقتال أعانها
وقد حملت سلاحي فوق مشرف	ساطر سبوح اذا يجري يبارها
كأنه اذ جرى غير بندقه	مكدم لالحق بالمون يحسها
من آل أعوج يرتاح الندي له	كجذع شعراء مستمل مراقبها
أعدته ورقاق الحدة منتحلاً	ومارناً نالوب قد ألقاها
هذا وبيضاء مثل النهي بحكمة	لفأت علي فما تبدو مساويها
سقنا كمنانة من أطراف ذي يمن	عرض البلاد على ما كان يزورها
قالت كمنانة أن تذهبوت بنا	قلنا النحيل نأبواها ومن بها

نحن الفوارس يوم الجر من أحد
هاوا ض. إباباً وطناً صادقاً خذماً
نمت رحناً كأننا عارض برّد
كان هائمهم عند الوغى فلق
أو حنظل دعدعته الريح في غصن
قد لبذل المال سخاً لا حساب له
وليلة يصطلي بالفرث جازرها
وليلة من بجادي ذات أنديّة
لا يلبح الكلب فيها غير واحد
أوقدت فيها لذي الضراء جاحّة
أورثني ذلكم عمروً ووالده
كانوا يبارون أنواء النجوم فما

قال ابن اسحاق فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال (قال ابن هشام : وتروى
ابن مالك وغيره . قلت وقول ابن اسحاق أشهر وأكثر والله أعلم) :

سقم كمنالة جبالاً من سفاهتكم
أوردتموها حياض الموت ضاحية
جمشوم أحاييلاً بلا حسب
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت
كم من أسير فكمناء بلا ثمن
قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يهيب هبيرة بن أبي وهب الخزومي أيضاً :
ألا هل آتى غسان غناً وكونهم
مصارى وأعلام كانت قنابها
تظل به البزل المراميس رزحاً
به جيف الحسرى يلوح صليبها
به العين والآرام يمشين خلفه
بجالدنا عن ديلنا كل نعمة
وكل صوت في الضوان كأنها
الى الرسول فخذ الله خزيمها
فالنار موعدها والقتل لاقها
أمة الكفر غرتكم طواغيبها
أهل القلب ومن ألقينه فيها
وجرة ناصية كنا موالها
من الأرض خرّق سيره متنعج
من البعير نفع هامة متقطع
ويخلو به غيث السنين فيمرع
كما لاح كنان التجار الموضع
ويغن نسام قبضه يتفزع
مذربة فيها القوائس تلح
إذا لبست نعي من الماء مترع

ولكن يبدروا سائلوا من لقيم
وانا بأرض الخوف لو كان أهلها
إذا جاء منا ركب كان قوله
فما بهم الناس مما يكيدنا
فلو غيرنا كانت جميعا تكيده
نجد لا تبقى علينا قبيلة
ولما ابتنوا بالعرض قالت سراتنا
وفينا رسول الله نتبع أمره
تدلى عليه الروح من عند ربه
نشاورة فيما نريد وقصرنا
وقال رسول الله لما بدوا لنا
وكونوا كن يشري الحياة تقربا
ولكن خنوا أسياكم وتوكلوا
فسرنا اليهم جرة في رحلم
بلمومة فيها السور والقنا
فجئنا الى موج من البحر وسطه
ثلاثة آلاف ونحن نصية
لغاورهم تجري المنية بيننا
تهادي قسي النبع فينا وفيهم
ومنجوفة حرمية صاعدية
نصوب بأبدان الرجال وتارة
ونخل تراها بالفضاء كأنها
فلما تلاقينا ودارت بنا الرحا
ضربناهم حتى تركنا سرائهم
لن غدوة حتى استفتنا عشي
وراحوا سراغا موجعين كأنهم
ورحنا وأخرانا بطاء كأننا
من الناس والأنباء بالغيب تنفع
سوانا لقد أجلوا بليل فاقشعوا
أعدوا لما يزجي ابن حرب ويجمع
فنحن له من سائر الناس أوسع
البرية قد أعطوا يدا وتوزعوا
من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا
علام إذا لم تمنع العرض نزرع
إذا قال فينا القول لا تنظلم
ينزل من جو السماء ويرفع
إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع
ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
الى ملك يحيا لديه ويرجع
على الله إن الأمر لله أجمع
ضجيتا علينا البيض لا نتخشع
إذا ضربوا أقدامها لا تورع
أحايش منهم حاسر ومقنع
ثلاث مئين إن كثرنا فأربع
نشارعهم حوض المنايا ونشرع
وما هو إلا اليربى المقطع
ينز عليها السم ساعة تصنع
تمر بأعراض البصار تقعع
جراذ صبا في قرّة يترع
وليس لأمر حه الله مدفع
كأنهم بالقاع خشب مصرع
كأن ذكانا حر نار تلمع
جهام هراقت ماءه الريح مقلع
أسود على لحم بيشة ضلع

فنلنا ونال القوم منا وربما
 ودارت رحانا واستدارت رحاهم
 ونحن أناس لا ترى القتل سبة
 جلاد على ريب الحوادث لا ترى
 بنو الحرب لانعيا بشيء نقوله
 بنو الحرب إن نظروا فلسنا بفحش
 وكنا شهاباً يتي الناس حره
 نغرت علي ابن الزبيرى وقد سرى
 فسل عنك في عليا معك وغيرها
 ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً
 شدنا بحول الله والنصر شدة
 تكر القنا فيكم كأن فروعها
 عمدنا الى أهل اللواء ومن يطره
 فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا
 قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن الزبيرى في يوم أحد وهو يومئذ مشرك بعد :
 يا غراب البين أسمعت قل
 إن للخير ولا شر مدى
 والعطيات خيس بينهم
 كل عيش ونعيم زائل
 أبلغنا حسان غني آية
 كم ترى بالجز من جمجمة
 وسرايل حسان سريت
 كم قتلنا من كريم سيد
 صادق النجدة قرم بارع
 فسل المهراس ما ساكنه
 ليت أشياخي يسر شهدوا
 حين حك بقاء بركا
 فعلنا، ولكن ما لدى الله أوسع
 وقد جعلوا كل من الشر يشبع
 على كل من يحيي الذمار وينع
 على هالك عيناً لنا الدهر تسمع
 ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
 ولا نحن من أظفارنا تتوجع
 ويفرج عنه من يلبس ويسفع
 لكم طلبت من آخر الليل مشع
 من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
 ومن خذته يوم الكريهة أضرع
 عليكم وأطراف الأستة شرع
 عزالى مراد ماؤها يتهززع
 بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع
 أبى الله إلا أمره وهو أصنع
 إنما تنطق شيئاً قد فعل
 وكلا ذلك وجه وقيل
 وسواء قبر مثر ومقل
 وبنات الدهر يلعبن بكل
 قريض الشعر يشفي ذا الغلل
 وأكف قد أثرت ورجل
 عن كلمة أهلكوا في المنزل
 ماجد الجدتين مقدم بطل
 غير ملثا لدى وقع الأسل
 بين أتحاف وهام كلحجل
 جزع الخزرج من وقع الأسل
 واستحرق القتل في عبر الأشل

ثم خفوا عند ذاكم رقصاً رقص الحفان يعلو في الجبل
 قتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
 لا ألوم النفس إلا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل
 بسيف الهند تملو هامهم عللاً تعلمهم بعد نهل
 قال ابن اسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبت بآبن الزبيرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
 ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الحرب أحياناً يؤول
 نضع الاسياف فى أكتافكم حيث نهوى عللاً بعد نهل
 نخرج الأصبغ من أسناهم كسلاح النيب يا كلن العصل
 إذ تولوت على أعقابكم هرباً فى الشعب أشباه الرسل
 إذ شدنا شدة صادقة فأجأناكم الى سفح الجبل
 بخناطيل كأشداق الملا من يلاقوه من الناس يهل
 ضاق عنا الشعب إذ نجزعنا وملأنا الفرط منه والرجل
 برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصراً فزل
 وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل
 وقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحجاح رفل
 وتركنا فى قريش عورة يوم بدر وأحاديث المثل
 ورسول الله حقاً شاهداً يوم بدر والتنايل الهبل
 فى قريش من جموع جمعوا مثل ما يجمع فى الخصب الهمل
 نحن لا أمثالكم ولدت أسبها نحضر البأس إذا البأس نزل

قال ابن اسحاق وقال كعب يبكى حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضى الله عنهم :

نشجت وهل لك من منشج وكنت متى تدكر تلجج
 تدكر قوم أتاني لم أحاديث فى الزمن الأعوج
 فقلبك من ذكركم خافق من الشوق والحزن المنضج
 وقتلهم فى جنان النعيم كرام المداخل والخرج
 بما صبروا تحت ظل اللوام لواء الرسول بنى الأضوج
 غداة أجابت بأسياها جميعاً بنو الأوس والخزرج

وأشباع أحمد إذ شايعوا على الحق ذي النور والمنهج
 فما برحوا يضربون الكماة ويمضون في القسطل الموهج
 كذلك حتى دعاهم ملك إلى جنة دوح المولج
 وكلهم مات حرّ البلاء على ملّة الله لم يخرج
 كحمزة لما وفي صادقاً بنى هبة صارم سلجج
 فلقاه عبد بني نوفل يدرّ كالجمل الأدعج
 فأوجره حرّة كالشهاب تلهب في الهمم الموهج
 ونمان أوفى بميثاقه وحظلة الخيرة لم ينج
 عن الحق حتى غدت روحه إلى منزل فخر الزبرج
 أولئك لا آمن نوى منكم من النار في الدرك المرتج

قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت يبيح حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد وهي
 على روى قصيدة أمية بن أبي الصلت في قتل المشركين يوم بدر. قال ابن هشام: ومن أهل العلم
 بالشعر من ينكر هذه لسان والله أعلم:

يا من قومي فاندب بسحيرة شجوة النوائح
 المولات إنعامات وجوة حرات صحائح
 ينتفضن أشعاراً لمن هنالك هادية المسائح
 من بين مشرور وبجور يندفع بالدوارح
 ولقد أصاب قلوبها بجل له جلب قوارح
 أصحبه أحسن غالم دهر ألم له جوارح
 يا حمر لا والله لا أنساك ماض الأتراح
 ولما ينوب الدهر في حرب يلرب وهي لافح
 هنا شديداً انطلوب إذا ينوب لمن فادح
 هنا وكان يمد إذ عهد الشريفون الجراح
 لا طائش رهش ولا ذو عاة بالملر آخ
 أودى شباب إلى السافناظوا الثقلين المراجيح
 لهم الملاد وفوقه من شحبه شطب شرايح
 لمي لشبان رزائهم كأنهم المصايح

كالحمالات الوقور بالثقل الملهات الدواح
 وكان سيل دموعها الانصاب تخضب بالذباح
 وكأنها أذنان خيل بالفضي شمس روامح
 يبيكين شجوة ملبات كدحنهن الكواح
 إذ أقصد المحدثان من كنانا رجي إذ نشايح
 من كان فارسنا وحامينا إذا بعث المسايح
 لمناخ أيتسام وأضياف وأرملة تلامح
 يا فارساً يا مذرّها يا حمر قد كنت المصايح
 ذكّرني أسد الرسول وذلك مذر هنا المنافع
 يعلو التمام جرة سبط اليدين أغر واضح
 بحر فليس يغيب جباراً منه سيئ أو منادح
 المظمون إذا المشاي ما يصفقن ناضح
 ليدافوا عن جارهم مارام ذو الصفن المكاشح
 شم بطارقة غطارقة خضارمة مسامح

المشترون الحمد بالأموال إن الحمد راجح
 من كان يرمى بالنواقر من زمان غير صالح
 راحت تبارى وهو في ركب صدورهم رواشح
 يا حمز قد أوحيتني كالعود شذبه الكوافح
 من جندلي يلقيه فوقك إذا جاد الضرح ضارح
 فمزاونا أنا نقول وقولنه برّح بوارح
 فليأتنا فلتبك عيناه لملكانا النوافح
 والجامزون بلجهم يوماً إذا ماصح صائح
 ما أن تزال ركابه يرسمن في غبر صحاح
 حتى تثوب له المعالي ليس من فوز الصفائح
 أشكو اليك وفوقك التراب المكور والصفائح
 في واسع يحشونه بالتراب سوتة الماسح
 من كان أمسى وهو عما أوقع الحدنان جانح
 القائلين الفاعلين ذوي الساحة والمادح

من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مائح

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان. قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وأصحابه :

طرقت همومك فالقاد مسهد
 ودعت فؤادك للهوى ضنرية
 فدع التماذي في الغواية سادراً
 ولقد آتاك أن تنهى طائماً
 ولقد هددت لفقده حمزة هدة
 ولو أنه لجئت حراء بمثله
 قرم تمكّن في ذؤابة هاشم
 والماعر الكوم الجلال إذا غدت
 والتارك القرن الكمي مجدلاً
 وتراه يرفل في الحديد كأنه
 عم النبي محمد وصفه
 وآتى المنية معلماً في أسرة
 ولقد إخال بذاك هنداً بشرت
 مما صبحنا بالعنقل قومها
 وببئر بدر إذ يرد وجوههم
 حتى رأيت لدى النبي سراتهم
 فأقام بالمطن المعطن منهم
 وجزعت أن سلخ الشباب الاغيد
 فهوأك غوري وصحوك منجد
 قد كنت في طلب الغواية تفند
 أو تستفيق إذا نهاك المرشد
 ظلت بنات الجوف منها ترعد
 لرأيت رأسي صخرها يتبدد
 حيث النبوة والندى والسودد
 ربح يكاد الماء منها يجبد
 يوم الكريمة والقنا يتقصّد
 ذولبدة شئن البرائن أريد
 ورد الحام فطاب ذاك المورد
 نصرّوا النبي ومنهم المستشهد
 لميت داخل غصّة لا تبرد
 يوماً تغيّب فيه عنها الأسعد
 جبريل تحت لوائنا ومحمد
 قسين قتل من نشاء وانطرد
 سبعون عتبة منهم والاسود

وابن المغيرة قد ضربنا ضربةً فوق الوريد لما رشاش مزبد
وأمية الجمحي قوم مثله عضب بأيدي المؤمنين مهتد
فأتاك فلّ المشركين كأنهم والخيّل تنفهم نعام شرّد
شتان من هو في جهنم ثاوياً أبداً ومن هو في الجنان مخلّد

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن راحة يبكي حمزة وأصحابه يوم أحد . قال ابن هشام :
وأشدها أبو زيد لكعب بن مالك فالله أعلم :

بكت عيني وحق لها بكاهي وما ينفي البكاء ولا العويل
على أسد الاله غداة قالوا أحزّة ذاكم الرجل القليل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الاركان هتّت وأنت الماجد البرّ الوصول
عليك سلام ربك في جنان مخالطها نسيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبراً فكلّ فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عني لوياً فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا وقائلنا بها يشقى الغليل
نسيم ضربنا بقلوب بدر غداة أتاكم الموت المعجل
غداة ثوى أبو جهل صريعاً عليه الطير حائمة تجول
وعتبه وابنه خراً جميعاً وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركنّا أمية بجلعنا وفي حيزومه لدين نبيل
وهام بني ربيعة سائلوها ففي أسيافنا منها قلول
ألا يا هند فابكي لا تملي فأنت الواله العبرى المبول
ألا يا هند لا تبدي شيماتاً بحمزة إن عزكم ذليل

قال ابن اسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب وهي أم
الزبير عمة النبي (ص) ورضي الله عنهم أجمعين :

أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوته الى الجنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنّا نرجي ونرجي
فوالله لأنساك ما هبت الصبا
على أسد الله الذي كان مدرها
فياليت شلوي عند ذاك وأعظمي
أقول وقد ألى النعي عشيرتي
جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن اسحاق : وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكى زوجها والله أعلم والله الحمد والمنة :

يا عين جودي بفيض غير إباس
صعب البديهة ميمون نقيته
أقول لما أتى الناعي له جزعا
وقلت أما خلت منه مجالسه

قال فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيبا فقال :

أقنني حياءك في ستر وفي كرم
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى
فأما كان شماس من الناس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان حين رجعوا من أحد :

رجعت وفي نفسي بلابل جمة
من أصحاب بدر من قريش وغيرهم
ولسكني قد نلت شيئا ولم يكن
كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وقد أورد ابن اسحاق في هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة
وفيما ذكرنا كفاية والله الحمد . وقد أورد الاموي في مغازيه من الاشعار أكثر مما ذكره ابن
اسحاق كما جرت عادته ولا سيما هنا فن ذلك ما ذكره لسان بن ثابت أنه قال : أنه قال في غزوة
أحد فالله أعلم :

طاوعوا الشيطان إذ اخزاهم
حين صاحوا صيحة واحدة
فأجبناهم جميعا كلنا
أثبتوا تستعملوها مرة
واعلموا أنا إذا ما نضحت
عن خيال الموت قدر تشعل

فاستبان الخزي فيهم والفشل
مع أبي سفيان قالوا أعل هبل
ربنا الرحمن أعل وأجل
من حياض الموت والموت نهل

وكان هذه الايات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبير والله أعلم
آخر الكلام على وقعة احد

قضية ثالثة قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا، ومن أشهرها وقعة أحد كانت في النصف من شوال منها، وقد تقدم بسطها والله الحمد وفيها في أحد توفي شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عمارة أيضاً حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ص)، الملقب بأسد الله وأسود رسوله وكان رضيح النبي (ص)، هو وأبو سلمة بن عبد الأسد أرصعهم ثوبية مولاة أبي لهب كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه، فعلى هذا يكون قد جاوز الحسين من السنين يوم قتل رضي الله عنهم فإنه كان من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضي الله عنهم أجمعين وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله (ص)، بعد وفاة أختها رقية وكان عقد عليها في ربيع الأول منها وبني بها في جمادى الآخرة منها كما تقدم فيها ذكره الواقدي وفيها قال ابن جرير: ولد لفاطمة بنت رسول الله (ص)، الحسن بن علي بن أبي طالب قال: وفيها علفت بالسنين رضي الله عنهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد أبي طليحة الاسدي فاتتني الى ما يقال له قطن، قال الواقدي: حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا: شهد أبو سلمة أحداً فخرج جرحاً على عضده فقام شهراً يداوى فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة دعاه رسول الله (ص)، فقال: اخرج في هذه السرية فقد استمكنتك عايها وعقد له لواء وقال: سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة فاتتني الى أدنى قطن ومائة لبني أسد وكان هناك طليحة الاسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جمعا حلفاء من بني أسد ليقتصدوا حرب النبي (ص)، فجاء رجل منهم الى النبي (ص)، فأنخبره بما تملاؤا عليه

فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه . فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نساء كثيرات لهم من الأبل والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسروا منهم معه ثلاثة ممالك وأقبل راجعاً إلى المدينة فأعطى ذلك الرجل الأسدي الذي دله نصيباً وافرأ من الغنم ، وأخرج صفى النبي (س) ، عبداً وخمس الغنمية وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة . قال عمر بن عثمان فحدثني عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن ابن عبيد بن يربوع عن عمر بن أبي سلمة قال : كان الذي جرح أبي أبا سلمة الجشمي فكث شهرراً يداويه فبرأ فلما برأ بعثه رسول الله (س) ، في المحرم يئى من سنة أربع إلى قطن فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه مات ثلاث بقين من جمادى الأولى . قال عمر : واعتدت أمى حتى خلت أربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله (س) ، ودخل بها في ليال بقين من شوال فكانت أمى تقول : ما بأمن بالنكاح في شوال والدخول فيه ، قد تزوجني رسول الله (س) ، في شوال وبني فيه . قال : وماتت أم سلمة في ذى القعدة سنة تسع وخمسين رواء البيهقي . قلت سندك في أواخر هذه السنة في شوالها تزويج النبي (س) ، بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه في النكاح ومذاهب العلماء في ذلك ان شاء الله تعالى وبه الثقة

غزوة الرجيع

قال الواقدي : وكانت في صفر يعني سنة أربع بعثهم رسول الله (س) ، إلى أهل مكة ليحجزوه قال والرجيع على ثمانية أميال من عسفان . قال البخاري : حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر بن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال : بعث النبي (س) ، سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جده عاصم بن عمر بن الخطاب فأنطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا إلى من هذيل يقال لهم بنو سليم فنبعهم بقرية من مائة رام فاقبضوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يئرب فنبعوا آثارهم حتى لحقهم فلما انتهى عاصم وأصحابه إلى فدفة وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق ان نزلتم إلينا ألا تقتل منكم رجلاً فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلهم حتى قتلوا عاصم في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أو نار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معها هذا أول الفدر فإني أن يصحبهم فجروه ، عالجوه على أن يصحبهم فلم يفصل فقتلوه وأنطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فكث عندهم أسيراً حتى إذا

أجمعوا قتله استعمار موسى من بعض بنات الحارث يستحدث بها فاعارته قالت ففعلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على نخله فلما رأته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله . وكانت تقول ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيت يا كل من قطف عنب وما بمكة يومئذ من ثمره وانه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت . فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوي ممزّع

قال : ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعث قریش الى عاصم ليؤثوا بشيء من جسده يرفونه وكان عاصم قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحسبه من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء . وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول : الذي قتل خبيباً هو أبو سروعة قلت واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث في الرضاع وقد قيل ان أبا سروعة وعقبة أخوان فالله أعلم

هكذا ساق البخاري في كتاب المغازي من صحيحه قصة الرجيع ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد من طريق عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان وأسد بن حارثة الدثني حليف بني زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان والمشهور عمرو . وفي لفظ للبخاري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الاقح وساق بنحوه وقد خالفه محمد ابن اسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ولندكر كلام ابن اسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف على أن ابن اسحاق امام في هذا الشأن غير مدافع كما قال الشافعي رحمه الله من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق . قال محمد بن اسحاق حدثنا عاصم بن عمرو بن قتادة قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا إسلاماً فابعث معنا نفرًا من أصحابك يهتدوننا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرًا ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق وهو أمير القوم وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي وعاصم بن ثابت بن أبي الاقح أخو بني عمرو بن عوف وخبيب بن عدي أخو بني جحجج بن ابن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليف بني

ظفر رضى الله عنهم هكذا قال ابن اسحاق أنهم كانوا سنة وكذا ذكر موسى بن عقبة ومحمد بن
قال ابن اسحاق وعند البخارى أنهم كانوا عشرة وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي
الاقح فأن الله أعلم . قال ابن اسحاق فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع لماء لهذيل بناحية
الحجاز من صدور الهداة غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم وهم في رحلهم
إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشواهم ، فآخذوا أسياهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم إنا والله ما نريد
قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا تقتلكم . فأما
مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وقال
عاصم بن ثابت والله أعلم والله الحمد والمنة :

ما علتي وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنبيل
ترل عن صفحتها المبابل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حرم الإله نازل بالبرء والمرء إليه آيل
إن لم أقاتلكم فآتي هابل

وقال عاصم أيضاً :

أبو سليمان وريش المقدر وضالة مثل الجحيم الموقد
إذا النواحي افترشت لم أرعد ومجنأ من جلد ثور أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال أيضاً :

أبو سليمان ومثلي راما وكان قومي معشرا كراما
قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحبه . فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعه من
سلافة بنت سعد بن سهيل وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد أن قدرت على رأس عاصم
لتشرب في قحفه الخمر فمنعته الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فتأخذه ،
فبعث الله الوادى فاحتل عاصم فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمس مشرك ولا يمس
مشركاً أبداً تنجساً فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعه : يحفظ الله العبد المؤمن
كان عاصم نذر أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه
في حياته . قال ابن اسحاق : وأما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا
ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعهم بها حتى إذا كانوا
بالظهران انزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة

حتى قتلوه فقبروه بالظهران . وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة . قال ابن اسحاق : فابتاع خبيبا حجير بن أبي اهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل وكان أبواهاب أخا الحارث بن عامر ، لأمه ليقتله بأبيه . قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد أحب أن محمدا الآن عندنا مكانك لضرب عنقه وانك في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا قال : ثم قتله نسطاس . قال : وأما خبيب بن عدي فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبي اهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حبس في بيتي فلقد اطلعت عليه يوما وان في يده لقطعا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح انهما قالا : قالت قال لي حين حضره القتل ابنتي إلى بحديدة أتطهر بها للقتل . قالت فأعطيت غلاماً من الحلى الموسى فقلت له أدخل بها على هذا الرجل البيت فقالت فوالله ان هو الا أن ولي الغلام بها اليه فقلت ما ذا صنعت اصاب والله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة الى . ثم خلى سبيله . قال ابن هشام : ويقال ان الغلام ابنها . قال ابن اسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، وقال لهم : ان رأيتم أن تدموني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أنهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أني انما طولت جزعا من القتل لاستكرت من الصلاة . قال : فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين^(١)

(١) يوجد على الهامش في هذا المكان ما نصه «حاشية بخط المصنف . قال السهيلي : وانما صارت سنة لانها فعلت في زمن النبي ص . واستحصلت من صليعه ، قال وقد صلاها زيد بن حارثة في حياة النبي ص . ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بنلا من الطائف واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء ، فمال به إلى خربة فاذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعني حتى أصلي ركعتين . فقال : صل ركعتين فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا . قال فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا صار يخ يقول لا تقتله ،

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم أعددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه . وكان معاوية ابن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلتقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكأنا يقولون ابن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه . وفي مغازي موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد وأن رسول الله (ص) سمع يوم قتلوا وهو يقول وعليكما أو عليك السلام خبيب قتلته قریش . وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاده إلا إيمانا وتسليما . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيبا على الخشبة نادوه ينادونه أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن اسحاق في قصة زيد بن الدثنة فأن الله أعلم . قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيبا . قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة بن الحارث قال سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيبا لأننا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله . قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري القوم فذكر ذلك لعمر وقيل إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمه قدمها عليه فقال : ياسعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غشى علي .

فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئا ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فسمع أيضا الصوت يقول لا تقتله ، فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا أنا بفارس على فرس في يده حربة في رأسها شملة من نار فطعنه بها حتى أنفذه فوق مينا ، ثم قال : لما دعوت الله في المرة الأولى كنت في السماء السابعة ولما دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ولما دعوته في الثالثة أتيتك . قال السهيلي : وقد صلاها حجر بن عدي ابن الأديب حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه أنه خرج عليه وأراد خلعه ، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله . فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله . قال وقد عاتبت عائشة معاوية في قتله فقال : إنما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعيني وحجرا فاني سألقاه على الجادة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال حين غاب مثلك من قومي . اه من الهامش

فزادته عند عمر خيرا . وقد قال الاموي حدثني أبي قال : قال ابن اسحاق وبلغنا أن عمر قال : من سره أن ينظر إلى رجل نسيج وحده فليتنظر إلى سعيد بن عامر . قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى إن سلخت الأشهر الحرام ثم قتلوه . وقد روى البيهقي من طريق إبراهيم بن اسماعيل حدثني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية أن رسول الله (ص) كان يمشي عينا وحده قال جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقتته فوقع إلى الأرض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فلم أر شيئا فنكأنا بقلعه الأرض فلم تذكر خبيب رمة حتى الساعة . ثم روى ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لام أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ وما بعدها . وأنزل الله في أصحاب السرية ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ . قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيب حين أجمعوا على قتله (قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له) :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا	قبائلهم واستجمعوا كل جمع
وكلهم مبدي المداورة جاهد	علي لأني في وثاق بمضجع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم	وقربت من جذع طويل ممثع
إلى الله أشكو غربي ثم كرتني	وما أرصد الأعداء لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي	فقد بضعوا لحي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلح ممزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه	وقد هملت عياني من غير مجزع
وما بي حذار الموت أبي لميت	ولكن حذاري جحيم نار ملفع
فوالله ما أرجو إذا مت مسلما	على أي جنب كان في الله مضجعي
فلست بمبدي للعدو تخشعا	ولا جزعا أبي إلى الله مرجعي

وقد تقدم في صحيح البخاري بيان من هذه القصيدة وما قوله :

فلست أبالي حين أقتل مسلما على أي شوق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلح ممزع

وقال حسن بن ثابت يرثي خمييا فيها ذكره ابن اسحاق :

ما بال عينك لا ترقا مداها
سحاً على الصدر مثل الأولو الفلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا
لا فشل حين تلقاه ولا نزع
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
وجنة الملائكة الأبرار في الرفق
ما ذا تقولون إن قال النبي لكم
حين الملائكة الأبرار في الرفق
فيم قتلتهم شهيد الله في رجل
طاغ قد آوعت في البلدان والرفق

قال ابن هشام : تركنا بعضها لأنه أقنع فيها ، وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع
من بني لحيان فيما ذكره ابن اسحاق ، والله أعلم والله الحمد والمنة والنوفيق والعصمة
إن سرك الغدر صرفاً لا يزاج له
فأت الرجيع فسئل عن دار لحيان
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم
فالكلب والقرذ والإنسان مثلاً
لو ينطق التيس يوماً قام بخطبهم
وكان ذا شرف فيهم وذا شان
وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيل وبنو لحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع رضي الله تعالى
عنهم أجمعين :

لعمري لقد شانت هذيل بن مدركه
أحاديث لحيان ضلوا بقبيلها
أناس هم من قومه في قميمهم
ولحيان جرأوت سر الجرائم
هم غاروا يوم الرجيع وأسلمت
بمنزلة الزملاء دبر القوام
رسول رسول الله عدداً ولم تكن
أمانتهم ذا عفة ومكارم
فسوف يرون النصر يوماً عليهم
هذيل توقي منكرات الحرام
أبايل دبر شمس دون الحية
بقتل الذي تحببه دون الحرام
أهل هذيل أن يروا بمناجبه
حمت لم شهاد عظيم الملاحم
ووقع فيها وقعة ذات حوزة
مصارغ قتل أو مقاماً لماتم
بأمر رسول الله أدب رسوله
يوفي بها الركبان أهل المواسم
قبيلة ليس الوفاء بهم
رأى رأي ذي حزم بلحيان عالم
إذا الناس حلوا بالفضاء رأيهم
وإن ظلموا لم يدفوا سيف ظالم
معلم دار البوار ورأيهم
بمجرى سيل الماء بين الحرام
إذا نأبهم أمر كراي البهائم

وقال حسان رضي الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسبهم بشعره كما ذكره ابن اسحاق
رحمه الله تعالى :

صلى الاله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فاكروا واثيبوا
 رأس السريّة مرثيّة وأميرهم وابن البكير إمامهم وخبيب
 وابن طارق وابن دثنة منهم وإفاه ثم رحله المكتوب
 والمعاصم المقتول عند رجيعهم كسب المعالي انه لكسوب
 منع المقادة أن ينالوا ظهره حتى يجالد إله لنجيب
 قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشمر ينكرها لحسان

سرية عمرو بن أمية الضمري

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن
 الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف
 (وزاد بعضهم على بعض) قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد
 ينشأ محمداً فانه يمشي في الاسواق فندرك ثارنا . فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له :
 إن أنت وفيتني خرجت اليه حتى أغتاله ، فاني هاد بالطريق خرييت ، معي خنجر مثل خافية النسر .
 قال : أنت صاحبنا . وأعطاه إميماً وذهبه وقال : اطو أمرك فاني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينبهه
 الى محمد . قال قال العربي لا يعلمه أحد . فخرج ليلاً على راحلته فسار خمسا وصبح فاهز الحى يوم
 سادسهم أقبل يسأل عن رسول الله (ص) حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه الى بني عبد الاشهل
 فخرج الاعرابي يقود راحلته حتى انتهى الى بني عبد الاشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله
 (ص) فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده . فلما دخل وراه رسول الله (ص) قال لأصحابه
 ان هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟
 فقال له رسول الله (ص) : أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحن على رسول الله (ص) كأنه يساره فخبه
 أسيد بن حضير وقال : تنح عن رسول الله (ص) . وجذب بداخل ازاره فاذا انانجر فقال : يا رسول
 الله هذا غادر . فأسقط في يد الاعرابي وقال : دمي دمي يا محمد . واخذه أسيد بن حضير يلبيه فقال له
 النبي (ص) : اصدقني ما أنت وما أقدمك فان صعدت ذنبتك الصدق وان كذبتني فقد اطلعت على
 ما هممت به . قال العربي فأنا آمن ؟ قال وأنت آمن . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به
 فحبر عند أسيد بن حضير ثم صار من الغد فقال قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خبرك من
 ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله الا الله وأن رسول الله فقال أشهد أن لا إله الا الله وانك

أنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت
ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنت على
حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبي (ص) يتبسم وأقام أياماً ثم استأذن النبي
(ص) فخرج من عنده ولم يسمع له بكسر وقال رسول الله (ص) : لعمر بن أمية الضمري ولسلة
ابن أسلم بن حريش أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتا منه غرة فاقتلاه . قال
عمر و فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بغيرنا وقال لي صاحبي : يا عمرو هل لك
في أن تأتي مكة فنطوف بالبيت سبماً ونصلي ركعتين فقلت : أنا أعلم بأهل مكة منك انهم إذا أظلموا
رثوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و^(١) [أني أعرف بمكة من الفرس الابلق . فأبى علي فأنطلقنا
فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيت معاوية بن أبي سفيان فمرقني وقال :
عمرو بن أمية واحزنه . فندبر بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير . وكان عمرو فاتكاً في
الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلة وخرجوا في طلبها واشتدوا في الجبل .
قال عمرو فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل وعسى الله عليهم
طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يخترق
لفرسه حشيشاً فقلت لسلة بن أسلم إذا أبصرنا أشمر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من
باب الغار حتى أشرف علينا ، قال فخرجت إليه فطعنته طعنة نحت الثدى فخنجرى فسقط وصاح
فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي لا تتحرك ،
فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك ؟ قال عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان قد علمنا أنه لم يأت
نذير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فانه كان بأخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم
لحمولة . فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطالب ثم] خرجنا [إلى التميم] فقال صاحبي
يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال هو ذاك مصلوب حوله
الحرس . فقلت أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئاً فأنح إلى بيمرك فاقعد عليه فأت رسول الله
(ص) فأخبره الخبر ودعني فأتني عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما
مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثرى فطرحوا الخشب فأنسى وجيبها
يعني صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي فاخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدري
مع بقاء نفسي فأنطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبي (ص) فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على
الغليل غليل ضجنان فدخلت في غار معي قوسي واسمى وخنجرى فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من
بنى الدئل بن بكر أعور طويل يسوق غنماً ومعزى فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت رجل من

بنى بكر فقال وأنا من بنى بكر ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول :
فلست بمسلم مادمت حياً ولست أدين دين المسلمين

فقلت فى نفسى والله أنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قتت اليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط ثم خرجت حتى هبطت فلما أسهلت فى الطريق إذا رجلان بمشما قریش يتجسسان الاخبار فقلت استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشدته وثاقاً ثم أقبلت به الى النبی (س) . فلما قدمت المدينة أتى صبيان الانصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون هذا عمرو فاشتد الصبيان الى النبی (س) . فأخبروه وأتيت به بالرجل قد ربطت ايهاه بوتر قوسى فلقد رأيت النبی (س) وهو يضحك ثم دعا الى بخير . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام رواه البيهقي . وقد تقدم أن عمرأ لما أهبط خبيباً لم ير له رمة ولا جسداً فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم . وهذه السرية انما استدرکها ابن هشام على ابن اسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدي لما لکن عنده أن رفيق عمرو بن أمية فى هذه السرية جبار بن صخر . والله أعلم والله الحمد

سرية بئر معونة

وقد كانت فى صفر منها وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال انها كانت بعد الخندق . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال بعث رسول الله (س) سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بنى سليم رجل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقال القوم والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون فى حاجة للنبي (س) . فقتلهم فبما النبي (س) عليهم شهراً فى صلاة الغداة وذلك بعد القنوت وما كنا نقنت . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه . ثم قال البخارى حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سميد عن قتادة عن أنس بن مالك أن رجلاً وذكوان وعصية وبنى لحيان استمدوا رسول الله (س) على عدى فأمدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلهم وغدروا بهم فبلغ النبي (س) ففقت شهراً يدعو فى الصبح على احياء من العرب على رجل وذكوان وعصية وبنى لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآننا ثم ان ذلك رفع بلغوا عنا قومنا أننا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا همام عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة حدثني أنس ابن مالك أن النبي (س) بعث حراماً (أخاً لأم سليم) فى سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر ابن الطفيل خير رسول الله (س) بين ثلاث خصال فقال يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر أو

أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف فطمّن عامر في بيت أم فلان فقال غدة
 كغدة البكر في بيت امرأة من آل فلان، اثنتوني بفرسى فمات على ظهر فرسه فانطلق حرام أخو أم
 سليم وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان فقال كونا قريباً حتى آتيهم فان آمنوني كنتم قريباً
 وإن قتلوني أتيتم أصحابكم فقال أتؤمنوني حتى أبلغ رسالة رسول الله (ص)، فجعل يحدّثهم وأومأوا إلى
 رجل فأتاه من خلفه فطمّنه قال همام أحسبه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب السكبة
 فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان في رأس جبل فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ
 «إنا لقد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» فدعا النبي (ص)، ثلاثين صباحاً على رجل وذوّ كان وبني
 لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله . وقال البخاري : حدثنا حبان حدثنا عبد الله أخبرني
 معمر حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس أنه سمع أنس بن مالك يقول لما طمن حرام بن ملحان - وكان
 خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه وقال فزت ورب السكبة . وروى
 البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال لما قتل الذين
 ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل من هذا وأشار إلى قتيل فقال له
 عمرو بن أمية هذا عامر بن فهيرة قال لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى أتى لا أنظر إلى السماء
 بينه وبين الأرض ثم وضع فأتى النبي (ص)، فأنزلهم فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد
 سألوهم فقالوا ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم وأصيب
 يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ومنذر بن عمرو وسمى به منذر . هكذا وقع
 في رواية البخاري مرسل عن عروة وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن
 هشام عن أبيه عن عائشة فساق من حديث الهجرة وأدرج في آخره ما ذكره البخاري هنا فأنه
 أعلم . وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت عن أبي الأسود وعن عروة فذكر القصة وشأن عامر
 ابن فهيرة وأخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء وذكر أن الذي قتله جبار بن سلمى
 الكلبي قال ولما طمنه بالرمح قال فزت ورب السكبة ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله
 فزت قالوا يعني بالجنة فقال صدق والله ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك . وفي منازي موسى بن عقبة عن
 عروة أنه قال لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون أن الملائكة وارتته . وقال يونس عن ابن إسحاق
 فأقام رسول الله (ص)، يعني بعد أحمد بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمهرم ثم بعث أصحاب بئر
 معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن المنيرة بن عبد
 الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل
 العلم قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاستن على رسول الله (ص)، بالمدينة

فمرض عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد لو بعثت رجلا من أصحابك الى أهل
 مجد فدعهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال (س) : انى أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو
 براء أنا لهم جبار . فبعث رسول الله (س) : المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة الملقى لموت في أربعين رجلا
 من أصحابه من خيار المسلمين فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بني عدى بن النجار وعروة
 ابن أسماء بن الصلت السبلى ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر في رجال
 من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم فلما نزلوا
 بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (س) : الى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في الكتاب
 حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوا الى مادعاهم وقالوا : لن نخفر
 أبا براء قد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم - عصية ودرعلا وذكوان
 والقارة - فجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحاهم فلما رأوهم أخذوا أسياهم
 ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا من آخرهم الا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فانهم تركوه به
 رمقاً فارتث من بين القتلى فماش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري
 ورجل من الانصار من بني عمرو بن عوف ، فلم ينبتهما بمصالب القوم الا الطير تحوم حول العسكر
 فقالا والله ان لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دماثهم واذا النبل التي أصابتهم واقفة
 فقال الانصاري لعمرو بن أمية ماذا ترى ؟ فقال أرى ان نلحق برسول الله (س) ، فنخبره الخبر فقال
 الانصاري لسكى لم أكن لأزغب بنفسى من موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر
 هذه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو أسيراً فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل
 وجز ناصيته وأعتقه من رقبة كانت على أمه فيما زعم . قال وخرج عمرو بن أمية حتى اذا كان بالقرقرة
 من صدر قناة أقبل رجلاً من بني عامر حتى نزل في ظل هو فيه وكان مع العامريين عهد من رسول
 الله (س) وجوار لم يملكه عمرو بن أمية وقد سألها حين نزلت من أنها قالا من بني عامر فأهلها حتى
 اذا ناما عدا عليهما وقتلها وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامر فيها أصابوا من أصحاب
 رسول الله (س) فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله (س) ، أخبره بالخبر فقال رسول الله (س) :
 « لقد قتلت قتيلين لأديتهما » ثم قال رسول الله (س) : « هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا
 كارهاً متخوفاً » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفاء عامر اياه وما أصاب أصحاب رسول الله (س)
 بسببه وجواره ، فقال حسان بن ثابت في اخفاء عامر أبا براء ويمرض بني أبي براء على عامر :
 بني أم البنين ألم يرُصم وأنتم من قبائل أهل نجد

تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَا كَمَدُ
أَلَا أَبْلَغُ رَيْبَةٍ ذَا الْمَسَاعِي فَمَا أَحْدَثَتْ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ وَخَالُكَ مَا جَبَّ حَكْمُ بْنُ سَعْدٍ

قال ابن هشام: أم البنين أم أبي براء وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قال فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فظمنه في نخذه فأشواه ووقع عن فرسه وقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت قدمي لمعي فلا يتبعن به، وإن أعش فسأري رأيي وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحوه سياق محمد بن اسحاق، قال موسى وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل مرثد بن أبي مرثد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة - فيما ذكره ابن اسحاق رحمه الله - والله أعلم:

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سحاً غير تزر
على خيل الرسول غداة لاقوا ولا قهرهم منايام بقدر
أصابهم الفناء بمقدار قوم تخون عقد حبلم بغدر
فيالهي لمنسرد إذ تولى وأعتق في منيته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم من أبيض ماجد من سر عمرو

غزوة بني النضير

وفيه سورة الحشر

في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير. وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد، وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري به، وهكذا روى خنبل بن اسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن الجاني عن معمر عن الزهري فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين، قال ثم غزا بني النضير ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع. وقال البيهقي: وقد كان الزهري يقول هي قبل أحد، قال وذهب آخرون إلى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً. قلت: هكذا ذكر ابن اسحاق كما تقدم فانه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ولم يشعر بهما الذي معها من رسول الله (س)، ولهذا قال له رسول الله

(س) « لقد قتل رجلين لأديتهما » . قال ابن اسحاق ثم خرج رسول الله (س) الى بني النضير
 يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر الذين قتلها عمرو بن أمية للمهد الذي كان (س) أعطاهما
 وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف فلما أتاهم (س) بقالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت
 ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه (ورسول الله (س) الى جنب
 جدار من بيوتهم قاعد) فن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويرمي بها منه . فانتدب لذلك
 عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله (س) في نفر من
 أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً
 الى المدينة فلما استلبث النبي (س) أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسأله عنه
 فقال رأيت داخل المدينة فأقبل أصحاب رسول الله (س) حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت
 يهود أرادت من الغدر به ، قال الواقدي فبعث رسول الله (س) محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من
 جواره وبلده فبعث اليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويمدونهم التصرة فقويت
 عند ذلك نفوسهم وحمى حيي بن أخطب وبعثوا الى رسول الله (س) أنهم لا يخرجون ونابدوه
 بنقض اليهود فعند ذلك أمر الناس بالخروج اليهم ، قال الواقدي فحاصروهم خمس عشرة ليلة .
 وقال ابن اسحاق : وأمر النبي (س) بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم . قال ابن هشام : واستعمل على
 المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الاول . قال ابن اسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصروهم
 ست ليال ، ونزل تحريم الحر حينئذ ، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله (س) بقطع النخيل
 والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وأعيب من صنعه فما بال قطع النخيل
 وتحريقها ، قال وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعه ومالك
 وسويد وداعس قد بعثوا الى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلحكم ان قوتلتم قاتلنا معكم
 وان أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا
 رسول الله أن يجليهم ويكف عن دماهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة وقال العوفي
 عن ابن عباس أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه وسقاً رواه البيهقي وروى من طريق يعقوب بن
 محمد عن الزهري عن ابراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة
 ان رسول الله (س) بعثه الى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال . وروى البيهقي
 وغيره انه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله (س) ضعوا وتمجلوا . وفي صحته نظر والله أعلم .
 قال ابن اسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استأملت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف
 بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان من أشراف

من ذهب منهم الى خير سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها . فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث انهم استقبلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء ونفر مارؤي مثله لحي من الناس في زمانهم . قال وخلوا الاموال لرسول الله (س) ، يعنى النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث شاء قسما على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وأبا دجاجة ذكرا فقرا فأعطاهما (وأضاف بعضهم اليهما الحارث بن الصمة حكاة السهيلي) . قال ابن اسحاق ولم يُسلم من بنى البضير الا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما . قال ابن اسحاق وقد حدثني بعض آل يامين ان رسول الله (س) ، قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شائي ؟ فجعل يامين لرجل جملا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله . قال ابن اسحاق فأنزل الله فيهم سورة الحشر يكملها يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم ثم شرع ابن اسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوط في كتابنا التفسير والله الحمد . قال الله تعالى : [سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار ولولا أن كتب عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار وذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ولنجزى الفاسقين] . سبح سبحانه وتعالى نفسه السكرمة وأخبر انه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز وهو منبع الجناب فلا ترام عظمته وكبرياؤه وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فن ذلك تقديره وتدييره وتيسيره لرسول الله (س) ، وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه وما كان من السبب المفضي لقتالهم كما تقدم حتى حاصروهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ومع هذا فأسروهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دماهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركبهم على أنهم لا يصحبون شيئا من السلاح اهانة لهم واحتقارا فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار . ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصيبهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل مع ما ادخر لهم في الآخرة من العذاب الاليم المقدر لهم . ثم ذكر

تعالى حكمة ما وقع من تحريق نملهم وترك ما بقي لم وان ذلك كله سائل فقال ما قطعتم من لينة وهو
جيد الثمر أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ان الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدرراً فلا حرج
عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد انما هو اظهار للقوة واخزاء
للكفرة الفجرة . وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتبية عن الليث عن نافع عن ابن عمر ان
رسول الله (ص) حرق نخل بنى النضير وقطع وهي البويرة فانزل الله [[ما قطعتم من لينة أو
تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ولنجزي الفاسقين]]. وعند البخارى من طريق جويرية بن
أسماء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) حرق نخل بنى النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول
حسان بن ثابت :

وهان على سرة بني لؤي حريق بلبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صليح . وحرق في نواحيها السمر
ستعلم أينا منها بسير وتعلم أي أرضينا نصير
قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الاشرف فله الله أعلم

لقد خزيت بنديتها الجبور^(١) كذا الدهر ذو صرف يدور

وذلك أنهم كفروا برّب عظيم أمرة أمر كبير

وقد أوتوا مآ فهاً وعلماً وجاءهم من الله النذير

نذير صادق أدّى كتاباً وآيات مبينة تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأنت بمنكر منا جدير

فقال بلى لقد أديت حقاً يصدقني به الفهم الخبير

فمن يتبعه يهد لكل رشيد ومن يكفر به يخز الكفور

فلما أشربوا غداً وكفراً وجد بهم عن الحق النور

أرى الله النبي برأي صدق وكان الله يحكم لا شور

فأيده وسلطه عليهم وكان نصيره نعم النصير

فقودر منهم كعب صريماً فقلت بعد مصرعه النصير

على الكفّين ثم وقد علته بأيدينا مشهورة ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلاً الى كعب أخا كعب يسير

فاكره فأنزله بمكر ومحمود أخو ثقة جسور

(١) الجبور جمع جبر ، وهم علماء اليهود : من هادى الاصل

فلك بنو النضير بدار سوء أبارهم بما اجتمعوا المير
غداة أتام في الزحف رهوا رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحاة مؤازروه على الاعداء وهو لهم وزير
قال السلم ويحكم فصدوا وخالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غيب أمرهم وبالا لكل ثلاثة منهم بصير
وأجلوا عامدين لقتنقاع وشودر منهم نخل ودور

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها لسالم اليهودي، فتركناها قصداً. قال ابن اسحاق: وكان مما قيل

في بني النضير قول ابن لقيم العبسي، ويقال قلها قيس بن بحر بن طريف الاشجعي:

أهلي فداء لأمري غير هالك أهل اليهود بالحسي المزعم
يقيلون في خمر العضاء وبللوا أهيبض عوداً بالودي المسكم
فإن يك ظني صادقاً بمحمد روا خيلة بين العتلا ويرسرم
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم عدد وما حي صديق كجرم
عليهن أبطال مساعير في الوغى يهزون أطراف الوشيح المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهتد توورن من أزمان عام وبجرم
فن مبلغ عني قريناً رسالة فهل بعدهم في الجدم من متكرم
بأن أخام فاعلن محمداً تليد الندي بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق نجسم أموركم وتسمو من الدنيا الى كل مظلم
نبي تلافته من الله رحمة ولا تسأله أمر غيب مرجم
قد كان في بدر لمرئي عبرة لكم يا قرين والقلب الملم
غداة آي في الطرزجية عامداً إليكم مطيماً للظلم المكرم
معاناً بروح القدس ينكي عدوه رسولاً من الرحمن حقاً يعلم
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه فلما أبار الحق لم يتلعم
أرى أمره يزداد في كل موطن علواً لأمر الله المحكم

قال ابن اسحاق وقال علي بن أبي طالب، وقال ابن هشام قلها ريس من المسلمين ولم أر أحداً

يعرفها على:

عرفت ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقاً ولم أصنف

عن الكلام المحكم اللام من
رسائل تدرس في المؤمنين
فأصبح أحمد فينا عزيزاً
فيا أيها الموعود سفاهاً
ألسن تخافون أدنى العذاب
وان تضرعوا تحت أسيانه
غداة رأى الله طغيانه
فأنزل جبريل في قتله
فدس الرسول رسولا له
فبات عيون له مولات
وقل لأحمد ذرنا قليلاً
نغلام ثم قال اظمنوا
وأجل النضير إلى غربة
إلى أذرع رداً وهم

لدى الله ذي الرأفة الأراف
بين اصطفى أحمد المصطفى
عزيز المقامة والموقف
ولم يأت جوراً ولم ينف
وما آمن الله كالأخوف
كصرع كعب أبي الأشرف
وأعرض كالجمل الأجنف
بوحى إلى عبده ملطف
بأبيض ذي هبة مرهف
مق ينع كعب لها تدرف
فإنا من النوح لم نشف
دحوراً على رغم الآف
وكانوا بدار ذوي زخرف
على كل ذي دبر أهجف

وتردنا جوابها أيضاً من محال اليهودي قصداً

ثم ذكر تعالى حكم النبي وأنه حكم بأموال بني النضير لرسول الله (س) وملكها له فوضعها رسول الله (س) حيث أراه الله تعالى كما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله (س) خاصة فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقى في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل. ثم بين تعالى حكم النبي وأنه للمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان على منوالهم وطريقتهم ولا يقرى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب. قال الامام احمد حدثنا علام وعفان قال حدثنا معتمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن نبي الله (س) أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال: فجعل يرد بعد ذلك. قال: وان أهلي أمروني أن آتي نبي الله (س) فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بمضه وكان نبي الله (س) أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله. قال: فسألت النبي (س) فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول: كلا والله الذي لا إله إلا هو لا أعطيكهن وقد أعطانيهن أو كما قالت. فقال النبي (س): لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال

ويقول لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا حتى أعطها حسبته أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال أخرجه بنحوه من طرق عن معتمر به . ثم قال تعالى ذاماً للمناقين الذين مالوا الى بنى النضير في الباطن كما تقدم ووعدهم النصر فلم يكن من ذلك شيء بل خلوهم أحوج ما كانوا اليهم وغروهم من أنفسهم فقال [ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتكم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبر ثم لا ينصرون] ثم ذمهم تعالى على جنهم وقلة علمهم وخفة عقولهم النافع ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشیطان حين قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنها في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين

قصة عمرو بن سعدى القرظي

حين مر على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب وقد كانت بنو النضير أشرف منى . بنى قريظة حتى حداه ذلك على الاسلام وأظهر صفة رسول الله (ص) من التوراة . قال الواقدي حدثنا إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو ابن سعدى فأطاف بمنزلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع الى بنى قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفع في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية . قال رأيت اليوم عبداً قد عبرنا بها ، رأيت منازل اخواننا خالية بعد ذلك المز والجلد والشرف الفاضل والعقل البار قد تركوا أموالهم وملوكها غيرهم وخرجوا خروج ذل . ولا والتوراة ماسطه هذا على قوم قط الله بهم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بآبنا الأشرف ذي عزم ثم بيته في بيته آمننا وأوقع بآبنا سفينة سيدهم وأوقع بيني قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب . يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً والله انكم لتعلمون انه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيثبان أبو عمير وابن حراش وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قدومه وأمرانا باتبائه جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بمرتنا هذه ، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، ثم أعاد هذا الكلام بنحوه وخوفهم بالحرب والسبأ والجلد . قال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا التوراة التي نزلت على موسى ليس في المثالي الذي أحدثنا ، قال فقال له كعب بن أسد : ما بمنك

يا أبا عبد الرحمن من اتبعاه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب فلم والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ، قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وإز أبيت أبيتنا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك الى أن قال عمرو ما عندي في أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسي أن أصير تابلاً . رواه البيهقي

غزوة بني الحارث

ذكرها البيهقي في الدلائل ، وانما ذكرها ابن اسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه في جمادى الاولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الاصبهاني حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله (ص) طالباً بدمائهم ليصيب من بني الحارث غرة ، فسلكت طريق الشام ليرى انه لا يريد بني الحارث ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤس الجبال ، فقتل رسول الله (ص) : « لو انا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة » فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ثم انصرفا ، فذكر أبو عياش الزرقى ان رسول الله (ص) صلى بعسفان صلاة الخوف . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عياش قال : كنا مع رسول الله (ص) بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله (ص) صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم . ثم قالوا تأتى الآن عليهم صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر [واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة] قال فحضرت فأمرهم رسول الله (ص) فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعاً ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء الى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء قال ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ثم سجد الصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف . قال فصلها رسول الله (ص) ، مرتين مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بني سليم . ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه . وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائي عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن

محمد بن المثني وبن دار عن غندر عن شعبة ثلاثة عن منصور به . وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج واحد منهما لكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال غزونا مع رسول الله (س) ، قوماً من جبهة فقاتلوا قتلاً شديداً فلما أن صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلاً لا قنطعنهم فأخبر جبريل رسول الله (س) ، بذلك وذكر لنا رسول الله (س) ، قال : « وقالوا انه ستأتيهم صلاة هي أحب اليهم من الاولاد » فذكر الحديث كنحو ما تقدم وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا هشام عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله (س) ، بأصحابه الظهر فنخل قهقهم به المشركون ثم قالوا دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب اليهم من أبنائهم ، قال فنزل جبريل على رسول الله (س) ، فأخبره فصلى بأصحابه صلاة العصر فصنفهم صفين بين أيديهم رسول الله والعدو بين يدي رسول الله (س) ، فكبر وكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرين قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرين قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ، وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام عنه عن أبي الزبير عن جابر وقال الامام أحمد بن حنبل عبد الصمد حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي حدثنا عبد الله بن شقيق حدثنا أبو هريرة أن رسول الله (س) ، نزل بين ضحنان وعسفان فقال المشركون إن هؤلاء صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر فأجمعوا أمرهم فويلوا عليهم ميلاً واحدة . وإن جبريل أتى رسول الله (س) ، وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلى بعضهم ويقدم الطائفة الاخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم تأتي الاخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله (س) ، ولرسول الله ركعتان . ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصمد به وقال الترمذي حسن صحيح . قلت إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خير وإلا فهو من مراسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم . ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة . بقي الشأن في أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فان من العلماء منهم الشافعي من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فانهم أخرجوا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إن غزوة بني الحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بني قريظة . وقد ذكر الواقدي بأسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله (س) ، الى الحديبية لقينته بعسفان فوقفت بأزائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أما مناهمنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا فأطلعنا الله على

ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . قلت : وعمره الحديبية كانت في ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي . وفي سياق حديث أبي عياش الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فاقضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها والله أعلم . وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

غزوة فلت الرقاع

قال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله (س) بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر . قال ابن هشام : ويقال عثمان بن عفان ، قال ابن اسحاق فسار حتى نزل فحلاً وهي غزوة ذات الرقاع . قال ابن هشام لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدي بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض . وفي حديث أبي موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر . قال ابن اسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله (س) بالناس صلاة الخوف ، وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ههنا عن عبد الوارث بن سعيد التموري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر . وقد ذهب البخارى الى أن ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بأن أبا موسى الأشعري شهد ما كما سيأتي وقدمه إنما كان ليالى خيبر سمجة جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال صليت مع رسول الله (س) في غزوة نجد صلاة الخوف ، ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازاه رسول الله (س) في القتال أول ما أجازاه يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : غزوت مع رسول الله (س) قبل نجد فذكر صلاة الخوف ، وقول الواقدي أنه عليه السلام خرج الى ذات الرقاع في أربعمائة ويقال سبعمائة من أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر ، ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق لأن الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل في شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

قصة غوث بن الحارث

قال ابن اسحاق في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من بني محارب يقال له غوث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى وكيف تقتله ؟ قال : أفئك به . قال : فأقبل إلى رسول الله (ص) وهو جالس ، وسيف رسول الله (ص) في حجره . فقال يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، فأخذه ثم جعل يهزه ويهمهم فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، ما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف . قال : لا ، يمنعني الله . بك . ثم عمد إلى سيف النبي (ص) فرده عليه فأنزل الله عز وجل [يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون] . قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رومان أنه إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وما هم به . هكذا ذكر ابن اسحاق قصة غوث هذا عن عمرو بن عبيد القدرى رأس الفرقة الضالة وهو وإن كان لا يهتم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه والله الحمد . فقد أورد الحافظ البيهقي ها هنا طرقاً لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة عن جابر أنه غزا مع رسول الله (ص) غزوة نجد فلما قتل رسول الله (ص) أدركته القائلة في واد كثير العضاه ففرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله (ص) تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه . قال جابر : فبينا نومة فاذا رسول الله (ص) يدعونا فأجيبناه وإذا عنده اعرابي جالس فقال رسول الله (ص) : ان هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فقال من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشام السيف وجلس ولم يعاقبه رسول الله (ص) وقد فعل ذلك ، وقد رواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبه عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله (ص) حتى إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله (ص) فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله (ص) معلق بشجرة ، فأخذ سيف رسول الله (ص) فاخرطه وقال لرسول الله (ص) : تخافني ؟ قال : لا . قال فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك قال : فهده أصحاب رسول الله (ص) فأغمد السيف وعلقه . قال : ونودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين قال : فكانت لرسول الله (ص) أربع ركعات وللقوم ركعتان . وقد علقه البخاري بصيغة الجزم عن أبان به . قال البخاري وقال مسدد

عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث . وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غره فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خيراً أخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال : لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، نخلي سبيله فأبى أصحابه وقال : جئتم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف وأنه صلى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين . وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حشمة ، وحديث الزهري عن سالم عن أبيه في صلاة الخوف بنجد وموضع ذلك كتاب الأحكام . والله أعلم

قصة الهدي العيسب السملنة يومئذ

قال محمد بن اسحاق حدثني عمي صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل فاصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ ، قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا يفتحي حتى يهريق في أصحاب محمد دماً نخرج يتبع إثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ ، منزلاً فقال من رجل يكاونا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار . فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بنم الشعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا الى فم الشعب قال الانصاري للمهاجري : أي الليل نحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله ، فاضطلع المهاجري فنام وقام الانصاري يصلي ، قال : وآتي الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانتزعه ووضع وثبت قائماً قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنتزعه فوضعه وثبت قائماً قال ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنتزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت قال : فوثب الرجل فلما رآها عرف أنه قد نذرا به فهرب قال : ولما رأى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهبتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على ازمى ركعت فأذنتك وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بمحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها . هكذا ذكره ابن اسحاق في المغازي وقد رواه أبو داود عن أبي توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن اسحاق به . وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن أبيه حديث صلاة

الخوف بطوله قال وكان رسول الله (س) قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبي جارية
وضيئة وكان زوجها يحبها فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبته
ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن اسحاق . قال الواقدي وكان جابر بن عبد الله يقول بينا
أنا مع رسول الله (س) ، اذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله (س) ينظر اليه فأقبل اليه
أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك فقال
رسول الله (س) : ألمعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه فوالله لربكم أرحم
بكم من هذا الطائر بوجهه

قصته عمل جابر

قال محمد بن اسحاق : حدثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول
الله (س) ، الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف فلما قفل رسول الله (س) جعلت
الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله (س) ، فقال : مالك يا جابر ؟ قلت يا رسول الله
أبطأ بي هذا . قال : أنته ، قال فأنته وأناخ رسول الله (س) ، ثم قال : أعطني هذه العصا من
يدك أو اقطع عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله (س) ، فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب
فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواحق ناقته مواهقة . قال : وتحدثت مع رسول الله (س) ، فقال :
أتبغني جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت بل أهبه لك قال : لا ولكن بعني ، قال : قلت فسُئنيه ،
قال : قد أخذته بدرهم ، قال قلت : لا إذا تغبنني يا رسول الله ، قال : فبدرهمين ، قال : قلت لا ،
قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله (س) ، حتى بلغ الاوقية ، قال فقلت : أفقد رضىك ؟ قال : نعم ، قلت
فهو لك ، قال : قد أخذته ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ، قال قلت : نعم يا رسول الله ، قال :
أنيباً أم بكراً ، قال : قلت بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ، قال : قلت يا رسول الله
ان أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رءوسهن فتقوم عليهن .
قال : أصبت ان شاء الله ، أما انا لو جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت فأقننا عليها يومنا ذلك وصممت
بنا فنفضت نمارقها ، قال : فقلت والله يا رسول الله مالنا نمارق ، قال : انها ستكون فاذا أنت
قدمت فاعمل عملاً كيساً ، قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله (س) ، بجزور فنحرت وأقننا عليها
ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله (س) ، دخل ودخلنا . قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي
رسول الله (س) ، ، قالت : فدونك فسمع وطاعة فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى
أنخته على باب رسول الله (س) ، ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قاله : وخرج رسول الله (س) ،

فراى الجبل فقال : ما هذا ، قالوا : يا رسول الله هذا جبل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال فقال : يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ، قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية ، قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فوالله مازال ينمي عندي ويرحمي مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعني يوم الحرة . وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمري عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه . قال السهيلي : في هذا الحديث إشارة الى ما كان أخبر به رسول الله (س) ، جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكله فقال له تمنّ على . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى [ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم] وزادهم على ذلك في قوله [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة] ثم جمع لهم بين الموضع والموضع فرد عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون] والروح للانسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : فلذلك اشترى رسول الله (س) من جابر جملة وهو مطيته فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك . قال ففيه تحقيق لما كان أخبر به عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيلي هاهنا إشارة غريبة وتخيّل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ترجم المافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظاهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جبل جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، وهذا الحديث له طريق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن الجبل وكيفية ما اشترط في البيع ، وتحزير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الاحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتي ومستبعد تمداد ذلك والله أعلم

غزوة بدر للفرقة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا اليها من أحد كما تقدم . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله (س) الى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجباً ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول . قال ابن اسحاق فنزل رسول الله (س) بدرأ وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بجنة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يا مشر قریش انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فان عامكم هذا عام جديب وانى راجع فارجموا . فرجع الناس فسمام أهل مكة

جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق . قال واتي مخشى بن عمرو الضمرى وقد كان وادع النبي .س. في غزوة ودان على بنى ضمرة فقال : يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضمرة وان شئت رددنا اليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله .س. الى المدينة ولم يلق كيداً . قال ابن اسحاق وقد قال عبد الله بن رواحة يعنى فى انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك قال ابن هشام وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك :

وَعَدْنَا أبا سَفِيانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا
فَأَقْسَمُ لَوْ لَأَقِيتُنَا فَلَقِيتُنَا لَأَبْتَ ذِمًّا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا
تَرْكُنَا بِهِ أَوْصَالَ عَتَبَةَ وَابْنَهُ وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرْكُنَاهُ ثَاوِيَا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَدَيْنَكُمْ وَأَمْرُكُمْ السَّيِّئُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَانِي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لِقَاتِلٍ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَمْنَاهُ لَمْ نَعُدْ لَهُ فِينَا بَغْيَهُ شَهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دَعَا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جَلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْخُمَاضِ الْأَوَارِكِ
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارُهُ حَقًّا وَآيَدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتِ اللَّغُورِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ فَقَوْلًا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هَذَاكَ
أَقْنَا عَلَى الرَّسِّ التَّرْوِيعَ ثَمَانِيَا بَارِعًا عَنْ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمَبَارِكِ
بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَوَزَهُ نَصْفُ خَلْقِهِ وَقُبَّ طُوالِ مُشْرِفَاتِ الْخَوَارِكِ
تَرَى الْمَرْفِجَ الْعَامِجَ تَنْدِرِي أَصُولَهُ مَنَاسِمُ اخْفَافِ الْمَطِيِّ الرِّوَاتِكِ
فَإِنْ تَلَقَّ فِي تَطَوُّفِنَا وَالتَّمَاثِنَا فَرَاتُ بْنُ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهْنُ هَالِكِ
وَإِنْ تَلَقَّ قَيْسُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بَعْدَهُ يَزْدُ فِي سَوَادِ لَوْنِهِ لَوْنُ حَالِكِ
فَأَبْلَغَ أبا سَفِيانَ عَنِ رِسَالَةٍ فَأَنَّكَ مِنْ غَرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أَحْسَنُ إِنَّا يَا ابْنَ آسَكَةِ الْفَنَاءِ وَجَدَّكَ نَغْتَالِ الْخُرُوقِ كَذَاكَ
خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعْفِيرُ بَيْنَنَا وَلَوْ وَأَلَتْ مِنَّا بِشَدِّ مَدَارِكِ
إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مُنَاحٍ حُسْبَتُهُ مَدَّ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسَمِ الْمُتَعَارِكِ
أَقَمْتُ عَلَى الرَّسِّ التَّرْوِيعَ تُرِيدُنَا وَتَتَرَكُنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ الْمَدَارِكِ

على الزرع تمشي خيلنا وركابنا فما وطئت الصقنة بالكدك
أقنا ثلاثاً بين سلع وطارع يجزدر الجياد والمطي الرواتك
حسبتم جلاد القوم عند فنائكم كأخذكم بالعين أطلال آفك
فلا تبمش الخيل الجياد وقل لها على نحو قول المعصم المتأسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها فوارس من أبناء فهر بن مالك
فالك لاني هجرة إن ذكرتها ولا حرمت دينها أنت ناسك

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها ، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) استنفر الناس لموعد أبي سفيان وانبث المناقبون ، في الناس يثبطونهم فسلم الله أوليائه ، وخرج المسلمون بحجة رسول الله (ص) إلى بدر وأخذوا معهم بصائع وقالوا إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق ابن اسحاق في خروج أبي سفيان إلى بحنة ورجوعه وفي مقالة الضمري ، ومرض النبي (ص) المنسابة فأبى ذلك . قال الواقدي : خرج رسول الله (ص) إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة . وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع ، والصحيح قول ابن اسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان لكن قال في سنة ثلاث وهذا وهم فان هذه تواعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم . قال الواقدي : فأقاموا شهر مدة الموسم الذي كان يمتد فيها ثمانية أيام فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فاقبلوا كما قال الله عز وجل : (فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)

فصل في أخبار

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه يعني من رقية بنت رسول الله (ص) ، وهو ابن ست سنين فصرى عليه رسول الله (ص) ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه . قلت : وفيه توفي أبوسيلة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي الخزومي وأمه برة بنت عبد المطلب عمه رسول الله

(س) ، وكان رضيع رسول الله (ص) ، ارتضعا من نوية مولاة أبي لهب . وكان اسلام أبي سلم وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والارقم بن أبي الارقم قديماً في يوم واحد ، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة الى أرض الحبشة ثم عاد الى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة الى المدينة وتبعته أم سلمة الى المدينة كما تقدم ، وشهد بدرأً وأحداً ومات من آثار جرح جرحه بأحد رضي الله عنه وأرضاه ، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله (ص) بأم سلمة قريباً . قال ابن جرير : وفي ليال خلون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ورضي الله عنهم . قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله (ص) زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة المملالية . وقد حكى أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني انه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم واحسانها اليهم . وأصدقها ثلثي عشرة أوقية ونشا ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها . قال أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . قال ابن الأثير في الغيبة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش قتل عنها يوم أحد . قال أبو عمر : ولا خلاف انها ماتت في حياة رسول الله (ص) ، وقيل لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها ، وقال الواقدي في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله (ص) أم سلمة بنت أبي أمية . قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي اولادها أبي سلمة بن عبد الاسد وقد كان شهد أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج في سرية فغم منها نهما ومغناً جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاولى من هذه السنة ، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله (ص) ، الى نفسها بنفسه الكريمة وبعث اليها عمر بن الخطاب في ذلك مرراً فذكر أنها امرأة غيرى أى شديدة الغيرة وانها مصيبة أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون الى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقل : أما العيبة فالى الله وإلى رسوله أى نفقتهم ليس اليك ، وأما الغيرة فادعوا الله فينجبها ، فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم فزوج النبي (ص) ، فعني قد رضيت وأذنت . فتوم بعض العلماء انها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلى مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك والله الحمد والمنة . وان الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر ولدها وساغ هذا لان أباه ابن عمها فللابن ولاية أمه اذا كان

سبباً لها من غير جهة البتة بالاجماع . وكذا اذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البتة فلا يل
بها عقد النكاح عند الشافعي وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا
موضع آخر يذكر فيه وهو كتاب النكاح من الاحكام الكبير إن شاء الله

قال الامام أحمد : حدثنا يونس حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة
ابن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول
الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ ، قولاً سررت به ، قال : « لا يصيب أحداً من
المسلمين مصيبة فيستر جمع عند مصيبتته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا
فعل به » . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم
أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها . ثم رجعت الى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي
سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن على رسول الله ﷺ ، وأنا أدبغ إهاباً لي ففسلت يدي من القرظ
وأذنت له فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف فقدم عليها فخطبني الى نفسي ، فلما فرغ من مقالته
قلت : يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكني امرأة بي غيرة شديدة فأخاف أن
تري مني شيئاً يذهبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال . فقال : أما ما ذكرت
من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما
ما ذكرت من العيال فأنما عيالك عيالي ، فقالت : فقد سلت رسول الله ﷺ . فقالت أم سلمة :
فقد أبداني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ . وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث
حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة عن أبي سلمة به . وقال الترمذي حسن
غريب . وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبي
بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن عمر بن أبي
سلمة به .

وقال ابن اسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ - يعني من بدر الموعد - راجعاً الى المدينة
فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع . وقال الواقدي : وفي
هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله ﷺ ، زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . قلت : ثبت
عنه في الصحيح أنه قال تعلمته في خمسة عشر يوماً والله أعلم

سنة خمس من الهجرة النبوية غزوة دومة الجندل في ربيع الأول سنة

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل . قال ابن هشام في ربيع الاول ، - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن هرقة الغناري . قال ابن اسحاق : ثم رجع الى المدينة قبل أن يصل اليها ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن اسحاق . وقد قال محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو الى أداني الشام ، وقيل له ان ذلك مما يفرع قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعا كبيرا وأنهم يظلمون من مرتبهم ، وكان لما سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة . فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكن النهار ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذكور هاجر خريت . فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسواثم بن تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ففرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فقام بها أياماً ، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلة رجلاً منهم فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أوس ، فمرض عليه رسول الله ﷺ ، الاسلام فاسلم ، ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة . قال الواقدي : وكان خروجه عليه السلام الى دومة الجندل في ربيع الآخر (١) سنة خمس . قال : وفيه توفيت أم سعد بن عباد وابتها مع رسول الله ﷺ . في هذه الغزوة وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سميد بن أبي هريرة عن قتادة عن سميد بن المديب أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضي أنه عليه السلام غلب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله

غزوة الجندل في ربيع الأول سنة

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الاحزاب فقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُنتُمْ

(١) تاريخ ابن جرير عن الواقدي أنه في ربيع الاول ،

جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا * ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار وكان عهد الله مستولاً * قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمنتون إلا قليلاً * قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً * قد يعلم الله الموقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً * أشجّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف ساقواكم بالسنة حداد أشجّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يوذبوا لو أنهم بادون في الأحزاب يسألون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً * ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً * ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيتهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأيرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً * وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات السكريمات في التفسير والله الحمد والمنة، ولنذكرها هنا ما يتعلق بالتصية إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن اسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً وقد روى موسى بن عتبة عن الزهري أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع . وكذلك قال الامام مالك بن أنس فيمارواه احمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه . قال البيهقي : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة لان مرادهم ان ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس ، ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد وعاهدوا المسلمين الى بدر العام القابل ، فذهب النبي (ص) وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع

ورجع أبو سفيان بقریش لجلب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق في شوال من سنة خمس والله أعلم . وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحد بسنتين ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث الأعلى قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها كما حكاه البيهقي . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي وقد صرح بأن بدرآ في الأولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع . وهذا يخالف لقول الجمهور فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم . والصحيح قول الجمهور أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم . فاما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال : عرضت على رسول الله (ص) ، يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فاجازني ، فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقي بأنه عرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة . قالت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز لمثلها الغلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا الفرق بين الصغير والكبير . ثم كتب به إلى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن اسحاق وغيره . قال ابن اسحاق : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس . فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن لا أنهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث مالا يحدث به من . قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفرآ من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحبي بن الخطيب النضري وكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو ذئب بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله (ص) ، خرجوا حتى قدموا على قریش بمكة فدعاهم إلى حرب رسول الله (ص) ، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قریش : يا معشر يهود ادعكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفدينا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم في الأمر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالكتب والظاهرات ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين

آمنوا سبيلاً ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجده نصيراً الآيات . فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله (س) ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعواهم الى حرب النبي (س) ، وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسر بن ربيعة بن نويرة ابن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعهم من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله (س) ، وما أجمعوا له من الأمر ضرب البخندق على المدينة قال ابن هشام : يقال ان الذي أشار به سلمان . قال الطبري والسهيلي : أول من حفر الخنادق منو شهر بن أريج بن أفريدون وكان في زمن موسى عليه السلام . قال ابن اسحاق : فعل في رسول الله (س) ترغيباً للمسلمين في الاجر ، وعمل معه المسلمون ، وتخلف طائفة من المنافقين يمتدرون بالضعف ، ومنهم من يسلل خفية بغير اذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام . وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴾ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ألا ان الله ما في السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم]

قال ابن اسحاق : فعل المسلمون فيه حتى احكوه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جميل سمى رسول الله (س) ، عمرآ ، فقالوا فيما يقولون :

سماء من بعد جميل عمرآ وكان للبائس يوماً ظهراً

وكانوا اذا قالوا عمرآ قال معهم رسول الله (س) ، عمرآ ، واذا قالوا ظهراً قال لهم ظهراً . وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً قال : خرج رسول الله (س) ، الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم اني اعيش عيش الآخرة ، فأغفر الأنصار والمهاجرة » فقالوا بحبيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس نحوه . وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحيد عن أنس بنحوه . وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : جمل المهاجرون والانصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بإيعاز محمدنا على الاسلام ما بقينا أبدا

قال يقول النبي (ص) ، بحسبنا لم « اللهم ! انه لا خير الاخير الاخير الآخرة ، فبارك في الانصار والمهاجرة » قال يوثون بملء كفى من الشعر فيصنع لهم باهالة سنخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع ، وهي بشعة في الخلق ولها ريح منتن . وقال البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله (ص) في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله (ص) : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والانصار » . ورواه مسلم عن القعني عن عبد العزيز به . وقال البخاري : حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله (ص) ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا

ورفع بها صوته : أينا ، أينا . ورواه مسلم من حديث شعبة به . ثم قال البخاري : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلة حدثني ابراهيم بن يوسف حدثني أبي عن أبي اسحاق عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله (ص) رأيتني ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعت يرنج بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا

ان الأولى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

ثم بعد صوته بآخرها . وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار حدثنا اسماعيل بن الفضل البجلي حدثنا ابراهيم بن يوسف البلخي حدثنا المسيب ابن شريك عن زياد بن أبي زياد عن أبي عثمان عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في

الخلق وقال : بسم الله وبه هدينا ولو عبدنا غيره شقينا

يا حَبَدًا رَبًّا وَحَبًّا دِينًا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان حدثنا شعبة عن معاوية ابن قرة عن أنس ان رسول الله (س) قال وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير الا خير الآخرة ، فأصلح الانصار والمهاجرة » وأخرجاه في الصحيحين من حديث غندر عن شعبة
قال ابن اسحاق وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله (س) وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . فمن ذلك ان جابر بن عبد الله كان يحدث انه اشتد عليهم في بعض الخندق كذبة ، فشكوها الى رسول الله (س) ، فدعا بالاء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لا تهالت حتى طالت كالكتيب ماردة فأساً ولا مسحاة . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وقد قال البخاري رحمه الله حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عبد الواحد ابن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابرًا فقال انا يوم الخندق فحفر فمرضت كذبة شديدة فجاؤا النبي (س) فقالوا هذه كذبة مرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه مصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نلوق ذواقاً فأخذ النبي (س) المول ف ضرب فماد كشيئاً أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله انزلني الى البيت ، فقلت لامرأتى رأيت بالنبي (س) شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت عندي شمير وعناق ، فذهبت العناق وطحننت الشمير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي (س) ، والمعجين قد انكسر والبرمة بين الانافي قد كادت أن تتضج فقلت طعم لي قم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال كم هو ؟ فذكرت له ، فقال كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي ، فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار . فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي (س) بالمهاجرين والانصار ومن معهم . قالت هل سألك ؟ قلت نعم فقال ادخلوا ولا تضاعفوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويختر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرّب الى أصحابه ، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويفرف حتى شبوا وبقي بقية قال : كلى هذا وأهدى ، فاز الناس أصابهم بجاهة . تفرد به البخاري . وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم عن جابر بقصة السكدية وربط الحجر على بطنه الكريم . ورواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة السكدية والطعام وطوله أتم من رواية البخاري قال فيه : لما علم النبي (س) بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً قوموا الى جابر فقاموا ، قال فلقيت من

الحياء ما لا يعلمه إلا الله وقلت جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق . ودخلت على امرأتى أقول :
افتضحت جاءك رسول الله (س) ، بالخنديق أجمعين ، فقالت : هل كان سالككم طعامك ؟ قلت :
نعم . فقالت الله ورسوله أعلم . قال فكشفت عني غمماً شديداً ، قال فدخل رسول الله (س) ، فقال
خدمى ودعيتى من اللحم . وجعل رسول الله (س) ، يترد ويغرف اللحم ويخمر هذا ويخمر هذا فما
زانه يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملاً ما كانا ، ثم قال رسول الله
(س) اكلى واهدى فلم نزل تأكل وتهدى يومها . وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد
الرحمن بن محمد المحاربى عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر به وأبسط أيضاً ، وقال فى
آخره : وأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة أو قال ثلثمائة . وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن
أبي الزبير عن جابر . فذكر القصة بطولها فى الطعام فقط وقال وكانوا ثلثمائة . ثم قال البخارى :
حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبي سفيان عن أبي الزبير حدثنا ابن ميناء
سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبي (س) ، خصاً فانكملت الى امرأتى فقلت
هل عندك شيء فأتيت برسول الله (س) ، خصاً شديداً . فأخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير
ولنا بهيمة داجن فذبحتها فطحننت ففرغت الى فراغى وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله
(س) ، فقالت لا تفضحنى برسول الله (س) ، وبين معه ، فجئت فساررتة فقلت يا رسول الله ذبحت بهيمة
لنا وطحننت صاعاً من شعير كان عندنا ، فعمال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله (س) ، فقال :
يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سؤراً خبيلاً بكم ، فقال رسول الله (س) ، لا تنزلن برمتكم ولا
تخبزن عجيتكم حتى أجيء . فجئت وجاء رسول الله (س) ، يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت
بك وبك . فقلت قد فعلت الذى قلت . فأخرجت لنا عجينة فبسط فىه وبارك ثم عمد الى برمتنا
فبسط وبارك ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك واقسحى من برمتك ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم
بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيتنا كما هو . ورواه مسلم
عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم به نحوه . وقد روى محمد بن اسحاق هذا الحديث وفى
سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال حدثني سميد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع
رسول الله (س) ، فى الخندق وكانت عندي شوية غير جد صمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول
الله (س) ، قال وأمرت امرأتى فطحننت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة
فشويناه لرسول الله (س) ، فلما أمسينا وأراد رسول الله (س) ، الانصراف عن الخندق قال وكنا
نعمل فيه نهراً فإذا أمسينا رجعنا الى أهالينا فقلت يا رسول الله انى قد صنعت لك شوية كانت
عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فانا أحب أن تنصرف معى الى منزلى قال وانما أريد
أن ينصرف معى رسول الله (س) ، وحده . قال فلما أن قلت ذلك قال نعم ثم أمر صارخاً فصرخ أن

انصرفوا مع رسول الله (ص) الى بيت جابر بن عبد الله . قال قلت انا لله وانا اليه راجعون . قال
 فاقبل رسول الله (ص) واقبل الناس معه فجلس وأخرجناها اليه قال فبرك وسمى الله تعالى ثم
 أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . والعجب أن الامام
 احمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق
 عنه عن جابر مثله سواء . قال محمد بن اسحاق وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن
 سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعني أمي عمرة بنت ربيعة فاعطني حقة من تمر في ثوبي ثم
 قالت أي بنية اذهبي الى أبيك وخالك عبد الله بن ربيعة فخذها وانطلقت بها
 فررت برسول الله (ص) وأنا ألتبس أبي وخالي فقال تعالى يا بنية ما هذا معك قالت قلت يا رسول
 الله هذا تمر بمثقي به أمي الى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن ربيعة يتغديانه . فقال هاتيه قالت
 فصبته في كفي رسول الله (ص) فما ملأتهما ثم أمر بشوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق
 الثوب ثم قال لا تسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أنت . فلم الى الغداء . فاجتمع أهل الخندق
 عليه فجمعوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وأنه ليسقط من أطراف
 الثوب . هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .
 قال ابن اسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت على
 صخرة ورسول الله (ص) قريب مني فلما رأيته أضرب ورأيت شدة المكان علي نزل فأخذ المول من
 يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحت برقة أخرى قال
 ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع
 تحت المول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال قلت : نعم . قال : أما الاولى فإن الله
 فتح علي باب اليمن وأما الثانية فإن الله فتح علي باب الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها
 المشرق . قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن اسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في منازيه ، وذكره
 أبو الاسود عن عروة ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكندي وفي حديثه نظر . لكن
 رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن
 عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده فقد ذكر حديثاً فيه أن رسول الله (ص) خط الخندق
 بين كل هشة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرون والانصار في سلمان فقال رسول الله (ص) :
 سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من
 الانصار في أربعين ذراعاً ففرونا حتى اذا بلغنا الندي ظهرت لنا صخرة بيضاء مروية فكسرت
 حديدنا وشمقت حديدنا ، فذهب سلمان الى رسول الله (ص) وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها فجاء

فاخذ المول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، و برقت منها بركة أضاءت ما بين لا بتيها
 = يعنى المدينة = حتى كأنها مصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبير فتح وكبر
 المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول
 الله (ص) ، وسألوه عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لى من الاولى قصور الحيرة ومدائن كسرى
 كأنها أنياب الكلاب فاخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثانية أضاءت القصور الحجر
 من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاءت
 قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فابشروا ، واستبشر
 المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا
 الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر
 من ثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وإنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن
 تبرزوا فنزل فيهم [واذا يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا
 غرورا] وهذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا هارون بن ملول حدثنا
 أبو عبد الرحمن حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال لما أمر
 رسول الله (ص) بالخندق فنحنى على المدينة قالوا يا رسول الله انا وجدنا صفة لا نستطيع حفرها
 فقام النبي (ص) وقمنا معه فلما أتاه أخذ المول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع
 مثلها قط فقال فتحت فارس ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت
 الروم ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال : جاء الله بحمير أعواناً
 وأنصاراً . وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنس الإفريقى فيه
 ضعف فأنه أعلم . وقال الطبرانى أيضاً : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سعيد بن محمد
 الجرمي حدثنا أبو نميلة حدثنا نعيم بن سعيد الغرى أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتفر
 رسول الله (ص) الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلما رأى ذلك رسول
 الله (ص) قال : هل دلتهم على رجل يطعمنا أكلة ؟ قال رجل نعم . قال أما لا فتقدم فدنا عليه .
 فانطلقوا الى [بيت] الرجل فاذا هو فى الخندق يعالج نصيبه منه فارسلت امرأته أن جىء فان رسول
 الله (ص) قد أتانا فجاء الرجل يسعى وقال : أبى وأمى وله معزة ومعها جديها فوثب اليها فقال النبي
 (ص) الجدى من ورائها فذبح الجدى وعمدت المرأة الى طحينة لها فصبقتها وخبزت فادركت
 القدر فتردت قصبتها فقربتها الى رسول الله (ص) وأصحابه فوضع رسول الله (ص) أصبعه
 فيها وقال بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا فاكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها
 وبقي ثلثها فسرحت أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا اليها بعدكم فذهبوا

فجاء أولئك المشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعأ ربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها، ثم مشوا إلى الخندق فقال: اذهبوا بنا إلى سلمان، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال رسول الله (ص): دعوني فأكون أول من ضربها. فقال: بسم الله. فضربها فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة. فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم، ثم قال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا هوذة حدثنا عوف عن ميمون بن استاذ الزهري حدثني البراء بن عازب الانصاري قال لما كان حين أمرنا رسول الله (ص) بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المaul فشكوا ذلك إلى رسول الله (ص) فلما رآها أخذ المaul وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله أني لأبصر قصورها الحمران شاء الله، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله أني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة. وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن استاذ هذا وهو بصري روى عن البراء وعبد الله بن عمرو وعنه حميد الطويل والجريري وهوف الاعرابي قال أبو حاتم عن اسحاق بن منصور عن ابن معين كان ثقة وقال علي بن المديني كان يحمي بن سعيد القطان لا يحدث عنه. وقال النسائي حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبي زرعة السيباني عن أبي سكينه رجل من البحرين عن رجل من أصحاب النبي (ص)، قال لما أمر رسول الله (ص) بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي (ص)، وأخذ المaul ووضع رداءه ناحية الخندق وقال [وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم] فنذر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله (ص)، برقة ثم ضرب الثانية وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلمات الله وهو السميع العليم فنذر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فنذر الثلث الباقي وخرج رسول الله (ص)، فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة قال رسول الله (ص): يا سلمان رأيت ذلك؟ قال أي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال فأن حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بمعنى فقال له من حضره من أصحابه يا رسول الله ادع أن يفتحها علينا ويقتلنا ذرارهم

ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لى مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذرارهم ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا ثم قال ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني . ثم قال رسول الله - ﷺ « دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم » هكذا رواه النسائي مطولا وانما روى عنه أبو داود دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم عن عيسى بن محمد الرملي عن ضمرة بن ربيعة عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني به ثم قال ابن اسحاق وحدثني من لائهم عن أبي هريرة انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعدهم افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمداً - ﷺ مفاتيحها قبل ذلك . وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه والله الحمد فقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله - ﷺ يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي . وقد رواد البخاري منفرداً به عن يحيى بن بكير وسعيد بن عفير كلاهما عن الليث به وعنده قال أبو هريرة فذهب رسول الله - ﷺ وأنتم تنتفلونها وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فقلت في يدي . وهذا اسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفي الصحيحين اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسى بيده لئن تقن كنوزهما في سبيل الله . وفي الحديث الصحيح ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها

فَضِّلْ

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله - ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسياك من رومة بين الجرف وزغابه في عشرة آلاف من أحايشهم ومن تبعهم من بنى كنهاته وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي نقيس الى جانب أحد وخرج رسول الله - ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ف ضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام . قال ابن

هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قلت وهذا معنى قوله تعالى [إذ جاءكم من فوقكم ومن
 أسفل منكم وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا] قال البخاري :
 حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة [إذ جاءكم من
 فوقكم ومن أسفل منكم] واذ زاغت الأبصار [قالت ذلك يوم الخندق . قال موسى بن عقبة ولما نزل
 الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم . قال ابن اسحاق وخرج حيي بن اخطب
 النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه
 دون حيي فاستأذن عليه فإني أن يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لي . قال ويحك يا حيي انك
 امرؤ مشئوم وإني قد علمت محمداً فليست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاةً وصدقا . قال
 ويحك افتح لي أكلك . قال ما أنا بناعل . قال والله إن أعلقت دوني إلا خوقاً على جيشتك إن
 آكل منك منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئت بك بجزء الدهر وبجزء طام قال وما
 ذاك قال جئت بك بمویش على قادتها وسانتها حتى أنزلتهم بمجمع الأسياح من رومة وبغطفان على
 قادتها وسانتها حتى أنزلتهم بذي نيب قمي إلى جانب أحداء قد عاهدوني وعاهدوني على أن
 لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب جئتني والله بجزء الدهر وبجزء طام قد هراق ماؤه
 يردد ويرق وليس فيه شيء ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من عهد إلا وفاةً وصدقا
 وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله (س) .
 وعهده ومعهدهم إياه على نصره وقال : إذا لم تنصروه فتركوه وعدوه . قال ابن اسحاق فلم يزل
 حيي يكعب يفتله في النور وقال الغارب حتى سمع له - يعني في نقض عهد رسول الله (س) وفي محاربته
 مع الأحزاب - على أن أعطاه حيي عهداً فهو ميثاقان رجعت قريش وغطفان ولم يصبوا محمداً أن أدخل
 منك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان بينه وبين
 رسول الله (س) . قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد بنو قريظة حيي بن اخطب أن يأخذ لهم
 من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضم أن هم رجعوا ولم ينجزوا محمداً ، قالوا :
 وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرفهم . فنزلهم حيي على ذلك . فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا
 الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سعة أسد وأسيد وعلبة فانهم خرجوا إلى رسول الله (س) .
 قال ابن اسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله (س) ، الله وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ
 سيد الأوس وسعد بن عباد وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال
 انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فنظروا الحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقاً فالحق لنا أعرفه ولا
 تفتروا في أعضاء المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال فخرجوا حتى أتوهم . قال موسى

ابن عقبة فدخلوا معهم حصنهم فدعواهم الى المواقعة وتجديد الحلف فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بني النضير) وقالوا من رسول الله (ص) ، فجعل سعد بن عباد يثأرهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ انا والله ما جئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشامة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال انكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه . فقالوا اكلت أبرأيك . فقال غير هذا من القول كان أجل بكم وأحسن . وقال ابن اسحاق : قالوا من رسول الله (ص) . وقالوا من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد . فشأهم سعد بن معاذ وشأموه وكان رجلاً فيه حجة فقال له سعد بن عباد دع عنك مشأمتهم لما بيننا وبينهم أربى من المشامة . ثم أقبل السعدان ومن معها الى رسول الله (ص) ، فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة أي كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله (ص) : الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين . قال موسى بن عقبة ثم تقنع رسول الله (ص) ، بشو به حين جاءه الخبر عن بني قريظة فاضطجع ومكث طويلاً فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا انه لم يأتهم عن بني قريظة خير . ثم انه رفع رأسه وقال ابشروا بفتح الله ونصره . فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمي بالنبل والحجارة قال سعيد بن المسيب قال رسول الله (ص) : اللهم اني أسألك عهدك ووعدك اللهم ان تشأ لا تعبد . قال ابن اسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يمدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط . وحتى قال أوس بن قبيصة : يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه فأذن لنا أن نرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة . قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى [واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا] واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا] قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله (ص) ، مرابطاً وأقام المشركون يحاصرونه بضماً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله (ص) ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن الزهري الى عبيدة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان واعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا عن مهاجمة وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة ، فلما أراد رسول الله (ص) ، أن يفعل ذلك بعث الى السعدين فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله أمراً نحببه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : بل

شيء أصنع لكم ، والله ما أصنع ذاك إلا لاني رأيت العرب رمكم عن قوس واحدة و كالبنوك من كل جانب فأردت أن أكرع عنكم من شوكتهم الى أمر ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً ، ألحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي (ص) : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فحماها فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا . قال فأقام النبي (ص) ، وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش - منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أحد بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان ، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر - تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيئوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تمنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأود قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً ففرضوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسمع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تمنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثنته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً لبري مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى إحدى تخطين الا أخذتها منه ، قال أجل . قال له علي : فاني أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فاني أدعوك الى التزال . قال له : لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتاك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتاك . فحصى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فمقره وطر به وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة . قال ابن اسحاق وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصواب
فصدرتُ حين تركته متجذلاً كالجذع بين دكاكٍ وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو أنني كنتُ المقطرُ بزي أثوابي
لا تحسبن الله خاذلَ دينه ونبيّه يا معشرَ الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي . قال ابن هشام : وألقى عكرمة

رحمه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال في ذلك حسان بن ثابت :

فَرُّ وَأَلْقَى لَنَا رَحْمَهُ لَعَلَّكَ عِكَرْمٌ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيلِ مَا إِنْ يَحْوَرُّ عَنِ الْمَعْدِلِ
وَلَمْ تَلَوْ ظَهْرَكَ مَسْتَأْنِسًا كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فَرْعَلِ

قال ابن هشام : الفراعل صغار الصباع . وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن اسحاق في موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فتنادى : من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : انه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي ترعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلى رجلا ؟ فقام علي فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

وَلَقَدْ بُحِثْتُ مِنَ النِّدَاءِ رَجُلَهُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ
وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الْمُشْجَعُ مَوْقِفَ الْقَرَبِ الْمُنَاجِزِ
وَلِذَاكَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزِ
إِنَّ الشُّجَاعَةَ فِي الْفَتَى وَالْجَوْدُ مِنْ خَيْرِ الْفَرَائِزِ

قال فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : انه عمرو ، فقال وان كان عمراً . فأذن له رسول الله ، فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لَا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَنَاكَ بِحَيْبُ صَوْتِكَ غَيْرُ عَاجِزٍ
فِي نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ وَالصِّدْقُ مَنُجَّى كُلِّ فَائِزٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَقْبِيَنَّ عَلَىكَ نَائِمَةً الْجَنَائِزِ
مِنْ ضَرْبَةِ نَجْلَاءٍ يَبْقَى ذِكْرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزِ

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال : يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فاني أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له علي : لا إني والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب فترسل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله علي بدركته فضربه عمرو في دركته فقتلها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علي على جبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله ، التكبير فعرفنا أن علياً قد قتله . فتم يقول علي :

أَعْلَى تَقْتَحِمُ الْفَوَارِسُ هَكَذَا عَنِّي وَعَنْهُمْ أُخْرُوا أَصْحَابِي
الْيَوْمَ يَمْنَعُنِي الْفَرَارَ حَفِيزَتِي وَمَصَّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِي

الى أن قال : عبد الحجاره من سفاهة رأيه وعبدت رباً محمد بصواب
الى آخرها . قال ثم أقبل على نحر رسول الله (س) ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب :
هلاً استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فأتقاني بسوءته فاستحييت ابن
عمي أن أسلبه ، قال وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق

وذكر ابن اسحاق فيها حكاية عن البيهقي أن علياً طعمته في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات
في الخندق ؛ وبعث المشركون الى رسول الله (س) يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال هو لكم
لأننا كل ثمن الموتى . وقال الامام أحمد سجدت لنا نصر بن باب حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم
عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالا ، فقال
رسول الله (س) : ادفعوا اليهم جيفته فانه خبيث الجيفة خبيث الدية ، فلم يقبل منهم شيئاً . وقد رواه
البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حجاج وهو ابن ارطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس :
أن رجلاً من المشركين قتل يوم الاحزاب فبعثوا الى رسول الله (س) أن ابعث الينا بجسده
ونعطيهم اثني عشر ألفاً فقال رسول الله (س) : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » . وقد رواه الترمذي
من حديث سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب .
وقد ذكر موسى بن عطاءة أن المشركين انما بعثوا يطالبون جسده نوفل بن عبد الله المخزومي حين
قتل وعرضوا عليه الدية فقال : « انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته . فلا أرب لنا في
ديته ولنسأ نمنعكم أن تدفنوه » وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال : وخرج نوفل بن
عبد الله بن المغيرة المخزومي فسأل المبارزة فخرج اليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنتين حتى
فل في سيفه فلا وانصرف وهو يقول :

أي امرؤ أحمي وأحتمي^(١) عن النبي المصطفى الأبي

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قتلة
أحسن من هذء يا معشر العرب . فنزل اليه على فقتله وطلب المشركون رتمه من رسول الله (س) .
بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ومكنهم من أخذه اليهم وهذا غريب من وجهين . وقد
روى البيهقي من طريق حماد بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال جعلت
يوم الخندق مع النساء والصبيان في الاطم ومع عمر بن أبي سلمة فجعل يطأطأ لي فاصعد على ظهره
فأنظر قال فنظرت الى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا فما يرتفع له شيء الا أتاه فلما أمسى
جاءنا الى الاطم قلت يا أبة رأيتك اليوم وما تصنع قال ورأيتني يا بني قلت نعم قال فدى لك أبي

وأُمي . قال ابن اسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الانصاري أخو بني حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت فر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرقل بها ويقول :

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا بَجَلٍ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

فقال له أمه الحق بني فقد والله أخرت . قالت عائشة قفلت لها يأُم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مماء . قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه . فرُمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حيان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها مني وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد عرق الله وجهك في النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فبقني لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمنني حتى تفرعيني من بني قريظة . قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعداً يومئذ الا أبو أسامة الجشعي حليف بني مخزوم ، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لمكرمة بن أبي جهل :

أَعَكْرُمُ هَلَّا لَمَنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مَرِيضَةً لَهَا بَيْنَ أَتْنَسَاءِ الْمُرَافِقِ عَانِدُ
قَضَى نَجْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعُولْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشُّطْرِ الْعَذَارَى النَّوَاهِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدِّعَا غُبَيْدَةً جَمْعًا مِنْهُمْ إِذْ يَكَابِدُ
عَلَى حَيْنٍ مَامٍ جَائِرٍ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرُ مَرَعَوْبٍ عَنِ التَّصْدِيقِ قَاصِدُ

قال ابن اسحاق والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن هشام ويقال ان الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان قلت وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتي بيانه فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم حتى قال له رسول الله (ص) ، لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة . قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معناه فيه مع النساء والصبيان فبرئنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله (ص) ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا

ورسول الله (ص)، والمسلمون في فحور عدوم لا يستطيعون أن يتصرفوا عنهم البنا اذ أتنا آت
 فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وأنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من
 وراءنا من يهود. وقد شغل رسول الله (ص)، وأصحابه فانزل اليه فاقته . قال يغفر الله لك يا بنت عبد
 المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجرت ثم
 أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت
 يا حسان انزل فاستلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل . قال مالي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب .
 قال موسى بن عقبة وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتابهم فحاصروهم
 قريباً من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدري أتم أم لا قال ووجهوا نحو منزل رسول
 الله (ص)، كتيبة غليظة فقاتلهم يوماً الى الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر
 النبي (ص)، ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفأت
 الكتيبة مع الليل فزعموا ان رسول الله (ص)، يقال شغلونا عن صلاة العصر ملائكة الله بطونهم وقلوبهم
 وفي رواية وقبورهم نارا . فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول
 الله (ص)، ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول « والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم
 ماترون من الشدة وأنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله الى مفاتيح الكعبة
 وليهلك الله كسرى وقيصر ولتنقن كنوزهما في سبيل الله »

وقد قال البخاري : حدثنا اسحاق حدثنا روح حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علي عن
 النبي (ص)، أنه قال يوم الخندق « ملائكة الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى
 حتى غلبت الشمس » وهكذا رواد بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان عن محمد
 ابن سيرين عن عبيدة عن علي به ورواه مسلم والترمذي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة
 عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة عن علي به وقال الترمذي حسن صحيح . ثم قال البخاري حدثنا
 المكي بن إبراهيم حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء
 يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال : يا رسول الله ما كدت أن أصلي
 حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي (ص)، والله ما صليتها فترانا مع رسول الله (ص)، بطحان فتوضأ
 للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخاري
 أيضاً ومسلم والترمذي والذهبي من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به وقال الامام
 احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس قال قاتل النبي (ص)،
 عدواً فلم يفرغ منهم حتى أفرغ العصر عن وقتها فلما رأى ذلك قال اللهم من حبسنا عن الصلاة

الوسطى فاملاً بيوتهم ناراً واملاً قبورهم ناراً» ونحو ذلك تفرد به أحمد وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره . وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث وألزم القاضي الموردي من مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : [حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين] . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والاوزاعي وقد بوب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله «يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة - كما سيأتي - «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقترب فتح الحصن . وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور منهم الشافعي هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك قلها أئروها يومئذ وهو مشكل قال ابن اسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبي صلى صلاة الخوف بسفلى وقد ذكرها ابن اسحاق وهو امام في المغازي قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالحق أعلم . وأما الذين قالوا ان تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء من رواية أبي هريرة وأبي سعيد قال الامام حدثنا يزيد وحجاج قالا حدثنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى من الليل حتى كفينا وذلك قوله [وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً] قال فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصلها في وقتها ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج في صلاة الخوف فان ختم فرجالا أو ركباناً وقد رواه النسائي عن الفلاس عن يحيى القطان عن ابن أبي ذئب به قال شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره . وقال أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الزبير عن نافع بن جبيرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله قال فأمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا مؤمل يعني ابن اسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن عبد الكريم يعني ابن أبي المخارق

عن مجاهد عن جابر بن عبد الله ان النبي (ص) شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء ثم قال « ما على وجه الارض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » تفرد به البزار وقال لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله

فصل في دعاء عليه السلام عند الحرب

قال الامام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - حدثنا ربيع بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ، قال « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال ف ضرب الله وجوه أعدائه بالريح . وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن أبي عامر - وهو العقدي - عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد فذكره وهذا هو الصواب . وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن ابن أبي ذئب عن رجل من بني سلمة عن جابر ابن عبد الله ان النبي (ص) أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه متدآ يدعو عليهم ولم يصل قال ثم جاء ودعا عليهم وصلى . وثبت في الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله (ص) على الأحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وزلزلهم . وفي رواية اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم . وروى البخاري عن قتيبة عن الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) كان يقول « لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده » وقال ابن اسحاق وأقام رسول الله (ص) وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لنظائر عدوهم عليهم واتيأتهم ايام من فوقهم ومن أسفل منهم . قال ثم ان نعيم بن مسعود ابن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع ابن ريث بن غطفان أتى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله (ص) « انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة » فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال : يا بني

قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بهم . فقال لهم ان قريشا
وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرّون على أن تتحولوا منه الى
غيره وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهروهم عليه وبلدكم ونسأؤهم وأموالهم
بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم . بين
الرجل ببلدكم ولا طاعة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم
يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنأجزوهم . قالوا لقد أشرت بأرى . ثم خرج
حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي اياكم وفراقي
محمداً ، وانه قد بلغني أمر قد رأيت على حقاً أن أباكموه نصيحاً لكم فاكتموا عني . قالوا نفعل قال
تعلوا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه اننا قد ندمنا على ما فعلنا
فهل يرضيك أن تأخذناك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم فنتضرب أعناقهم
ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم . فأرسل اليهم ان نعم . فان بعث اليكم يهود يلبسون
منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان
انكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس الى ولا أراكم تهملوني . قالوا صدقت يا أنت عندنا بهم . قال
فاكتموا عني قالوا نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم . فلما كانت ليلة السبت من
شوال سنة خمس وكان من صنيع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ودرهم غطفان
الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم انا لسا بدار مقام هلاك انفس
والخافر فاعدوا للقتال حتى نأجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت
وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ولستنا مع ذلك
بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نأجز محمداً فاما
نخشى ان ضررستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تذهبوا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا
ولا طاعة لنا بذلك منه : فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله ان
الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا الى بني قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً من
رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فانخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا
ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يزيد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انهمزوها وان
كان غير ذلك انشروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا الى قريش وغطفان
نا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة شاتية
شديدة الرد فجعلت تكفي قلوبهم وتطرح آفئتهم .

وهذا الذي ذكره ابن اسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة .
وقد أورده عنه البيهقي في الدلائل فإنه ذكر ما حصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه
من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله (ص) ذات يوم عشاء ، فأشار إليه أن تعال ، فجاء فقال :
ما وراءك ؟ فقال : إنه قد بعثت قريش و غطفان الى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا اليهم
فيناجزوك ، فقالت قريظة نعم فأرسلوا اليها بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم انما نقضوا العهد
على يدى حبي بن أخطب بشرط أن يأتهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال فقال له رسول
الله (ص) : إني مسر إليك شيئاً فلا تذكره ، قال : أنهم قد أرسلوا إلى يدعونني الى الصلح وأرد
بنى النضير الى دورهم وأموالهم ، فخرج نعيم بن مسعود عامداً الى غطفان . وقال رسول الله (ص) :
« الحرب خدمة وعسى أن يصنع الله لنا » . فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا
الى بنى قريظة هكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم
فاعتأت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا . قلت : وقد يحتمل
أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش و غطفان بعثوا الى رسول الله (ص) يريدون
منه الصلح على أن يرد بنى النضير الى المدينة والله أعلم

قال ابن اسحاق : فلما انتهى الى رسول الله (ص) ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من
جمعهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً . قال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن
زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله
أرايتم رسول الله (ص) ومحبته ؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال فكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله
لقد كنا نجتهد ، قال : والله لو أدركناه ما تركناه . شئ على الارض ولجئناه على أعناقنا ، قال فقال
حذيفة : يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) بالحنديق وصلى رسول الله (ص) هويتاً من
الليل ثم التفت اليها فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - فشرط له رسول الله (ص) :
الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيق في الجنة ، فما قام رجل من شدة البؤس والجوع والبرد ، فلما لم
يتم أحد دعائى ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعائى ، فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر
ماذا يفعلون ولا تحدث شيئاً حتى تأتينا ، قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل
بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من
جليسه . قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي كان الى جنبي فقلت من أنت ؟ قال فلان ابن فلان ؛
ثم قال : يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخلف وأخلفتنا بنو
قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ماترون ماتطين لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا
يسسك لنا بناء فارتحلوا فأتى من يحل ، ثم قام الى جهاد وهو مقول فجلس عليه ثم ضرب به فوثب به

على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله (س) إلى لا يحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله (س) وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه . رحل فلما رأيته أدخلني إلى رجله وطرح عليّ طرف المرط ثم ركع وسجد وأنى لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر . وصحمت غطفان بما فعلت قريش فانشروا راجعين إلى بلادهم ، وهذا منقطع من هذا الوجه . وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه من حديث الأعشى عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركت رسول الله (س) قاتلت معه وأبليت ، فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله (س) ليلة الأحزاب في ليلة ذات ریح شديدة وقر ، فقال رسول الله (س) : ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون هي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال اتقوا بخبر القوم ولا تندعروهم عليّ . قال فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله (س) : لا تندعروهم عليّ ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله (س) فأصابني البرد حين رجعت وقررت فأخبرت رسول الله (س) وألبسني من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها فلم أبرح نائماً حتى أصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله (س) : قم يا نومان !

وقد روى الحاكم والمافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدم مع رسول الله (س) فقال جلساءه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكاننا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قمود وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقرينة اليهود أسفل منا يخافهم على ذرارينا ؛ ما أنت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصوايق ؛ هي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المناقون يستأذنون النبي (س) ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ثلاث إذا استقبلنا رسول الله (س) . رجلا رجلا حتى أتى عليّ وما عليّ جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لا مرأتى ما يجاوز ركبتي قال : فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال : من هذا ؟ فقلت حذيفة فقال حذيفة ! فتعاسرت للارض فقلت : بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم فقممت فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فرعاً وأشدّهم قرأ قال : فخرجت فقال رسول الله (س) : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته . قال فوالله

ما خلق الله فرعا ولا قرا في جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا . قال فلما وليت قال : يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني . قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فأنزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبدي قوسي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله (س) لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ثم أنى شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما يتجاوز عسكرهم شبرا فوالله أنى لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضرب بها ثم أنى خرجت نحو رسول الله (س) فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك فتمهين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال فرجعت إلى رسول الله (س) وهو مشتمل في ثملته يصلى فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القرو جعلت أقرقف فأومأ إلى رسول الله (س) بيده وهو يصلى فدنوت منه فأسبل على شملته وكان رسول الله (س) إذا حزبه أمر صلى . فأخبرته خبر القوم ، فأخبرته أنى تركتهم يرحدون قال وأنزل الله تعالى [يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريح وجنودهم ترهوا وكان الله بما تعملون بصيرا] يعنى الآيات كلها إلى قوله [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا] وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا [أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى بعثها الله إليهم وكفى الله المؤمنين القتال أى لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته . لهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : كان رسول الله (س) يقول : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده . وفى قوله [وكفى الله المؤمنين القتال] إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم وهكذا وقع ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين كما قال محمد بن اسحاق رحمه الله ، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله (س) : فيما بلغنا : لن تغزواكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم . قال : فلم تغز قريش بعد ذلك وكان يغزوه بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن اسحاق . وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو اسحاق سمعت سليمان بن صرد رضى الله يقول قال رسول الله (س) : الآن يغزوه ولا يغزونا . وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثوري كلاهما عن أبي اسحاق السبيعي عن سليمان بن صرد بنه قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الاشهل وهم سعد بن معاذ - وسنان وفاته مبسوطة -

وأُس بن أوس بن عتاك بن عمرو وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثلعة بن غنمة الجشيان
السليمان وكعب بن زيد النجاري أصابه سهم غرب فقتله قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه
ابن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة
اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بشن كبير كما تقدم وعمرو بن عبد ود
العامري قتل على بن أبي طالب . قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال :
قتل على يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبيدود ويقال
عمرو بن عبد

فصل في خروجه بنى قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أهدأ الله لهم في الآخرة من العذاب الاليم
وذلك لكفرهم وتقضهم اليهود التي كانت بينهم وبين رسول الله (ص) ، ومما لا تتم الأحزاب
عليه فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وبأوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة
وقد قال الله تعالى [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان
الله قوياً عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبهم وقذف في قلوبهم الرعب
فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تظأوها وكان الله على كل
شئ قديراً] . قال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا عبد الله حدثنا موسى بن عقبة عن
سالم ونافع عن عبد الله أن رسول الله (ص) ، كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيكبر ثم
يقول « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيئون تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده وبصر عبده وهزم الأحزاب وحده »

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله (ص) ، الله انصرف عن الخندق راجعاً الى
المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله (ص) ، كما حدثني
الزهري معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت
السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، فقال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن
إلا من طلب القوم ، ان الله يأمرك بالمشير الى بنى قريظة ، فأنى عامد اليهم فزلزل بهم فأمر
رسول الله (ص) ، مؤذناً فأذن في الناس : من كان سامعاً بطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وقال البخاري : حدثني عبد الله بن أبي شيبه حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت :
 لما رجع النبي (س) من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح والله
 ما وضعناه ! فأخرج إليهم ، قال فإلى أين ؟ قال هاهنا وأشار إلى بني قريظة ، فخرج النبي (س) .
 وقال أحمد : وحدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول
 الله (س) لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاء جبريل فرأته من خلل البيت قد
 عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال : وضعنا أسلحتنا فقال : أنا لم نضع أسلحتنا
 بعد انتهت إلى بني قريظة ، ثم قال البخاري : حدثنا موسى حدثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال
 عن أنس بن مالك قال : كأنني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله
 (س) إلى بني قريظة . ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا جويرية بن أسماء
 عن نافع بن ابن عمر قال قال رسول الله (س) : يوم الأحزاب : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني
 قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى تأتيناها ، وقال بعضهم :
 بل نصلي لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي (س) فلم ينف واحدا منهم . وهكذا رواه مسلم عن عبد
 الله بن محمد بن أسماء به . وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن
 القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن خالد بن علي حدثنا بشر بن حرب
 عن أبيه حدثنا الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عمه عبيد الله
 أخبره أن رسول الله (س) لما رجع من طلب الأحزاب ومنع عنه الأئمة واغتسل واستحم ،
 فتبدي له جبريل عليه السلام فقال : عذرك من محارب ألا أراك قد وضعت الأئمة وما وضعناها
 بعد ، قال فوثب النبي (س) ، فزعا فزعم على الناس أن لا يصلا صلاة العصر إلا في بني قريظة .
 قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس فانخضم الناس عند غروب
 الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله (س) عزم علينا أن لا نصلي حتى تأتي بني قريظة فأنما نحن
 في عزيمة رسول الله (س) ، فلبس عنيانا ثم وصلى طائفة من الناس احتسابا وتركبت طائفة منهم
 الصلاة حتى غربت الشمس فصاروا حين جاءوا بني قريظة احتسابا فلم ينف رسول الله (س) واحدا
 من الفريقين . ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد
 عن عائشة أن رسول الله (س) كان عندها فلم يمسح يده في البيت فقام رسول الله (س) .
 فزعا وقت في أثره فاذا بدحية السكابي ، فقد هذا جبريل أمرني أن أذهب إلى بني قريظة
 وقال : قد وضعت السلاح لكننا لم نضع ، طابنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد وذلك حين رجع
 رسول الله (س) من الخندق فقام رسول الله (س) فزعا وقال لأصحابه : عزمتم عليكم أن لا تصلوا

صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، ففربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : ان رسول الله (ص) لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا ، وقالت طائفة : والله إننا لنرى عزيمة رسول الله (ص) وما علينا من إثم ، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً وترك طائفة إيماناً واحتساباً ولم يعنف رسول الله (ص) واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله (ص) فرجاً بينه وبين بني قريظة فقال هل منكم أحد ؟ فقالوا : مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة ليرزقهم ويقذف في قلوبهم الرعب فخاصهم النبي (ص) وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم ، فناداهم يا أخوة القردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحاشا ، فخاصهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاء فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم ونسأؤهم . ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها . وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الاجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف . فقالت طائفة من العلماء : الذين أخرؤا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون ، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً . قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماش على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر . وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صاؤوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون لأنهم فهموا أن المراد انما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لتأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حولت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخرؤا فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه . وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا فلا إشكال على من أخر ولا على من قدم أيضاً والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وقدّم رسول الله (ص) علي بن أبي طالب ومعه رايته وابتدرها الناس . وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينما رسول الله (ص) في مقتله كما يزعمون قد رَجُل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمنته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج إليه رسول الله (ص) فقال له جبريل : غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ قال نعم . فقال جبريل : لَكُنَا لَمْ نَضْمَهُ مِنْذُ نَزَلَ بِكَ الْعَدُوُّ وَمَا زِلْتَ فِي طَلِبِهِمْ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ — ويقولون إن علي وجه جبريل لأثر الغبار — فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بني قريظة فأنا عامد إليهم بمن معي

من الملائكة نزل بهم الحصون فاخرج بالناس ، فخرج رسول الله (س) في أثر جبريل فر على مجلس بني غنم وهم ينتظرون رسول الله (س) ، فسألهم فقال : مر عليكم فارس أنفا ؟ قالوا مر علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قضيعة ديباج عليه اللامة ، فذكروا أن رسول الله (س) قال : ذاك جبريل ، وكان رسول الله (س) يشبه دحية الكلبي بجبريل ، فقال الحقوقي ببني قريظة فصلوا فيهم العصر ، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا الى بني قريظة فحانت صلاة العصر وهم بالطريق فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله (س) أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة ، فصلي منهم قوم وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوا في بني قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله (س) من عجل منهم الصلاة ومن أخرها فذكروا أن رسول الله (س) لم يعنف واحداً من الفريقين . قال فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله (س) مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود ، وكان علي قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله (س) ، وأزواجه رضى الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله (س) ، فقال رسول الله (س) : لم تأمرني بالرجوع ؟ فسكته ما سمع منهم فقال : أظنك سمعت فيهم منهم أذى فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت ، فلما نزل رسول الله (س) بمحضرهم وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته نفراً من أشرفهم حتى أسمعهم فقال : أجيئوا يا معشر يهود يا أخوة القردة قد نزل بكم خزي الله عز وجل ، فحاصرهم رسول الله (س) ، بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حيي بن أخطب حتى دخل حصن بني قريظة وقذف الله في قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر — وكانوا حلفاء الانصار — فقال أبو لبابة لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله (س) ، فقال له رسول الله (س) : قد أذنت لك ، فأتاهم أبو لبابة فبكوا اليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فانه لا طاقة لنا بالقتال ، فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه وأمر عليه اصابعه ، يريهم انما يراد بهم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سقط في يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال والله لا أنظر في وجه رسول الله (س) ، حتى أحدث الله توبة نصوحاً يعلمها الله من نفسي ، فرجع الى المدينة فربط يديه الى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله (س) : حين غاب عليه أبو لبابة : أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ، فذكر له ما فعل ؟ فقال : لقد أصابته بعدى فتنة ولو جاءني لاستغفرت له وإذا قد فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء . وهكذا رواه ابن أبي ليلى عن أبي الاسود عن عروة وكذا ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهري ومثل رواية أبي الاسود عن عروة . قال ابن اسحاق ونزل رسول الله (س) على بئر من آبار بني قريظة

من ناحية أموالهم يقال لها بثراني فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف في قلوبهم
 الرعب وقد كان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء
 لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا أن رسول الله (ص) غير منصرف عنهم حتى
 يناجزهم قال كعب بن أسد: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وأني عارض عليكم
 خلا لا ثلاثا نخدوا بما شئتم منها. قالوا وما هن؟ قال: تتابع هذا الرجل ونصده فوالله لقد تبين
 لكم أنه نبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون به على دماءكم وأموالكم وأبنائكم
 ونسائكم. قالوا: لانفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره. قال فاذا أبيتم على هذه فهل فلنقتل
 أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجلاً مصلياً بالسيوف لم نترك وراءنا أثقلاً حتى يحكم
 الله بيننا وبين محمد فان هلك هلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه وان ظهر فلعمرى لنجبن
 النساء والأبناء. قالوا: أنقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فان أبيتم على هذه فإلى ليلة
 ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا علينا نصيب من محمد وأصحابه
 غرة. قالوا أنفسنا سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلامن قد علمت فاصابه ما لم يخف
 عنك من المسخ فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدت أمه ليلة من الدهر حازماً. ثم انهم بعثوا إلى رسول
 الله (ص) أن ابنت الينا أبا لبابه بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيرهم
 في أمرنا. فارسله رسول الله (ص) فلما راوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان ليكون
 في وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابه أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى خلقه
 أنه الذبح قال أبو لبابه: فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله.
 ثم انطلق أبو لبابه على وجهه ولم يأت رسول الله (ص) حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده
 وقال: لأبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت. وعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ولا أرى
 في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. قال ابن هشام وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينه عن اسماعيل
 ابن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة [يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
 أماناتكم وأنتم تعلمون]. قال ابن هشام: أقام مرتبطاً ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلاة
 فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى [وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
 عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم]. وقول موسى بن عقبة
 انه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به والله أعلم. وذكر ابن اسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من
 آخر الليل وهو في بيت أم سلمة فجعل يبتسم فسألت أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابه
 فاستأذنته أن تبشره فاذن لها فخرجت فبشرتهم فثار الناس إليه يبشرونه وأرادوا أن يحلوه من

رباطه فقال والله لا يحملني منه إلا رسول الله (ص)، فلما خرج رسول الله (ص) إلى صلاة الفجر حله من رباطه رضى الله عنه وأرضاه - قال ابن اسحاق ثم إن ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أساموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله (ص)، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله (ص)، وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال من هذا؟ قال أنا عمرو ابن سعدى - وكان عمرو قد أبي أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله (ص)، وقال لا اغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني أقالمة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله (ص)، بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب لم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله (ص)، فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه - قال وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة فاصبحت رمة ملقاة ولم يدر أين ذهب فقال رسول الله (ص)، فيه تلك المقالة والله أعلم أي ذلك كان - قال ابن اسحاق فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (ص)، فتوالت الاوس فقالوا: يا رسول الله انهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالى اخواننا بالامس ما قد علمت يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبي كما تقدم - قال ابن اسحاق فلما كلمته الاوس قال رسول الله (ص): يا معشر الاوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى - قال فذلك إلى سعد بن معاذ وكان رسول الله (ص) قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده وكانت تداوى الجرحى فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم وكان رجلا جسيما جميلا ثم أقبلوا معه إلى رسول الله (ص)، وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله (ص)، انما ولاك ذلك لتحسن فيهم - فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم - فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله (ص)، والمسلمين قال رسول الله (ص)، قوموا إلى سيدكم فأما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد الانصار واما الانصار فيقولون قد عم رسول الله (ص)، المسلمين فقاموا إليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله (ص)، قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله (ص)، وهو معرض عن رسول الله (ص)، اجلالا له فقال رسول الله (ص)، نعم قال سعد فاني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء - قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص

الليث قال قال رسول الله (ص)، لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . وقال ابن هشام
 حدثني من أثق به من أهل العلم ان علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة يا كتيبة الايمان
 وتقدم هو والزبير بن العوام وقال والله لا ذوقن ماذاق حمزة أو اقتحم حصنهم فقالوا يا محمد نزل على
 حكم سعد بن معاذ . وقد قال الامام أحمد جد ثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت
 أبا امامة بن سهل سمعت أبا سعيد الخدري قال نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ قال فأرسل
 رسول الله (ص)، الى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله (ص)، : قوموا
 اسيدكم أو خيركم . ثم قال ان هؤلاء نزلوا على حكمك قال تقتل مقاتلتهم ونسبي ذريتهم قال فقال
 رسول الله (ص)، قضيت بحكم الله . وربما قال قضيت بحكم الملك وفي رواية الملك . أخرجاه في
 الصحيحين من طرق عن شعبة وقال الامام أحمد حدثنا حجين ويونس قالا حدثنا الليث بن سعد
 عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال رمى يوم الاحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أ كحله فحسه
 رسول الله (ص)، بالنار فانتفخت يده فترفه فحسه أخرى فانتفخت يده فترفه فلما رأى ذلك قال
 اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم
 سعد فأرسل اليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبي نساؤهم وذرايرهم يستعين بهم المسلمون فقال رسول
 الله (ص)، أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات . وقد رواه
 الترمذي والذمالي جميعا عن قتيبة عن الليث به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام أحمد حدثنا
 ابن نمير عن هشام أخبرني أبي عن عائشة قالت لما رجع رسول الله (ص)، من الخندق ووضع السلاح
 واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها أخرج اليهم . قال
 رسول الله (ص)، فأين قال ما هنا وأشار الى بني قريظة فخرج رسول الله (ص)، اليهم . قال هشام
 فأخبرني أبي انهم نزلوا على حكم النبي (ص)، فرد الحكم فيهم الى سعد قال فاني أحكم أن تقتل
 المقاتلة وتسبي النساء والذرية وتقسم أموالهم . قال هشام قال أبي فأخبرت ان رسول الله (ص)، قال
 لقد حكمت فيهم بحكم الله . وقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا
 هشام عن أبيه عن عائشة قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن
 العريقة رماه في الاكل فضرب النبي (ص)، خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول
 الله (ص)، من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد
 وضعت السلاح والله ما وضعتها أخرج اليهم . قال النبي (ص)، فأين فأشار الى بني قريظة فأتاه رسول
 الله (ص)، فترلوا على حكمه فرد الحكم الى سعد قال فاني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي
 النساء والذرية وأن تقسم أموالهم قال هشام فأخبرني أبي عن عائشة أن سعدا قال اللهم انك تعلم انه

ليس أحد أحب إلى أن أجاهدكم فيكم من قوم كذبوا رسوالتك وأخرجوه اللهم فاني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدكم فيكم وإن كنت وضعت الحرب فأفجرها واجعل موتى فيها. فأنفجرت من لبته فلم يبرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل اليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم فإذا سعد يغزو جرحه دماً فمات منها. وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نمر به. قلت كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ولهذا قال فيه ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فاستجاب الله له فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أي قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضي الله عنه وأرضاه. وسبأني ذكر وفاته قريباً إن شاء الله. وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً جداً وفيه فوائد فقال حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرني عائشة قالت خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فسمعت وئيد الأرض ورائي فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجننه، قالت فجلست إلى الأرض فرسعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فروه ويرتجز ويقول:

لَبْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا جُلُّ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت: فقامت فالتحمت حديقة فإذا نفر من المسلمين فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبعة له تعني المغفر فقال عمر: ما جاء بك والله أنك لجريرة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل السبعة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال: يا عمر ويحك أنك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل. قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش يقال له ابن العروة وقال خذها وأنا ابن العروة فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كلمه بعث الله الرمح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. فلحق أبو سفيان ومن معه بهامة، ولحق عبيدة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ورجع رسول الله (ص) إلى المدينة وأمر بقية من أدم فضربت على سعد في المسجد قالت: فجاء جبريل وإن علي ثنياه لنقع الغبار فقال: أقدم وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم. قالت: فلبس رسول الله (ص) لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فر على بني غنم، وهم جيران المسجد حوله فقال: من مر بكم؟ قالوا: مر بنا دحية الكلبي - وكان دحية الكلبي تشبه لحية وسنه ووجهه

جبريل عليه السلام - فاتاهم رسول الله (س)، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد
 البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله (س)، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فآشار اليهم أنه
 الذبح قالوا فنزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله (س)، انزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأتى
 به على حمار عليه أكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك
 وأهل النكابة ومن قد علمت قالت ولا يرجع اليهم شيئاً ولا يلتفت اليهم حتى اذا دنا من دورهم النفث
 الى قومه فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لأئم. قالت: قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول
 الله (س): قوموا الى سيدكم فانزلوه قال عمر: سيدنا الله، قال: انزلوه، فانزلوه. قال رسول الله
 (س): أحكم فيهم، فقال سعد: فأتى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم وتقسم أموالهم
 فقال رسول الله (س): لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت
 أبقيت على نبيك من حرب قریش شيئاً فأبقني لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك
 قالت: فانفجر كله وكان قد برئ حتى لا يرى منه الا مثل الخرص ورجع الى قبته التي ضرب عليه رسول
 الله (س)، قالت عائشة: فحضره رسول الله (س)، وأبو بكر وعمر قالت: فوالذي نفس محمد بيده اني
 لا عرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله «رحمنا بينهم» قال علقمة: فقلت
 يا أمه فكيف كان رسول الله (س)، يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدسع على أحد. ولكنه كان
 اذا وجد قائما هو آخذ بلحيته. وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة، وفيه
 التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمه في بني قريظة ومرة بعد ذلك كما قلناه أولاً والله الحمد والمنة
 وسند كريمة وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضى الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصة. قال ابن
 اسحاق: ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله (س)، بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار
 قلت: هي نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلة الكذاب ثم
 خلف عليها عبد الله بن عامر بن كرز، ثم خرج (س)، الى سوق المدينة فخذق بها خنادق ثم بعث اليهم
 فضرب أعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عبد الله حبي بن أخطب وكعب بن
 أسد رأس القوم وهم ستائة أو سبعمائة. والمكثرو لم يقول كانوا ما بين الثمانمائة والتسمائة.
 قلت: وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعائة فالله أعلم. قال ابن
 اسحاق: وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم الى رسول الله (س)، ارسالا: يا كعب ما تراه
 يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا يتزعج ومن ذهب به منكم لا يرجع هو والله
 القتل. فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم وأتى بجبي بن أخطب وعليه حلة له ققاحية^(١) قد شقها

(١) قال ابن هشام «ققاحية: ضرب من الوشي».

عليه من كل ناحية قدر أنملة لثلا يسلبها مجموعة يدها الى عنقه بجبل . فلما نظر الى رسول الله (س) قال
أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيها
الناس ، انه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل . ثم جلس فضربت
عنقه ، فقال جبل بن جبرال الشعلبي :

لعمرك ما لأم ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل بيني العز كل مقلقل

وذكر ابن اسحاق قصة الزبير بن باطا وكان شيخا كبيرا قد عمى وكان قد من يوم بعث على
ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفني
يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك فقال له ثابت أريد أن أ كافئك فقال : ان الكريم
يجزى الكريم فذهب ثابت الى رسول الله (س) فاستطلقه فاطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال شيخ كبير
لا أهل ولا ولد فما يصنع بالحياة فذهب الى رسول الله (س) فاستطلق له امرأته وولده فأطلقهم له ثم
جاءه فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت الى رسول الله (س) فاستطلق
مال الزبير بن باطا فأطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال له يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه امرأة صينية
تترأى فيها عذارى حي كعب بن أسد ؟ قال : قتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حي بن
أخطب ؟ قال قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا : عزال بن شموال ؟ قال :
قتل . قال فما فعل المجلسان ؟ - يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة - قال : ذهبوا
قتلوا ، قال فأنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير
فما أنا بسائر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، فقدمه ثابت فضربت عنقه ، فلما بلغ أبا بكر
الصديق قوله « ألقى الأحبة » قال « يلقاهم والله فى نار جهنم خلداً فيها مخلداً » قال ابن اسحاق « فيلة »
بالفاء والياء المثناة من أسفل وقال ابن هشام بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح البعير
الذى يستقى عليه الماء لسقى النخل ، وقال أبو عبيدة : معناه افراغة دلو .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (س) قد أمر بقتل كل من انبت منهم . فحدثني شعبة بن
الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال : كان رسول الله (س) قد أمر أن يقتل من بنى
قريظة كل من انبت منهم وكنت غلاماً فوجدوني لم أنبت نخلا سبيلى . ورواه أهل السنن الاربعة
من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي نحوه . وقد استدلل به من ذهب من العلماء الى أن
انبت الشعر الحسن حول الفرج دليل على البلوغ بل هو بلوغ فى أصح قولى الشافعى . ومن العلماء
من يفرق بين ضبيين أهل الذمة بمسكون بلوغاً فى حتمهم دون غيرهم لان المسلم قد يتأذى بذلك

لمقصود . وقد روى اسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله (ص) ، رفاعه بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله ان رفاعه يزعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل . فأجابها الى ذلك فأطلقه . قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة ، قالت والله أنها لعندي تحدث معي تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله (ص) يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت أنا والله ، قالت قلت لها : ويالك مالك ؟ قالت أقتل ! قلت ولم ؟ قالت : لحدث أحدثه ، قالت فأنطلق بها فضربت عنقها ، وكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل . وهكذا رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . قال ابن اسحاق : هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ، يعني قتلها رسول الله (ص) به . قال ابن اسحاق : في موضع آخر وسماها نباتة امرأة الحكم القرظي . قال ابن اسحاق : ثم ان رسول الله (ص) قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخنس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين للفارس وسهما لراكبه وسهما للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال وكان أول في وقعت فيه السهمان وخمس . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) سعيد بن زيد بسبيلهم من بني قريظة الى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً . وكان رسول الله (ص) قد اصطفى من نساءهم ربحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة وكان عليها حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله (ص) عرض عليها الاسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسر رسول الله (ص) باسلامها وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام ، ثم تكلم ابن اسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الاحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة . وقد قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طرحت عليه رحا فشدخته شديداً شديداً فزعموا أن رسول الله (ص) قال : « إن له لأجر شهيدين . قلت : كان الذي ألقى عليه الرمح تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم . قال ابن اسحاق : ومات أبو سنان بن محصن بن حرقان من بني أسد بن خزيمه ورسول الله (ص) محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

قد تقدم أن حبان بن العروة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكله ، فحسمه رسول الله (ص) . كما بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لا يبيته حتى يفر عينه من بني قريظة ،

وذلك حين تقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله (ص)، من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزاب وانتشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وسار اليهم رسول الله (ص)، ليحاصرهم كما تقدم فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله (ص)، فيحكم فيهم بما أراه الله فرد الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية وهو سعد بن معاذ فرضوا بذلك ويقال بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من خنوه عليهم واحسانه وميله اليهم ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدائهم من القرظة والخنزير لشدة إيمانه وصدقته رضي الله عنه وأرضاه ، فبعث إليه رسول الله (ص)، وكان في خيمة في المسجد النبوي فجئ به على حمار تحته اكاف قد وطئ تحته لمرضه ولما قارب خيمة الرسول (ص)، أمر عليه السلام من هناك بالقيام له قيل لينزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه والله أعلم ، فلما حكم فيهم بالقتل والسبي وأقر الله عينه وشفي صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله (ص)، دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً . حدثني معاذ بن رفاعة الزرقى قال حدثني من شئت من رجال قومي : أن جبريل أتى رسول الله (ص)، حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال فقام رسول الله (ص)، سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضي الله عنه ، هكذا ذكره ابن اسحاق رحمه الله . وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبي وشعيب بن الليث قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله (ص)، فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟ قال فخرج رسول الله (ص)، فإذا سعد بن معاذ ، قال فجلس رسول الله (ص)، على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال « سبحان الله » مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال « الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم ، ثم قال رسول الله (ص)، « عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره حتى كان هذا حين فرج له »

وروى الامام احمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر قال قال رسول الله (ص)، لسعد يوم مات وهو يدفن : سبحان الله لهذا

الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء شدد عليه ثم فرج الله عنه . وقال محمد بن اسحاق : حدثني معاذ بن رفاعه عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجوح عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ص ، سبّح رسول الله ص ، فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت ؟ قال لقد تضائل على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه . وهكذا رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق به قال ابن هشام ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله ص : ان للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ . قلت : وهذا الحديث قد رواه الامام احمد حدثنا يحيى عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن نافع عن عائشة عن النبي ص . قال : ان للقبر ضمة ولو كان أحد ناجيا منها لنجا سعد بن معاذ . وهذا الحديث سنده على شرطه الصحيحين إلا أن الامام احمد رواه عن غندر عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن انسان عن عائشة به ورواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر قال : حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا داود عن عبد الرحمن حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ص : لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون الف ملك الى الارض لم يهبطوا قبل ذلك ولقد ضمه القبر ضمة . ثم بكى نافع . وهذا اسناد جيد لكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسل ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف عن أبي عتاب عن سكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ص : لقد نزل لموت سعد ابن معاذ سبعون الف ملك ما وطئه الارض قبلا وقال حين دفن سبحانه الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد وقال البزار حدثنا اسماعيل بن حفص عن محمد بن فضيل حدثنا عطاء ابن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ فقل انما يعنى السرير ورفع أبويه على العرش قال تفتحت أعواده قال : ودخل رسول الله ص . بقبره فاحتبس فلما خرج قيل له يا رسول الله ما حبسك قال ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه قال البزار تفرد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلم فيه . وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضى الله عنه في القبر أثرا غريبا فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا احمد ابن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله ص في هذا ؟ فقالوا اذكر لنا أن رسول الله ص سئل عن ذلك فقال : كن يقصر في بعض الطهور من البول . وقال البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الفضل بن مساور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : سمعت النبي ص يقول : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ . وعن الاعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبي ص : امثلة فقال رجل الحمار فان البراء بن عازب يقول : اهتز السرير انه كان بين هذين اثنين ضغائن سمعت النبي ص يقول

اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن ادريس وابن
 ماجه عن علي بن محمد عن أبي معاوية كلاهما عن الأعشى به وليس عندهما زيادة قول الأعشى عن
 أبي صالح عن جابر وقال احمد حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن
 عبد الله يقول سمعت رسول الله (س) يقول وجنزة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز لها عرش الرحمن
 ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق به وقال الامام
 احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أبو نضرة سمعت أبا سعيد عن النبي (س) اهتز
 العرش لموت سعد بن معاذ . ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى به وقال احمد حدثنا
 عبد الوهاب عن سعيد قال قتادة حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله (س) قال وجنزة موضوعة
 اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الأزدي عن عبد الوهاب به وقد روى البيهقي
 من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصري قال اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .
 وقال الحافظ البزار حدثنا زهير بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال
 لما حملت جنازة سعد قال المناقبون ما أخف جنازة تها ذلك لحكمة في بني قريظة فسل رسول الله (س) .
 فقال لا ولكن الملائكة تحمله اسناد جيد . وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر
 حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول أهديت للنبي (س) حلة حرير فجعل
 أصحابه يمسونها ويمسونها فقال أتعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ خير منها
 أو ألين ثم قال روى قتادة والزهرى سمعنا أنساً عن النبي (س) . وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن
 سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أكيمة دومة أهدى الى رسول الله (س) .
 جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها ففجب الناس منها فقال والذي نفسي بيده لمناديل
 سعد في الجنة أحسن من هذه . وهذا اسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه وإنما ذكره البخاري
 تعليقاً وقال احمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال
 محمد وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم قال دخلت على أنس بن مالك فقال لي من
 أنت ؟ قلت أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ فقال انك بسعد لشبيه ثم بكى وأكثرت البكاء وقال
 راحة الله على سعد كان من أعظم الناس وأطولهم ثم قال بعث رسول الله (س) جيشاً الى اكيمة
 دومة فأرسل الى رسول الله (س) بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب فلبسها رسول الله (س) فقام
 على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون اليها فقال رسول الله (س) :
 أتعجبون منها لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من
 حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح . قال ابن اسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد

ابن معاذ وفي ذلك يقول رجل من الانصار :

وما اهتز عرشُ الله من موتِ هالكٍ صمنا به إلا لسعدِ أبي عمرو

قال : وقالت أمه يعني كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخزرجية حين
احتمل سعد على نفسه تنديه :

ويل أم سعدٍ سعداً صرامةً وحداً

وسؤداً ومجداً وفارساً مُعداً

سُدَّ به مسداً يقدها ما قدأ

قال : يقول رسول الله (ص) : « كل نائمة تكذب إلا نائمة سعد بن معاذ » قلت : كانت
وفاته بعد انصراف الاحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، اذ كان قدوم الاحزاب في
شوال سنة خمس كما تقدم فاقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله (ص) للحصار بني قريظة فاقام
عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فأتى بحكمه عليهم بقليل فيكون ذلك في
أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة خمس والله أعلم . وهكذا قال محمد بن اسحاق : ان
فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر ذي الحجة قال : وولى تلك الحجة المشركون . قال ابن
اسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثي سعد بن معاذ رضي الله عنه :

لقد سجمت من دمع عيني عبدة	وحقٌ لعيني أن تفيض على سعدٍ
قتيلٌ ثوى في معركٍ فجعت به	عيونٌ ذواري الدمع دأمة الوجد
على ملة الرحمن وارثُ جنة	مع الشهداء وقدّها أكرمُ الوفد
فان تلك قد وعدتنا وتركتنا	وأسميت في غبراء مظلمة اللحد
فاوت الذي يأسعد أبت بمشهد	كريم وأثواب المكارم والمجد
بحكمك في حبي قريظة بالذي	قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم	ولم تعف اذ ذكرت ما كان من عهد
فان كان ريب الدهر أمضاك في الألى	شروا هذه الدنيا ببجائتها الخلد
فنعم مصيرُ الصادقين إذا دعوا	الى الله يوماً للوجاهة والقصد

فصل اللّسّاعار في المخترو ونبي قريظة

قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة حدثنا عدي بن ثابت أنه سمع البراء بن عازب قال قال النبي (ص) : الحسن : اجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخاري : وزاد ابراهيم بن طهمان عن الشيباني عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال قال النبي (ص) : يوم قريظة لحسان بن ثابت : أهج المشركين فان جبريل معك . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخاري يوم بنى قريظة . قال ابن اسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطيب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق (قلت : وذلك قبل اسلامه) :

وَمُشَقَّةٌ تَظَنُّ بِنَا الظَّنُونَا	وَقَدْ قَدَّنَا عَرْنَدَسَةٌ مَلْحُونَا
كَأَنَّ زَهَامَهَا أُخِذَ إِذَا مَا	بَدَتْ أَرْكَانُهُ لِلنَّاطِرِينَا
تَرَى الْأَيْدَانَ فِيهَا مَسْبُغَاتٍ	عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلْبِ الْحَصِينَا
وَجُرْدًا كَالْقِدَاحِ مَسُومَاتٍ	تَوْمَ بِهَا الْغَوَاةُ الْخَاطِطِينَا
كَأَنَّهُمْ إِذَا صَلَّوْا وَصَلْنَا	يَسَابِ الْخَنْدَقِينَ مَصَافْحُونَا
أَنَاسٌ لَا تَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا	وَقَدْ قَالُوا أَلْتَنَا رَاشِدِينَا
فَأَحْجَرْنَا مُشْرَأَ كَرِيثًا	وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَا
تَرَاوَحَهُمْ وَنَعَدُو كُلَّ يَوْمٍ	عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مَدْجَجِينَا
بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مَرْهَفَاتٍ	تَقْدُّ بِهَا الْمَفَارِقُ وَالْمَشْتُونَا
كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرَّيَاتٍ	إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مُضِلَّتِينَا
وَمِيضٌ عَقِيقَةٌ لَمَتْ بَلِيلٍ	تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقُ مُسْتَبِينَا
فَلَوْلَا خَنْقٌ كَانُوا لَدَيْهِ	لَسَمَرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا
وَلَكِنْ حَالُ دُونِهِمْ وَكَانُوا	بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مَعْرُودِينَا
فَإِنْ نَزَحَلْنَا قَدْ تَرَكْنَا	لَدَى أَيْيَاتِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ صَمَتَ نَوْحًا	عَلَى سَعْدٍ يَرْجَمُنَ الْخَنِينَا
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ	كَمَا زَرْنَاكُمْ مِنْوَارِينَا
بِمَجْمَعٍ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عُزَلٍ	كَلِمَتِ الْغَابِ إِذْ حَمَتِ الْعَرِينَا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلة تسائل ما لقينا	ولو شهدت رأيتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلاً	على ما فأننا متوكلينا
وكان لنا النبي وزير صدق	به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشراً ظلموا وعقوا	وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعالجهم إذا نهضوا إلينا	بضرب يعجل المتسرعيننا
ترانا في مضامض سابقات	كفدران الملا متسربلينا
وفي أيماننا بيض خفاف	بها نشفي مراح الشاغبينا
يباب الخندقين كأن أسداً	شوا بكهن يحمين العرينا
فواربنا إذا بكروا وراحوا	على الأعداء شوساً معلينا
لننصر أحداً والله حتى	نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا	وأحزاب أتوا متحرزيننا
بأن الله ليس له شريك	وأن الله مولى المؤمنيننا
فأما تقتلوا ستمداً سفاهاً	فإن الله خير الفادرينا
سيدخله جناات طيبات	تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريداً	بغيطكم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيراً	وكبدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم	فكنتم نحبها متكئينا

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن الزبيري السهمي في يوم الخندق (قلت وذلك قبل أن يسلم)

حتى الديار محارم رسمها	طول البلى وتراوح الاحقاب
فكأنما كتب اليهود رسوماً	الا الكنيف ومعقد الأطناب
قفرأ كأنك لم تكن تلهو بها	في نعمة بأوالس أتراب
فاترك تذكر ما مضى من عيشة	ومحلة خلق المقام يباب
واذكر بلاء معاشر واشكرهم	ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب	في ذي غياطل جحفل جباب
يدع الحزون مناجاً معلومة	في كل نشر ظاهر وشعاب
فيها الجياد شواذب مجنوبة	قُب البطون لواحق الأقراب

من كل سلبية وأجرّد سلب
جيش عينة فاصد بلوائه
قرمان كالبدرين أصبح فيها
حق اذا وردوا المدينة وارتدوا
شهرآ وعشرآ قاهرين محمداً
نادوا برحلتهم صبيحة قلتم
لولا الخنادق غادروا من جمعهم
قتلى لطير سغب وذئاب

قال فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب
قفر عفا رم السحاب رسومه
ولقد رأيت بها الخلول يزيتهم
فدع الديار وذكر كل خريده
واشك المصوم الى الإله وما ترى
ساروا بأجمعهم اليه وألبوا
جيش عينة وابن حرب فيهم
حق اذا وردوا المدينة وارتجوا
وغدوا علينا قادرين بأيديهم
بهبوب مصفة تفرق جمعهم
فكفى الاله المؤمنين قتالهم
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم
وأقر عين محمد وصحابة
عاني الفؤاد موقع ذي ريسة
علق الشقاء بقلبه فتؤاده

قال وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقية
بيضاء مشرقة الذرى ومعاطنا
كاللوب يئذل جثها وحفيلها
للعجار وابن العم والمنتاب
من خير نحلة ربنا الوهاب
حم الجذوع غزيرة الاحلاب

ونزائماً مثل السراج نبي بها
 عرى الشوى منها وأردف تحضها
 قوداً تراح الى الصباح اذا غدت
 وتموط سائمة الديار وتارة
 حوش الوحوش مطارة عند الوغى
 علفت على دعة فصارت بدناً
 يفتون بالزغب المضاعف شكاً
 وصوارم نزع الصياقل عليها
 يصل اليمين بمارن متقارب
 وأغر أزرق في القناة كأنه
 وكتيبة يننى القران قنبرها
 جاوى ملعة كانت رماحها
 تأوي الى ظل اللواء كأنه
 أعيت أبا كرب وأعيت تبعا
 ومواعظ من ربنا مهدى بها
 عرضت علينا فاشتبهنا ذكرها
 حكما يراها المجرمون بزعمهم
 جاءت سخينة كي تغالب ربها
 علف الشعير وجزة المقضاب
 جرد المنون وسائر الآراب
 فعل الصراء تراح للكلاب
 تردي العدى وتثوب بالاسلاب
 عبس اللقاء مينة الانجاب
 دخن البضيع خفيفة الاقصاب
 وبمترصات في الثفاف صياب
 وبكل أروع ماجد الانساب
 وكلت وقيعته الى حجاب
 في طخية الظلاء ضوء شهاب
 وترد حد قواجر النشاب
 في كل جمعة صريمة غاب
 في صعدة الخطي في عقاب
 وأبت يسالتها على الأعراب
 بلسان أزهر طيب الاثواب
 من بعد ما عرضت على الأحزاب
 خرجا ويفهمها ذوو الألباب
 فليقلن مغالب الفلاب

قال ابن هشام : حدثني من أثق به حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما سمع منه هذا البيت : لقد شكر الله يا كعب على قولك هذا . قلت
 ومراده بسخينة قريش وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي
 لا يتهاونون به غالباً من أهل البوادي والله أعلم . قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك أيضاً :

من سره ضرب يجمع بعضه
 فليأت مأسدة نسن سيوفها
 دبروا بضرب المقلين وأسلموا
 في عصبة نصر الإله نبيه
 في كل سابتة تخط قصولها
 بعضاً كعصاة الإناء المحزق
 بين المذاويين جذع الخندق
 مهجات أنفسهم لرب الشرق
 بهم وكلن بعبد ذا مرقق
 كالنهي هبت ريحه المترقق

بيضاء تحكمت كأن قتيها حنق الجناب ذات شك موثق
 جدلاء يحفرها نجاد منشد صافي الحدينة صارم ذي روث
 تلبكم مع التقوى تكون لباسنا يوم الهياج وكأ ساعة مصدق
 أصل السيف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 فترى الجاهم ضاحياً هامئها لله إلا كنت كأثما لم تخلق
 نلقى العدو بفخمة ملومة تنفي الجوع كقصد رأس المشرق
 ولعداء كل مقلص ورد ومحجول القوائم أبلق
 تردى بفرسان كأن كلبهم عند الهياج أسود طل ملق
 صق يماطون الكمة خوفهم تحت العاية بالوشيج المزهق
 أمر الإله بربطها لعدوه في الحرب إن الله خير موفق
 لتكون غيظاً للعدو وحيطاً للدار إن دلفت خيول الترق
 ويمينا الله العزيز بقوة منه وصدق الضبر ساعة نلتقى
 ونطيع أمر نبينا ونجيبه وإذا دعا لكرهية لم نسبق
 ومتى ينادى للشدائد نأثها ومتى ترى الحومات فيها نغبق
 من يتبع قول النبي فإنه فينا مطاع الأمر حق مصدق
 فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا ويصينا من نيل ذاك بمرق
 إن الذين يكذبون محمداً كفروا وضلوا عن سبيل المتقي

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا علينا وراموا ديننا مانواع
 أضاميم من قيس بن غيلان أصقت وخنف لم يدروا بما هو واقع
 يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحن راء وسامع
 إذا غايظونا في مقام أعاننا على غيظهم نصر من الله واسع
 وذلك حفظ الله فينا وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
 هدانا لإدين الحق واختاره لنا والله فوق الصانعين صانع
 قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له — يعني طويلة — قال ابن اسحاق : وقال

حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة :

لقد أقيت قريظة ماساءها وما وجئت لذل من نصير

أصابهم بلاءٌ كان فيه سوى ما قد أصابَ بني النضير
غداة أتاهم بهوي اليهم رسولُ الله كالقمر المنير
له خيلٌ مجنبةٌ تُضادى بفرسانٍ عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء دماؤهم عليها كالعقور
فهم صرعى تحوم الطير فيهم كذلك يُدان ذو العنبر الفجور
فأنذر مثلها نصحا قريشا من الرحمن إن قبلت نذيري

قال وقال حسان بن ثابت أيضا في بني قريظة :

تعاقد مشر نصرنا قريشا وليس لهم ببلدتهم نصير
م أوتوا الكتاب ففنيوه وهم غني من التوراة بور
كفرتم بالقراب وقد أتيتم بتصديق الذي قال النذير
فهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

فأحابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

أدام الله ذلك من ضائع وحرق في طوائفها السمر
ستعلم أينا منها يترحم وتعلم أي أرضينا تُضير
فلو كان النخيل بها ركبا لقالوا لأمقام لكم فيروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم في صحيح البخاري بعض هذه الأبيات . وذكر ابن اسحاق جواب حسان في ذلك لجبل بن جوال الثعلبي تركناه قصدا . قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يكي سمعا وجماعة ممن استشهد يوم بني قريظة :

ألا يا لقومي هل لنا حرم دافع وهل ماضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصرا قد مضى قهافتش بنات الحشا واهل مني المدايع
صبابة وجدد ذكرتي إخوة وقتل مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأنجابوه بحق وكلمهم مطيع له في كل أمر وسامع
فما نكلوا حتى توالوا بجماعة ولا يقطع الآجال إلا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعة إذا لم يكن إلا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا إجابتنا لله والموت ناعم

لنا القَدَمُ الأولى اليك وخلفنا لأوتنا في ملّة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده وإن قضاء الله لا بُدَّ واقع

مسألة في دفع اليهودي

قال ابن اسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - فيمن حزب الأحزاب على رسول الله (ص)، وكانت الأوس قبل أحدٍ قد قتلت كعب بن الأشرف فاستأذن الخزرج رسول الله (ص)، في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله لرسوله (ص)، أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله (ص)، تصاول الفحلين لا تصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله (ص)، إلا وقالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله (ص)، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله (ص)، قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا من رجل لرسول الله (ص)، في العداوة كابن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا الرسول (ص)، في قتله فأذن لهم فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسمود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث ابن ربي وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمر عليهم رسول الله (ص)، عبد الله بن عتيك ونهام أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله قال : وكان في عليه له إليها عجلة قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة نخوفاً أن يكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته فتوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه بأسياقنا فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله (ص)، فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال فلما ضربناه بأسياقنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني أي حسبي حسبي . قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثبت يده وثباً شديداً وحملناه حتى نأى به منهراً من عيونهم فدخل فيه فاوقدوا النيران واشتدوا

في كل وجه يطلبونا حتى اذا يتسوا رجعوا اليه فاكتنفوه وهو يقضي قال قتلنا : كيف لنا بان نعلم بان عدو الله قد مات ؟ قال فقال رجل منا : انا اذهب فانظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس قال : فوجدتها - يعني امرأته - ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول : اما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم اكذبت نفسي وقلت : آني ابن عتيك بهذه البلاد . ثم اقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت : فاظ والله يهود ، فاسمعت كلمة كانت الله على نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله (س) ، فأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله كلف يدعيه . قال فقال : هاتوا أسياقكم . فجئنا بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله أرى ، فيه أثر الطعام . قال ابن اسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

الله در عصابة لاقيهم يا ابن الحقيق وانت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم مرحاً كاسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتماً بيض دقف
مستبصرين لنصر دين نبينهم مستغفرين لكل أمر مجحف

هكذا أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحاق رحمه الله . وقد قال الامام أبو عبد الله البخاري حدثنا اسحاق بن نصر حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن أبي اسحاق عن البراء بن نازب قال : بعث النبي (س) رهطاً الى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله . قال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن موسى عن اسراييل عن أبي اسحاق عن البراء قال : بعث رسول الله (س) الى أبي رافع اليهودي رجلاً من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله (س) ، ويعين عليه وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم قال عبد الله : اجلسوا بجانكم فاني منطلق متلطف للبواب لعل أن ادخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بشوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فتهتف به البواب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاغاليق عداً وقال : فممت الى الاقاليد وأخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسير عنده وكان في علالى له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل فقلت ان القوم سدروا الى لم يخلصوا الى حتى أقتله . فانهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت أبا رافع . قال من هذا . فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجت من البيت فأمكنث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت

يا أبا رافع قال لأملك الويل ان رجلا في البيت قتل بالسيف . قال فأضربه ضربة أئخذته ولم أقتله ثم
 وضعت صبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فصرقت أتى قتله فجعلت أفتح الأبواب يا أبا رافع
 حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أتى قد انتهيت فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت
 ساقى فعضبتها بعامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله فلما
 صاح الديك قام الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع ناصر أهل الحجاز فانطلقت الى أصحابي فقلت
 النجاء قد قتل الله أبا رافع فانهيت الى النبي (س) فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها
 فكأنما لم اشتكها قط . قال البخاري حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الاودي حدثنا شريح حدثنا
 ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق سمعت البراء قال بعث رسول الله (س) الى أبي رافع
 عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله
 ابن عتيك امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فانظر قال : فتلطفت حتى أدخل الحصن فقتلوا حمرا لم
 فخرجوا بقبس يطلبونه قال : فخشيت أن أعرف قال : فغطيت رأسي وجلست كأنى أقضى حاجة
 فقال : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب
 الحصن فتمشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا الى بيوتهم فلما
 هدأت الأصوات ولا أسمع حركة خرجت قال ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن
 في كوة فأخذته ففتحت به باب الحصن قال قلت ان نذرتي القوم انطلقت على مهل ثم عدت الى
 أبواب بيوتهم ففلقتهما عليهم من ظاهر ثم صعدت الى أبي رافع في سلم فاذا البيت مظلم قد طوى
 سراجهم سم أدر أين الرجل فقلت يا أبا رافع قال من هذا فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح فلم
 تثن شيئا قال ثم جئته كأنى أغيبه فقلت مالك يا أبا رافع وغيرت صوتي قال لا أعجيبك لأملك الويل
 دخل على رجل فضر بني بالسيف قال فعمدت اليه أيضا فأضربه أخرى فلم تثن شيئا فصاح وقام
 أهله ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فاذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف في بطنه ثم انكفى
 عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشا حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فاسقط منه فأنخلعت
 رجلى فعضبتها ثم أتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله (س) فاني لأبرح حتى
 أسمع الناعية فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال أنعى أبا رافع قال فعمدت أمشي ما بي قلبه
 فادركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله (س) فبشرته . تفرد به البخاري بهذه السياقات من
 بين أصحاب الكتب الستة ثم قال : قال الزهري قال أبي بن كعب قدموا على رسول الله
 (س) وهو على المنبر قلل أفلحت الوجوه قال أفلح وجهك يا رسول الله قال أفكتنموه قالوا نعم
 قال فاولى السيف فله فقال أجل هذا طعامه في ذباب السيف . قلت يحتمل أن عبد الله بن عتيك

لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووئبت رجله فلما عصها استكن ما به لما هو فيه من الامر الباهر ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ثم لما وصل الى رسول الله (س) واستقرت نفسه ثاوره الوجع في رجله فلما بسط رجله ومسح رسول الله (س) اذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل جمعا بين هذه الرواية والتي تقدمت والله أعلم . هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن اسحاق وسمى الجماعة الذين ذهبوا اليه كما ذكره ابن اسحاق و ابراهيم وأبو عبيد

مقتل خالد بن سفيان الهزلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلامذة أبي رافع . قال الامام أحمد حدثني يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال : دعاني رسول الله (س) . فقال : انه قد بلغني ان خلد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني وهو بمرقة فائته فاقتله . قال قلت يا رسول الله انتم لي حتى أعرفه . قال اذا رأيته وجدت له قشيرة قال فخرجت متوشحاً سيفي حتى وقعت عليه وهو بمرقة مع ظمن يرتاد لمن منزلاً وحيداً كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله (س) . من القشيرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه بمحاولة نشغلتني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي للركوع والسجود فلما انتهيت اليه قال : من الرجل ؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجيمك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال أجل انا في ذلك قال فشيت معه شيئاً حتى اذا أمكني حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظمائه مكبات عليه فلما قدمت على رسول الله (س) . فرأني قال أفلح الوجه قال قلت قتلته يا رسول الله قال صدقت قال ثم قام معي رسول الله (س) . فدخل في بيته . فأعطاني عصا فقال : امسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس . قال فخرجت بها على الناس فقالوا ما هذه العصا ؟ قال قلت أعطانيها رسول الله (س) . وأمرني أن أمسكها قالوا ألا ترجع الى رسول الله (س) . فتنسأله عن ذلك . قال فخرجت الى رسول الله (س) . فقلت يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال آية بيني وبينك يوم القيامة ان أقل الناس المنحصرين يومئذ . قال فقرئها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى اذا مات أمر بها فضئت في كفنه ثم دفنا جميعاً ثم رواء الامام احمد عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن أنيس . أو قال عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس . عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه . وهكذا رواء أبو داود عن أبي معمر عن عبد الوارث عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر عن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكر نحوه

ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن ابيس عن ابيه فذكره. وقد ذكر قصة عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيها رسالة فالحق أعلم. قال ابن هشام وقال عبد الله بن ابيس في قتله خالد بن سفيان:

تركت ابن ثور كالخوار وحوله نوائح تغري كل جيب معد
تناولته والظلم خلاني وخلفه بأبيض من ماء الحديد الهند
مجوم بهام الدارين كأنه شهاب غصق من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه أنا ابن ابيس فارس غير فعد
أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره رحيب فناء الدار غير مزند
وقلت له خذها بضربة ماجد خفيف على دين النبي محمد
وكنث اذا تم النبي بكافر سبقت اليه باللسان وباليد

قلت عبد الله بن ابيس بن حرام أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر كان فيمن شهد العقبة وشهد أحدًا والندى وما بعد ذلك وتأخر موته بالشام الى سنة ثمانين على المشهور وقيل توفي سنة أربع وخسين والله أعلم. وقد فرق على بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن ابيس ابى عيسى الانصاري الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أنه دعا يوم أحد بآداة فيها ماء فخل فيها وشرب منها كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري عن عيسى بن عبد الله بن ابيس عن ابيه ثم قال الترمذي وليس اسناده يصح وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه

قصة عمرو بن العاص مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال محمد بن اسحاق بعد مقتل أبي رافع وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب ابن اوس الثقفي عن حبيب بن اوس حدثني عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا يوم الأحزاب عن النندق جمعت رجلاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تملكون والله أني أرى أمر محمد يملو الأمور علواً منكراً وأنا لقد رأيت أمراً فما ترون فيه. قالوا وبما رأيت قال رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فانا ان لسن تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدي محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: ان هذا رأي. قلت: فاجمعوا لنا ما نهدى له فكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الا ان لم نجد له أدمياً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله اننا لعنده إذ جاءه عمرو بن

أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال قلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت رأيت قریش أتى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجنت له كما كنت أصنع . فقال : مرحبا بصديقى هل أهديت لى من بلادك شيئا ؟ قال : قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدما كثيرا . قال ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له أيها الملك انى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطينيه لاقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت الارض لدخلت فيها فرقا . ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت أنك تسكرهم هذا ما سألتك . قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الا كبر الذى كان يأتي موسى فتقتله ؟ قال قلت أيها الملك أ كذاك هو ؟ قال ويحك يا عمرو أظننى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده قال قلت افتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكنمت أصحابي اسلامي ثم خرجت عامدا الى رسول الله ﷺ . لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة قلت أين أبا سليمان ؟ فقال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبي أذهب والله أسلم فحتى متى ؟ قال قلت والله ماجئت الا لاسلم . قال فقلنا المدينة على النبي ﷺ . فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت قلت يا رسول الله انى أبايكم على أن تغفر لى ما تقدم من ذنبى ولا أذكر ما تأخر . قال فقال رسول الله ﷺ : يا عمرو بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما كان قبلها . قال فبايعته ثم انصرفت . قال ابن اسحاق وقد حدثني من لا أنهم ان عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبي الزبيري السهمي :

أنشد عثمان بن طلحة خلفنا وملقى نعال القوم عند المقبل
وما عقد الآباء من كل خليفة وما خالد من مثلها بمحل
أفتاح بيت غير بيتك تبغى وما تبغى من بيتهم مؤئل
فلا تأمن خلافا بعد هذه وعثمان جاء بالاهم المعقل

قلت كان اسلامهم بعد الحديبية وذلك ان خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتى بيانه فكان ذكر هذا الفصل في اسلامهم بعد ذلك أنسب ولكن ذكرنا ذلك تبعا للامام محمد بن اسحاق رحمه الله تعالى لأن أول ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشي كان بعد وقعة الخندق . الظاهر انه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم

فصل في زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأُم حبيبة

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ قال هو تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأُم حبيبة بذت أبي سفيان فصارت أُم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين . ثم قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن نجيمة حدثنا يحيى بن عبد الحميد أنبأنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن أُم حبيبة أنها كانت عند عبد الله بن جحش وكان رحل إلى النجاشي فمات وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوج بأُم حبيبة وهي بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها من عنده وما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء . قال وكان مهور أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعمائة . قلت والصحيح أن مهور أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت ثلثي عشرة أوقية ونشاً والوقية أربعون درهما والنش النصف وذلك يعمل خمسمائة درهم . ثم روى البيهقي من طريق ابن أبي ليلى عن أبي الأسود عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا فغلف على زوجته أُم حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وزوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه

قلت أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه وذلك على أمر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة استأذنه الشيطان فزين له دين النصراني فصار إليه حتى مات عليه لعنة الله وكان يعير المسلمين فيقول لهم أبصرنا وصا صائم وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة . وأما قول عروة أن عثمان زوجها منه فغريب لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله أعلم . والصحيح ما ذكره يونس عن محمد بن اسحاق قال بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص . قلت وكان وكيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبول العقد أُميمة النجاشي ملك الحبشة كما قال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه أُم حبيبة بذت أبي سفيان وساق عنه أربع مائة دينار

وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن اسماعيل بن عمرو أن أُم حبيبة بذت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ووهنه فاستأذنت علي فأذنت لها فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى أن أزوجه فقلت بشرك الله بالخير وقالت يقول لك

الملك وكل من يزوجك . قالت : فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرة
سوارين من فضة وخدمتين من فضة كاتتا على وخواتيم من فضة في كل أصابع رجل سرورا بما
بشرني به . فلما أن كان من المشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين
أن يحضروا وخطب النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم . أما بعد فإن رسول الله (س) طلب
أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فاجبت الى مادعا اليه رسول الله (س) . وقد أصدقها أربع مائة
دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم . فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمد واستغفره
وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون . أما بعد فقد أجبته الى مادعا اليه رسول الله (س) وزوجه أم حبيبة بنت
أبي سفيان فبارك الله لرسول الله (س) . ودفع النجاشي الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا
أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الانبياء اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج . فدعا بطعام
فأكلوا ثم تفرقوا . قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي
بعد الخندق انما كان في قضية أم حبيبة فاعلم . لكن قال الحافظ البيهقي ذكر أبو عبد الله
ابن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست وان تزويجه بأم سلمة كان في سنة
أربع . قلت وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المنذر وابن البرقي وان تزويج أم حبيبة
كان في سنة ست وقال بعض الناس سنة سبع . قال البيهقي هو أشبه قلت قد تقدم تزويجه عليه
السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ويحتمل أن يكون
بعده وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي
فهو في قضيتها والله أعلم . وقد حكى الحافظ ابن الاثير في الغابة عن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت
من الحبشة الى المدينة خطبها رسول الله (س) . وتزوجها . وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد اسلام
أيها بعد الفتح واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار التميمي عن أبي زميل
مماك بن الوليد عن ابن عباس أن ابا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أسئلتين . قال نعم . قال تؤمرني
على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال نعم . قال ومساوية تجعله كاتباً بين يديك . قال
نعم . قال وعندي أحسن العرب واجله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزواجكها . الحديث بتمامه .
قال ابن الاثير وهذا الحديث مما أنكر على مسلم لان ابا سفيان لما جاء بمجدد المقد قبل الفتح دخل
على ابنته أم حبيبة فنثت عنه فراش النبي (س) . فقال والله ما أدرى أرغبت بي عنه أو به عني ؟
قالت بل هذا فراش رسول الله (س) . وأنت رجل مشرك . فقال والله لقد أصابك بسى يا بنية شر

وقال ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لا يتابع عليه . وقال آخرون أراد أن يحدد العقد لما فيه بغير إذنه من الفضاضة عليه . وقال بعضهم لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته باسلامه . وهذه كلها ضعيفة والاحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الاخرى عرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان باختها أم حبيبة كما في الصحيحين وإنما وهم الراوى في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً . قال أبو عبيد القاسم بن سلام توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين وقال أبو بكر بن أبي خيثمة توفيت قبر معاوية لسنة وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين

تزوج بنت زينب بنت محمد

ابن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه الاسدية أم المؤمنين وهي بنت أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة تزوجها عليه السلام سنة خمس زاد بعضهم في ذي القعدة قال الخافظ البيهقي تزوجها بعد بني قريظة وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منبذ تزوجها سنة ثلاث والاول أشهر وهو الذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه السلام حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا إيراده قصداً لثلاث يضعه من لا يفهم على غير موضعه وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : [وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في زواج أديئاتهم إذا قضوا منها وطراً وكان أمر الله مفعولاً] ، [ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً]

وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية فالمراد بالذي أنعم الله عليه هاهنا زيد بن حارثة مولى رسول الله . أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه رسول الله . بالعنق وزوجه بابنة عمه زينب بنت جحش . قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخمراً وملحفة ودرعاً وخمسين مداً وعشرة أمداد من تمر فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ثم رقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله . فكان . يقول له : اتق الله وامسك عليك زوجك . قال الله [وتخفي في نفسك ما الله مبديه] قال علي بن الحسين زين العابدين والسدي : كان الله قد علم أنها ستكون من أزواجه فهو الذي كان في نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف هاهنا بآثار

غريبة وبعضها فيه نظر تركناها. قال الله تعالى [فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها] ، ذلك أن زيدا طلقها فلما انقضت عدتها بمث اليها رسول الله (س)، بخطبها الى نفسها ثم تزوجها وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى كما ثبت في صحيح البخارى عن أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي (س)، فتقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات . وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبي (س)، وتقول : أنكحنى الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه] الآية . وروى البيهقي من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله (س)، يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال أنس : فلو كان رسول الله (س)، كلاماً شيئاً لكم هذه فكانت تفخر على أزواج النبي (س)، تقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات ثم قال : رواه البخارى عن أحمد بن محمد بن أبي بكر المسمى عن حماد بن زيد ، ثم روى البيهقي من طريق عفان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو الى رسول الله (س)، من زينب بنت جحش فقال النبي (س)، : أمسك عليك أهلك فزلت [وتحنى في نفسك ما الله مبديه] ثم قال البخارى عن محمد بن عبد الرحمن عن معلى بن منصور عن محمد مختصراً وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة بن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي (س)، انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد تعنى عبد المطلب فانه أبوأبى النبي (س)، وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب وانى أنكحنىك الله عزوجل من السماء وان المنير خبريل عليه السلام . وقال الامام أحمد حدثنا هاشم - يعنى ابن القاسم - حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي (س)، : زيد اذهب فاذكرها على فانطلق حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها ان رسول الله (س)، ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي . وقلت يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله (س)، بذكرك قالت ما أنا بصائمة شيئاً حتى أوامر ربي عزوجل ثم قامت الى مسجدنا ونزل القرآن وجاء رسول الله (س)، فدخل عليها بغير إذن قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله (س)، اطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله (س)، واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدراى أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر . قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فالتقى الستر بينى وبينه ونزل

الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به [لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم] الآية ؛ وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة

نزول الحجاب على عرس زينب

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لما ولا أخواتها من أمهات المؤمنين وذلك وفق الراي العمري . قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاش حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجاز عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله (س) زينب بنت جحش دعا القوم فطمعوا وجلسوا يتخفون فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام فلما قام قام وقعد ثلاثة نفر وجاء النبي (س) ، فليدخل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا ، فبحثت فأخبرت النبي (س) أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي] الآية ، وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر . ثم رواه البخاري منفرداً به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه . وقال البخاري : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بنى على النبي (س) زينب بنت جحش بنحو ولم فأرسلت على الطعام داعياً فيجىء قوم فياً كلون ويخرجون ثم يجىء قوم فياً كلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طباكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي (س) فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ؟ فتقرى حبر نسائه كلهن ويقول لمن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي (س) ، فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون وكان النبي (س) شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدرى أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فخرج حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب ، ففرز به البخاري من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن اسحاق هو ابن نصر عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد بن أنس بنحو ذلك ، وقال « رجلان » بدل ثلاثة والله أعلم قال البخاري : وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول الله (س) ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيساً ثم حطته في ثور فقالت اذهب إلى رسول الله (س) ، وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في ..

جهد فجئت به فقلت يا رسول بعث بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام وتقول ان هذا منسأله
 قليل فنظر اليه ثم قال ضعه في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً فسمي رجلاً كثيراً
 قال ومن لقيت من المسلمين فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة
 والحجرة ملاء من الناس . فقلت يا أبا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلثمائة . قال أنس فقال لي رسول
 الله (س) ، جئني فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتخلق عشرة عشرة
 ويسموا وليأكل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول
 الله (س) ، ارفعه قال فجئت فأخذت الثور فنظرت فيه فلا أدري أهو حين وضعت أم أكثر أم حين
 رفعت قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله (س) ، وزوج رسول الله (س) ، التي دخل
 بها معهم مولية وجهها الى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله (س) ، وكان أشد الناس
 حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً فقام رسول الله (س) ، فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه
 قد جاء ظنوا انهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله (س) ، حتى أرخى الستر
 ودخل البيت وأنا في الحجرة فكث رسول الله (س) ، في بيته يسيرا وأنزل الله القرآن فخرج وهو
 يقرأ هذه الآية [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين
 اناه ولكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي
 النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم
 أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعد أبدأ
 ان ذلكم كان عند الله عظيماً . ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً] قال أنس
 فقرأهن على قبل الناس وأنا أحدث الناس بهن عهداً . وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً
 عن قتيبة عن جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم أيضاً
 عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد أبي عثمان به وقد روى هذا الحديث البخاري
 والترمذي والنسائي من طرق عن أبي بشر الاحمسي الكوفي عن أنس بنحوه ورواه ابن أبي
 حاتم من حديث أبي نضرة العبدى عن أنس بنحوه ولم يخرجوه . ورواه ابن جرير من حديث
 عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك . قلت : كانت زينب بنت جحش رضي
 الله عنها من المهاجرات الاول وكانت كثيرة الخير والصدقة وكان اسمها أولاً برة فسماها النبي (س) ،
 زينب وكانت تكنى بأم الحكم قالت عائشة رضي الله عنها مارأيت امرأة قط خيراً في الدين
 من زينب وأتقى الله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة . وثبت في الصحيحين كما
 سياتي في حديث الافك عن عائشة انها قالت وسأل رسول الله (س) ، عني زينب بنت جحش

وهي التي كانت تساميني من نساء النبي (ص)، ففصمها الله بالورع فقالت يا رسول الله احى سمى
وبصرى، ما علمت الا خيرا. وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا محمود بن غيلان حدثنا
الفضل بن موسى الشيباني حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول
الله (ص) أسرعن لحوقا بي أطولكن يدا قالت فكنا نتطاول أينا أطول يدا قالت فكانت زينب
أطولنا يدا لأنها كانت تعمل بيدها وتنصديق. انمر به مسلم. قال الواقدي وغيره من أهل السير
والمغازي والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ودفنت بالبقيع وهي أول امرأة صنع لها النعش

سنة ست من الهجرة

قال البيهقي كان يقال في الحرم منها سرية محمد بن مسلمة قبل نجد وأسروا فيها ثمانية بن أنال
اليمامي قلت: لكن في سياق ابن اسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه شهد ذلك وهو
انما هاجر بعد خيبر فيؤخر الى ما بعدها والله أعلم. وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان
على الصحيح قال ابن اسحاق وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة وولى تلك
الحجة المشركون يعني في سنة خمس كما تقدم. قال ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة ذا الحجة والحرم
وصفراً وشهرى ربيع وخرج في جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة الى بني
لحيان يطلب بأصحاب الرجيع حبیب وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة قال
ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم والمقصود انه عليه السلام لما انتهى الى منازلهم
هربوا من بين يديه فتحصنوا في رؤوس الجبال فمال الى نسفان فلقى بها جمعا من المشركين
وصلى بها صلاة الخوف. وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقي والاشبه
ما ذكره ابن اسحاق انها كانت بعد الخندق وقد ثبت انه صلى بعسفان يوم بني لحيان فلتكتب
ها هنا ونحول من هناك اتباعا لامام أصحاب المغازي في زمانه وبعده كما قال الشافعي رحمه الله:
من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق. وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان:

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا لقوا غضبا في دارهم ذات مصدق
لقوا سزعا نائلا بملأ السرب زوعه أمام طحون كالحجرة فيلق
ولكنهم كانوا وبارأ تتبعت شعاب حجاز غير ذي متنفق

غزوة ذي قرد

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله (س) المدينة فلم يبق بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح النبي (س) بالغابة وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته قتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح . قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فاشرف في ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردم بالنبل ويقول :

خُذْهَا يَا ابْنَ الْأَكُوعِ الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمي رمى ثم قال :

خُذْهَا يَا ابْنَ الْأَكُوعِ الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

قال فيقول قائلهم : أويكنا هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله (س) صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع . فترامت الخيول إلى رسول الله (س) فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود ثم عباد بن مبشر وسعد بن زيد وأسيد بن ظهير - يشك فيه - وعكاشة بن محصن ومحرز بن فضلة أخو بني أسد بن خزيمه وأبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق قال : فلما اجتمعوا إلى رسول الله (س) أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال : أخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس وقد قال النبي (س) لا بى عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرختني فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله (س) أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة وكان ثامناً قال وبعض الناس يمد سلمة بن الأكوع ثامناً وي طرح أسيد بن ظهير فوالله أعلم أي ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن فضلة وكان يقال له الآخرم ويقال له قير وكانت الفرس التي تحته لمحمود بن مسلمة وكان يقال للفرس ذو اللمة

فلما انتهى الى العدو قال لهم : قفوا معشر بني السكينة حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين والانصار قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية من بني عبد الاشهل أي رجع الى مربطه الذي كان فيه بالمدينة

قال ابن اسحاق ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره قال ابن هشام وقد ذكر غير واحد من أهل العلم انه قد قتل معه أيضا وقاص بن مجرز المدلجي . قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محزرا كان على فرس لمكاشة بن محصن يقال لها الجناح فقتل محرز واستلب جناح فأنه أعلم . قال ولما تلاحت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة وغفاد برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله (ص) في المسلمين . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فاذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله (ص) . ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه قال وادرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظهما بالرمح فقتلها جميعا واستنقذا بعض اللقاح قال وسار رسول الله (ص) حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق به الناس فاقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الأكوع يارسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت باعناق القوم فقال رسول الله (ص) فيما بلغني : انهم الآن ليغبقون في غطفان فقسم رسول الله (ص) في أصحابه في كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة قال واقبلت امرأة الغفاري على ناقة من ابل النبي (ص) حتى قدمت عليه المدينة فاخبرته الخبر فلما فرغت قالت يارسول الله اني قد نذرت الله أن أنحرها ان نجاني الله عليها قال فتبسم رسول الله (ص) ثم قال «بئسما جزيتها أن حملك الله عليها ونجأك بها ثم تنحرينها انه لا نذر في مصيبة الله ولا فيما لا يملكين انما هي ناقة من ابل فارجعي الى أهلك على بركة الله » قال ابن اسحاق والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة بما ذكر من الاسناد والسياق . وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خيبر غزوة ذي قرد وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي (ص) قبل خيبر بثلاث حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد سمعت سلمة بن الأكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالاولى وكانت لقاح النبي (ص) ترعى بنى قرد قال فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح النبي (ص) فقلت من أخذها قال غطفان قال فصرخت ثلاث صرخات واصباحا قال فاصمعت ما بين لابي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخفوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت راميا وأقول أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم وامتلبت منهم ثلاثين بردة قال وجاء النبي (ص) بالناس فقلت يارسول الله قد حيت

القوم الماء وهم عطاش فابعث اليهم الساعة . فقال « يا ابن الاكوع ، ملكت فأسجح » ثم رجعنا وردفني رسول الله .س. على ناقته حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم عن قتبية به ورواه البخاري عن أبي عاصم السهلي عن يزيد بن أبي عبيدة عن مولاة سلمة بنحوه

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني اياس بن سلسة بن الاكوع عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله .س. فخرجت فانا وزباح غلام النبي .س. بظهر رسول الله .س. وخرجت بفارس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الابل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله .س. فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل فقلت يارباج أقعد على هذا الفرس فاطلحه بطلحة وأخبر رسول الله .س. أنه قد أغير على سرجه . قال : وقمت على تل فجعلت وجمي من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه ! قال : ثم اتبعت القوم ممي سبي ونلي فجعلت أرميهم وأعقر بهم وذلك حين يكثر الشجر فاذا رجع إلى فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت فلا يقبل إلى فارس إلا عقرت به فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

قال : فالحق برجل منهم فارميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كثرته فقلت

خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

فاذا كنت في الشجر أحرقهم بالنبل فاذا تضايقت الشدايا علوت الجبل فرددتهم بالحجارة فما زال ذلك شأني وشأنهم اتبعهم وارتجز حق ما خلق الله شيئا من ظهر رسول الله .س. إلا خلفته وراء ظهره فاستنقذته من أيديهم ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكر من ثلاثين رجلا وأكر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئا إلا جعلت عليه حجارة وجمته على طريق رسول الله .س. حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مددا لهم وهم في ثلث ضيقة ثم علوت الجبل فأنا فوقهم فقال عيينة ماهذا الذي أرى ؟ قالوا لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجمله وراء ظهره . فقال عيينة لولا أن هذا يرى أن وراءه طلبا لقد ترككم ، ليقم اليه نفر منكم . فقام اليه نفر منهم أربعة فصعدوا في الجبل فلما أسمعهم الصوت قلت أترفوني قالوا ومن أنت قلت أنا ابن الاكوع والذي كرم وجهه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم ان أظن . قال فما برحت مقمدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله .س. يغلزون الشجر وإذا أولهم الاخزم الاسدي وعلى أثره ابو قتادة فارس رسول الله .س. وعلى أثره المقداد بن الاسود الكندي فولى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل

فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ائذن القوم - يعني احذرهم - فاني لا آمن أن يقتطعوك فأتد حق يلحق رسول الله (س) ، وأصحابه . قال : ياسلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وألم أن الجنة حق والنار حق فلا تحمل يدي وبين الشهادة . قال فخليت عنان فرسه فيلحق بعبد الرحمن ابن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلعا طمعتين فعقر الاخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله فتحول عبد الرحمن على فرس الاخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلعا طمعتين فعقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة على فرس الاخرم . ثم اني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي (س) ، شيئاً ويرضون قبل غيبوبة الشمس الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فأرادوا أن يشربوا منه فابصروني أعدو وراءهم فمطفوا عنه وأسندوا في الثنية ثنية ذى بر وغربت الشمس وألحق رجلاً فارميه فقلت : خذها وأنا . الا كـ : واليوم يوم الرضع . قال فقال يا نكل أم أ كوع بكرة . فقلت نعم أي عدو نفسه . وكان الذي رميته بكرة وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقهما الى رسول الله (س) . وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ذو قرد واذا بلبي الله (س) . في خمائة واذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفت فهو يشوى لرسول الله (س) . من كبدها وسنامها فأتي رسول الله (س) . فقلت يا رسول الله خلني فأنتحب من أصحابك مائة فأخذ على الكفار بالمشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال أ كنت فاعلا ذلك ياسلمة ؟ قال قلت نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله (س) . حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ثم قال : انهم يتقرون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفاني فنحرم جزوراً فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غيرة فتركوها وخرجوا هرباً فلما أصبحنا قال رسول الله (س) . خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة ، فاعطاني رسول الله (س) . سهم الفارس والراجل جميعاً ثم أردقني وراءه على المضياء راجعين الى المدينة فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الانصار كان لا يسبق جمل يتأدى : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق الى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله (س) . مردقني فقلت له : اما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا الا رسول الله (س) . قال قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلاسابق الرجل . قال : ان شئت . قلت أذهب اليك فطفر من راحلته وثليت رجلي فطفرت عن الناقة ثم اني ربعت عليه شرفاً أو شرفين يعني استبقيت من نفسي ثم اني هدمت حتى ألحقه فاصك بين كتفيه بيدي قلت سبقتك والله أو كلمة نجوها قال فضحك وقال : ان أظن . حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده فسبقت الى المدينة فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا الى خير . ولأحمد هذا السياق . ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بمد الحديبية وقبل خير وهو أشبه مما ذكره ابن اسحاق والله أعلم فينبغي

تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة فان خير كانت في صفر منها
 و أما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي (ص) ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن
 اسحاق بروايته عن أبي الزبير عن الحسن البصري مرسلًا . وقد جاء متصلاً من وجوه آخر
 وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب بن ابي قلابة عن ابي المطلب
 عن عمران بن حصين قال : كانت المضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخنت
 المضباء معه . قال فر به رسول الله (ص) وهو في وثاق ورسول الله (ص) على حمار عليه قطيفة
 فقال يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله (ص) : فأخذك بجريرة حلقاتك
 ثقيف قال وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي (ص) . وقال فيها قال مسلم فقال رسول
 الله (ص) : لو قتلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح قال ومضى رسول الله (ص) فقال يا محمد
 اني جائع فاطمئني واني ظمآن فاسقني فقال رسول الله (ص) : هذه حاجتك ثم فدى بالرجلين وحبس
 رسول الله (ص) : المضباء لرحله . قال ثم ان المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به وكانت
 المضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين . قال وكانوا اذا زلوا أراحوا ابله بأفقتهم قال فقامت المرأة
 ذات ليلة بعد ما نوموا فجملت كلما أتت على بعير رغنا حتى أتت على المضباء فأنت على ناقة ذلول
 بجريرة فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة قال ونذرت ان الله أنجاها عليها لتنحرها فلما قدمت المدينة
 عرفت الناقة فقيل ناقة رسول الله (ص) . قال وأخبر رسول الله (ص) : بنذرها أو أته فأخبرته
 فقال بئس ماجزيتها أو بئس ماجزتها ان أنجاها الله عليها لتنحرها . قال ثم قال رسول الله (ص) :
 لا وفاء لنذر في مصرية الله ولا فيها لا يملك ابن آدم . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن
 حماد بن زيد

قال ابن اسحاق وكان بمقابل من الاشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لولا الذي لاقت ومن نسورها	بجئوب مائة أسير في التقواد
للقبكم يحسلن كل مدحج	حامي الحقيقة ماجد الاجداد
ولسرا أولاد اللقيطة انسا	سلم غداة غوارس القداد
كننا ثمانية وكانوا بجحلا	لجبا فشكوا بالراح بداد
كننا من القوم الذين يلدنهم	ويقتنمون عنان كل جواد
كلا ورب الرافعات الى متى	يقطنن عرض مخارم الأطواد
حتى كبيل الخليل في عرضاتكم	وتثوب بالليكات والأولاد
وهو بكل منقلب وطيرقر	في كل معترك غطفن وواد

أفنى دوابرها ولاح متونها يوم تقاد به ويوم طراد
فكذلك إن جسادنا ملبونة والحرب مشعلة بريح غواد
وسوقنا بيض الحداث نجلى جئن الحديد وهامة المرتاد
أخذ الله عليهم لحرامه ولعزة الرحمن بالأسداد
كانوا بدار ناعمين فبتلوا أيام ذي قرد وجوه عناد

قال ابن اسحاق فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين امام رسول الله (ص) على حسان وحلف لا يكلمه أبداً وقال انطلق الى خيلي وفوارسي فجعلها للقداد. فاعتذر اليه حسان بأنه وافق الروي اسم المقداد، ثم قال أبيتاً يمدح بها سعد بن زيد:

إذا أردتم الأشد الجلداً أو ذا غناء فليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهد هدأ

قال فلم تقع منه بموقع. وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أظن عينة اذ زارها بأن سوف يهدم فيها قصورا
فأكذبت ما كنت صدقة وقلم سنغم أمراً كبيراً
فعمت المدينة اذ زرتها وآست للأسد فيها زئيراً
وولوا سراً كشدة النعام ولم يكشفوا عن ملط حصيراً
أمير علينا رسول الملك أحبب بذاك الينا أميراً
رسول يصدق ما جاءه ويتلو كتاباً مضياً منيراً

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين:

أحببت أولاد القبيطة أنسا على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
وإننا أناس لا نرى القتل سبة ولا نلثني عند الرماح المداعس
وإننا لنقري الضيف من قع الذرى ونضرب رأس الأبلج المتشلوس
نرد كاة المثلين اذا انتحوا بضرب يسلي نخوة المتعاس
بكل فتي حامي الحقيقة ماجبو كريم كسرحان المضلة مخالس
ينودون عن أحسابهم وبلادهم يبيض تقد الهام تحت القوانس
فسائل بني بدر اذا ما لقيتهم بما فصل الإخوان يوم القلوس
اذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيم ولا تكتنوا أخباركم في المجالس
وقولوا زلنا عن محالب خادر به وحر في الصدر ما لم يمارس

غزوة بني المصطلق من غزوة

قال البخاري وهي غزوة المريسيع . قال محمد بن اسحاق وذلك في سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الافك في غزوة المريسيع هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة انها كانت في سنة أربع . والذي حكاه عنه وعن عروة انها كانت في شعبان سنة خمس . وقال الواقدي كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعمائة من أصحابه . وقال محمد بن اسحاق بن يسار بعد ما أورد قصة ذي قرد فأقام رسول الله (ص) بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ثم غزا بني المصطلق من خراعة في شعبان سنة ست . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ويقال نائلة بن عبد الله الليثي قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا : بلغ رسول الله (ص) ان بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها رسول الله (ص) بعد ذلك فلما سمع بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتراحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله (ص) أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاهم عليه وقال الواقدي خرج رسول الله (ص) لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه الى بني المصطلق وكانوا حلفاء بني مدلج فلما انتهى اليهم دفع راية المهاجرين الى أبي بكر الصديق ويقال الى عمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عباد ، ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى في الناس أن قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله (ص) المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد . وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله (ص) على بني المصطلق وهم غارون في أنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبي سبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه قال - جويرية بنت الحارث . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش قال ابن اسحاق وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه أصابه رجل من الانصار وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ

وذكر ابن اسحاق أن أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكة مظهراً للإسلام فطلب دية أخيه هشام من رسول الله (ص) لانه قتل خطأ فأعطاه ديته ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع

مرتداً الى مكة وقال في ذلك :

شفى النفس ان قد بات بالقاع مسنداً يضرج ثوبيه دماء الاخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله تلم فتحميني وطاة المضاجع
حلت به وتري وأدركت ثورتى وكنت الى الاوثان أول راجع
نارت به فبراً وحملت عقله سراة بنى النجار أرباب فارع

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الاربعة الذين أهدر رسول الله (س) يوم الفتح دماءهم وان وجدوا معلقين باستار الكعبة . قال ابن اسحاق فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني : يا معشر الانصار وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم غلام حدث فقال أوقد فملوها ؟ قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه الا كما قال الاول « ممن كلبك يا كلك » أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بانفسكم احللتهم بلادكم وقامتهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد ابن أرقم فمشى به الى رسول الله (س) ، فاجبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال من مر به عباد ابن بشر فليقتله . فقال رسول الله (س) : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا ولكن آذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله (س) يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول الى رسول الله (س) حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان في قومه شريفاً عظيماً فقال من حضر رسول الله (س) من الانصار من أصحابه يا رسول الله عسى ان يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حديثاً على ابن أبي ودفعه عنه . فلما استقل رسول الله (س) وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يا رسول الله والله لقد رحت في ساعة منكورة ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله (س) : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال أى صاحب يا رسول الله ؟ قال عبد الله بن أبي . قال وما قال قال زعم أنه ان رجع الى المدينة اخرج الأعز منها الاذل قال فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الدليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكاً . ثم مشى رسول الله (س) بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم

يلبثوا ان وجدوا من الارض فوقعوا نياما . وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي ثم راح رسول الله (س) بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقاء فلما راح رسول الله (س) هبت على الناس ريح شديدة فأذتهم وتخوفوها فقال رسول الله (س) : لا تخوفوها فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن الثابت أحد بني قينقاع وكان عظماء من عظماء اليهود وكهناً للمنافقين مات ذلك اليوم . وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي . وروى مسلم من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر نحوه هذه القصة الا أنه لم يسم الذي مات من المنافقين قال هبت ريح شديدة والنبي (س) في بعض أسفاره فقال هذه لموت منافق فلما قدمنا المدينة اذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين . قال ابن اسحاق ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره فأخذ رسول الله (س) بأذن زيد بن أرقم وقال هذا الذي أوفى الله بآذنه . قلت وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن اعادته هاهنا وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك وبالله التوفيق . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أتى رسول الله (س) فقال يا رسول الله انه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمري به فانا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمسي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله (س) بل نفرق به ونحسن صحبته ما بقي معنا . وجعل بعد ذلك اذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله (س) لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلتني يوم قلت لي لا رعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . فقال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله (س) أعظم بركة من أمرى . وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لايه عبد الله بن أبي بن سلول عند مضيق المدينة فقال قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله (س) في ذلك فلما جاء رسول الله (س) استأذنه في ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة . قال ابن اسحاق وأصيب يومئذ من بني المصطلق ناس وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين مالكا وابنه . قال ابن هشام وكان شعار المسلمين : يا منصور أمت أمت

قال ابن اسحاق وكان رسول الله (س) أصاب منهم سبياً كثيراً قسمهم في المسلمين وقال

البخارى حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرني اسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن خبان عن ابن محيريز أنه قال دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل فقال أبو سعيد خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتبهينا النساء واشدت علينا العزوبة وأحببنا العزل وقلنا نعزل ورسول الله (ص) بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال : ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة الا كائنة وهكذا رواه . قال ابن اسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله (ص) سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاح لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله (ص) لتستعينه في كتابتها قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيري منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقيت في السهم لثابت ابن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال أقضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت . قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله (ص) قد تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس أمهارة رسول الله (ص) فارسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها . ثم ذكر ابن اسحاق قصة الافك بتامها في هذه الغزوة وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور فليحق بكلامه إلى ها هنا والله المستعان

وقال الواقدي حدثنا حرام عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث رأيت قبل قدوم النبي (ص) بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرتي فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله (ص) فلما سبينا رجوت الرؤيا قالت : فأعطيني رسول الله (ص) وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى . قال الواقدي : ويقال ان رسول الله (ص) جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق . وذكر موسى بن عقبة عن بني المصطلق أن أباهما طلبها وافتداهما ثم خطبها منه رسول الله (ص) فزوجه إياها

قصّة اللؤلؤ

وهذا سياق محمد بن اسحاق حديث الافك : قال ابن اسحاق حدثني زهري عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة قال الزهري : وكل قد حدثني بهذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت كل الذي حدثني القوم . قال ابن اسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع قالت : كان رسول الله (س) إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فإيهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله (س) . قالت : وكان النساء إذا كان العلق لم يهجن اللحم فيثقلن وكنت إذا رُحِل لي بميري جلست في هودجني ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملوني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله (س) من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم أذن مؤذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار فلما فرغت النسل من عنقي ولا أدري فلما رجعت إلى الرجل ذهبت ألتمس في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع فاحملوه فشده على البعير ولم يشكوا أني فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به فرجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس . قالت فتلفتت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني وعرفت أن لو افتقدت رجع الناس إلى . قالت فوالله أني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس فرأى سوادى فأقبل حتى وقف على وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ظمينة رسول الله (س) ؟ وأنا متلففة في ثيابي . قال ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته . ثم قرب إلى البعير قتال اركبي واستأخر عني . قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريماً يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما اطمانوا طلع الرجل يقود بي فقال أهل الافك ما قالوا واربح العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى

شديدة لا يبلغني من ذلك شيء . وقد انتهى الحديث الى رسول الله (س) ، والى أبوي لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا إلا أنني قد أنكرت من رسول الله (س) ، بعض لطفه بي كنت اذا اشتكيت رحنى ولطف بي فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك فانكرت ذلك منه ، كان اذا دخل على وعندى أمي (١) تمرضني قال كيف تيكم لا يزيد على ذلك قالت حتى وجدت في نفسي فقلت يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أدت لي فانتقلت الى أمي فرضتني قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمي ولا علم لي بشيء مما كان حتى نهدت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قومًا غربًا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الاعاجم لعافها ونكرها انما كما نخرج في فصح المدينة وانما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في جوائهن فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعى أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب قالت فوالله إنها لمشي معي إذ عثرت في صرطها فقالت تعس مسطح (ومسطح لقب واسمه عوف) قالت فقلت بشئ لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت أو ما بملك الخبر يا بنت أبي بكر قالت قلت وما الخبر فآخبرتنى بالذي كان من قول أهل الافك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي قالت وقلت لامي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكري لي من ذلك شيئاً قالت أي بنية خفي عليك الشأن فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله (س) فخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذوني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتنا من بيوتى إلا وهو معي ، قالت وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله (س) ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني في المنزلة عنده غيرها فأما زينب فمصها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة فاشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله (س) ، تلك المقالة قال أسيد بن حضير يا رسول الله ان يكونوا من الاوس فكفيكم وان يكونوا من اخواننا من الخزرج فمرنا أمرك فوالله انهم لأهل أن تضرب أعناقهم قالت فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة إلا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد بن حضير كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت وتساور الناس حتى كاد

(١) في سيرة ابن هشام : هي أم دومان ، واسمها زينب بنت عبد الله بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة

يكون بين هذين الحيين من الاوس والخزرج شر، ونزل رسول الله (ص) فدخل على فدعا على بن أبي طالب وأسماء بن زيد فاستشارهما فأما أسماء فأتى خيراً وقاله ثم قال يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم الا خيراً وهذا الكذب والباطل . وأما على فانه قال يا رسول الله ان النساء لكثير وانك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك . فدعا رسول الله (ص) بريرة يسأها قالت فقام اليها على فضر بها ضرباً شديداً ويقول : أصدقى رسول الله (ص) . قالت فتقول والله ما أعلم الا خيراً وما كنت أعيب على عائشة شيئاً الا انى كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله . قالت ثم دخل على رسول الله (ص) . وعندى أبواى وعندى امرأة من الانصار وأنا أبكى وهى تبكى فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا عائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتق الله وان كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده . قالت فوالله ان هو الا أن قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى رسول الله (ص) فلم يتكلما . قالت وأيم الله لانا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى قرآننا يقرأ به ويصلى به، ولكنى كنت أرجو أن يرى النبى (ص) فى نومه شيئاً يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتى ويخبر خبراً وأما قرآننا ينزل فى فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك قالت فلما لم أر أبواى يتكلمان قلت لهما ألا تجيبان رسول الله (ص) ؟ فقالا والله ما ندرى بما نجيبه . قالت ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الايام قالت فلما استعجبا على استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبداً والله انى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم انى منه بريئة لأقولن ما لم يكن ولئن أنا أذكرت ما يقولون لا تصدقوننى قالت ثم التمت اسم يعقوب فما أذكره فقلت ولكن سأقول كما قال أبو يوسف [فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون] قالت فوالله ما برح رسول الله (ص) بجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بشو به ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه فأما أنا حين رأيت من ذاك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت انى بريئة وان الله غير ظالمى وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ماسرى عن رسول الله (ص) حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس . قالت ثم سرى عن رسول الله (ص) فجلس وانه ليتحدر من وجهه مثل الجمان فى يوم شات فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشرى يا عائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت قلت الحمد لله . ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنمة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضر بواحدهم

وهذا الحديث يخرج في الصحيحين عن الزهري . وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر
حد القنف لحسان ومن معه رواه أبو داود في سننه . قال ابن اسحاق وقال قائل من المسلمين في
ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاقَ حَسَّانُ الذي كان أهله وحننة اذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوجَ نبيِّهم وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا
وأدوا رسولَ الله فيها فجَلَلوا مخازي تبقَى عَمَوماً وفَضَحوا
وَصَبَّتْ عليهم مَحْصَدَاتٌ كأنها شَائِبٌ قَطَرٍ في ذرا المزن تسفح
وقد ذكر ابن اسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة
من قريش ممن تخاصم على الماء من أصحاب جهجاه كما تقدم أوله هي :

أُمسى الجَلالِيْبُ قد عَزَّوا وقد كَثُرُوا وابنُ الفريعة أَمسى يَبِضَةُ البلد
قد تَكَلَّتْ أُمُّهُ من كُنْتِ صاحِبَهُ أو كان مُنْتَشِباً في بُرْنِ الاسد
ما لِقَتِلي الذي أَعَدُّ فآخِذَهُ من دِيَّةٍ فيه يُعْطَاهَا ولا قُوْد
ما البحر حين تَهَبَّ الرِّيحُ سَبِيَّةً فيَغْطِئُ وَيَرْمِي العَبْرُ بالزبد
يوماً بأغْلَبَ مِنِّي حين تُبْصِرُنِي بِلَغِيْظٍ أَفْرِي كَفَرْنِي العارِضُ البَرْد
أما قريش فاني لا أُسألُها حتى يُنَبِّئُوا من النِّبَاتِ للرشد
ويتركوا اللات والعزى بمَعزَلَةٍ ويسجُدوا كُلُّهم للواحدِ الصِّد
ويشهدوا أَن ما قال الرسولُ لهم حقٌّ فَيُؤْفُوا بِحقِّ الله والوَكْد

قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تَلَقَّ دُبابَ السيف عني فاني غلامٌ اذا هُوِجيتُ لستُ بشاعر

و ذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً فلقبه عبد
الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله هل علم رسول الله (س) .
بشيء من ذلك ؟ قال لا . فاطلقه ثم أتوا كلهم رسول الله (س) . فقال ابن المعطل : يا رسول الله
آذاني وهجائي فاحتلمني الغضب فضربته . فقال رسول الله (س) : يا حسان أتشوهت على قومي
أذ هدام الله . ثم قال : أحسن يا حسان فيما أصابك . فقال : هي لك يا رسول الله . فعوضه منها
ببرحاء التي تصدق بها أبو طلحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن . قال :
وكانت عائشة تقول سئل عن ابن المعطل فوجد رجلاً حصوراً ما يأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً
رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : ثم قال حسان ابن ثابت يعثر من الذي كان قال في شأن عائشة :

حَصَانٌ رِزَانٌ مَا تَزُنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ حُلُومِ الْغَوَافِلِ
عَقِيلَةٌ حَتَّى مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كَرَامِ الْمَسَاعِي بِجَدْمِ غَيْرِ زَائِلِ
وَأَنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَا قُطْرٍ بَلَّكَ الدَّهْرُ بِلِ قِيلِ أَمْرِي بِي مَاحِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فَلَا رَفْعَ سَوَطِي إِلَى أَنَا مِلِي
فَكَيْفَ وَوَدَى مَا حَيِّتُ وَتُضَرِّي لَأَلَّ رَسُولُ اللَّهِ زَيْنَ الْحَافِلِ
وَأَنْ لَمْ عَزَا تَرَى النَّاسَ دُونَهُ يَقْصِرُونَ وَأَطَالَ الْعَرْزُ كُلَّ التَّطَاوُلِ

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهي من قوله تعالى [ان الذين جاءوا بلا فلك عصابة منكم الانحسبوه شرأ لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الانم الى - مغفرة ورزق كريم] وما أوردهنا هنالك من الاحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق

عروة الخربية

وقد كانت في ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . ومن نص على ذلك الزهري ونافع مولى ابن عمر وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذي رواه ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة انها كانت في ذى القعدة سنة ست . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا اسماعيل ابن الخليل على علي بن مسهر أخبرني هشام بن عروة عن أبيه قال خرج رسول الله (ص) الى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال . وهذا غريب جدا عن عروة . وقد روى البخاري ومسلم جميعا عن هذبة عن همام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره ان رسول الله (ص) اعتمر أربع عمر في ذى القعدة الا العمرة التي مع حجته . عمرة من الحديبية في ذى القعدة وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة ومن الجمرات في ذى القعدة حيث قسم غنائم خيبر وعمرة مع حجته . وهذا لفظ البخاري . وقال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة رمضان وشوال وخرج في ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي . قال ابن اسحاق واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله (ص) بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربته وليعلم الناس انه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له . قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قال خرج رسول الله (ص) عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله

فما بلغني يقول كئنا أصحاب الحديدية أربع عشرة مائة . قال الزهري وخرج رسول الله (ص) حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر^(١) بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جنود النور وقد نزلوا بندي طوي يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا الى كراع الغميم قال فقال رسول الله (ص) يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لأزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السائلة ثم قال فمن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ان رجلا من أسلم قال أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا أجزل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للخطئة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها . قال ابن شهاب فأمر رسول الله (ص) الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الخضر في طريق يخرج على ثنية المارار مبط الحديدية من أسفل مكة . قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قفرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش . وخرج رسول الله (ص) حتى إذا سلك في ثنية المارار بركنت ناقته فقال الناس خلأت فقال ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تسمعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها . ثم قال للناس انزلوا . قيل له يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه . فأخرج سهما من كئناته فأعطاه رجلا من أصحابه فتنزل به في قليب من تلك القباب ففرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بطن . قال ابن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم ان الذي نزل في القليب بسهم رسول الله (ص) ناجية بن جندب^(٢) سائق بدن رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله (ص) فالله أعلم بأي ذلك كان . ثم استدل ابن اسحاق للاول ان جارية من الانصار جاءت البئر وناجية أسفله يبيع فقالت :

يا أيها المائح دليوني دونكا إني رأيت الناس يحمونوكا

يثنون خيرا ويمجدونوكا

(١) قال ابن هشام : ويقال « بشر » (٢) تمامه عند ابن هشام : ناجية بن جندب بن عبد بن عمرو بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أقي ن أبي حارثة

فأجابها فقال :

قد علمت جارية يمانية انى أنا المائح واسمي نابخيه
وطعنة ذات رشاش واهيه طعننها عند صدور العاديه

قال الزهرى فى حديثه : فلما اطمان رسول الله (س) أتاه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فكلوه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظم الحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ، وان محمداً لم يأت لقتال انما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم وقالوا : وإن جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا نحدث بذلك عنا العرب . قال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله (س) مسلمها ومشرکہا لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بنى عامر بن لؤى فلما رآه رسول الله (س) مقبلاً قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله (س) ، وكلمه قال له رسول الله (س) ، نحو ما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله (س) ، ثم بعثوا بجلبس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الاحابيش وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه رسول الله (س) ، قال : ان هذا من قوم يتألمون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله (س) ، اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك . قال فقالوا له : اجلس فانما أنت اعرابى لا علم لك . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبى بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالنا كم ولا على هذا عاهدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كف عنا حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به . قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا الى رسول الله (س) ، عزوة بن مسعود الثقفى فقال : يا معشر قريش انى قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرقتكم أنكم وألدوا بنى ولد وكان عزوة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله (س) ، فجلس بين يديه ثم قال يا محمد أجمت أو شاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم انما قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يماهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله (س) ، فقال : امصص بظر اللات

أمن تنكشف عنه؟ قال من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن أبي قحافة. قال أما والله لو لا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بهمة قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله (ص) وهو يكلمه والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله (ص) في الحديد، قال: فجعل يقرع يده اذ يتناول لحية رسول الله (ص) ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله (ص) قبل أن لاتصل اليك قال فيقول عروة ويحك ما أفظك وأغظاك. قال: فتبسم رسول الله (ص) فقال له عروة من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال أي غدر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس. قال الزهري فكله رسول الله (ص) الله بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عند رسول الله (ص) وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش أني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وأنى والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم. قال ابن اسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحملة على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فمقروا به فجعل رسول الله (ص) وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فغفلوا سبيله حتى أتى رسول الله (ص). قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أنهم عن عكرمة عن ابن عباس أن قريشا كانوا يبعثون أربعين رجلاً منهم أو خمسين أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله (ص) ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا فأتى بهم رسول الله (ص) فعنا عنهم وخلي سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله (ص) بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له فقال يا رسول الله أنى أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بنى عدى أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلاظتي عليها ولكنى أدلك على رجل أعز بها مني عثمان ابن عفان فدعا رسول الله (ص) عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة فخرج عثمان إلى مكة فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ص) فأنطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعطاء قريش فبلغهم عن رسول الله (ص) ما أرسله به فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله (ص) إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله (ص). واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله (ص) والمسلمين أن عثمان قد قتل. قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله (ص) قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم. ودعا رسول الله (ص) إلى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله (ص)، على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله (ص) لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله (ص)، الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس أخو بني سلمة وكان جابر بن عبد الله يقول والله اكأني أنظر اليه لاصقاً بأبط ناقته قد ضباً اليها يستتر من الناس. ثم أتى رسول الله (ص)، أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل. قال ابن هشام وذكر وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن أول من بايع رسول الله (ص)، بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي. قال ابن هشام وحدثني من أثق به عن حديثه بأسناد له عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر أن رسول الله (ص)، بايع لعثمان فضرب بأحدى يديه على الأخرى. وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف لكنه ثابت في الصحيحين. قال ابن اسحاق: قال الزهري ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله (ص)، وقالوا آت محمداً وصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً. فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ص)، مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سهل إلى رسول الله (ص)، تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال بلى. قال أولسنا بالمسلمين؟ قال بلى. قال أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى. قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه فأتى أشهد أنه رسول الله قال عمر وانا أشهد أنه رسول الله: ثم أتى رسول الله (ص)، فقال يا رسول الله أأنت برسول الله قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال انا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني. وكان عمر رضي الله عنه يقول ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً. قال ثم دعا رسول الله (ص)، علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم قال فقال رسول الله (ص)، اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. قال فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. قال فقال رسول الله (ص)،: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بخير أذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وإن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا أسلال ولا أغلال وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. فتوالت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده

وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثاً معك سلاح الركب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها . قال : فبينما رسول الله (ص) يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ويرسف في الحديد قد انفلت الى رسول الله (ص) ، وقد كان أصحاب رسول الله (ص) قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله (ص) ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله (ص) في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه ففرب وجهه وأخذ بتأبيه وقال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت فجعل ينثره بتأبيه ويجره يعني يردّه الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أردّوا الى المشركين يفتنونني في ديني ! فزاد ذلك الناس الى ما بهم . فقال رسول الله (ص) : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله ، وانا لا نغدر بهم » قال : فوثب عمر ابن الخطاب مع أبي جندل يمشي الى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فأتى المشركون وانما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية . فلما فرغ رسول الله (ص) من الكتاب أشد على الصلح رجلاً من المسلمين ورجلاً من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلى بن أبي طالب ، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة

وكان رسول الله (ص) مضطرباً في الحل^(١) وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام الى هديه فنحره ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذي خلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله (ص) قد نحر وخلق توابوا ينحرون ويحلقون . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : خلق رجال يوم الحديدية وقصر آخرون ، فقال رسول الله (ص) : « برحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « برحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « والمقصرين » قالوا : يا رسول الله فلم ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا . وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول

(١) أي ضارباً خيامه خارج منطقة الحرم

الله (س) : أهدى عام الحديبية في هداياه جلالاً في جهل في رأسه برة من فضة لينغفل بذلك المشركين هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البخاري كما سيأتي مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترها ان شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ونذكر في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه ان شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان

قال البخاري : حدثنا خالد بن تميم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله (س) عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله (س) الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أتدرون ماذا قال ربكم ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، فاما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي . وهكذا رواه في غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهري ، وقد روى عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة

وقال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل بن أبي إسحاق عن البراء قال : أتت من الفتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كذا مع النبي (س) أربع عشرة مائة والحديبية بشر فترحمنا فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك الذي (س) ، فأتانا خمس على شفير ما نتم دنا بأناء من ماء فتوضأ ثم مضى ودعائهم حبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انما أمددنا ما شئنا نحن وركابنا . انفراد به البخاري

وقال ابن إسحاق في قوله تعالى [فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً] : صلح الحديبية . قال الزهري : لما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً والتقوا فتنازخوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الاسلام يقاتل شيئاً الا دخل فيه واقعد دخل في تينك السلتين ، مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزهري أن رسول الله (س) خرج الى الحديبية في ألف وأربع مائة رجل في قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف

وقال البخاري : حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا ابن فضيل حدثنا حميد بن سالم عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله (س) بين يديه زكوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله (س) : ما لكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب الا ما في زكوتك . فوضع النبي (س) يده في الزكوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال السيون .

قال : فشر بنا وتو ضانا . قلنا لجابر كم كنتم يومئذ ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وقد رواه البخاري أيضا ومسلم من طرق عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به وقال البخاري : حدثنا العجلي بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة . فقال لي سعيد : حدثني جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين يلعموا النبي (س) . يوم الحديبية . تابعه أبو داود حدثنا قرّة عن قتادة . تفرد به البخاري

ثم قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو ومحمد جابرا قال : قال لنا رسول الله (س) : يوم الحديبية « أنتم خير أهل الأرض » وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة . وقد روى البخاري أيضا ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر قال : إن عبدا لحاطب جاء يشكو فقال يا رسول الله ليندخلن حاطب النار . فقال رسول الله (س) : « كذبت لا يدخلها ، شهد ببراء والحديبية » رواه مسلم . وعند مسلم أيضا من طرق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول أخبرتني أم ميسرة أنها سمعت رسول الله (س) يقول عند حفصة « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين يلعموا تحتها » فقالت حفصة : بلى يا رسول الله ، فأنهرها ، فقالت حفصة : [وإن منكم إلا واردها] فقال رسول الله (س) : قد قال تعالى [ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا] قال البخاري : وقال عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة حدثني عبد الله ابن أبي أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفا وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين . تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة . هكذا رواه البخاري معلقا عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المثني عن أبي داود عن اسحق بن إبراهيم عن النضر بن شميل كلاهما عن شعبة به

ثم قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن مروان والمسيور بن مخزومة قالا : خرج النبي (س) عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بنى الخليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم منها . تفرد به البخاري وسيأتي هذا السياق بتمامه والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن اسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة ، وهو والله أعلم إنما قال ذلك تنقها من تلقاء نفسه من حيث أن البدن كن سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره فيكون المهلون سبع مائة ، ولا يلزم أن يهدى كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضا ، فقد ثبت أن رسول الله (س) بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يحرم أبو قتادة

حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه وحملوا منه إلى رسول الله (ص) في أثناء الطريق فقال: هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟ قالوا: لا. قال: فتكلموا ما بقي من الحمار. وقد قال البخاري: حدثنا شعبه بن الربيع حدثنا علي بن المبارك عن يحيى عن عبيد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال: انطلقنا مع النبي (ص) عام الحديبية فأحرم أصحابي ولم أحرم وقال البخاري حدثنا محمد بن رافع حدثنا شبابة بن سوار القزاري حدثنا شعبه عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها. حدثنا موسى حدثنا أبو هوانة حدثنا طارق عن سميد بن المسيب عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا. وقال البخاري أيضاً حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً فررت بقوم يصلون، فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبي (ص) بيعة الرضوان، فأتيت سميد بن المسيب فأخبرته فقال سميد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله (ص) تحت الشجرة، قال: فلما كان من العام المقبل نسيتها فلم أقدر عليها. ثم قال سميد: إن أصحاب محمد لم يملوها، وهدموها أنتم! فأنتم أهل؟ ورواه البخاري ومسلم من حديث الثوري وأبي هوانة وشبابة عن طارق. وقال البخاري حدثنا سعيد حدثني أخى عن سليمان بن عمرو بن يحيى عن هبادة بن تميم قال: لما كان يوم الحرة والناس يبائعون لعبد الله بن حنظلة، فقال ابن زيد: على ما يبيع ابن حنظلة الناس؟ قيل له على الموت، فقال: لا أبيع على ذلك أحداً بعد رسول الله (ص)، وكان شهد معه الحديبية. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به. وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قاتل لسلة بن الأكوع: على أي شيء يبيعهم رسول الله (ص)، يوم الحديبية؟ قال: على الموت. ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبي عبيد. وفي صحيح مسلم عن سلة أنه بايع ثلاث حرات في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم. وفي الصحيح عن مقتل بن يسار أنه كان آخفاً بأخصان الشجرة عن وجه رسول الله (ص)، وهو يبيع الناس، وكان أول من بايع رسول الله (ص)، يومئذ أبو سنان وهو وهب بن عحصن أخو عكاشة بن عحصن وقيل سنان بن أبي سنان.

وقال البخاري: حدثني شعجاع بن الوليد مع النضر بن محمد حدثنا صخر بن الربيع عن تافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه، ورسول الله (ص) يبيع عند الشجرة، وعمر لا يدرى بذلك، فبايعه عبد الله، فالتحق فذهب معه حتى بايع رسول

الله (س)، وهي التي تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر . وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي (س) يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجرة فإذا الناس محدقون بالنبي (س) فقال يا عبد الله أنظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله (س) فوجدهم يبائعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع . تفرد به البخاري من هذين الوجهين

سياق البخاري لعمره الحديبية

قال في كتاب المغازي : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا خرج النبي (س) عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمره وبعث عيناً له من خزاعة ، وسار النبي (س) حتى إذا كان بندير الاشباط أتاه عينه قال : إن قریشاً قد جمعوا لك جمعوا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك ، فقال : أشيروا أيها الناس على أنزول أن أميل إلى عيالم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فان يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محرومين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا نريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فن صدنا عنه قاتلناه . قال امضوا على اسم الله . هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا

وقال في كتاب الشهادات^(١) : حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا خرج رسول الله (س) زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي (س) : إن خالد بن الوليد بالقميم في خيل لقریش طليعة نغذوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فاطلق يركض نديراً لقریش ، وسار النبي (س) حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها برکت به راحلته ، فقال الناس : حل حل ، فألحت ، فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء ، فقال رسول الله (س) : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يأتوني خطبة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوئدت ، فمدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على نجد قليل الماء يتبرّضه تبرضاً فلم يلبثه الناس

(١) هو في (كتاب الشروط)

حتى نزحوه ، و شكى الى رسول الله (ص) ، المعش فانزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه
 فوالله ما زال يجيش لم يبارى حتى صدروا عنه ، فبيناهم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر
 من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصيح رسول الله (ص) ، من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب
 ابن لؤي وعامر بن لؤي نزحوا أعداد مياه الحديبية معهم المؤذ المطافيل وهم مقاتلون وصادقون من
 البيت . فقال النبي (ص) : أنا لم نجبه لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وازقريشاً قد نهكتهم الحرب
 وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيدي وبين الناس ، فإن أظفر فإن شاءوا أن يدخلوا فيها
 دخل فيه الناس فملوا والا فقد جروا ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لا قاتلهم على أمرى هذا حتى
 تنفرد سالفتي وليستفذن أمر الله . قال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : أنا
 قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمناه يقول قولاً فإن شئتم أن نمرضه عليكم فعلنا . فقال سنهازم
 لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول
 كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله (ص) ، فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، أليست
 بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أولستم بالولد ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تهموني ؟ قالوا : لا . قال : أليست
 تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلغوا على جئتكم بأهل وولدي ومن أطاعوني ؟ قالوا : بلى . قال :
 فإن هذا قد مرض الحكم خطرة رشد اقبلوها ودهوني آتية ، فقالوا : الله ، فأتاه ، فجعل يكلم النبي (ص) ،
 فقال النبي (ص) : نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أي مجد أرايت ان استأصلت أمر
 قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الاخرى فاني والله لا أرى وجوها
 واني لأرى أشواهاً من الناس خائفاً أن يذروا ويدعوك . فقال له أبو بكر : أمصص بظفر اللات ، أنحن
 نفر عنه وندهه ؟ قال من ذا ؟ قالوا أبو بكر . قال أما والذي نفسي بيده لو لا يد كالت لك هندی لم
 أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي (ص) ، فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس
 رسول الله (ص) . ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى حلية رسول الله (ص) ، ضرب
 يده بنمل السيف وقال له : أخر يدك عن حلية رسول الله (ص) . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا
 قالوا المغيرة بن شعبة . فقال أي غدر أليست أسمى في غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة صاحب
 قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي (ص) : أما الاسلام فأقبل وأما المال
 فلست منه في شيء . ثم ان عروة جعل يرمى أصحاب رسول الله (ص) . فبميليته قال فوالله ما تنضم رسول
 الله (ص) ، فخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره
 وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر
 تمظيلاً له . فرجع عروة الى أصحابه فقال : أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قبصر

وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا تواضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحبون النظر إليه تعظيماً له ، وأنه قد عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة دعوني آتية . فقالوا آتته . فلما أشرف على النبي (س) ، وأصحابه قال رسول الله (س) : هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له . فبعثت له واستقبله الناس يلبون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قُلت وأشمرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتية . قالوا آتته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله (س) : هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي (س) ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله (س) : لقد سهل لكم من أمركم . قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل فقال هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي (س) ، الكاتب فقال النبي (س) : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لانكتبها إلا باسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي (س) : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله (س) : والله أني رسول الله وإن كذبتوني . اكتب محمد بن عبد الله . قال الزهري : وذلك أقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله ، إلا أعطيتهم إياها . فقال له النبي (س) : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . قال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضعة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب . فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك من رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا . قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى فقال النبي (س) : أنا لم نقض الكتاب بعد ، قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي (س) : فأجزه لي . قال ما أنا بمجزه لك . قال : بلى فافعل قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بلى قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أردت إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت . وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله . فقال عمر رضي الله عنه فأتيت رسول الله (س) . فقلت : ألسن النبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق

وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا اذن . قال : اني رسول الله ولست
أعصيه وهو ناصري . قالت : اولست كنت تحدثنا انا سنائي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك
أنا تأتبه العام ؟ قال قلت لا . قال : فانك آتية ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر
أليس هذا نبي الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال :
قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا اذن . قال : أيها الرجل انه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره
فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق . قلت أليس كان يحدثنا انا سنائي البيت ونطوف به ؟ قال بلى
أفأخبرك أنك تأتبه العام . قلت لا . قال فانك آتية ومطوف به . قال الزهري قال عمر : فعلت
لذلك أعمالا . قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (س) : لأصحابه : قوموا فانحروا ثم
احلقوا . قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم
سليمة فذكر لها ما لقي من الناس . فقالت أم سليمة : يا نبي الله أحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم
كلمة حتى تنحر بدهنك وتدعو حاله فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر
بدهنه ودعا حاله فحلقه فلما رآوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم
يقتل بعضاً غمماً . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن - حتى بلغ - بعصم الكوافر] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتاه في الشرك .
فتزوج احدهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبي (س) الى المدينة
فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا .
فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد
الرجلين : والله اني لأرى سيفك هذا يافلان جيداً . فاستلّه الآخر فقال : أجل والله انه لجيد لقد
جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه . فأمكنه منه فضر به حتى برد وفر الآخر حتى
أتى المدينة فدخل المسجد يدعو ، فقال رسول الله (س) : حين رآه « لقد رأى هذا ذعرا » فلما انتهى
الى النبي (س) قال : قتل والله صاحبي واني لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى
الله ذمتك ، قد رددتني اليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي (س) : « ويل امه مسعر حرب لو كان
له أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده اليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر . قال : وينفقت
منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم الا
لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا
اعترضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش الى النبي (س) : تناشده بالله والرحم لما
أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي (س) اليهم فأنزل الله تعالى [وهو الذي كف أيديهم عنكم

وأيد بكم عنهم يبطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم - حتى بلغ - الحجة حجة الجاهلية [وكانت حينهم
انهم لم يقرؤا أنه نبي الله ولم يقرؤا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا سياق
فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن اسحاق عن الزهري ، فقد رواه عن الزهري عن
جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعر ومحمد بن اسحاق كلهم عن الزهري عن عروة عن مروان
ومسور ، فذكر القصة

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن عقيل
عن الزهري عن عروة^(١) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله (ص) ،
فذكر القصة . وهذا هو الاشبه فان مروان ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذهما
عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن اسحاق حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مغول سمعت
أبا حصين قال قال أبو وائل : لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتينا نستهبره فقال : اتهموا
الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله (ص) أمره لرددت ، والله
ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيفنا عن عواتقنا لأمر يقطعنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه ، قبل
هذا الأمر ما نسد منها خصماً إلا انفجر علينا خصم ما ندرى كيف فاقى له^(٢)

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن
رسول الله (ص) كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً فسأله عمر بن
الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله (ص) ، ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب
مكثت أملك يا عمر تزرت رسول الله (ص) ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت
بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل في قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ
بي ، قال فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ، فجئت رسول الله (ص) ، فسألت عليه فقال
« لقد أنزلت على الآية سورة لمي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ [انا فتحنا لك فتحاً
مبيناً] . قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكلماتها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية لله الحمد والمنة ،
ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل

(١) في صحيح البخاري (دار الطباعة العامة ١٣١٥ ج ٣ ص ١٧٢) : عقيل عن ابن شهاب
عن عروة (٢) كان جماعة اتهموا سهل بن حنيف بأنه قصر في القتال يوم صفين فقال لهم
اتهموا رأيكم ولا تنهوني ، فاقى لا أقصر وقت الحاجة ، كنا زمن النبي (ص) لا نلبس السلاح
لأمر يشند علينا إلا أفضى بنا سلاحنا إلى سهولة ، وأما أمر صفين فنحن لأنسد منه جانباً حتى
ينفجر علينا منه جانب آخر فلا يمكننا إصلاحه وتلافيه

فصل في السرايا

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

في ربيع الاول منها أو الآخر بعث رسول الله (س) عكاشة بن محصن في أربعين رجلا الى
... فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث في آثارهم وأخذ منهم مائتي بعير فاستاقها
الى المدينة

وفيهما كان بعث أبي عبيدة بن الجراح الى ذي القصة بأربعين رجلا أيضا فساروا اليهم مشاة
حتى أتوها في عمارة الصبح فهربوا منه في رهوس الجبال فأمر منهم رجلا فقدم به على رسول الله
(س) وبعثه محمد بن مسلمة في عشرة نفر وكن القوم لهم حتى باتوا أصحاب محمد بن مسلمة كلهم
وافلت هو جريحا

وفيهما كان بعث زيد بن حارثة بالخموم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليلة فدخلتهم على محلة
من بحال بني سليم فأصابوا منها نساء وأسروا ... وكان فيهم زوج حليلة هذه فوهبه رسول الله
(س) الزوج وأطلقها

وفيهما كان بعث زيد بن حارثة أيضا في جمادى الاولى الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا
فهربت منه الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيرا ثم رجع بعد أربع ليال
وفيهما خرج زيد بن حارثة في جمادى الاولى الى العيص

قال وفيها أخذت الاموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع فاستجار بزَيْنَب بنت رسول
الله (س) فأجارته . وقد ذكر ابن اسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفر
هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زَيْنَب بنت رسول الله (س) قد هاجرت بعد بدر
فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح فأجاره لها رسول الله (س) وأمر الناس برده
ما أخذوا من غيره فردوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يبق منه شيئا ، فلما رجع بها الى مكة
وأدى الى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم وخرج من مكة راجعا الى المدينة فرد عليه رسول
الله (س) زوجته بالنكاح الاول ولم يحدث نكاحا ولا عقدا كما تقدم بيان ذلك . وكان بين اسلامه
 وهجرتها ست سنين وروى سنتين . وقد بينا أنه لا منافاة بين الروايتين وان اسلامه تأخر عن وقت
تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين وكان اسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام
الواقدي من أنه سنة ست فالله أعلم

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر قد أجاز به بأموال

وخلع ، فلما كان بحسبي لقيه ناس من جذام ققطموا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئا ، فبعث اليهم رسول الله (ص) زيد بن حارثة أيضا رضى الله عنه

قال الواقدي حدثني عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال خرج على رضى الله عنه في مائة رجل الى أن نزل الى حي من بني أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله (ص) أن لم يجمعوا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فصار اليهم بالليل وكن بالهار وأصاب عينا لم فاقروه أنه بعث الى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر

قال الواقدي رحمه الله تعالى وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ، وقال له رسول الله (ص) ، انهم أطاعوا وتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الاصبع الكلبيه وهي أم أبي سامة بن عبد الرحمن بن عوف قال الواقدي في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر النهري الى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله (ص) واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله (ص) في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارسا فردوهم وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رهطاً من عسكل وعرينة - وفي رواية من عكل أو عرينة - أتوا رسول الله (ص) فقالوا : يا رسول الله انا أناس أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف فاستوخنا المدينة . فأمرهم رسول الله (ص) بنود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله (ص) واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم ، فبعث النبي (ص) في طلبهم فأمرهم بقطع أيديهم وأرجلهم وممر أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة فبلغنا أن رسول الله (ص) كان اذا خطب بعد ذلك حَضَّ على الصدقة ونهى عن المثلة . وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك . وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس أن نفراً من عرينة أتوا رسول الله (ص) فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام - فقالوا هذا الموم قد وقع يا رسول الله ، لو أذنت لنا فرجنا الى الابل . قال نعم فاخرجوا فكونوا فيها . فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالابل . وعنده سار من الانصار قريب عشرين فارساً اليهم وبعث معهم قائداً يقتص أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وممر أعينهم . وفي صحيح البخاري من طريق أيوب عن أبي قلابه عن أنس أنه قال قدم رهط من عكل فأسلموا واجتروا المدينة فأتوا رسول الله (ص) ، فقد كروا ذلك له فقال الحقوا بالابل واشربوا من أبوالها وألبانها . فنهبوا وكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعي واستاقوا الابل ، فجاء الضريح الى رسول الله (ص) فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمرهم بسامير فأحيت فكواهم بها وقطع

أيديهم وأرجلهم وأقسامهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحرمهم . وفي رواية عن أنس قال فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش . قال أبو قلابة فهو لاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله (س) . وقد روى البيهقي من طريق جهمان بن أبي شيبه عن عبد الرحمن بن سليمان عن محمد بن عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله (س) لما بعث في آثارهم قال اللهم عمّ عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مسك جمل قال فعسى الله عليهم السبيل فأدركوا فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم . وفي صحيح مسلم إنما سملهم لأنهم سملوا أعين الرعاء

فصل فيما وقع من المحرقات في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كما قرره الشافعي رحمه الله من الحديثية في قوله تعالى [وأنموا الحج والعمرة لله] ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لأنه (س) لم يحج إلا في سنة عشر . وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى [وأنموا الحج والعمرة لله] وإنما في هذه الآية الأمر بالانعام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة بما فيه كفاية وفي هذه السنة حرمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديثية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا ، فنزل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لهن حل لهن ولا هم يحملون لهن] الآية وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الافك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم

وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صدّ المشركين رسول الله (س) ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمن الناس فيهنّ بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أما كنهه والله الحمد والمنة . وولى الحج في هذه السنة المشركون قال الواقدي وفيها في ذي الحجة منها بعث رسول الله (س) ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة شهيد بدرآ إلى الحارث بن أبي شمر النخعي ملك عجم النصارى ، ورضية بن خليفة الكلبي إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العاصري إلى هوزة ابن علي الحنفي ، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبيشة وهو أصحمة ابن الحرّ

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر في اولها

قال شعبة عن الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله [وأتابهم فتحاً قريباً] قال خيبر .
 وقال موسى بن عقبة لما رجع رسول الله (ص) من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك
 ثم خرج الى خيبر وهي التي وعده الله إياها . وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة
 ست ، والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدمنا : قال ابن اسحاق . ثم أقام رسول الله (ص)
 بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، ثم خرج في بقية المحرم الى خيبر . وقال
 يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور قالا : انصرف
 رسول الله (ص) عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة
 فأقام بها حتى سار الى خيبر فنزل بالرجيع واد بين ... غطفان فتخوف أن تعدم غطفان حتى أصبح
 ففدا عليهم . قال البيهقي وبعناه رواه الواقدي عن شيوخه في خروجه أول سنة سبع من الهجرة .
 وقال عبد الله بن ادريس عن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر : لما كان افتتاح خيبر في
 عقيب المحرم وقدم النبي (ص) في آخر صفر قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله
 الليثي . وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا جسيم يعني ابن عراك عن أبيه أن أبا
 هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي (ص) في خيبر وقد استخلف سباع بن عرفة يعني
 الغطفاني على المدينة قال فانهيت اليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كيمص وفي الثانية
 ويل للمطففين ، فقلت في نفسي ويل للفلان اذا اكتحل بالوافي واذا كل كل بالناقص قال فلما صلى
 رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي (ص) خيبر قال فحكم المسلمين فأشركونا في سهامهم .
 وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خيثم بن عراك عن أبيه عن نفر
 من بني غفار قال ان أبا هريرة قدم المدينة فذكره . قال ابن اسحاق وكان رسول الله (ص) حين
 خرج من المدينة الى خيبر سلك على مصروبي له فيها مسجماً ثم على الصهباء ثم أقبل بجيشه حتى
 نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين ان يمدوا أهل خيبر ،
 كانوا لهم مظاهرين على رسول الله (ص) بالله فبأفني ان غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا
 اليهود عليه حتى اذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أهوالهم وأهلهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا

اليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أمواتهم وأهلبيهم وخلوا بين رسول الله (ص) وبين خير .
 وقال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بشير بن سويد بن النعمان
 أخبره أنه خرج مع رسول الله (ص) عام خير حتى إذا كانوا بالصبياء - وهي من أدنى خير - صلى
 العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فترى فأكل وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمض
 ثم صلى ولم يتوضأ . وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم بن اسماعيل
 عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع : قال خرجنا مع رسول الله (ص) إلى خير فسرنا
 ليلاً فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعنا من هنيئاتك - وكان عامر رجلاً شاعراً -
 فنزل يحدو بالقوم يقول :

لَا مُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْتُمْ وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
 فَغَفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا أَقَيْنَا وَالْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا
 وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنْ أَدَا صَبِيحَ بِنَا أَيْنَا
 وَبِالصَّبَاحِ مَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله (ص) من هذا السائق قالوا عامر بن الأكوع قال يرحمه الله . فقال رجل من
 القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به . فأتينا خير فناصرناهم حتى أصابتنا مخمة شديدة . ثم إن الله
 فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة فقال رسول الله
 (ص) ما هذه النيران على أي شيء توقدون قالوا على لحم قال على أي لحم قالوا لحم الخمر الانسية
 قال النبي (ص) اهرقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله أو نهريقها ونفسلها فقال أو ذاك . فلما
 تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذهب سيفه فأصاب
 عين ركة عامر فمات منه فلما قتلوا قال سلمة رأى رسول الله (ص) وهو آخذ بيدي قال مالك قلت
 فذاك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله قال النبي (ص) كذب من قاله إن له لأجرين - سوجم بين
 أصبعيه - أنه لجاهد مجاهد قل عربي مشى بها مثله . ورواه مسلم من حديث حاتم بن اسماعيل وغيره
 عن يزيد بن أبي عبيد مثله . ويكون منصوباً على الحالية من فكرة وهو سائل إذا دلت على تصحيح
 معنى كما جاء في الحديث فصولي ورواه رجل قياماً . وقد روى ابن اسحاق قصة عامر بن الأكوع
 من وجه آخر فقال حدثني : محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر
 الأسدي أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله (ص) يقول في مسيره إلى خير لعامر بن الأكوع وهو
 عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : انزل يا ابن الأكوع نخذ لنا من هنالك فقال قتل يرتجز لرسول
 الله (ص) :

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
 انا اذا قوم بقوا علينا وان ارادوا قتلة ائينا
 فانزلن سكينتنا علينا وثبت الاقدام ان لاقينا

قال رسول الله (ص) : يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب وجبت يا رسول الله لو امتنعنا به .
 فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخارى . قال ابن اسحاق : وحدثني من
 لا ائهم عن عطاء بن ابي مزوان الاسلمى عن ابيه عن ابي معتب بن عمرو ان رسول الله (ص) لما
 اشرف على خيبر قال لاصحابه وانا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين
 وما اقلن ورب الشياطين وما اضلن ورب الرياح وما اذرين فانا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها
 وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها ، اقدموا بسم الله . وهذا حديث غريب
 جداً من هذا الوجه . وقد رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العطاردي عن يونس بن
 بكير عن ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن صالح بن كيسان عن ابي مروان الاسلمى عن ابيه عن
 جده قال خرجنا مع رسول الله (ص) الى خيبر حتى اذا كنا قريباً واشرفنا عليها قال رسول الله
 (ص) : للناس قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما
 اقلن ورب الشياطين وما اضلن فانا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من
 شر هذه القرية وشر اهلها وشر ما فيها ، اقدموا بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن اسحاق وحدثني من لا ائهم عن انس بن مالك قال : كان رسول الله (ص) اذا غزا
 قوماً لم يغز عليهم حتى يصبح فان سمع اذاناً أمسك وان لم يسمع اذاناً أغار ، فقتلنا خيبر ليلا فبات
 رسول الله (ص) حتى أصبح لم يسمع اذاناً فركب وركبنا معه وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي
 لنس قدم رسول الله (ص) ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكانلهم ، فلما رأوا
 رسول الله (ص) والجيش قالوا : محمد والحجيس معه ا فادبروا هراباً ، فقال رسول الله (ص) : الله
 اكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال ابن اسحاق حدثنا
 هرون عن حميد عن انس بمثله

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا مالك عن حميد الطويل عن انس بن مالك
 ان رسول الله (ص) آتى خيبر ليلاً وكان اذا آتى قوماً لبيل لم يغربهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت
 اليهود بمساحيهم ومكانلهم فلما رأوه قالوا محمد والله ، محمد والحجيس ا فقال رسول الله (ص) :
 خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به دون مسلم
 وقال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا أبو عيينة حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن

أنس بن مالك قال : صبحنا خير بكرة نخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي (ص) قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله (ص) : الله أكبر خربت خير ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال فأصبنا من لحوم الحمر فنأدى منأدى النبي (ص) : أن الله ورؤسوله ينهبنا نكمعن لحوم الحمر فأنها رجس . تفرد به البخاري دون مسلم

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما أتى النبي (ص) خير فوجدهم حين خرجوا الى زرعهم ومساحيهم فلما رأوه ومعه الجيش نكسوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبي (ص) : الله أكبر خربت خير ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين

وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال (ص) : الصبح قريب من خير بفلس ، ثم قال الله أكبر خربت خير أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . نخرجوا يسمعون بالسكك قتل النبي (ص) : المقاتلة وسبي الذرية وكان في السبي صفة فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي (ص) : فجعل عتقها صداقها . قاله عبد العزيز ابن صهيب لثابت يا أبا محمد أنت قلت لأنس ما أمدها ، فحرك ثابت رأسه تصديقه . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن لحوم الحمر الاهلية من طرق تذكر في كتاب الاحكام

وقد قال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو طاهر النقيه أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسي حدثنا محمد بن حميد الايبوردي حدثنا محمد بن الفضل عن مسلم الاغور الملاثي عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله (ص) يوم المريس و يتبع الجنائز ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بني قريظة والنضير على حمار ويوم خير على حمار مخطوم برسن ليف وتحمه اكاف من ليف . وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي عن علي بن حجر عن علي بن مسهر ، وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان وعن عمر بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملاثي الاغور الكوفي عن أنس به . وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديثه وهو يضعف . قلت والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس أن رسول الله (ص) : أجرى في رفاق خير حتى انحسر الازار عن نفيه ، فالظاهر انه كان يومئذ على فرس لا على حمار . وامل هذا الحديث ان كان صحيحا محمول على انه ركب في بعض الايام وهو محاصرهما والله أعلم

وقال البخاري حدثنا محمد بن سعيد الخراعي حدثنا زياد بن الربيع عن أبي عمران الجوني قال نظر أنس الى الناس يوم الجمعة فرأى طيالة فقال كأنهم الساعة يهود خير . وقال البخاري : حدثنا

عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن مسلمة بن الاكوع قال : كان علي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله (س) في خيبر وكان رمياً فقال أنا أتخاف عن النبي (س) ؟ فلحق به . فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لأعطين الراية غداً (أو ليأخذن الراية غداً) رجل يحب الله ورسوله يفتح عليه . فنحن نرجوها . فقبل هذا علي فأعطاه ففتح عليه . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به . ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله (س) قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فيات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على النبي (س) كأمهم يرجو أن يعطاها فقبال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال فأرسل اليه فأتى فبصق رسول الله (س) في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال (س) : أنفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم ن حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم . وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به . وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه ، قال عمر فما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فدعا علياً فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت . قال علي : على ما أقاتل الناس ؟ قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منادياً وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . لفظ البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المثنى قال حدثنا اسراييل حدثنا عبد الله بن عصة المجلي سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهزها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال أنا ، قال : امض ، ثم جاء رجل آخر فقال امض ، ثم قال النبي (س) : والذي كرم وجهه محمد لا أعطينها رجلاً لا يفر فقال هالك يا علي . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بمجوتها وقديدها . تفرد به أحمد واسناده لا بأس به ، وفيه غرابة وعبد الله بن عصة ويقال ابن أعصم وهكذا يكنى بأبي هارون المجلي وأصله من البجامة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة لا بأس به ، وقال أبو حاتم شيخ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال يخطئ كثيراً وذكره في الضعفاء ، وقال يحدث عن الاثبات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق الى القلب أنها موهومة أو موضوعة

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق : حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن
أبيه عن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضى الله عنه قال : بعث النبي (س) ، أبا بكر رضى الله عنه
الى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم
رجع ولم يكن فتح . فقال رسول الله (س) : لا تعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب
الله ورسوله يفتح الله على يديه وليس بفرار . قال سلمة فدعا رسول الله (س) ، علي بن أبي طالب
رضى الله عنه وهو يومئذ أرمد فتفل في عينيه ثم قال : خذ الراية وامن بها حتى يفتح الله
عليك ، تخرج بها والله يصول^(١) يروى هرولة وإنا نعلمه تتبع أثره حتى ركز رايته في رضم
من حجارة تحت الحصن فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي
طالب فقال اليهودى : تعلبتم وما أنزل على موسى ، فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا العطاردي عن يونس بن بكير عن الحسين بن
واقد عن عبد الله بن بريدة أخبرني أبي قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح
له وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس ، فقال رسول الله (س) : لا تدفن لوائى غداً الى رجل يحب
الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ان يرجع حتى يفتح الله له ، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً ، فعلى
رسول الله (س) ، صلاة الغداة ثم دعا بالواء وقام قائماً فما منا من رجل له منزلة من رسول الله
(س) ، إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تطاولت أنا لها ورفعت رأسى لمنزلة كانت لى
منه ، فدعا على بن أبي طالب وهو يشكى عينيه قال فسمحا ثم دفع اليه اللواء ففتح له ، فسمعت
عبد الله بن بريدة يقول : حدثني أبي أنه كان صاحب مرهب

قال يونس قال ابن اسحاق : كان أول حصون خيبر فتحها حصن ناهم وعنده قتل محمود بن
مسلمة أقيمت عليه رضى منه فقتلته

ثم روى البيهقى عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلمة الأزدي حدثنا عبد الله بن
بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله (س) ، ربما أخذته الشقيقة^(٢) فلبث اليوم واليومين لا يخرج ،
فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس ، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله (س) ، ثم
مضى فقاتل قتلاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتلاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم
رجع ، فأخبر بذلك رسول الله (س) . فقال لا تعطينها غداً^(٣) يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله

(١) في نسخة يساج

(٢) الشقيقة : نوع من صداع يمرض في مقدم الرأس والى أحد جانبيه

(٣) يظهر سقوط « رجلاً » كما تقدم في الأحاديث السابقة

ياخذها عنوة . وليس ثمَّ عليّ ، فتطاولت لها قریش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك
فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعيره حتى أناخ قريباً وهو أرمدة قد عصب عينه بشقة برد
قطري ، فقال رسول الله (ص) : مالك ؟ قال : رمذتُ بعمك ، قال ادنُ مني فتفل في عينه فما
وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج
خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مفتر يمانى وحجر قد ثقبه مثل البيضة
على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أي مرحبٌ شاكٍ سلاحي بطلٌ مجربٌ
إذاً الأيوثُ أقبلتُ تلهبٌ وأحجمتُ عن صولة الغلب

فقال علي رضي الله عنه :

أنا الذي سمعني أمي حنّده كليث غاباتٍ شديدٍ القشوره
أكيلكم بالصاع ككيل السندره^(١)

قال فاختاما ضربتين ، فبدره على بضربة فقد الحجر والمفتر ورأسه ووقع في الاضراس ،
وأخذ المدينة

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب عن عبد الله بن بكر عن حكيم بن جبير عن
سميد بن جبير عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث علي فكان الفتح على
يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة وفي اسناده من هو منهم بالتشيع والله أعلم
وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له من طريق عكرمة بن نعيم عن اياس بن سلمة بن الاكوع
عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة قال : فلم نمكث الا ثلاثاً حتى
خرجنا الى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صأنا
ونحن من فضلك ما استغنيينا فأنزلن سكيناً عاينا

وثبتت الأقدام إن لاقينا

قال فقال رسول الله (ص) : من هذا القائل ؟ فقالوا عامر . فقال غفر لك ربك . قال وما
خص رسول الله (ص) قط أحداً به الا استشهد . فقال عمر وهو على جمل : لولا متعتنا بهامر . قال
فقدمتنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أي مرحبٌ شاكٍ السلاح بطل مجرب

(١) السندرة : مكيال واسع . أراد : اقتلكم قتلاً واسماً ذريعاً

إذا الحروب أقبلت تأهب

قال فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خير أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلنا ضربتين فوق سيف مرحب فى ترس عامر فذهب يسعل له فرجع على نفسه
فقطع أ كحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله (ص) يقولون
بطل عمل عامر قتل نفسه . قال فأتيت رسول الله (ص) وأنا أبكى فقال مالك ؟ فقلت قالوا ان
عامراً بطل عمله . فقال من قال ذلك ؟ فقلت نفر من أصحابك . فقال كذب أولئك بل له الأجر
مرتين . قال وأرسل رسول الله (ص) الى على رضى الله عنه يدعوه وهو أرمد وقال لأعطين
الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله . قال فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله (ص) فى عينه
فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلمب

قال فبرز له على وهو يقول :

أنا الذى سمعنى أمى حيدره كليث غابت كريح المنظره

أوفيههم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح . هكذا وقع فى هذا السياق ان علياً هو الذى
قتل مرحباً اليهودى لعنه الله

وقال أحمد حدثنا حسين بن حسن الأشقر حدثنى قابوس بن أبى غلبان عن أبيه عن جده عن
على قال : لما قتلت مرحباً جئت برأسه الى رسول الله (ص) .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أن الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة . وكذلك قال
محمد بن اسحاق حدثنى عبد الله بن سهل أحد بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب
اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب اذا الليوث أقبلت تلمب

إن حمى لآحمى لا يقرب

قال فأجابه كعب بن مالك :

قد علمت خير أنى كعب مفرج الغم جري صلب

اذ شَبَّتِ الحَرْبُ وثارَ الحَرْبُ معي حَسَامٌ كالمِيقِ عَضْبُ
يَطَأُ كَوِ حَتَّى يَذِلَّ الصَّعْبُ بَكَتْ ماضٍ لَيْسَ فِيهِ عَيْبُ

قال وجعل مرحب يرتجز ويقول : هل من مبارز . فقال رسول الله (س) من لهذا . فقال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله ، أنا والله الموتور والثائر قتلوا أخى بالامس . فقال قم اليه اللهم أعنه عليه . قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية (١) من شجر العُشْر (٢) المسد فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها . كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها قنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضر به فاتقاه بالدرقة فوق سيفه فيها فعضت فاستله وضر به محمد بن مسلمة حتى قتله

وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن ابن اسحاق بنحوه .

قال ابن اسحاق : وزعم بعض الناس ان محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خيبر انى ماضٍ حُلُوٌّ اذا شُتَّتْ وَسَمٌّ قاضٍ

وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ان محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحباً ثم ذكر الواقدي ان محمداً قطع رجل مرحب فقال له أجهز على . فقال لا ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به على وقطع رأسه فاخصم في سلبه الى رسول الله (س) فأعطى رسول الله (س) محمد بن مسلمة سيفه وريحه ومغفره وبيضته . قال وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيفُ مَرْحَبٍ من يَذْقُهُ يَغْطَبُ

ثم ذكر ابن اسحاق ان أختا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول هل من مبارز . فزعم هشام ابن عروة ان الزبير خرج له فقالت أم صفية بنت عبيد المطلب يقتل ابني يا رسول الله فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله فالتقيا فقتله الزبير . قال فكان الزبير اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ صارما يقول والله ما كان بصارم ولكنى أكرهته

وقال يونس عن ابن اسحاق عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله (س) قال : خرجنا مع على الى خيبر بعثه رسول الله (س) . برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضر به رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه . وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . ولكن

(١) هي الشجرة العظيمة القديمة التي اتي عليها عمر طويل

(٢) هو شجر له صمغ يقال له سُكْر العُشْر

روى الحافظ البيهقي ما لحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر الباقر عن جابر أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وأنه جرب بعد ذلك فلم يجعله أربعون رجلاً ، وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب

وقال البخاري حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ماهذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي (ص) ، فنفت فيه ثلاث تفتات فما اشتكتها حتى الساعة

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال : أتني النبي (ص) ، والمشركون في بعض مغازيه فاقتلوا ، فقال كل قوم إلى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاة ولا فاذة إلا اتبمها فضربها بسيفه ، فقبل يارسول ما أجزأ منا أحد ما أجزأ فلان . قال أنه من أهل النار . فقالوا أيننا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لا تبعنه فاذا أبرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذهابه بين يديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل إلى النبي (ص) فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟ فأخبره فقال : إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وأنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وأنه من أهل الجنة . رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب بن أبي حازم عن سهل فقد ذكره مثله أو نحوه

ثم قال البخاري : حدثنا أبو الهيثم حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله (ص) : لرجل ممن معه يدعى الإسلام هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى يده إلى كنياته فاستخرج منها أسهما فنحربها نفسه فاشتد زجال من المسلمين فقالوا يارسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه . فقال قم يا فلان فاذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال جاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال ما تريدون قالوا نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي . فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بفضمه حتى عمد لرسول الله (ص) ، فقال إلى ماتدعو ؟ قال أدهوك إلى الإسلام إلى أن تشهد أن لا إله

إلا الله وأتى رسول الله وأن لا تمجدوا إلا الله . قال فقال العبد فماذا يكون لي أن شهدت بذلك وأمنت بالله قال رسول الله (س) الجنة إن مت على ذلك . فأسلم العبد فقال يا نبي الله أن هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله (س) أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا فان الله سيؤدى عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم الى سيدها فمرف اليهودي أن غلام قد أسلم . فقام رسول الله (س) فوعظ الناس فذكر الحديث في اعطائه الراية علياً ودثوه من حصن اليهود وقتله مرحباً وقتل مع على ذلك العبد الأسود فاحتسبوا المسلمون الى عسكرهم فادخل في القسطنطينية فرموا أن رسول الله (س) اطلع في القسطنطينية فاطلع على أصحابه فقال : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام في قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين

وقد روى الخافظ البيهقي من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله (س) في غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم برعاهها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة

ثم قال البيهقي حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه حدثنا أبو بكر القطان حدثنا أبو الازهر حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلاً أتى رسول الله (س) فقال يا رسول الله اني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي فان قاتلت هؤلاء حتى اقتل أدخل الجنة؟ قال نعم فنقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه رسول الله (س) وهو مقتول فقال : لقد حسن الله وجهك وطيب ربهك وكثر مالك وقال لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جنته عليه يدخلان فيما بين جلده وجنته . ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج أخبرني عكرمة بن خالد عن ابن أبي عمير عن شداد ابن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله (س) فأمن به واتبعه فقال أهاجر معك فأوصى به النبي (س) بمضى أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله (س) فقسمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهريهم فلما جاء دفعوه اليه فقال ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله (س) فقال ما على هذا اتبعك ولكني اتبعك على أن أرمى هاهنا وأشار الى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال ان تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا الى قتال العدو فأتى به رسول الله (س) يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي (س) . هو هو؟ قالوا نعم . قال صدق الله فصدقته . وكفنه النبي (س) في جبة النبي (س) . ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك قتل شهيداً وأنا بعليته شهيد . وقد رواه النسائي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه

قصة بني النضير

قال ابن اسحاق : وتدفى رسول الله (ص) الأموال يأخذها مالا مالا ويفتتحها حصناً حصناً وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلة ألقيت عليه رchy منه فقتلته ثم القموص حصن بني أبي الحقيق . وأصاب رسول الله (ص) منهم سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنى عم لها فاصطفى رسول الله (ص) صفية بنفسه وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله (ص) صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها . قال وفشت السبايا من خير في المسلمين وأكل الناس لحوم الحمر فقد كرهى رسول الله (ص) إياهم عن أكلها . وقد اعتنى البخارى بهذا الفصل فأورد النهى عنها من طرق جيدة وتحرى بها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة . وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس الى إباحتها وتنوعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة فى النهى عنها فقليل لأنها كانت ظهراً يستعينون بها فى الحولة وقيل لأنها لم تكن خمست بعد وقيل لأنها كانت تأكل العذرة يعنى جلالة والصحيح أنه نهى عنها لذاتها فان فى الأثر الصحيح أنه نادى رسول الله (ص) ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فاتها رجس فاكثروها والقذور تفور بها . وموضع تقرير ذلك فى كتاب الأحكام . قال ابن اسحاق : حدثني سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله ولم يشهد جابر خبير أن رسول الله (ص) حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم فى لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت فى الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله (ص) يوم خبير عن لحوم الحمر وورخص فى الخيل .

لفظ البخارى

قال ابن اسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مكحول أن النبي (ص) نهىهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المفاتيح حتى تقسم . وهذا مرسل . وقال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرزوق مولى نجيب عن حسن الصنعاني قال : غزونا مع ربيعة بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فيها خطيباً فقال : أيها الناس انى لا أقول فيكم الا ما سمعت من رسول الله (ص) يقول فينا يوم خبير قام فينا رسول الله (ص) فقال : لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماء زرع غيره . يعنى إتيان الحبالى من السبي لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم

الآخر أن يبيع مغنا حتى يقسم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيه المسلمين حتى إذا أعجنها ردها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوما من فيه المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه . وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن اسحاق . ورواه الترمذي عن حفص بن عمر ، والشيباني عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ربيعة بن سليم عن بشر بن عبيد الله بن رويغ بن ثابت مختصراً وقال حسن

وفي صحيح البخاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم . وقد حكى ابن حزم عن علي وشريك بن الحنبل أنها ذهبا إلى تحريم البصل والثوم للنبي . والذي نقله الترمذي عنهما الكراهة فالحق أعلم . وقد تكلم الناس في الحديث الوارد في الصحيحين من طريق الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله (ص) نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية . هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره عن الزهري وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثم نساء يتمتعون بهن إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسبأ عن نكاح المتعة . الثاني : أنه قد ثبت في صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة عن معبد عن أبيه أن رسول الله (ص) أذن لهم في المتعة زمن الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : أن الله قد حرمها إلى يوم القيامة فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت فيلزم التسخير مرتين وهو بعيد . ومع هذا فقد نص الشافعي على أنه لا يعلم شيئاً أبيح ثم حرم ثم أبيح ثم حرم غير نكاح المتعة وما حدها على هذا رحمه الله إلا اعتماداً على هذين الحديثين كما قدمناه (١)

وقد حكى السهيلي وغيره عن بعضهم أنه ادعى أنها أبيحت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات وقال آخرون أربع مرات وهذا بعيد جداً والله أعلم . واختلفوا أي وقت أول ما حرمت ف قيل في خيبر وقيل في عرة القضاء وقيل في عام الفتح وهذا يظهر وقيل في أوطاس وهو قريب من الذي قبله وقيل في تبوك وقيل في حجة الوداع رواه أبو داود

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي رضي الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهري عن الحسن وعبد الله ابني محمد

(١) بياض بالأصل بمقدار سطر

من أبيهما - وكان حسن أرضاهما في أنفسهما - أن علياً قال لابن عباس: إن رسول الله (ص) نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر . قالوا فاعتقدنا الراوى ان قوله خيبر ظرف للنهى عنهما وليس كذلك انما هو ظرف للنهى عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً وانما جمعه معه لأن علياً رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : انك امرؤ تائه أن رسول الله (ص) نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقد في ذلك من الاباحة . والى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي تفضله الله برحمته آمين . ومع هذا ما رجح ابن عباس عما كان يذهب [اليه] من [اباحة] الحمر والمتعة ، أما النهي عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولتهم وأما المتعة فأنما كانت يبيحها عند الضرورة في الاسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرفاهية والوجدان وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز الى زمن ابن جريج وبعده . وقد حكى عن الامام أحمد بن حنبل رواية كذهب ابن عباس وهي ضعيفة وحاول بعض من صنف في الحلال نقل رواية عن الامام بمثل ذلك ولا يصح أيضاً والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب الاحكام وبالله المستعان

قال ابن اسحاق : ثم جعل رسول الله (ص) يتدنى الحصون والاموال فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بمض من أسلم أن بنى منهم من أسلم أتوا رسول الله (ص) فقالوا يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله (ص) شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ايس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنى وأكثرها طعاماً وودكاً . ففدا الناس ففتح عليهم حصن الصنب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه (١)

قال ابن اسحاق : ولما افتتح رسول الله (ص) من حصونهم ما افتتح وحاز من الاموال ما حاز انتهوا الى حصنهم الوطيع والسلام وكان آخر حصون بخيبر افتتاحاً فحاصرهم رسول الله (ص) بضع عشر ليلة . قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر يا منصور أمت أمت

قال ابن اسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان الاسدي الاسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال : أتى لم رسول الله (ص) بخيبر ذات عشية اذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله (ص) : من رجل يطعمنا من هذه الغنم قال أبو اليسر

(١) الودك : دسم اللحم ودُهْنه الذي يستخرج منه

فقلت أنا يا رسول الله قال فافعل . قال فخرجت أشد مثل الظلم فلما نظر الى رسول الله (ص) ، مولياً قال اللهم أمتعنا به قال فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن فأخذت شاتين من آخرها فاختضعتهما تحت يدي ثم جئت بهما أشد كأنه ليس معي شيء حتى ألقينهما عند رسول الله (ص) ، فذبهما فأكلوها فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله (ص) ، موتا وكان اذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امتعوا بي لعمرى حتى كنت من آخرهم . وقال الحافظ البيهقي في الدلائل أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني حدثنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا سعدان بن نصر حدثنا أبو معاوية عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدي أو عن أبي قلابة قال لما قدم النبي (ص) ، خبير قدم والثمرة خضرة قال فأسرع الناس اليها فحموا فشكوا ذلك اليه فأمرهم أن يقرسوا الماء في الشنان (١) ثم يجرؤنه عليهم اذا أتى الفجر ويذكرون اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكانما نشطوا من عقل . قال البيهقي وروى عنه عن عبد الرحمن بن رافع موصولا وعنه بين صلاتي المغرب والمشاء . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى وبهرز قال حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال حدثنا عبد الله بن مغفل قال دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت لا أعطى أحدا منه شيئا قال فالتبنت فإذا رسول الله (ص) ، يتبسم . وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال كنا نحصر قصر خيبر فالتقى الينا جراب فيه شحم فذهبت فأخذته فرأيت النبي (ص) ، فاستحييت وقد أخرجه صاحبها الصحيح من حديث شعبة . ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ عن عثمان ابن المغيرة . وقال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال أصبت من في خيبر جراب شحم قال فاحتملته على عنقي الى رحلي وأصحابي قال فلقيني صاحب المغنم الذي جعل عليها وأخذ بناحيته وقال هلم حتى تقسمه بين المسلمين قال وقلت لا والله لا أعطيكه قال وجعل يجاذبني الجراب قال فرأنا رسول الله (ص) ، ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكاً ثم قال لصاحب المغنم خل بينه وبينه قال فأرسله فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه . وقد استدلل الجمهور بهذا الحديث على الامام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال لكم قال وليس هذا من طعامهم فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم . وقد استدللوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يخمس ويضد ذلك ما رواه الامام أبو داود حدثنا محمد بن الملاء حدثنا أبو معاوية حدثنا اسحاق الشيباني عن محمد بن أبي مجالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال قلت كبرتكم تخمسون الطعام في عهد رسول الله (ص) ، فقال أصبنا طعاماً يوم خيبر وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف . تفرد به أبو داود وهو حسن .

(١) الشنان : الاسقية الخلقية ، وهي اشد تبريداً للماء من الجلد

ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية

كان من شأنها أنه لما أجلي رسول الله (ص) يهود بني النضير من المدينة كما تقدم فذهب عاتقهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي الحقيق وكانوا ذوي أموال وشرف في قومه وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ثم تاهلت للتزويج تزوجها بمض بن عمار فلما زفت إليه وادخلت إليه بنى بها ومضى على ذلك ليالي رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها فقصت رؤياها على ابن عمها فاطم وجهها وقال أتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك. فما كان إلا مجيء رسول الله (ص) وحصاره أيام فكانت صفية في جملة السبي وكان زوجها في جملة القتلى. ولما اصطفاها رسول الله (ص) وصارت في حوزة وملسكه كما سيأتي وبني بها بعد استبائها وحلبها وجد أثر تلك اللطمة في خدها فسألها ما شأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها قال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال: صلى النبي (ص) الصبح قريبا من خيبر بفلس ثم قال: الله أكبر خربت خيبر، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فخرجوا يسمعون في السكك فقتل النبي (ص) المقاتلة وسبي الذرية، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي (ص) فجعل عتقها صداقها. ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد وله طرق عن أنس. وقال البخاري: حدثنا آدم عن شعبة عن عبد العزيز ابن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سبي النبي (ص) صفية فأعتقها وتزوجها. قال ثابت لأنس ما أصدقها قال أصدقها نفسها فأعتقها تفرد به البخاري من هذا الوجه. وقال البخاري حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح. وحدثنا أحمد بن عيسى حدثنا ابن وهب أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك قال: قدمنا خيبر فلما فتح (ص) الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها النبي (ص) لنفسه فخرج بها حتى بلغ بها سد الصبياء حلت فبنى بها رسول الله (ص) ثم صنع حيسا في لطم صغير. لي: آذن من حولك فكانت تلك ولبنته على صفية. ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي (ص) يجرى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب. تفرد به دون مسلم. وقال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حميد أنه سمع أنسا يقول: أقام رسول الله (ص) بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبنى عليه بصفية فدعوت المسلمين إلى ولبنته وما كان فيها من خير ولحم وما كان فيها إلا أن أمر بلالا بالانطاع فبسطت فألقى عليها التمر والاقط والسمن فقال المسلمون إحدى أمهات المؤمنين أو

ما ملكت يمينه ؟ فقالوا ان حجبتها فهي احدى أمهات المؤمنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه .
 فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب . انفرد به البخاري . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا حماد بن
 زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدحية البكلي ثم صارت
 لرسول الله (س) . وقال أبو داود حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن عليه عن عبد العزيز بن
 صهيب عن أنس قال : جمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله اعطني جارية من السبي
 قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حبي فجاء رجل الى رسول الله (س) . فقال يا نبي الله أعطيت
 دحية قال يعقوب صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير ما تصلح الا لك قال ادعوا بها فلما نظر
 اليها النبي (س) . قال خذ جارية من السبي غيرها وان رسول الله (س) . اعتقها وتزوجها . وأخرجاه من
 حديث ابن عليه . وقال أبو داود حدثنا محمد بن خلاد الباهلي حدثنا بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة
 حدثنا ثابت عن أنس قال وقع في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله (س) . بسبعة أرؤس ثم
 دفعها الى أم سلمة تصنعها وتهيتها قال حماد وأحسبه قال وتعتد في بيتها صفية بنت حبي . تفرد به أبو داود
 قال ابن اسحاق فلما افتتح رسول الله (س) . القموص حصن بني أبي الحقيق أتى بصفية بنت حبي
 ابن أخطب وأخرى معها فمر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهما التي مع
 صفية صاحت وصكت وجهها وحشت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله (س) . قال : أعربوا
 عنى هذه الشيطانة . وأمر بصفية فحزرت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله (س) .
 قد اصطفاها لنفسه . وقال رسول الله (س) . بلال فيما بلغنى حين رأى بتلك اليهودية ما رأى :
 أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالها . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي
 عروس بكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قرا وقع في حجرها ، فمرضت رؤياها على زوجها
 فقال : ما هذا الا أنك بمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمه خضر عينها منها . فأتى بها
 رسول الله (س) . وبها أثر منه ، فسألها ما هذا ، فأخبرته الخبر . قال ابن اسحاق : وأتى رسول الله
 بكثانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه فجحد ان يكون يعلم مكانه . فأتى رسول
 الله (س) . رجل من اليهود فقال لرسول الله (س) . انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة . كل غداة
 فقال رسول الله (س) . لكثانة أرايت ان وجدناه عندك أقتلك ؟ قال نعم . فأمر رسول الله (س) .
 بالخربة فخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله (س) .
 الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده . وكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف
 على نفسه ثم دفعه رسول الله الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

فَضِيحَةُ الْبَلَاءِ

قال ابن اسحاق وحاصر رسول الله (س) أهل خيبر في حصونهم الوطيج والسلام حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل ، وكان رسول الله (س) قد حاز الاموال كلها الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم الا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع أهل فذلك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله (س) ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله (س) وبينهم في ذلك عيص بن مسعود أخو بني حارثة . فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله (س) يعاملهم في الاموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأمر لها ، فصالحهم رسول الله (س) على النصف على أن اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وعامل أهل فذلك بمثل ذلك

فتح حصونها وسميتها أرضها

فَضِيحَةُ الْبَلَاءِ

قال الواقدي لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصهب بن معاذ الى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله (س) ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود فقال له هزال قتال يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما استريح به من أهل النطاة وتخرج الى أهل الشق فان أهل الشق قد هلكوا رعباً منك قال فأمنه رسول الله على أهله وماله فقال له اليهودي انك لو أقت شهرآ تحاصرهم ما بالوا بك ، ان لم تحت الارض دبولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون الى قلعتهم . فأمر رسول الله (س) به قطع دبرهم فخرجوا فقاتلوا أشد القتال وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة وافتتحة رسول الله (س) وكان آخر حصون النطاة ، وتحول الى الشق وكان به حصون ذوات عدد فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي فقام رسول الله (س) على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا الى البراز فبرز اليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعاً فأتبعه الحباب فقطع هرقوه وبرز منهم آخر فقام اليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي فمضى اليه أبو دجانة فقتله وأخذ سلبه وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجانة فوجدوا فيه أثاماً ومناجاة وغنائم وطعاماً وهرب من كان فيه من المقاتلة وتجمعوا الجزر كآتهم الضباب حتى صاروا الى حصن البراة بالشق وتمنعوا أشد الامتناع فزحف اليهم رسول الله (س) وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله (س) بيده الكريمة حتى أصاب نبلهم بنائه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا فرمى حصونهم بها فزحف بهم حتى ساءخ في الارض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد . قال الواقدي :

ثم تحول رسول الله (ص) إلى أهل الأخبية والوطيح والسلام حصني أبي الحقيق ونحصنوا أشد التحصن وجاء إليهم كل من كان انهزم من النطة إلى الشق فتحصنوا معهم في القنوص وفي الكتبية وكان حصناً منيعاً وفي الوطيح والسلام وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى هم رسول الله (ص) أن ينصب المنجنيق عليهم فلما أيقنوا بالمملكة وقد حصرهم رسول الله (ص) أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق فصالحه على حق دمائهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله (ص) وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البر إلا ما كان على ظهر إنسان يعني لباسهم فقال رسول الله (ص) وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم شيئاً فصالحوه على ذلك قلت ولهذا لما كنتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة تبين أنه لا عهد لهم فقتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله بسبب قرض اليهود منهم والمواثيق

وقال الحافظ البيهقي حدثني أبو الحسن علي بن محمد المقرئ الأسفرائيني حدثنا الحسن بن محمد ابن اسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبيد الله بن عمر فيما يحسب أبو سلمة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم فغلب على الأرض والزرع والنخل فصالحوه على أن يجلبوا منها ولهم ما حملت ركبهم ورسول الله (ص) الصفراء والبيضاء ويخرجون منها واشترط عليهم أن لا يكتسبوا ولا يُغنيبوا شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغلبوا مسكا في مال وحلي لحي بن أخطب وكان احتماله معه إلى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله (ص) حينئذ ما فعل مسك حي الذي جاء به من النضير فقال أذهبته النفقات والحروب فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله (ص) إلى الزبير فسه بمذاب وقد كان حي قبل ذلك دخل خربة فقال قد رأيت حياً يطوف في خربة هاهنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله (ص) ابن أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية بذت حي بن أخطب وسبي رسول الله (ص) نسائه وذرايعهم وقسم أموالهم بالنكت الذي نكثوا وأراد إجلاءهم منها فقالوا يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ولم يكن لرسول الله (ص) ولا لأصحابه غلال يقومون عليها وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشيء ما بدا لرسول الله (ص) وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمهم الشطر فشكوا إلى رسول الله (ص) شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله قطعوني السحت والله لقد جئتم من عند أحب الناس إلي ولا أنتم أبغض إلي من عدتكم من القرادة والخنازير ولا يحملني بغض إياكم وحي إياه على أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض قال فرأى رسول الله (ص)

بعين صفة خضرة فقال يا صفة ما هذه الخضرة فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قرآ وقع في حجري فأخبرته بذلك فطعنني وقال تتعنين ملك يترب . قالت وكان رسول الله (ص) من أبفض الناس إلى قتل زوجي وأبي فما زال يعتذر إلي ويقول ان أباك ألب على العرب وفعل ما فعل حتى ذهب ذلك من نفسي . وكان رسول الله (ص) يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير فلما كان في زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه فقال عمر : من كان له سهم بخير فليحضر حتى تقسمها بينهم . فقال رئيسهم لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله (ص) وأبو بكر فقال عمر : أتراني سقط على قول رسول الله (ص) كيف بك إذا وقعت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً . وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل المدينة . وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة . قال البيهقي وعقوله البخاري في كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أراه في الأطراف فأنه أعلم . وقال أبو داود وحديثه سليمان بن داود المهري حدثنا ابن وهب أخبرني أسامة بن زيد اللبي عن نافع عن عبد الله بن عمرو قال : لما فتحت خيبر سألت يهود رسول الله (ص) أن يقرموا على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله (ص) أقرم فيها على ذلك ما شئنا فكانوا على ذلك وكان التمر يقسم على السهان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله (ص) الخمس وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقاً من شعير . فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي (ص) فقال لمن : من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصهار وأرضها وماؤها ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا ومن أحب أن نزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا . وقد روى أبو داود من حديث محمد بن اسحاق حدثني نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر قال أيها الناس ان رسول الله (ص) عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء فمن كان له مال فليلحق به فاني يخرج يهود . فأخرجهم وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله (ص) فقلنا أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد . قال جبير بن مطعم ولم يقسم النبي (ص) لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً . تفرد به دون مسلم . وفي لفظ أن رسول الله (ص) قال : ان بني هاشم وبني عبد المطلب شيء واحد . انهم لم يفلز قوتاً في جاهلية ولا إسلام . قال الشافعي دخلوا بهم في الشعب وقاصروهم في إسلامهم جاهليتهم . قلت وقد ذم أبو طالب بني عبد شمس ونوفل حيث يقول :

جزى الله عنا عبد شمس ونوقلا عقوبة شرّ عاجلاً غير آجل

وقال البخاري حدثنا الحسن بن اسحاق ثنا محمد بن ثابت ثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قسم رسول الله (ص) يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً . قال فسرّه نافع فقال : اذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس فله سهم . وقال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مرجم ثنا محمد بن جعفر أخبرني زيد عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بيّانا^(١) ليس لهم شيء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي (ص) خيبر ، ولكنني أتركها خزائن لم يقتسمونها . وقد رواه البخاري أيضاً من حديث مالك وأبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهيدي عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب . وهذا السياق يقتضي أن خيبر بكما لما قسمت بين الغنميين . وقد قال أبو داود ثنا ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله (ص) افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها [على الجلاء] بعد القتال ، وبهذا قال الزهري خمس رسول الله (ص) خيبر ثم قسم سائرهما على من شهدا . وفيما قاله الزهري نظر فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الامام بخير في الأراضى المغنومة إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح . قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا حدثني سفيان عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبي حشمة قال : قسم رسول الله (ص) خيبر نصفين ، نصفاً لنوابه ، ونصفاً بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً . تفرد به أبو داود ثم زواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلان نصف النواائب الوطيح والكتيبة والسلام وما حيز معها ، ونصف المسلمين الشق والنطاة وما حيز معها وسهم رسول الله (ص) فيما حيز معها . وقال أيضاً حدثنا حسين بن علي ثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار عن رجال من أصحاب رسول الله (ص) أن رسول الله (ص) لما ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله (ص) وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني أن نزل به من الوفود والأمور ونواائب الناس . تفرد به أبو داود . قال أبو داود حدثنا محمد بن عيسى ثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصاري سمعت أبي

(١) بتشديد الباء الثانية كما في النهاية والمصباح .

يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري -
 وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن - قال قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله (س) ،
 على ثمانية عشر سهما ، وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس سهمين وأعطى
 الرجل سهما تفرد به أبو داود . وقال مالك عن الزهري أن سميد بن المسيب أخبره أن النبي
 (س) افتتح بعض خيبر عنوة . ورواه أبو داود ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين
 وأنا شاهد أخبركم ابن وهب حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب أن خيبر بمضها كان عنوة وبمضها
 صلحا والسكنية أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت لمالك وما السكنية قال أرض خيبر وهي أربون
 ألف عذق . قال أبو داود والعذق النخلة . والعذق المرجون . ولهذا قال البخاري حدثنا محمد بن بشار
 ثنا حرمي ثنا شعبة ثنا عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر .
 حدثنا الحسن ثنا قرة بن حبيب ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال
 ما شبعنا - يعني من التمر - حتى فتحنا خيبر . وقال محمد بن اسحاق كانت الشق والنظاة في سهمان
 المسلمين الشق ثلاثة عشر سهما ونظاة خمسة أسهم قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ودفع ذلك إلى
 من شهد الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم ينب عن خيبر من شهد الحديبية إلا جابر بن
 عبد الله فغضب له بسهمه ، قال وكان أهل الحديبية ألفا وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل
 فرس سهمان فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزيد المائتا فارس أربعمائة سهم
 خيلهم . وهكذا روى البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سميد عن صالح بن كيسان
 أنهم كانوا ألفا وأربعمائة مع مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله (س) ، معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان الشق مع طلحة بن عدي
 قال ابن اسحاق : وكانت السكنية خمسمائة سهم للنبي (س) ، وسهم ذوي القربى واليتامى
 والمساكين وابن السبيل وطعمة أزواج النبي (س) ، وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فندك ، منهم
 عيصبة بن مسعود أقطعه رسول الله (س) ، ثلاثين وسقما من تمر وثلاثين وسقا من شعير ، قال وكان
 وأديها اللذان قسمت عليه يقال لها وادي السريرو وادي خلاص . ثم ذكر ابن اسحاق تفاصيل
 الاقطاعات منها فأجاد وأفاد رحمه الله . قال وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية
 ابن خلصاء أخبرني سلمة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خرص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة ففرصها سلتين ، ثم لما قتل رضي
 الله عنه كما سيأتي في يوم مؤتة ولي بعده جبار بن صخر رضي الله عنه . وقد قال البخاري حدثنا إسماعيل
 حدثني مالك عن عبد الجليل بن محمد عن سميد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة

أن رسول الله (س)، استعمل رجلاً على خير فجاء بتمر جنيب، فقال رسول الله (س): «أكل تمر خير هكذا؟» قال لا والله يا رسول الله إنما لناخذ انصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة، فقال «لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيباً». قال البخاري وقال الدراوردي عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله (س) بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خير وأمره عليها، وعن عبد المجيد عن أبي صالح السمان عن أبي سعيد وأبي هريرة مثله.

قلت: كان سهم النبي (س) الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخير ووهب بكاملها وهي طائفة كبيرة من أرض خير نزلوا من شدة رعيهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه، وأموال بني النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت هذه الأموال لرسول الله (س) خاصة وكان يمرل منها نفقة أهله لسنة ثم يجعل ما بقي يجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتدت فاطمة وأزواج النبي (س) - أو أكثرهن - أن هذه الأراضى تكون مورثة عنه ولم يبلغن ما ثبت عنه من قوله (س): «نحن عشر الأنبياء لا نورث»، متركناه فهو صدقة، ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي (س) والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلم إليهم؛ وذكر لهم قول رسول الله (س): «لا نورث ما تركنا صدقة» وقال: أنا أعول من كان يعول رسول الله (س)، والله لقراءة رسول الله (س): أحب إلى أن أصل من قرأني، وصدق رضى الله عنه وأرضاه فانه البار الراشد في ذلك التابع للحق، وطلب العباس وعلى على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظروا في هذه الصدقة وأن يصرفوا ذلك في المصارف التي كان النبي (س) يصرفها فيها، فأبى عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيها كان يقوم فيه رسول الله (س)، وأن لا يخرج من مملكته ولا عن سقته. فتعصبت فاطمة رضى الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض الموجدة ولم يكن لها ذلك. والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محله ومنزله من رسول الله (س) وقيامه في نصرة النبي (س) في حياته وبعد وفاته فجزاه الله عن نبيه وعن الاسلام وأهله خيراً، وتوفيت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد على البيعة بعد ذلك، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفرض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضى الله عنه ذلك وذلك لكثرة اشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته، فتغلب على عهده العباس فيها ثم تساوا يختصمان إلى عمر وقدا بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل منهما فيما لا يتنظر فيه الآخر. فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة الموارث وقال انظروا فيها وأنتم جميع فان عجزتما عنها فادفعاها إلى، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضى فيها قضاء غير هذا. فاستمر فيها ومن

بعدها الى ولدها الى أيام بنى العباس تصرف في المصارف التي كان رسول الله (س) يصرفها فيها،
أموال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير .

قصة أمية بنت أبي النضر

وأما من شهد خير من العبيد والنساء فرضخ^(١) لم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من
الغنيمة ولم يسهم لهم . قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ثنا بشر بن المفضل عن محمد بن زيد
حدثني عمير مولى أبي اللحم قال : شهدت خير مع سادتي فكلموا في رسول الله (س) فأمر بي فقلت
سيفا ، فاذا أنا أجره ، فأخبر أني مملوك فأمر لي بشي من طريق المتاع . ورواه الترمذي والنسائي
جميعا عن قتيبة عن بشر بن المفضل به [وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن علي بن
محمد عن وكيع عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر عن متقد عن عمير به .

وقال محمد بن اسحاق : وشهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من
النبي] لم يضرب لهن بسهم حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بنى
غفار قد سماها لي قالت أتيت رسول الله (س) في نسوة من بنى غفار ، فقلنا يا رسول الله قد أردنا
أن نخرج معك الى وجهك هذا - وهو يسير الى خير - فنداوى الجرحى وذمى المسلمين بما استطعنا
فقال « على بركة الله » قالت نفرجنا نعمة ، قالت وكنت جارية حديثة السن فأردفني رسول الله (س)
على حقيبة رحله ، [قالت فوالله لنزل رسول الله (س) الى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ، قالت]
واذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها ، قالت فتمسكت الى الناقة واستحييت . فلما رأى رسول
الله (س) ما بي ورأى الدم قال « مالك ؟ لعلك نفست » قالت قلت نعم ، قال « فاصلحي من نفسك
ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك » قالت
فلما فتح الله خير رضى لنا من النبي ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده
في عنقي فوالله لا تفارقتي أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها ، قالت وكانت
لا تظهر من حيضها إلا جعلت في طورها ملحاً وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت . وهكذا
رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن اسحاق به . قال شيخنا أبو الحجاج المزني في أطرافه
ورواه الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن أم علي بنت أبي الحكم عن أمية
^(٢) بنت أبي الصلت عن النبي (س) به . وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى ثنا رافع بن سلمة

(١) قال السهيلي : أصل الرضخ (بالمعجمة) أن تكسر من الشيء الرطب كسرة فتعطيه وأما
الرضخ بالخاء المهملة فكسر اليابس (٢) وفي الاصابة : أن اسمها أمة أو أمامة أو أمينة أو أمية
وقال في موضع أمية بنت قيس بن أبي الصلت .

الأشجعي حدثني حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه قالت : خرجنا مع رسول الله (ص) في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت فبلغ النبي (ص) : أن معه نساء ، قالت فأرسل إلينا فدعانا . قالت فرأينا في وجهه الغضب فقال « ما أخرجكن وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا خرجنا تناول السهام ونسقى السويق ومعنا دواء للجرحى وننزل الشعر فنعين به في سبيل الله قال قرن فانصرفن ، قالت فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها يا جدة وما الذي أخرج لسن ؟ قالت تمرا . قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ أن عبد الله الأصماني أخبره حدثنا الحسين ابن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا الواقدي حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله (ص) إلى خيبر ومعى زوجتي وهي حبلى فنفسست في الطريق ، فأخبرت رسول الله (ص) ، فقال لي « انتقع لها تمراً فاذا النمر فأمر به لتشر به » ففعلت فما رأت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجدي النساء ولم يسهم لهن ، فأجدي زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون

قال البخاري : حدثنا محمد بن الملاء ثنا أبو اسامة ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي (ص) ، ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا ، وزهرم أحدهم أبو بردة والآخر أبو زهرم ، إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وحسين رجلا من قومي ، فركبنا سفينة فألقمتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي (ص) ، حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - سبقناكم بالمجرة ، ودخلت أسماء بنت عميس - وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي (ص) ، زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت أسماء ابنة عميس ، قال عمر الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء نعم ! قال سبقناكم بالمجرة فنحن أحق برسول الله (ص) منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله (ص) ، يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار - أوفى أرض - البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله (ص) ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبي (ص) ، وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي (ص) ، قالت : يا بني الله إن عمر قال كذا وكذا قالت قال « فما قلت

له ؟ » قالت قلت كذا وكذا ، قال « ليس بأحق بي منكم وله ولا أصحابه هجرة واحدة . ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » قالت فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي (س) . قال أبو بردة قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد حذانا الحديث مني . وقال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي (س) : « إني لأعرف أصوات رفقاة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقي العدو - أو قال الخيل - قال لهم إن أصحابي يأمر ونكم أن تنظروهم » . وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن براد عن أبي أسامة به . ثم قال البخاري قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا حفص بن غياث ثنا يزيد بن [عبد الله بن] أبي بردة عن أبي موسى قال : قدمنا على النبي (س) بعد أن افتتح خير قسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرد به البخاري دون مسلم . ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث يزيد به . وقد ذكر محمد بن اسحاق أن رسول الله (س) بعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبي (س) . خير . قال وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله (س) . يوم فتح خير فقبل رسول الله (س) بين عينيه والتزمه وقال « ما أدري بأيهما أنا أمر » بفتح خير أم بقدم جعفر » . وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلًا وأسنده البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال : لما قدم رسول الله (س) من خير قدم جعفر من الحبشة ، فلقاه وقبل جبهته وقال « والله ما أدري بأيهما أفرح ، بفتح خير أم بقدم جعفر » ثم قال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الخافظ ثنا الحسين بن أبي اسماعيل العلوي ثنا احمد بن محمد البيروني ثنا محمد بن احمد بن أبي طيبة حدثني مكى بن ابراهيم الرعيثي ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله (س) ، فلما نظر جعفر اليه حجل - قال مكى يعني مشى على رجل واحدة - إعظاما لرسول الله (س) ، فقبل رسول الله (س) بين عينيه . ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يعرف الى الثوري .

قال ابن اسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة الى أن قدموا معه خير ستة عشر رجلا ، وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وامراته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامراته أمينة (١) .

(١) كذا في ابن هشام وفي الاصابة : أميمة بنت خلف بن أسعد الخ وقال يقال أمينة وهمينة .

بنت خلف بن أسعد ، وولده سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد ابن العاص ، ومعبيب بن أبي قاطمة وكان إلى آل سعيد بن العاص ، قال وأبو موسى الأشعري عبداً ابن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي ، وجهم بن قيس ابن عبد شريحيل العبدي ، وقد مازت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنا عمرو ، وابنته خزيمة ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهري ، وعتبة بن مسعود حليف لم من هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلك بها امرأته ربيعة بنت الحارث رحماً الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبار الجمحي ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ، ومعر بن عبد الله بن فضالة العدوي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدي ، والحارث بن عبد شمس بن لقيط النهري .

قلت : ولم يذكر ابن اسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذلك أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخاري . وكان ابن اسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك والله أعلم قال وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد حرر هاهنا شيئاً كثيراً حسناً . قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ميمت الزهري وسأله اسماعيل بن أمية قال أخبرني عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة أتى رسول الله (ص) وسأله - يعني أن يقسم له - فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تعطه ، فقال أبو هريرة هذا قاتل ابن قوئل فقال : وا عجبا لو برتد لي من قدوم الضال . تفرد به دون مسلم . قال البخاري ويذكر عن الزبيدي عن الزهري أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله (ص) أبانا على سرية من المدينة قبل نجد ، قال أبو هريرة فقدم أبان وأصحابه على النبي (ص) بخيبر بعد ما افتتحها ، وأن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة فقلت يا رسول الله لا تقسم لهم ، فقال أبان وأنت بهذا ياو برتد من رأس ضال . وقال النبي (ص) « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم ، وقد أسند أبو داود هذا الحديث عن سعيد بن منصور عن اسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحو ثم قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي (ص) ، فلم عليه ، فقال أبو هريرة يا رسول الله هذا قاتل ابن قوئل ، فقال أبان لأبي هريرة : وا عجبا لك ياو برتدي من قدوم ضال تنعى علي امرأ أكرم الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده ؟ هكذا رواه منفرداً به هاهنا وقال في الجهاد بع

حديث الحميدى عن سفيان عن الزهرى عن عنبسة بن سعيد عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله (س) وهو يخبير بعد ما افتتحها ، فقلت يا رسول الله أسبهم لى ، فقال بغض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له ، فقلت يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل الحديث . قال سفيان حدثني سعيد بن سفيان - يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبي هريرة بهذا . فى هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم فى أول هذه الغزوة . رواه الامام احمد من طريق عمار بن مالك عن أبي هريرة وأنه قدم على رسول الله (س) بعد ما افتتح خيبر فكلّم المسلمين فأشركونا فى أسهامهم ، قال الامام احمد حدثنا روح ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمار بن أبي عمار قال : مشهدت مع رسول الله (س) ، معنما قط إلا قسم لى ، إلا خيبر فأنها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جا آيين الحديبية وخيبر . وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ابن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن مالك بن أنس حدثني ثور حدثني سالم مولى [عبد الله] بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الابل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله (س) الى وادى القرى ومعه عبد له يقال له مدعم أهداه له بعض بنى الضبيب فينما هو يحيط رحل رسول الله (س) ، إذ جاءه سهم عثر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله (س) ، « كلا والذي نفسى بيده إن الشملة التى أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله (س) ، بشراك أو شراكين فقال : هذا شئ كنت أصبته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شراك أو شراكين من نار » .

قصة الشاة المسمومة والبرهان الذى ظهر

قال البخارى : رواه عروة عن عائشة عن النبي (س) . ثم قال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثني سعيد عن أبي هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول (س) شاة فيها سم هكذا أوردناه هنا مختصراً . وقد قال الامام احمد حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبي (س) شاة فيها سم ، فقال رسول الله (س) ، « اجمعوا لى من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له فقال النبي (س) ، « إني سألتكم عن شئ فهل أنتم صادق عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله (س) ، « من أبوك ؟ » قالوا أبونا فلان ، فقال رسول الله (س) ، « كذبتكم بل أبوك فلان » قالوا صدقت وبررت فقال « هل أنتم صادق عن شئ إذا سألتكم عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت فى أيينا ، فقال رسول الله (س) ، « من أهل النار ؟ » فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله (س) ، « والله لا تخلفكم فيها »

أيها « ثم قال لهم « هل أنتم صادق عن شيء إذا سألتكم ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال « هل
 جعلتم في هذه الشاة سمًا » فقالوا نعم قال « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا أردنا إن كنت كاذبا أن
 نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك . وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف ،
 وفي المغازي أيضا عن قتيبة كلاهما عن الليث به . وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو
 العباس الأصم حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن
 سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن امرأة من يهود أهنت لرسول الله
 (ص) شاة مسمومة فقال لأصحابه « أمسكوا فانها مسمومة » وقال لها « ما حملك على ما صنعت ؟ »
 قالت أردت أن أعلم إن كنت نبيا فسيطلمك الله عليه ، وإن كنت كاذبا أريح الناس منك . قال
 فما عرض لها رسول الله (ص) . رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به . ثم
 روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك . وقال
 الامام أحمد حدثنا شريح ثنا عباد عن هلال - هو ابن خباب - عن عكرمة عن ابن عباس أن
 امرأة من اليهود أهنت لرسول الله (ص) شاة مسمومة ، فأرسل اليها فقال « ما حملك على ما صنعت ؟ »
 قالت أحببت - أو أردت - إن كنت نبيا فإن الله سيطلمك عليه ، وإن لم تكن نبيا أريح الناس
 منك . قال فكان رسول الله (ص) إذا وجد من ذلك شيئا احتجم ، قال فاسفر مرة فلما أحرم وجد
 من ذلك شيئا فاحتجم . تفرد به أحمد واسناده حسن . وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام
 ابن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله (ص) بشاة مسمومة فأكل منها ،
 فجئ بها الى رسول الله (ص) فسألها عن ذلك ؟ قالت أردت لأقتلك ، فقال « ما كان الله ليمسكك
 على » أو قال « على ذلك » قالوا ألا تقتلها قال « لا » قال أنس فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله
 (ص) . وقال أبو داود حدثنا سليمان بن داود المهري ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب
 قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر صممت شاة مصلية^(١) ثم أهنتها لرسول الله
 (ص) ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رطل من أصحابه معه ، ثم قال
 لم رسول الله (ص) : « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المرأة فدعاها فقال
 لها « أصممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية من أخبرك ؟ قال « أخبرني هذه التي في يدي » وهي
 الذراع ، قالت [نعم] قال « أأبدت بذلك ؟ » قالت قلت إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم
 تكن نبيا استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله (ص) ولم يعاقبها ، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا
 من الشاة واحتجم النبي (ص) على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجه أبو هند بالقرن والشفرة

(١) صلى الله عليه وسلم يصلي صليا شواه في النار كأصلاه وصلاته . عن القياموس .

وهو مولى لبني بياضة من الأنصار . ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله (ص) أهدت له يهودية بخير شاة مصلية نحو حديث جابر ، قال فأت بشر ابن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال « ما حملك على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله (ص) فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة . قال البيهقي ورويناه من حديث حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها . وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله (ص) شاة مصلية بخير فقال « ما علمتم ؟ » قالت هدية ، وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل ، قال فأكل وأصحابه ثم قال « امسكوا » ثم قال للمرأة « هل سمعت ؟ » قالت من أخبرك هذا ؟ قال « هذا العظم » لساقها وهو في يده ، قالت نعم قال « لم ؟ » قالت أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال فاحتجم رسول الله (ص) على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا ، ومات بعضهم . قال الزهري فأسلمت فتركها النبي (ص) . قال البيهقي هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وذكر ابن أبي شيبة عن أبي الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا : لما فتح رسول الله (ص) خير وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وممتها ، وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله (ص) ، فدخل رسول الله (ص) على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بني سلمة ، فقدمت إليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله (ص) الكتف وانتهش منها ، وتناول بشر عظما فانتهش منه ، فلما استرط رسول الله (ص) لقمته استرط بشر بن البراء مافي فيه ، فقال رسول الله (ص) « ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أنني لميت ^(١) فيها » فقال بشر بن البراء والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فامنعني أن أأكلها إلا أنني أعظمتك أن أبغضك طعامك ، فلما أسغت مافي فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نهي فلم يقم بشر من مكانه حتى عادلونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول . قال الزهري قال جابر واحتجم رسول الله (ص) يومئذ حجمة مولى بني بياضة بالقرن والشفرة وبقى رسول الله (ص) بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال « ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خير عداداً حتى كان هذا أو انقطع أبهرى » فتوفي رسول الله (ص) شهيداً .

(١) نعم له نعيًا ونعيًا أخبره بموته والنعي الناعي .

وقال محمد بن اسحاق : فلما اطمأن رسول الله (ص)، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحب الى رسول الله (ص) ؟ فقيل لها الذراع فأكثرتها فيها من السم ، ثم صحت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسفها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله (ص) ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله (ص) ، فلفظها ثم قال « إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم » ثم دعا بها فاعترفت ، فقال « ما حملك على ذلك ؟ » قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت إن كان كذابا استرحمت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر . قال فتجاوز عنها رسول الله (ص) ، ومات بشر من أكله التى أكل .

قال ابن اسحاق وحديثى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المولى قال : كان رسول الله (ص) قد قال فى مرضه الذى توفى فيه - ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور - « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخير » . قال ابن هشام : الأبر العرق المعلق بالقلب . قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله (ص) مات شهيدا - مع ما أكرمه الله به من النبوة . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحرائى قالنا ثنا أبو غيث سهل بن حماد ثنا عبد الملك بن أبى نضرة عن أبيه عن أبى سعيد الخدري أن يهودية أهدت الى رسول الله (ص) شاة مميطة ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمسكوا فان عضوا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة » فأرسل الى صاحبها « أهدمت طعامك ؟ » قالت نعم قال « ما حملك على ذلك ؟ » قالت إن كنت كذابا أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلمك عليه . فبسط يده وقال « كلوا بسم الله » قال فأكلنا وذكروا اسم الله فلم يضر أحدا منا . ثم قال لا يروى عن عبد الملك بن أبى نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم . وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى فى منامه رؤيا ورسول الله (ص) محاصر خيبر فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله (ص) ، فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله (ص) ، خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد اعطنى ما غنمت من حلفائى - يعنى أهل خيبر - فقال له رسول الله (ص) ، « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة فلقبه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع فى غير شئ ، والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبى الحقيق يقول : إنا لنحسد مجدا على النبوة حيث خرجت من بنى هارون ، إنه لم يرسل ، ويهود لا تطاوعنى على هذا . ولنا

منه ذبحان ؛ واحد يثرب وآخر بخير . قال الحارث : قلت لسلام بملك الأرض ؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

قصّة الأساق

قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله (ص) من خير انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليلال ثم انصرف راجعا إلى المدينة . ثم ذكر من قصة مدغم وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس هنيئلا له الشهادة فقال رسول الله (ص) : « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خير لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا » . وقد تقدم في صحيح البخاري نحو ما ذكره ابن اسحاق والله أعلم . وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى . قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبي عمرة عن زيد بن خالد الجهني أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله (ص) توفي يوم خير ، فذكر ذلك للنبي (ص) فقال « صلوا على صاحبكم » فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال « إن صاحبكم غل في سبيل الله » ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود ما يساوي درهمين وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو داود بشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به وقد ذكر البيهقي أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله (ص) مرجعه من خير وتجمعوا فلك فبعث إليهم بواعدهم موعدا معينا فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب وتقدم أن رسول الله (ص) لما حلت صفة من استبرأها دخل بها بمكان يقال له سد الصبيان في أثناء طريقه إلى المدينة ؛ وأولم عليها بحيس ، وأقام ثلاثة أيام يبنى عليه بها ، وأبلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فيه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراه رضى الله عنها . وذكر محمد بن اسحاق في السيرة قل : لما أهرس رسول الله (ص) بصفية بخير - أو ببعض الطريق - وكانت التي جعلتها إلى رسول الله (ص) ومشعلتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله (ص) في قبة له وبات أبو أيوب متوشحا بسيفه يحرس رسول الله (ص) . ويظن بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله (ص) مكانه قال « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر نفقتها عليك ، فزعموا أن رسول الله (ص) قال « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » . ثم قال حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خير وأن رسول الله (ص) كان أولم استيقاظا فقال « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال

٢١٣
 يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال « صدقت » ثم اقتاد فاقته غير كثير ثم نزل
 فتوضأ وصلى كما كان يصلها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسل وهذا
 مرسل من هذا الوجه . وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن
 شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (س) ، حين قفل من غزوة خيبر ، فسار
 ليلة حتى إذا أدركنا الكرى عرس وقال لبلال « اكلاً لنا الليل » قال فقلت بلالا عيناه وهو
 مستند الى راحلته فلم يستيقظ النبي (س) ، ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، كان
 رسول الله (س) ، أولم استيقظا فزع رسول الله (س) ، وقال « يا بلال » قال أخذ بنفسى الذى أخذ
 بنفسك بأبي أنت وأمي يارسول الله ، قال فقتادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله (س) ، فأمر بلالا
 فأقام الصلاة وصلى لم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال « من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها فان
 الله تعالى يقول « وأقم الصلاة لذكري » قال يونس وكان ابن شهاب يقرأها كذلك . وهكذا رواه
 مسلم عن حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر . وفي حديث
 شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من
 الحديبية ، وفي رواية عنه أن بلالا هو الذى كان يكلمهم ، وفي رواية عنه أنه هو الذى كان يكلمهم .
 قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة
 نومهم عن الصلاة وفيه حديث الميضاة فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة . قال
 وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال وروى زافر بن
 سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من
 تبوك فله أعلم . ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الاعرابي عن أبي رجاء عن
 عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطychين وكيف أخذوا منها ماء
 روى الجيش بكاه ولم ينقص ذلك منها شيئاً . ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني عن
 عبد الله بن رباح عن أبي قتادة وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك
 الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . وقال البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا
 عبد الواحد عن طاهر عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال : لما فزا رسول الله (س) ، خيراً ،
 وقال لما توجه رسول الله (س) ، الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر
 لا إله إلا الله ، فقال رسول الله (س) ، « أربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم
 تدمون جميعاً قريباً وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله (س) ، فسمعتي وأنا أقول لاحول ولا قوة
 إلا بالله ، فقال « يا عبد الله بن قيس » قلت ليبيك يارسول الله قال « ألا ادلك على كلمة من كثر

الجنة « قلت بلى يا رسول الله فذاك ابني وأمي قال « لا حول ولا قوة إلا بالله » . وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرحمن بن مل أبي عثمان التهدي عن أبي موسى الأشعري ، والصواب أنه كان مرجعهم من خير فان أبا موسى إنما قدم بعد فتح خير كما تقدم .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (س) - فيما بلغني - قد أعطى ابن لقيم العباسي حين افتتح خير ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خير في صفر ، فقال ابن لقيم في فتح خير :

رُمِيَتْ نِظَاةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ	شِبَاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَقَقَارٍ ^(١)
وَأَسْتَقْنَتْ بِاللَّيْلِ لِمَا شِيعَتْ	وَرَجَالُ أَسْلَمٍ وَسَطَهَا وَعَفَارُ
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرِو بْنِ زُرْعَةَ غَدَوَةٌ	وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلَهُ بَنَاهُ
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذَّيْلُ فَلَمْ تَدْعُ	إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ بِالْأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ خَصَنٍ شَاغِلٍ مِنْ خِيْلِهِمْ	مِنْ عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَّارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِيَامَهُمْ	فَوْقَ الْغَافِرِ لَمْ يَتَوَّأْ لِفَرَارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيْفَلِينَ مُحَمَّدٌ	وَلَيْثُونٌ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ
فَرَّتْ يَهُودٌ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْوَعْيِ	نَحْتُ الْعَجَاجِ غَنَامِ الْأَبْصَارِ

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ

من استشهد بخير من الصحابة

على ما ذكره ابن اسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي .

فمن غير المهاجرين ربيعة بن أكم بن سخبرة الأسدي مولى بني أمية ، وثقيف بن عمرو ورماعة بن مسروح حلفاء بني أمية ، وعبد الله بن المهيب بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بني سعد ابن ليث حليف بني أسد وابن أختهم ، ومن الأنصار بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله (س) ، كما تقدم ، وفضيل بن النعمان السلمي ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزرقى ، ومحمود بن مسلمة الأشجلى ، وأبو ضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمري ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقه ، وأوس الغنائي^(٢) وأنيف بن حبيب ، وثابت

(١) سباه في الإصابة لقيم الدجاج وأورد له هذا البيت الأول هكذا :

رُمِيَتْ نِظَاةٌ مِنَ الرَّسُولِ يَفْتُونُ شِبَاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَقَقَارِ

ونظاة حصن بخير وقيل عين ماء بقرية منها وقيل هو اسم لأرض خير وقد تقدم ذكره .

(٢) قال في الإصابة : أوس بن فائد وقيل ابن فائد وقيل ابن الفائد وفي الأصل الفارض .

ابن أثلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوخ ثم سلمة بن عمرو بن الأكوخ أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعي . وقد أفرد ابن اسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة والله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : ومن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بني زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضي الله عنهم أجمعين .

خبر الحجاج بن علاط البهزي

قال ابن اسحاق : ولما فتحت خيبر كلم رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي فقال : يا رسول الله إن لي بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبه بنت أبي طلحة - وكانت عنده له منها معوض بن الحجاج - ومالا متفرقا في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله فأذن له ، فقال إنه لا بد لي يا رسول من أن أقول ، قال قل ، قال الحجاج : نخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجلا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسبون الأخبار من الركبان ، فلما رأوني قالوا الحجاج بن علاط - قال ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا عبد الله فانه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز ؟ قال قلت قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال فالتبطلوا يهني نأقي يقولون إيه يا حجاج ؟ قال قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقد قتل أصحابه قتيلا لم تسمعوا بمثله قط وأمر محمد أسراً وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال ققاموا وصاحوا بمكة] وقالوا . قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تلتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال قلت أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك قال ققاموا لجمعوا لي ما كان لي كأحث جمع سمعت به ، قال وجئت صاحبتى فقلت مالي وكان عندها مال موضوع فلعلني ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني النجار ، قال فلما سمع العباس ابن عبد المطلب الخبر وما جاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيم التجار ، فقال يا حجاج ما هذا الذي جئت به ؟ قال قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال نعم ! قال قلت فاستأخر حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف حتى أفرغ ، قال حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشع الطلب ثلاثاً ثم قل ما شئت قال افعل قلت فاني والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حيي - وقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه ، قال ما تقول

يا حجاج ! قال قلت أي والله فاكتم عني ولقد أسلفت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقا عليه من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأنظر أمرك فهو والله على ما تحب ، قال حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى السكبة فطاف بها ، فلما رآوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال كلا والله الذي حلقتم به لقد افتتح محمد خير ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها وأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر ؟ قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ أمواله فأنطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، فقالوا يا لعبد الله انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن اسحاق هذه القصة منقطعة ، وقد أسند ذلك الامام احمد بن حنبل فقال حدثنا عبيد الرزق ثنا معمر سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله (ص) خير قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلاً وإني أريد أن آتيهم أفأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله (ص) ، أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندك فاني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأبييت أموالهم . قال وفشي ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً ، قال وبلغ الخبر العباس فغمر وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرني عثمان الخزاز جى عن مقسم قال : فأخذ ابنا يقال له قثم واستلقى ووضع على صدره وهو يقول .

حيي قثم شبه ذي الأنف الأشم بني ذي النعم بزعم من زعم

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له الى حجاج بن علاط فقال ويلك ماجئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مما جئت به ، فقال حجاج بن علاط : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه فان الخبر على ما يسره ، فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال أبشريا أبا الفضل ، قال فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال حجاج فأعتقه ، قال ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله (ص) قد افتتح خير وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله (ص) صفية بنت حيي واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ، قال ولكني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فاذهب به فاستأذنت رسول الله (ص) ، فأذن لي أن أقول ما شئت ، فأخف على ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك . قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعتها ودفعته اليه ثم انشمر به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك ، قال أجل لا يحزنني الله ولم

يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خير على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله (س) صفية لنفسه ، فان كانت لك حاجة في زوجك فالحق به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قال فاني صادق والأمر على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل ، قال لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب ، قال فرد الله الكتاب التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئبا حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون ورد ما كان من كتابة أو غيظ أو حزن على المشركين . وهذا الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى اللساني عن اسحاق بن ابراهيم عن عبد الرزاق به نحوه . ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضا من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر بن نوح . وكذلك ذكر موسى بن عقبة في منازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خير ، وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله (س) فتح خير ، وكان تحت أم شيبه أخت عبد الدار بن قصي ، وكان الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له ممدان أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله (س) على خير استأذن الحجاج رسول الله (س) في الذهاب الى مكة يجمع أمواله فأذن له نحو ما تقدم والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ومما قيل من الشعر في غزوة خير قول حسان :

بئس ما قاتلت خيبر عما جموا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبىخ حمام وأقروا فمل الذم الذليل
أمن الموت يهربون فان الموت موت المزال غير جميل

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

ونحن وردنا خيبراً وفروضة بكل قتي عاري الأشاجع مزود
جواد لدى الغايات لا واهن القوى جرى على الأعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شوة ضروب بنصل المشركي المهدد
يرى القتل مدحاً إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزاً بأحمد
ينود ويحمي عن ذمار محمد وينفع عنه باللسان وباليسد
وينصرد من كل أمر يريبه يهود بنفس دون نفس محمد

يصدق بالأنباء بالغيب مخلصاً يريد بذلك العز والفوز في غدد

قضية

مروره (ص) بوادي القرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة
| قال خرجنا مع رسول الله (ص) من خيبر إلى وادي القرى وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي
قد وهب لرسول الله (ص) عبداً أسود يقال له مدعم وكان يرسل لرسول الله (ص) فلما نزلنا بوادي
القرى انتهينا إلى يهود وقدم إليهم ناس من العرب ، فبينما مدعم يحيط برجل رسول الله (ص) وقد
استقبلتنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم تكن على تعبئة ، وهم يصيحون في أطامهم فيقبل سهم عار فأصاب
مدعماً فقتله ، فقال الناس هنيئاً له بالجنة . فقال النبي (ص) : « كلا والله في يده إن الشملة التي
أخذها يوم خيبر من المغنم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى
رسول الله (ص) : « بشارك أو شراكين . فقال النبي (ص) : « شراك من تار أو شراك من نار » .
وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدي : فعلى رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى
الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام
وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله ، قال فبرز رجل منهم فبرز إليه
الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً كل ما قتل
منهم رجلاً دعى من بقي منهم إلى الإسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي بأصحابه ثم
يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله ، وقتلهم حتى أسى وغدا عليهم فلم ترتفع
الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً
وأقام رسول الله (ص) بوادي القرى أربعة أيام فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل
في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تباه ما وطن به رسول الله (ص) خيبر وفدك ووادي
القرى صالحوا رسول الله (ص) على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلما كان عمر أخرج يهود خيبر
وفدك ولم يخرج أهل تباه ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن مادون وادي
القرى إلى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام ، قال ثم انصرف رسول الله (ص) راجعاً إلى

المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صمصمة عن الحارث ابن عبد الله بن كعب عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله (س) ، بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت فذهب رجل من الحلى فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلى سبيلها ولم يهجر وضمن بزواجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله (س) ، فرأى ما يكره .

فصل في أخبار بني النضير

ثبت في الصحيحين أن رسول الله (س) ، لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع . وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالها ، وفي بعضها وقال لهم النبي (س) ، « نقرم ما شئنا » . وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضعهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طريقه كتاب المزارعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة . وقال محمد بن اسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله (س) ، يهود خيبر فخرهم ؟ فأخبرني أن رسول الله (س) ، افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله (س) ، فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم فأقرم ما أقرم الله » فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله (س) ، يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمارها ويعمل عليهم في الخرص ، فلما توفي الله نبيه (س) ، أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله (س) ، حتى توفي ، ثم أقرم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله (س) ، قال في وجهه الذي قبضه الله فيه « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلائكم . وقد بلغني أن رسول الله (س) ، « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله (س) ، فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتهجر للجلاء ، فاجل عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله (س) ، . قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله (س) ، فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اختلف بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ، من شافعية الشيخ أبو علي بن خيرون وهو كتاب مزور مكذوب . فتمتلأ أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد ، وقد تعرض لذلك وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كان

الصباغ في مسائله ، والشيخ أبي حامد في تعليقه ، وصنف فيه ابن المسئلة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد نحرخوا به بعد السبعائة وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره وكتبه علي بن أبو طالب وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذ من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وحدثني قافع مولى عبد الله بن عمر بن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير ابن العوام والمقداد بن الأسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قلنا تفرقنا في أموالنا ، قال فعدى علي تحت الليل وأنا نائم على فراشي فندعت ^(١) يداي من رفق ، فلما استصرخت على صاحبي فأتاني فسألاني من صنع هذا بك ؟ فقلت لا أدري فأصلحنا من يدي ثم قدما بي على عمر ، فقال هذا عمل يهود خيبر . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس إن رسول الله (ص) ، كان عامل يهود خيبر على أنا فنخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله لأنك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلق به فاني مخرج يهود فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله (ص) ، كما هو ثابت في الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقي في الدلائل : جامع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عرة القضية وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

سرية أبي بكر الصديق الى بني فزارة

قال الامام احمد : حدثنا بهز ثنا عكرمة بن عمار ثنا أياس بن سلمة حدثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر [ابن] أبي قحافة وأمره رسول الله (ص) ، علينا فنزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشئنا الغارة فقتلنا على الماء من مرقبلنا ، قال سلمة ثم فطرت الى عنق من الناس فيه من الندية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم نخشيت أن يسبقوني الى الجبل فرميت بسهم فوقهم بينهم وبين الجبل ، قال فجئت بهم أسوقهم الى أبي بكر حتى أتيتهم على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من آدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال فنقلني أبو بكر بفتها ،

(١) الفدع بحركة اهو جاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى يتقلب الكف أو القدم الى انسيها .

قال فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوبا ، قال فلقيني رسول الله (ص) في السوق فقال لي « يا سلمة هب لي المرأة » قال فقلت والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا ، قال فسكت رسول الله (ص) وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله (ص) في السوق فقال لي « يا سلمة هب لي المرأة » قال فقلت يا رسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا ، قال فسكت رسول الله (ص) وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله (ص) في السوق فقال لي « يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك » قال قلت يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يا رسول الله ، قال بعث بها رسول الله (ص) إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين فقدم رسول الله (ص) بتلك المرأة . وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

سرية عمر بن الخطاب إلى تربة وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله (ص) بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكبا ومعه دليل من بني هلال وكانوا يسرون الليل ويكنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعا إلى المدينة ، فقبل له هل لك في قتال خثعم ؟ فقال إن رسول الله (ص) لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق إبراهيم بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري أن رسول الله (ص) بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخير ، وبلغ رسول الله (ص) أنه يجمع غطفان ليفزوه بهم ، فأتوه فقالوا أرسلنا إليك رسول الله (ص) ، ليستعملك على خير فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهي من خير على ستة أميال ندم يسير ابن رزام فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يسير وفي يده مخراش من شوحط فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة . وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدا ولم يصب من المسلمين أحد ، وبصق رسول الله (ص) في شجة عبد الله بن رواحة فلم تقيح ولم تؤذه حتى مات .

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي بأسناده أن رسول الله (ص) بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكبا

الى بنى مرة من أرض فدك فاستاق لهمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ،
وقاتل قتلاً شديداً ، ثم لجأ الى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرجعاً الى المدينة .
قال الواقدي : ثم بعث اليهم رسول الله (س) ، غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة
فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدرى ، وكعب بن عجرة . ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد
لمرداس بن نهيك حليف بنى مرة وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لا يروى على
ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن اسحاق
عن شيخ من بنى سلمة عن رجال من قومه أن رسول الله (س) بعث غالب بن عبد الله السكبي الى
أرض بنى مرة فأصاب مرداس بن نهيك حليفاً لهم من الحرة فقتله أسامة . قال ابن اسحاق :
فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال أدركته أنا ورجل من
الأَنْصار - يعنى مرداس بن نهيك - فلما شرفنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم نزع
عنه حتى قتلناه . فلما قدمنا على رسول الله (س) ، أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله »
فقلت يا رسول الله إنما قلنا تموداً من القتل ، قال « فن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » فوالذى بعثه بالحق
ما زال يرددها على حتى تمنيت أن ماضى من اسلامي لم يكن ، وأنى أسلمت يومئذ ولم أقتله . فقلت
إني أعطى الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ، فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت
بعدي . قال الامام احمد : حدثنا هشيم بن بشير أنبأنا حصين عن أبي خليبان قال سمعت أسامة بن زيد
يحدث قال بعثنا رسول الله (س) الى الحرة من جهينة ، قال فصبحتناهم وكان منهم رجل اذا أقبل
القوم كان من أشدهم علينا ، واذا أدبروا كان حاميتهم ، قال فنشيت به أنا ورجل من الأنصار ، فلما
تمشينا قال لا إله إلا الله فكيف عنه الأنصارى وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله (س) ، فقال « يا أسامة
أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قال قلت يا رسول الله إنما كان متموداً من القتل ، قال فكررها
على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ . وأخرجه البخارى ومسلم من حديث هشيم به نحوه .
وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن هبة عن مسلم بن عبد الله الجهني عن جندب بن مكث
الجهني قال : بعث رسول الله (س) ، غالب بن عبد الله السكبي كلب ليث الى بنى الملوح بالسكدي
وأمره أن يغير عليهم وكنت في سريره ، فمضينا حتى اذا كنا بالقيديد^(١) لقينا الحارث بن مالك بن
البرصاء الليثي فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله إن كنت إنما جئت
لتسلم فلا يضرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك ، قال فأوثقه رباطاً وخلف
عليه رويحلاً أسود كان معنا وقال : أمكث معه حتى نمر عليك فان فازحك فاحتر رأسه . ومضينا حتى

أتينا بطن الكديد فترلنا عشية بعد العصر ، فبعثني أميحي إلى فعدت إلى تل يطل على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحا على التل فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته في أول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجترقت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت والله ما أفقد منها شيئاً ، قال فتلوني قومي وسهمين من نبلي فتناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جيبني فترعته فوضعه ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبى فترعته فوضعه ولم أتحرك ، فقال لامرأته أما والله لقد خالطه سهمي ولو كان رية لتحرك ، فإذا أصبحت فابتغى سهمي فذهبهما لأمضيهما على الكلاب ، قال فأملهنا حتى إذا راحت روايحهم وحق احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ؛ شغنا عليهم النارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به وخرج صريح القوم إلى قومهم بقرينا ، قال وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأتانا صريح الناس فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء ماء مارأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوا ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجدها أو نحدوها - شك النقي - فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حذرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا . وقد زواه أبو داود من حديث محمد بن اسحاق في روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم . وذكر الواقدي هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلاً . ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير ابن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر فلقوا جمعاً من العرب وغنموا فمأ كثيراً ، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حسيل بن نيرة وهو الذي كان دليل النبي (ص) ، إلى خيبر قاله الواقدي .

سرية بني حدر إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن اسحاق : كان من حديث قصة أبي حدر وغزوته إلى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حدر قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقها مائتي درهم ، قال فأتيت رسول الله (ص) ، أستعينه على نكاحي فقال « كم أصدقت ؟ » قلت مائتي درهم ، فقال « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتم ، والله ما عندي ما أعينك به » فلتيت أياها ثم أقبل رجل من جيش معاوية يقال له رفاع بن قيس - أو قيس بن رفاع - في بطن عظيم من جيش حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله (ص) ، وكان ذا اسم وشرف في جيشه ، قال فدعاني رسول الله (ص) ، ورجلين من المسلمين فقال « اخرجوا إلى هذا الرجل

حتى تأتوا منه بخبر وعلم . « . وقدم لنا شارفاً عجفاء فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال « تبلغوا على هذه » فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحضر مع غروب الشمس فكنت في ناحية وأمرت صاحبني فسكرنا في ناحية أخرى . من حضر القوم وقلت لهما : إذا سمعنا في قد كبرت وشدت في المسكر فكبروا وشدوا معي ، فوالله إنا كنا ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشنا الليل حتى ذهبت لخمعة المساء ، وقد كان لم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعه بن قيس فآخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لا أتيقن أمر راعيها ولقد أصابه شر ، فقال نفر ممن معه والله لا تذهب نحن نسكنك ، فقال لا إلا أنا ، قالوا نحن معك . فقال والله لا يتبعني منكم أحد ، وخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفحة بهم فوضعتهم في فواده ، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتزرت رأسه ثم شددت ناحية المسكر وكبرت وشد أصحابي وكبروا ، فوالله ما كان إلا النجاء ممن كان فيه عندك ^(١) بكل ما قدروا عليه من نسايتهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم ؛ واستقنا إبلا عظيمة وغنا كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله (ص) ، وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداقي فجمعت إلى أهلي .

السرية التي قتل فيها محمّد بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن اسحاق : جدائي يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبي حنيفة عن أبيه قال : بعثنا رسول الله (ص) إلى أضم في نفر من المسلمين منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربعي ومحمّد بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن أضم مر بنا عذر بن الأضبط الأشجعي على قعوده معه متبع له وطلب من لبن فلم علينا بتمية الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محمّد بن جثامة فقتله لشر كان بينه وبينه وأخذ بعيره وبعثه ، فلما قدمنا على رسول الله (ص) ، أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن [يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً] هكذا رواد الإمام أحمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حنيفة عن أبيه قد كره .

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمري يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وعن جده قالا : وكنا شهداء حينئذ قالا : فبلى رسول الله (ص) صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقام فيه فقام إليه عيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعي وهو سيد ^(١) كذا في الأصول والذي في ابن هشام : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه عندك عندك الخ .

عامر هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي ، فقال رجل من بني ليث يقال له ابن مكيل وهو قصير من الرجال فقال : يا رسول الله ما أجد لهذا القتل شهياً في غرة الاسلام إلا كنهم وردت فشربت ^(١) اولها فنفرت أخرها استن اليوم وغير غدا ، فقال رسول الله (س) : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالمدينة ، فقال قوم بحلم بن جثامة إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله (س) ، قال فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تمها فيها للقتل فقام بين يدي النبي (س) ، فقال النبي (س) : « اللهم لا تغفر لحلم » قالها ثلاثاً ، فقام وإنه ليلقي دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن اسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك . وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن اسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر عن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه ، والصواب كما رواه ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة ^(٢) عن أبيه وعن جده وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وعن عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن اسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال لم يقبلوا الدية حتى قام الاقرع بن حابس فحلبهم وقال يا معشر قيس سألتكم رسول الله (س) ، قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله (س) ، فيغضب الله لغضبه ويلعنكم رسول الله (س) ، فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتسلنه إلى رسول الله (س) ، أو لا تبين بخمسين من بني نعيم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ماضى قط فلا يطلبن دمه ، فلما قال ذلك لم أخذوا الدية . وهذا منقطع معضل وقد روى ابن اسحاق عن لايتهم عن الحسن البصري أن محملاً لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له « أمنتهم قتلته ؟ » ثم دعا عليه ، قال الحسن فوالله ما مكث محملاً إلا سبعة حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله (س) ، فقال ان الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم لما أراكم منه » وقال ابن جرير ثنا وكيع ثنا جرير عن ابن اسحاق عن فافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله (س) محملاً بن جثامة مبعثاً فلقبهم عامر بن الأضبط فخيام بتحية الاسلام . وكانت بينهم هنة في الجاهلية - فرماه محملاً بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله (س) ، فتكلم فيه عيينة والاقرع فقال الاقرع : يا رسول

(١) في ابن هشام : فرميت (٢) كذا في الاصل والخلاصة وفي ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

الله من اليوم وغير غدا ، قال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الشكل ما ذاق نساءى فجاء
 عجل في بردين فجلس بين يدي رسول الله (ص) ، ليستغفر له فقال رسول الله (ص) : « لا غفر الله لك »
 فقام وهو يتلقى دموعه بيرديه ، فما مضت له ساعة حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض فجاءوا النبي (ص) ،
 فذكروا ذلك له فقال : « إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من
 حرمتم » ثم طرحوه في جبل فالتقوا عليه من الحجارة ونزلت [يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل
 الله فتبينوا] الآية . وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ورواه شبيب عن الزهري عن عبد الله
 ابن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة إلا أنه لم يسم عجل بن جثامة ولا عامر بن الاضبط
 وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال وفيه نزل قوله تعالى [يا أيها الذين
 آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا] الآية .

قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية والله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حنيفة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن
 علي بن أبي طالب قال : استعمل النبي (ص) رجلاً من الأنصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له
 ويطيعوا ، قال فغضبوه في شيء فقال اجتمعوا لي خطباً فجمعوا فقال أوقدوا ناراً فاقودوا ثم قال ألم يأمركم
 رسول الله (ص) أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا بلى قال فادخلوها قال فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا إنما
 فررنا إلى رسول الله (ص) من النار ، قال فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبي (ص) ،
 ذكروا ذلك له فقال « لودخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف » وهذه القصة ثابتة أيضاً
 في الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد تكلمنا على هذه بما
 فيه كفاية في التفسير والله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء

ويقال القصاص ورجحه السهلي ويقال عمرة القضية فالأولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية
 والثاني من قوله تعالى (والحرمات قصاص) والثالث من المقاضاة التي كان قاضاًم عليها على أن يرجع
 عنهم عامه هنا ثم يأتي في العلم القابل ولا يدخل مكة إلا في جلبان (١) السلاح وأن لا يقيم أكثر
 من ثلاثة أيام وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة [لقد صدق الله رسوله
 (١) الجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف وقيل القوس
 والسيف ونحوه .

الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محققين رؤسكم ومتصرين لا تخافون [الآية .
وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة
والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال « بلى
أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال لا قال « فأنك آتية ومطوف به » وهي المشار إليها في قول
عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله (ص) إلى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله

كما ضربناكم على تزييله

أي هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله (ص) ، جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله (ص) من خيبر إلى المدينة أقام بها شهر ربيع وجماديين
ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً يبعث فيما بين ذلك سراياه ثم خرج من ذي القعدة في الشهر
الذي صده فيه المشركون ممتراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صده عنها . قال ابن هشام : واستعمل
على المدينة عوف بن الأصبط الدثلي ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله (ص) في
ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقص رسول الله (ص) منهم فدخل مكة في ذي القعدة في
الشهر الحرام الذي صده فيه من سنة سبع ، بلغنا عن ابن عباس أنه قال فأنزل الله تعالى في ذلك
[والحرمات قصاص] وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في مغازيه لما رجع رسول الله (ص) من خيبر
أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذي القعدة فنادى في الناس أن تجهزوا للعمرة فتجهزوا
وخرجوا إلى مكة .

وقال ابن اسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صده معه في عمرته تلك وهي سنة سبع فلما سمع
به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً في عسرة وجه وشدة . قال ابن اسحاق :
فحدثني من لا أنهم عن عبد الله بن عباس قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه
فلما دخل رسول الله (ص) المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال « رحم الله امرأ
أراهم اليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن ثم خرج يهول ويهول أصحابه معه حتى إذا وراه البيت
منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هروا كنفك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما
فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله (ص) إنما صلحها
لهذا الحى من قريش للذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها . وقال البخاري
ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد - هو ابن زيد - عن أيوب عن مسيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم
رسول الله (ص) وأصحابه قتال المشركون إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حتى يثرب فأمرهم النبي (ص) .

أن يرملوا الأشواط الثلاث وأن يمشوا ما بين الركنتين ، ولم يمنعهم أن يأمروهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الأبقاء عليهم . قال أبو عبد الله ورواه أبو سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبي (ص) لعامهم الذي استأمن قال « ارملوا ليري [المشركون قوتكم » [المشركين من قبل قعيقعان . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد وأسند البيهقي طريق حماد بن سلمة . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا إسماعيل بن أبي خالد سمع بن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله (ص) سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله (ص) وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله (ص) حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمنٌ بقبيله أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم - يعني يوم صفين - قاله السهيلي . قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين والمشركون لم يقرأوا بالتنزيل وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، وفيما قاله ابن هشام نظر فان الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس قال : لما دخل النبي (ص) مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وفي رواية وهو أخذ بفرزه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله قد نزل الرحمن في تنزيله
بأن خير القتل في سبيله نحن قتلناكم على تأويله
وفي رواية بهذا الاسناد بعينه :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
يا رب إني مؤمنٌ بقبيله

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله (ص) دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بحجته . قال ابن هشام من غير علة ، والمسلمون

يشتنون حوله وعبد الله بن رواحة يقول :

بسم الذي لأدين لإلا دينه بسم الذي محمد رسول الله

خلوا بني الكفار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم خرج رسول الله (ص) من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع وهو الشهر الذي صده المشركون عن المسجد الحرام حتى إذا بلغ يأجيج وضع الاداة كلها الحجف والمجان والرماح والنبيل ودخلوا بسلاح الراكب السيوف وبعث رسول الله (ص) بين يديه جعفر بن أبي طالب الى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها الى العباس وكان تحتها أختها أم الفضل بنت الحارث فزوجها العباس رسول الله (ص) فلما قدم رسول الله (ص) أمر أصحابه قال « اكشفوا عن المناكب واسموا في الطواف » ليرى المشركون جلدكم وقوتهم وكان يكادهم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله (ص) وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله (ص) متوشحاً بالسيف وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله أنا الشهيد أنه رسول الله

قد أنزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على رسول الله

فاليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله (ص) غيظاً وحنقاً ، ونفاسة وحسداً . وخرجوا الى الخندمة فقام رسول الله (ص) بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله (ص) في مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد بن عبادة : كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج ، ثم نادى رسول الله (ص) سهيلاً وحويطلاً فقال : « إن قد ركت فيكم امرأة : يضركم أن أمكت حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا » فقالوا نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله (ص) أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله (ص) حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله (ص) أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء

وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله (ص) ، بسرف فبني بها ثم أديج فسار حتى أتى المدينة ، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله (ص) . ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة [الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص] فاعتمر رسول الله (ص) في الشهر الحرام الذي صد فيه . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ففي صحيح البخاري من طريق قليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) خرج معتمراً ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا ، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كن صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج . وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدم فيه المشركون وقال أبو داود ثنا النفيلي ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن ميمون سمعت أبا حنيفة الجديري يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمراً فلم حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة وبعث معي رجال من قومي بهدي ، قال فلما اتهمنا إلى أهل الشام منعوا أن ندخل الحرم ، قال فنحرت الهدى مكاني ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي فأتيت ابن عباس فسألته فقال : أبدل الهدى فان رسول الله (ص) ، أمر أصحابه أن يبدلوا الهدى الذي نحرروا عام الحديبية في عمرة القضاء . تفرد به أبو داود من حديث أبي حنيفة عثمان بن حنيفة الجديري عن ابن عباس فذكره . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني عمرو بن ميمون قال : كان أبي يسأل كثيراً أهل كان رسول الله (ص) ، أبدل هديه الذي نحر حين صدم المشركون عن البيت ؟ ولا يجد في ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حنيفة الجديري عن ذلك فقال له : على الخبير سقطت ، حججت عام ابن الزبير في الحصر الأول فاهديت هدياً فحالوا بيننا وبين البيت ، فنحرت في الحرم ورجعت إلى اليمن وقلت لي رسول الله (ص) ، أسوة ، فلما كان العام المقبل حججت فقلت ابن عباس فسألته عما نحرت على بئله أم لا ؟ قال نعم فأبدل ، فان رسول الله (ص) ، وأصحابه قد أبدلوا الهدى الذي نحرروا عام صدم المشركون فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، فعزت الأبل عليهم فرخص لهم رسول الله (ص) ، في البقر .

وقال الواقدي : حدثني غاتم بن أبي غاتم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : جعل رسول الله (ص) ، فاجية بن جندب الأسدي على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعى في الشجر معه أربعة

فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله (س) ، في عمرة القضية ستين بدنة . فحدثني محمد بن نعيم الجمر
عن أبيه عن أبي هريرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها . قال الواقدي وسار رسول الله (س) .
يلبي والمسلمون معه يلبون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيول إلى مر الظهران فيجد بها نفرآ من قريش ،
فسألوا محمد بن مسلمة ؟ فقال هذا رسول الله (س) . يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله ، ورأوا سلاحا
كثيرآ مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فاخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيول ،
ففرغت قريش وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا وهدنتنا فقيم يفزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل
رسول الله (س) ، مر الظهران ، وقدم رسول الله (س) ، السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى
أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الـاحنف في نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج
ورسول الله (س) . في أصحابه والمهدي والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا يا محمد ما عرفت صغيرآ ولا
كبيرآ بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافرين
السيوف في القرب ، فقال النبي (س) . « إني لا أدخل عليهم السلاح » فقال مكرز بن حفص : هذا
الذي تعرف به البر والوفاء ، ثم رجع سريعا بأصحابه إلى مكة . فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر
النبي (س) ، خرجت قريش من مكة إلى رؤس الجبال وخلوا مكة وقالوا لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه ،
فامر رسول الله (س) ، بالمهدي أماءه حتى حبس بندي طوى ، وخرج رسول الله (س) ، وأصحابه وهو
على ناقته القصواء وهم محدقون به يلبون وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذي طوى وقف
على ناقته القصواء وابن رواحة أخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله
إلى آخره

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله (س) ، وأصحابه ، ببيعة رابطة -
يعنى من ذى القعدة سنة سبع - فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حتى يثرب ، فامر
رسول الله (س) ، أن يرملوا الاشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط
كلها إلا الإبقاء عليهم . قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ثنا اسماعيل بن زكريا عن عبد الله
ابن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله (س) ، لما نزل مر الظهران من عمرته بلغ أصحاب
رسول الله (س) ، أن قريشا تقول : ما يتباعثون من العجب ، فقال أصحابه : لو انتحروا من ظهرنا
فأكلنا من لحومهم وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جماعة ، فقال « لا تفعلوا
ولكن اجمعوا إلى من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشى كل واحد منهم
في جرابه ، ثم أقبل رسول الله (س) ، حتى دخل المسجد وقصبت قريش نحو الحجر ، فاضطجع بردائه
ثم قال « لا يرى القوم فيكم غيرة » فاستلم الزكن ثم رمل حتى اذا تغييب بالركن اليماني مشى إلى الركن

الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالمشي أما أنهم لينفرون نفر الظباء ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة . قال أبو الطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله (ص) ، فعل ذلك في حجة الوداع . تفرد به أحد من هذا الوجه .

قال أبو داود ثنا أبو سلمة موسى ثنا حماد — يعني ابن سلمة — أنبأنا أبو عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله (ص) ، قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا ، قلت ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال صدقوا رمل رسول الله (ص) ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النعف ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله (ص) ، والمشركون من قبل قعقعة مان ، فقال رسول الله (ص) : لأصحابه « ارملوا بالبيت ثلاثاً » قال وليس بسنة . وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبي بكر ثلاثهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن ابن عباس به نحوه . وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله (ص) ، رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجمرات أيضاً كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره . وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان وقد أطال الله الأسلام ؟ ومنع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله (ص) ، ، وموضع تقرير هذا كتاب الاستكلام . وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة كما ثبت في الصحيحين من حديث سفیان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن ابن عباس قال : إنما سمى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفاء والمروة ليرى المشركين قوته . لفظ البخاري . وقال الواقدي : لما قضى رسول الله (ص) ، نسكه في القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظاهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله (ص) ، أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم - بن لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول ! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك فغطوا وجوههم . قال الحافظ البيهقي : قد أكرم الله أكثرهم بالاسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان في عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح والله أعلم .

قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن اسحاق : حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله (ص) وأصدقها غنم أربع مائة درهم وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله (ص) لها وهي راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه رسول الله (ص) . قال وفيها نزلت الآية [وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين] . وقد روى البخاري من طريق أبيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو حلال ، وماتت بسرف . قال البيهقي : وروى الدارقطني من طريق أبي الأسود يقيم عروة ومن طريق مطر الرزاق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو حلال . قال وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرماً أي في شهر حرام كما قال الشاعر :

تتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا فدعا فلم أر مثله مخذولا

أي في شهر حرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ، لأن الرواية متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ولا سيما قوله تزوجها وهو محرم وبني بها وهو حلال ، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً وهو شهر حرام . وقال محمد بن يحيى الذهلي : ثنا عبد الرزاق قال قال لي الثوري : لا يلتفت إلى قول أهل المدينة . أخبرني عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج وهو محرم ، قال أبو عبد الله قلت لعبد الرزاق روى سفيان الحديثين جميعاً عن عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؟ قال نعم أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا - يعني باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم - يعني بمكة - وأخرجه في الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به . وفي صحيح البخاري من طريق الأوزاعي أنبأنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو محرم . فقال سعيد بن المسيب : وهم ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما أحل . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثني بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله (ص) نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته ، إنما قدم رسول الله (ص) مكة فكان الحل والنكاح جميعاً فشبّه ذلك على ابن عباس . وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن

يزيد بن الأصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت : تزوجني رسول الله (ص)، ونحن حلال بسرف . لكن قال الترمذي : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلًا أن رسول الله (ص)، تزوج ميمونة . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني الزاهد ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا مطر الوراق عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله (ص)، ميمونة وهو حلال وبني بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما . وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذي حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلًا ، ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلًا قلت : وكانت وقتها بسرف سنة ثلاث وستين ويقال سنة ستين رضي الله عنها ذكر خروجها (ص) من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قریشاً بعثوا إليه حويطب بن عبد العزى بعد مضي أربعة أيام^(١) ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم وإنما أراد تأليفهم بذلك فأبوا عليه وقالوا بل اخرج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن اسحاق^(١) وقال البخاري حدثنا حميد الله بن موسى عن اسراييل عن أبي اسحاق عن البراء قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قالوا لا تقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله قال « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلي ابن أبي طالب « أمح رسول الله » قال لا والله لا أحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة إلا السيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها ، فلما دخل ومضى الاجل أتوا علياً فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم فتناولها على فأخذ بيدها وقال لفاطمة درك ابنة عمك ، فحملتها فاختهم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي : أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحي ، وقال زيد : ابنة أخي فقضى بها النبي (ص)، نكاحها وقال « انكحة » وقال « أنت أمي » وقال لعلي « أنت مني وأنا منك » وقال جعفر « أشبهت خلقي وخلقي » وقال زيد « أنت أخونا ومولانا » قال علي ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال « إنها ابنة أخي من الرضاة » .

(١-١) كذا في الاصل وفي سيرة ابن هشام : ثلاثة أيام وأما حويطب في اليوم الثالث .

تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد روى الواقدي قصة ابنة حمزة فقال حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأما سلمى بنت عيسى كانت بمكة ، فلما قدم رسول الله (س) ، كلم علي بن أبي طالب رسول الله (س) ، فقال : علام ترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرائي المشركين ؟ فلم ينه النبي (س) ، عن إخراجها ، فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة وكان وصي حمزة ، وكان النبي (س) ، قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال أنا أحق بها ابنة أخي ، فلما سمع بذلك جعفر قال : الخلة والدة وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عيسى وقال علي : ألا أرا كم تختصمون هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين : وليس لكم اليها سبب دوني وأنا أحق بها منكم فقال النبي (س) ، : أنا أحكم بينكم ، أما أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلتي وخلتي ، وأنت يا جعفر أولى بها تحتك خالتها ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها ، فنقض بها لجعفر . قال الواقدي : فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فاجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذا يا جعفر ؟ فقال يا رسول الله كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فاجل حوله ، فقال للنبي (س) ، : تزوجها فقال : ابنة أخي من الرضاعة ، فزوجها رسول الله (س) ، سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي (س) ، يقول : « هل جزيت أباً سلمة » . قلت : لانه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوج رسول الله (س) ، بامه أم سلمة ، لانه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ورجع رسول الله (س) ، إلى المدينة في ذي الحجة ، وتولى المشركون تلك الحجة . قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فلم مالم تعلموا فجل من دون ذلك فتحا قريباً] (يعني خبير) .

قصة أبي سلمة

ذكر البيهقي هاهنا سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم ، ثم ساق بسنده عن الواقدي حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال : لما رجع رسول الله (س) ، من عمرة القضية رجع في ذي الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين فارساً فخرج العيين إلى قومه فحذروهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيراً وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم ممدون ، فلما أن رأوا أصحاب رسول الله (س) ، ورأوا جمعهم دعواهم إلى الاسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم اليه فرمواهم ساعة وجعلت الامداد تأتي حتى أحرقوا بهم من كل جانب ، فقاتل

القوم قتلاً شديداً حتى قتل عاشرهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة فمجايل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدي في الحجة من هذه السنة - يعني سنة سبع - رد رسول الله (ص) ، ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع وقد قدمنا الكلام على ذلك ، وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين وقد أسلمتا في الطريق ، وغلّام خصي . قال الواقدي : وفيها اتخذ رسول الله (ص) منبره درجتين ، ومقعداً ، قال والنبت عندما أنه عمل في سنة ثمان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن اسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي (١) وذلك في سنة خمس من الهجرة ، وأما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضاء فروى من طريق الواقدي أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام محابياً معانداً ، حضرت بدرًا مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحدًا فنجوت ، ثم حضرت الخندق فنجوت ، قال فقلت في نفسي كم أوضع والله ليظهرن محمداً على قريش فلحقت بمالي بالرهط وأقلت من الناس - أي من لقائهم - فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله (ص) في الصلح ، ورجعت قريش إلى مكة ، جعلت أقول يدخل محمد قايلاً مكة بأصحابه ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج ، وأنا بعد ناثي عن الإسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم ، قد دبت مكة وجمعت رجالاً من قومي وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم ، فقلت لم كيف أنا فيكم ؟ قالوا ذورأينا ومدرهنا في يمن نفسه وبركة أمر ، قال قلت تعلمون أني والله لأرى أمر محمد أمراً يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت رأياً قالوا وما هو ؟ قلت نلحق بالنجاشي فنكون معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي

(١) واسمه سلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور قتله خمسة من أصحاب رسول الله بخيبر .

نكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن ظهر قريش فنحن من قد عرفوا ، قالوا هذا الرأي ، قال قلت فاجمعوا ما نهديه له - وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم - فحملنا أدم كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله (س) قد بعثه بكتاب كتبه بزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ،^(١) فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فاعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سرت قريش وكنت قد أجزأت عنها حتى قتلت رسول محمد ، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال مرحباً بصديقي أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال قلت نعم أيها الملك أهديت لك أدم كثيراً ثم قدمته فاعجبه وفرق منه شيئاً بين بطارفته وأمر بسائرته فدخل في موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقتله ، فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر بمنخراي فجعلت أتلقى الدم بثيابي فاصابني من الدمل ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فرقا منه ، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك ، قال فاستحيا وقال : يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى لتقتله ؟ قال عمرو فخير الله قلبي عما كنت عليه ، وقلت في نفسي عرف هذا الحق والعرب والمعجم وتخالف أنت ثم قلت أشهد أيها الملك بهذا ؟ قال نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت أتبايعني له على الاسلام ؟ قال نعم فبسط يده فبايعني على الاسلام ، ثم دعا بطست فغسل عني الدم وكساني ثياباً - وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فالتقيتها - ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك وقالوا هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم كرهت أن أكله في أول مرة وقلت أعود إليه ، فقالوا الرأي ما رأيته . قال ففارقتهم وكأني أعمد إلى حاجة فعمدت إلى موضع السفن فاجد سفينة قد شحنت تدفع ، قال فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعبة وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً وأحدهما داخل في الخيمة والآخر بمسك الرحلتين ، قال فنظرت فإذا خالد بن الوليد ، قال قلت أين تريد ؟ قال محمداً ، دخل الناس في الاسلام فلم يبق أحد به طعم ، والله لو أقت

(١) هكذا في الأصل ، وفي ابن هشام كان قد جاء في شأن جعفر وأصحابه ، وفي السهيلي أنه جاء بكتاب النبي (س) وكان فيه دعوته إلى الاسلام .

لاخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مفارقتها، قلت وأنا الله قد أردت محمداً وأردت الاسلام، فخرج
 عثمان بن طلحة فرحب بي فزلنا جميعاً في المنزل، ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة فما أنس قول رجل لقيناه
 بيثر أبي عتبة يصيح : يارباح يارباح يارباح ، فتفاءلنا بقوله ومرنا ، ثم نظر إلينا فأصممه يقول : قد
 أعطت مكة المقادة بعد هذين ، وظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد وولي مديراً إلى المسجد
 سريراً فظننت أنه بشر رسول الله (س)، بقدمونا فكان كما ظننت ، وأنحنا بالحرة فلبسنا من صالح
 ثيابنا ، ثم نودي بالمصر فانطلقنا على أظلعنا عليه ، وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا
 فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست
 بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه . قال فبايعته على أن يفتر لي ما تقدم من ذنبي ولم
 يحضرنى ما تأخر ، فقال : إن الاسلام يجب ما كان قبله ، والهجرة يجب ما كان قبلها ، قال فوالله
 ما عدل بي رسول الله (س)، وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزيه منذ أسلمنا ، ولقد كنا
 عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة وكان عمر على خالد كالعائب . قال
 عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي : قد كرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب فقال : أخبرني راشد
 بن حبيب بن أبي أوس الثقفى عن مولاة حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك روى محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن راشد عن مولاة حبيب [قال]
 حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قد كرم ما تقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع ، وسياق الواقدي
 أبسط وأحسن . قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد : قلت ليزيد بن أبي حبيب وقت لك منى
 قدم عمرو وخالد ؟ قال لا إلا أنه قال قبل الفتح ، قلت فإن أبي أخبرني أن عمرا وخالداً وعثمان بن
 طلحة قدموا لالهلال صفر سنة ثمان ، رسيأتى عند وفاة عمرو من صحيح مسلم ما يشهد لسياق اسلامه
 وكيفية حسن صحبته لرسول الله (س)، مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة
 مباشرته لإمارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضي الله عنه .

طريق اسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت أبي
 يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرتني
 رشدي ، قلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد (س)، ، فليس في موطن أشهد إلا انصرف
 وأنا أرى في نفسي أنى موضع في غير شيء ، وأن محمداً سيظهر ، فلما خرج رسول الله (س)، إلى
 المدينة خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله (س)، في أصحابه بعسفان ، فقامت بأزائه

وتعرضت له فصلى باصحابه الظهر أما مناه فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فاطلع على ما في أنفسنا من الهم به فصلى باصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقماً وقلت الرجل ممنوع فاعتزلنا ، وعدل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعتهم قريش بالرواح قلت في نفسي أى شئ بقى ؟ أين أذهب الى النجاشى ؟ فقد اتبع محمد وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج الى هرقل فأخرج من ديني الى نصرانية أو يهودية ، فأقيم في عجم ، فأقيم في داري بمن بقى فانا في ذلك إذ دخل رسول الله (س) مكة في عمرة القضاء فتغييت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي (س) في عمرة القضاء ، فطلبني فلم يجدني فكتب الى كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ! ومثل الاسلام جهله أحد ؟ وقد سألت رسول الله (س) عنك وقال أين خالد ؟ فقلت يأتي الله به ، فقال « مثله جهل الاسلام ؟ ولو كان جمل نسكايته وجده مع المسلمين كان خيراً له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة . قال فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرني سؤال رسول الله (س) ، وأرى في النوم كأنني في بلاد ضيقة بمجدة فخرجت في بلاد خضراء واسعة فقلت إن هذه لرؤيا ، فلما أن قدمت المدينة قلت لأذكركها لابي بكر ، فقال مخرجك الذي هداك الله للاسلام . والضيق الذي كنت فيه من الشرك ، قال فلما أجمعت الخروج الى رسول الله (س) قلت من أصحاب الى رسول الله (س) ؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه إنما نحن كاضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فان شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الإباء فقال : لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً . فانترقنا وقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية ، قلت فاكم على قال لا أذكرك . فخرجت الى منزلي فأمرت بإحلتى فخرجت بها الى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت إن هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قتل من آبائه فذكرت أن أذكرك ، ثم قلت وما على وأنا راحل من ساعتى فذكرت له ما صار الأمر اليه فقلت إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذئب من ماء نخرج ، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبي فأسرع الاجابة ، وقلت له اني غدوت اليوم وأنا أريد ان اغدو وهذه راحلتى بنفج مناخة ، قال فالتفت أنا وهو بإجيج إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه ، قال فادجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التفتينا بإجيج ، فغدونا حتى انتهينا الى الهدية فوجد عمرو بن العاص بها ، قال مرحباً بالقوم فقلنا وبك ، فقل إلى أين مسيركم ؟ فقلنا وما أخرجك ؟ فقال وما أخرجكم ؟ قلنا الدخول في الاسلام واتباع محمد (س) ، قال وذاك الذي أقدمني ، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنجنا بظهر الحرة

ركابنا فآخبر بنا رسول الله (ص)، فسر بنا، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله (ص)،
 فلقيني أخى: فقال أسرع فإن رسول الله (ص) قد أخبر بك فسر بقدمك وهو ينتظركم، فأمرتنا
 المشى فاطلمت عليه فما زال يتبسم إلى حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه
 طلق، فقلت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال « تعال » ثم قال رسول الله (ص)
 « الحمد لله الذى هدانا لهذا قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » قلت يا رسول
 الله إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادعوا الله أن يغفرها لى،
 فقال رسول الله (ص): « الاسلام يجب ما كان قبله » قلت يا رسول الله على ذلك، قال « اللهم اغفر
 لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صدق عن سبيل الله ». قال خالد: وتقدم عثمان وعمر وفبايما
 رسول الله (ص)، قال وكان قدومنا في صفر سنة ثمان، قال والله ما كان رسول الله (ص) يعدل بي
 أحداً من أصحابه فيما حزه.

سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن

قال الواقدي: حدثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن عمر بن الحكم قال
 بعث رسول الله (ص)، شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن وأمره أن يغير
 عليهم، فخرج وكان يسير الليل ويمكن النهار حتى جاءهم وهم غارتين، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا تمنعوا
 في الطلب، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة
 عشر بعيراً كل رجل [وزعم غيره أنهم أصابوا سبياً أيضاً وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة]
 ثم قدم أهلهم مسلمين فشاور النبي (ص)، أميرهم في ردهن إليهم، فقال نعم فردوهن وخير التي عنده
 الجارية فاختارت المقام عنده، وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك
 عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص)، بعث سرية قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر، قال
 فأصبنا إبلاً كثيراً فبلغت سهامنا اثنا عشر بعيراً ونفلنا رسول الله (ص)، بعيراً بعيراً أخرجاه في
 الصحيحين من حديث مالك، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ومن حديث عبد الله بن عمر عن
 نافع عن ابن عمر بنحوه [وقال أبو داود حدثنا هناد حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن
 ابن عمر] قال بعث رسول الله (ص)، سرية إلى نجد فخرجت فيها فأصبنا نعماً كثيراً فنفلنا أميرنا
 بعيراً بعيراً لكل إنسان، ثم قدمنا على رسول الله (ص)، فقسم بيننا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا
 اثنا عشر بعيراً بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله (ص)، بالذي أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع
 بكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنقله.

سرية كعب بن عمير الى بني قضاة

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبد الله الزهري قال بعث رسول الله (س) كعب بن عمير الففاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا الى ذات اطلاق من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعوم الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله (س) قاتلهم أشد القتال حتى قتلوا ، فارتث منهم رجل جريح في القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله (س) ، فهم بالبعثة اليهم فبلغه اتهم ساروا الى موضع آخر .

غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف الى ارض البلقاء من ارض الشام . قال محمد بن اسحاق بعد قصة عمرة القضية . فأقام رسول الله (س) بالمدينة بقية ذي الحجة ، - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفرآ وشهري ربيع وبعث في جمادى الاولى بعثه الى الشام الذين اصابوا بمؤتة . فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله (س) بعثه الى مؤتة في جمادى الاولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن عمرو بن الحكم عن ابيه قال : جاء النعمان ابن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله (س) مع الناس ، فقال رسول الله (س) « زيد بن حارثة أمير الناس ، فان قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فان قتل عبد الله بن رواحة فليمرض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم » . فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ ان الانبياء في بني اسرائيل كانوا اذا سموا الرجل على القوم فقالوا ان أصيب فلان فلان : فلو سموا مائة أصيبوا جميعاً ، ثم جعل يقول لزيد اعهد فانك لا ترجع أبداً إن كان محمد نبياً . فقال زيد : أشهد أنه نبي صادق . بار . رواه البيهقي .

قال ابن اسحق : فلما حضر خروجه ودع الناس امراء رسول الله (س) وسلموا عليهم ، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى ، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم . ولكني سمعت رسول الله (س) يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار [وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً] فليست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الياء الحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرعٍ تقذف الزبدا
أو طعنة يدي حرانٍ مجبرةٍ بحربةٍ تنفذ الأحشاء والكيدا
حتى يقال إذا مروا على جدتي أرشدني الله من غارٍ وقد رشدنا
قال ابن اسحاق: ثم أن القوم تهيئوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه ثم قال:

فثبتت الله ما آتاك من حسنٍ تثبت مومي ونصراً كالذي نصرنا
إني تفرست فيك الخير فافله الله يعلم أني ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر
قال ابن اسحاق: ثم خرج القوم وخرج رسول الله (ص) يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف، قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على أمري ودعته في النخل خير مبيع و خليل
وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو خالد الأحمر عن الحجاج عن الحكم عن مقسم
عن ابن عباس أن رسول الله (ص) بعث إلى مؤتة فاستعمل زيداً، فان قتل زيد فجعفر فان قتل
جعفر فان رواحة، فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي (ص) فرآه فقال « ما خلفك؟ » فقال اجمع
معاك « قال لغدوة أو راحة خير من الدنيا وما فيها ». وقال أحمد ثنا أبو معاوية ثنا الحجاج
عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: بعث رسول الله (ص) عبد الله بن رواحة في سرية
فوافق ذلك يوم الجمعة، قال فقدم أصحابه وقال أتخلف فاصلي مع رسول الله (ص) الجمعة ثم الحقم،
قال فلما صلى رسول الله (ص) رآه فقال « ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟ » فقال أردت أن أصلي
معاك الجمعة ثم الحقم، فقال رسول الله (ص) « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم ». وهذا الحديث قد رواه الترمذي من حديث أبي معاوية عن الحجاج - وهو ابن أرطاة - ثم علاه الترمذي بما حكاه عن شعبة أنه قال لم يسمع الحكم عن مقسم الا خمسة احاديث وليس هذا منها. قلت والحجاج بن أرطاة في روايته نظر واذا علم، والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضي أن خروج الامراء إلى مؤتة كان في يوم جمعة والله أعلم.

قال ابن اسحاق: ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل ما ب من أرض البلقاء في مائة الف من الروم، وانضم اليه من خلم وجذام والقين وبهراء وبلي مائة الف منهم عليهم رجل من بلي، ثم لحدا راشة يقال له مالك بن رافلة؛ وفي رواية يونس عز ابن اسحاق فبلغهم أن هرقل نزل بما ب في مائة الف من الروم ومائة الف من المستعربة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا

على مغان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله (ص) نخبره بعدد عنوتنا ، فاما
أن يمدنا بلرجال ، وإما ان يأمرنا بأمره فتمضي له ، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم
والله إن التي تكبرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما قاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ،
ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسين ، إما ظهور وإما
شهادة ، قال فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فضى الناس فقال عبد الله بن رواحة في
محبسهم ذلك :

جلبنا الخيل من اجأ وفرع	تفر من الحشيش الى المعوم
حدوناها من الصوان سبتا	أزل كأت صفحت أديم
أقامت ليلتين على مغان	فأعقب بعد قترتها جوم
فرحنا والجياد مسومات	تنفس في مناخرها فجوم
فلا وأبى ما ب لنايتها	وإن كانت بها عرب وروم
فمأنا أعنتها فجاءت	عوايس والنيار لها يريم
بذي لحب كان البيض فيه	إذا برزت قوائسها النجوم
فراضية المعيشة طلقها	استقنا (١) فتكبح أو تليم

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال : كنت يوما
لعبدا لله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلتين
محمته وهو يمشد أبياته هذه :

إذا أدنيتني وحملت رجلي	مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنتك أنعم وخلاك ذم	ولا أرجع الى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني	بأرض الشام مستنهي (٢) النواء
وردك كل ذي نسب قريب	الى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي بطلع بعل	ولا نخل أسافلها رواء

قال فلما سمعتهن منه بكيت ، فنفقتي بالكرة وقال : ما عليك بالكع أن يرزقني الله الشهادة
وترجع بين شعبي الرجل ؟ ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :
يازيد زيد الأعمال القبل تطلول الليل هديت بانزل

(١) في ابن هشام : أسقتها . (٢) قال السهيلي : مستنهي النواء مستفعل من النهاية والانتها
أي حيث انتهى منواء ، ومن رواء مشهي النواء (كافي الاصل) أي لا أريد رجوعا .

قال ابن اسحاق : ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتمى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك . وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن المقبري عن أبي هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا مالا قبل لاحد به من العدة والسلاح والكرام والديباج والحريز والذهب ، فبرق بصري ، فقال لي ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة ؟ قلت نعم ، قال إنك لم تشهد بداراً معنا ، إنا لم ننصر بالكثرة رواه البيهقي . قال ابن اسحاق ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله (ص) ، حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل ، فكان جعفر أول المسلمين عقر في الاسلام . وقال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد حدثني أبي الذي ارضعني وكان أحمد بن مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكان لي أنظر الى جعفر حين اقتنحهم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حَبِذاً الْجَنَّةُ واقترابها طَيِّبَةٌ وبارداً شرابها

والروم رومٌ قد دنا هذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها على إن لاقيتها ضرابها

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي اسحاق ولم يذكر الشعر ، وقد استدل من جواز قتل الحيوان خشية أن يُلْتَفِعَ به العدو كما يقول أبو حنيفة في الاغنام اذا لم تتبع في السير ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تدبج وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك والله أعلم . قال السهيلي ولم ينكر أحد على جعفر ، فدل على جوازه إلا اذا أمن أخذ العدو له ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً . قال ابن هشام : وحدثني من أئق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بمضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين . قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال حدثني أبي الذي ارضعني وكان أحمد بن مرة بن عوف قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتُنْزِلَنَّ لَتُنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ مَا لِي أَرَاكَ تُسْكِرُهُنِ الْجَنَّةَ

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شئ

وقال أيضاً :

يا نفس إن لا تقتلي تموتي هذا جأص الموت قد صليت
وما تمنيت قد أعطيت إن تفعل فقلها هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرآ ، ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لتيت في أيامك هذه ما لتيت ، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة . ثم جمع الحطمة في ناحية الناس فقال واثت في الدنيا ثم : القاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنه . قال ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم اخو بني العجلان . فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى ^(١) بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس . قال ابن اسحق : ولما أصيب القوم قال رسول الله (س) : - فيما بلغني - أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدآ ، ثم أخذها جعفر (س) بها حتى قتل شهيدآ ، قال ثم صمت رسول الله (س) : حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدآ ، ثم قال لقد دفعوا الى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله ابن رواحة ازورارآ عن سريري صاحبيه ، فقلت عم هذا ؟ ف قيل لى مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى . هكذا ذكر ابن اسحق هذا منقطعا ، وقد قال البخارى ثنا أحمد بن واقد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن انس بن مالك ان رسول الله (س) : نعى زيدا وجعفرآ وابن رواحة للناس قبل أن يأثمهم خبر ، فقال أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فاصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . تفرد به البخارى ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : وما يسرهم أنهم عندنا . وقال البخارى ثنا أحمد بن أبي بكر ثنا مغيرة بن عبد الرحمن الخزومي وليس بالحرامى من عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر . قال أمر رسول الله (س) : في غزوة مؤتة زيد ابن حارثة ، فقال رسول الله (س) : ان قتل زيد لجعفر ، وان قتل جعفر فمجد الله بن رواحة ، قال عبد الله كنت فيهم في تلك الغزوة فالتصنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتل ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من ضربة ورمية تفرد به البخارى أيضا . وقال البخارى أيضا حدثنا أحمد ثنا ابن

(١) في السهيل : الخاشاة المهاجرة وهى مفاعلة من الخشية لانه خشى على المسلمين اقله عديم .

ثم قال : ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الخشى وهى الناحية . وقبل حاشى بهم انحاز بهم .

وهب عن ابن عمرو عن أبي هلال - هو سعيد بن أبي هلال الليثي - قال : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره ، وهذا أيضاً من أفراد البخاري . ووجه الجميع بين هذه الرواية والتي قبلها أن ابن عمر اطلع على هذا العدد ، وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، وإن هذه في قبله أصيبت قبل أن يقتل ، فلما صرع إلى الأرض ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعد ابن عمر ما كان في قبله وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل رضي الله عنه . ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخاري ثنا محمد بن أبي بكر ثنا عمر بن علي عن اسمعيل بن أبي خلاد عن عامر قال كان ابن عمر إذا جئ ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذى الجناحين . ورواه أيضاً في المناقب والنسائي من حديث يزيد بن هرون عن اسمعيل بن أبي خالد ، وقال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفيان بن اسمعيل عن قيس بن أبي حازم قال سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية . ثم رواه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن اسمعيل حدثني قيس سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت في يدي صفحة يمانية انفرد به البخاري . قال الحافظ أبو بكر البيهقي ثنا أبو نصر بن قتادة ثنا أبو عمرو مطر ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجعي ثنا سليمان بن حرب ثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن معمر قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري وكانت الأنصار تقفه ، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه فقال أبو قتادة فارس رسول الله (س) ، قال بعث رسول الله (س) جيش الأمراء وقال عليكم زيد بن حارثة ، وقال إن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال فوثب جعفر وقال يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل زيدا على قال امض فانك لا تدري أي ذلك خير ، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله فضعف رسول الله (س) ، المنبر فامر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله (س) فقال أخبركم عن جيشكم هذا ، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشده على القوم حتى قتل شهيداً شهده بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله ابن رواحة فثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ثم قال رسول الله (س) : « اللهم إني سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمى خالد سيف الله . ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو أنه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع إليه الناس قال بلب خير بلب خير وذكر الحديث . وقال الواقدي حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم . قال : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله (س) على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر

الى معتركهم ، قال أخذ الراية زيد بن حارثة فجاء الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ، وحبب اليه الدنيا فقال الآن استحكم الايمان في قلوب المؤمنين فحبب الي الدنيا ، فمضى قديما حتى استشهد فمضى عليه رسول الله (ص) ، وقال استغفروا له فقد دخل الجنة وهو شهيد . قال الواقدي وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (ص) ، قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومنه الدنيا فقال الآن حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين بمنيتي الدنيا ، ثم مضى قديما حتى استشهد فمضى عليه رسول الله (ص) ، وقال استغفروا لخيركم فانه شهيد دخل الجنة وهو يطير في الجنة بمجنحين من ياقوت حيث يشاء في الجنة ، قال ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضا فشق ذلك على الأنصار فقبل يا رسول الله ما أعترضه ؟ قال لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة فمضى عن قومه . قال الواقدي وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله (ص) ، الآن حي الوطيس . قال الواقدي فحدثني العطف بن خالد قال لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد فلما أصبح فدا وقد جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميسرته قال فانكروا ما نأتوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد ، فرددوا وانكشفوا منهزمين ، قال فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه فانه قال بعد عمرة الحديبية ثم صدر رسول الله (ص) ، الى المدينة فكث بها ستة أشهر ثم إنه بعث جيشا الى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب جعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فبعده الله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فاغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا على زرع أحمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ثم اصطالح المسلمون بعد إصرار رسول الله (ص) ، على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو وظهر المسلمين قال وبعثهم رسول الله (ص) ، في جمادى الاولى - يعني سنة ثمان - قال موسى بن عقبة : وزعموا ان رسول الله (ص) ، قال مر على جعفر في الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان . قال وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدم على رسول الله (ص) ، فخبّر أهل مؤتة فقال له رسول الله (ص) ، ان شئت فاخبرني وان شئت أخبرك ، قال أخبرني يا رسول الله قال فاخبرهم رسول الله (ص) ، خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله (ص) ، « ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معتركهم » فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن اسحاق وفيه مخالفة لما ذكره ابن اسحاق من أن خالد إنما

حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بانهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه . ورواه البخاري وهذا هو الذي رجحه ومال اليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن اسحاق وبين قول الباقر وهو أن خالد لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلعهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة ، فلما أصبح وحول الجيش مينة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي توم الروم أن ذلك عن مدد جاء الى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بأذن الله والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر عن عروة قال لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله (س) ، والمسلمون معه قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله (س) مقبل مع القوم على دابة فقال : خسونا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه [فجعلوا يحشون عليهم بالتراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله ، فقال رسول الله (س) : « ليسوا بالفرار ولكنهم السكران إن شاء الله هز وجل » وهذا رسل من هذا الوجه وفيه غرابة ، وعندى أن ابن اسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله (س) للمسلمين وهو على المنبر في قوله ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسخمونهم فرارا بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراما واعظاما ، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . قال الامام احمد حدثنا حسن ثنا زهير ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله (س) ، فخاص الناس حبيصة وكنت فيمن خاص ، فقلنا كيف لصنع وقد فررنا من الزحف وبقينا بالنضيب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة قتلنا ، ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله (س) ، فان كانت لنا توبة والا ذهبنا ، فأثينا قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال من القوم ؟ قال قلنا نحن فرارون ، فقال لا بل انتم السكران انا فئتكم وانا فئة المسلمين ، قال فاثينا حتى قبلنا يده . ثم رواه غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر قال : كنا في سرية ففررنا فاردنا أن نركب البحر ، فاثينا رسول الله (س) ، فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون ، فقال لا بل انتم المكارون رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي حسن لا نعرفه الا من حديثه . وقال احمد حدثنا اسحاق بن عيسى وأسود بن عامر قالا : حدثنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن عمر قال : بعثنا رسول

الله (س)، في سرية ، فلما لقينا العدو انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في غر ليلاً فاختفيناً ثم قلنا لو خرجنا الى رسول الله (س)، واعتذرنا اليه ، فخرجنا اليه ثم التقيناه قلنا نحن الفرارون . ارسول الله قال « بل أنتم المكارون وانا فتشكم » قال الاسود « وانا فئة كل مسلم » وقال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أم سلمة زوج النبي (س)، قالت لا سراًة سلمة بن هشام بن المنيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله (س)، ومع المسلمين ، قالت ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يفرار فررتهم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو على ما ذكره مائتي الف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله ، ويؤيد ذلك ويشا كله بالصحة ما رواه الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبيرة بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ومدوى من الان ليس معه غير سيفه فنحزرجل من المسلمين جزوراً فسأله المدوى طابقة من جلده فاعطاه اياه فأتخذه كهيئة الدرقه ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له اشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يفرى بالمسلمين ، وقعد له المدوى خلف صخرة فر به الرومي فمرقبه نحر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث اليه خالد بن الوليد يأخذ من السلب ، قال عوف فاتيتته فقلت ياخالد اما علمت ان رسول الله (س)، قضى بالسلب للقاتل ؟ قال بلى ولكني استكثر به ، فقلت به ؟ فقلت لتردنه اليه اولا عرفنكها عند رسول الله (س)، ، فابي أن يرد عليه . قال عوف فاجتمعنا عند رسول الله (س)، فقصصت عليه قصة المدوى وما فعل خالد فقال رسول الله (س)، « ياخالد رد عليه ما أخذت منه » قال عوف فقلت دونك ياخالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله (س)، وما ذاك فاخبرته فغضب رسول الله (س)، وقال « ياخالد لا ترد عليه هل أنتم تاركوا أمرائي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » قال الوليد سألت ثورا عن هذا الحديث فحدثني عن خالد بن ممدان عن جبيرة بن نفير عن عوف بنحوه . ورواه مسلم وأبو داود عن حديث جبيرة بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالداً رضى الله عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي الا صفحة يمانية ، وهذا يقتضي أنهم اتخذوا فيهم قتلاً ولولم يكن كذلك لما قد رواه على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو

اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي وحكاية ابن هشام عن الزهري . قال البيهقي رحمه الله :
اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب الى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا
على المشركين وأن المشركين انهزموا . قال وحديث أنس بن مالك عن النبي (ص) : « ثم أخذها خاله
ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم . الله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن اسحاق أن قطبة بن قيس العذري - وكان رأس ميمنة المسلمين - حمل على
مالك بن رافة ويقال رافة . وهو أمير أرباب النصارى فقتله وقال يفخر بذلك :

طعنتُ ابنَ رافةَ بنَ الاراشِ يرمحُ مضى فيه ثم انحطم
ضربتُ على جبينه ضربةً قال كما مال عُصْنُ السَّلَمِ
وسقنا نساءَ بني عَمِّه غداةَ رقوقين سَوَقَ النِّعَمِ

وهذا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش اذا قتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرح في
شعره بأنهم سبوا من نساءهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله أعلم . وأما ابن اسحاق فإنه ذهب الى أنه
لم يكن الا الخاشاة والتخلص من أيدي الروم وصحى هذا نصراً وفتحاً أى باعتبار ما كانوا فيه من
إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى المادات أن يصطلحوا بالكلية ،
فلما نخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام وهذا متحمل لكنه خلاف الظاهر
من قوله عليه الصلاة والسلام « ففتح الله عليهم » والمقصود أن ابن اسحاق يستدل على ما ذهب اليه
بقوله : وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن
الحسر البعري يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

قوالله لا تنفك نفسي تلومني على موقني والليل قابعة قبل
وقفتُ بها لا مستعجراً فنافذاً ولا مانعاً من كان حُكْمَ له القتل
على أنني آسيتُ نفسي بخالدٍ ألا خالد في اليوم ليس له مثل
وجاشتُ الى النفس من نحو جعفرٍ بموتة إذ لا ينفعُ النَّابِلُ النَّبْلُ
وضمَّ إلينا حجزتهم كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عُذْلُ

قال ابن اسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره أن القوم جاحزوا وكرهوا
الموت ، وحقق انحياز خالد بن ممة . قال ابن هشام : وأما الزهري فقال - فيما بلغنا عنه - أمر المسلمون
عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع الى المدينة .

فَضَّلَهُ

قال ابن اسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن

جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله (س) وقد دبغت أربعين مناء وعجننت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم ، فقال رسول الله (س) : « إئتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله باني أنت وأمي ما ييكلك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم أصيبوا هذا اليوم » قالت فممت أصيح واجتمع إلى النساء وخرج رسول الله (س) إلى أهله فقال : « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » . وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن اسحاق ورواه ابن اسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان ثنا جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي (س) : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم : أو أتاهم ما يشغلهم » وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة الخزومي المكي عن أبيه عن عبد الله بن جعفر وقال الترمذي حسن . ثم قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي (س) قالت : لما أتني نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله (س) الحزن . قالت فدخل عليه رجل فقال يا رسول الله [إن النساء] عييننا وفتننا ، قال : « أرجع اليهن فأسكنهن » قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت [يقول] وربما ضر التكلف - يعني أهله - [قالت قال فاذهب] فأسكنهن فان أيبن فاحشوا في أفواههن التراب » قالت [وقلت] في نفسي أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله (س) ، قالت وعرفت أنه لا يقدر يحثي في أفواههن التراب . إنفرد به ابن اسحاق من هذا الوجه وليس في شيء من الكتب وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال أخبرني عمرة قالت سمعت عائشة تقول : لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله (س) يعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة وأنا أطلع من صابر الباب - شق - فأنه رجل فقال : أي رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن ، فامرهن أن ينهانهن قالت فذهب الرجل ثم أتني فقال والله لقد غلبتنا ، فزعمت أن رسول الله (س) قال : « فاحث في أفواههن من التراب » قالت عائشة رضى الله عنها فقلت أرغم الله أنفك ، فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله (س) من العناء . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن يحيى بن سعيد الانصارى عن عمرة عنها . وقال الإمام أحمد حدثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعيد عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله (س) جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن قتل زيد أو استشهد فأمرهم كم جعفر ، فان قتل أو استشهد

فأميركم عبد الله بن رواحة « فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي (ص) ، فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتهم ، ثم أتاهم فقال « لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، أدعوا لي بني أخي » قال فجئ بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا لي الخلاق » فجئ بالخلاق فخلق رؤسنا ، ثم قال « أما محمد فشبيهه عننا أبي طالب ، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلق » ثم أخذ بيدي فأشالها وقال « اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات . قال فجاءت أمنا قد كرت له يتمنا وجعلت تفرح ^(١) له فقال « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ » ورواه أبو داود ببعضه ، واللساني في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به ، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام . ثم نهام عنه بعدها . ولله معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله بن شداد عن أسماء أن رسول الله (ص) قال لها لما أصيب جعفر « تسلي ثلاثاً ثم اصنعى ما شئت » تفرد به أحمد فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الاحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الاحداد المعتاد والله أعلم . و يروى تسلي ثلاثاً - أي تصبري ثلاثاً - وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم . فاما الحديث الذي قال الإمام أحمد حدثنا يزيد ثنا محمد بن طلحة ثنا الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله (ص) اليوم الثالث من قتل جعفر فقال لا تحدى بعد يومك هذا . فانه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره لانه قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدى على ميتها أكثر من ثلاثة أيام الأعلى زوج أربعة أشهر وعشراً » فان كان ما رواه الإمام أحمد محفوظاً فتكون مخصوصة بذلك أو هو أمر بالمبالغة في الاحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم والله أعلم .

(١) في النهاية تفسيراً لهذا الخبر : فهو من أفرحه إذا غمه وإزال عنه الفرح (ثم قال) وإن كان بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له حتى قال لها النبي (ص) : تخافين العيلة وأنا وليهم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جُلْدِي أُغْبَرَا
فَلله عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَقِي أَكْرَ وَأَحْيَى فِي الْهَيَاجِ وَأَضْبَرَا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها فخطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة فكان فيهم علي بن أبي طالب ، فلما ذهب الناس استأذن علي أبا بكر رضي الله عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها علي : — علي وجه البسط — من القائلة في شعرها :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جُلْدِي أُغْبَرَا ؟

قالت دعنا منك يا أبا الحسن فانك امرؤ فيك دعاية . فولدت للصديق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله (ص) ، ذاهب إلى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل ونهل وسيأتي في موضعه ، ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب وولدت له أولاداً رضي الله عنه وعنهما وعنهم أجمعين .

فَضِيَّةُ بَنِي كَلْبٍ

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله (ص) ، والمسلمون ، قال ولقيهم الصبيان يشتمون ورسول الله (ص) . « قبل مع القوم على دابة ، فقال » خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر « فأتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال وجعل الناس يحشون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررت في سبيل الله ! قال فيقول رسول الله (ص) : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله » وهذا مرسل . وقال الامام أحمد ثنا أبو معاوية ثنا عاصم عن مؤرق المعجلي عن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله (ص) ، اذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته ، وأنه قدم من سفر فسبق في اليه ، قال فحملني بين يديه ثم قال « جيء بأحد بني فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة . وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الاحول عن مؤرق به . وقال الامام أحمد ثنا روح حدثنا ابن جريج ثنا خالد بن سارة أن أباها أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيته يوماً وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب اذ مر النبي (ص) ، على دابة فقال « ارفعوا هذا الى » فحملني أمامه وقال لقم « ارفعوا هذا الى » فحمله وراه ، وكان عبيد الله أحب الى عباس من قثم فما استحي من عمه أن حمل قثما وتركه قال ، ثم مسح على رأسه ثلاثاً وقال كلما مسح « اللهم اخلف جعفرًا في ولده » قال

قلت لعبد الله ما فعل قم؟ قال استشهد؟ قال قلت الله ورسوله أعلم بالخبر؟ قال أجل. ورواه النسائي في اليوم واللييلة من حديث ابن جريج به. | وهذا كان بعد الفتح فان العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح فاما الحديث رواه الامام أحمد ثنا اسماعيل ثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن أبي مليكة قال قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير: أتذكر اذ تلقينا رسول الله (ص) أنا وأنت وابن عباس؟ قال نعم فحملنا وتركك. وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الاجوبة المسكتة، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه والله أعلم |

فل

في فضل هؤلاء الامراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضى الله عنهم
اما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله (ص) وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فإغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعنته خديجة بنت خويلد، وقيل اشتراه رسول الله (ص)، لها فوهبته من رسول الله (ص)، قبل النبوة فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله (ص)، فاعتقه وتبناه، فكان يقال له زيد بن محمد، وكان رسول الله (ص) يحبه حباً شديداً، وكان أول من أسلم من الموالى، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى [وما جعل أديبائكم أبناءكم] وقوله تعالى [ادعواهم لأبائهم هو أوسط عند الله] وقوله تعالى [ما كان محمد أباً أحد من رجالكم] وقوله [وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ونخفي في نفسك ما الله مبديه ونخشي الناس والله أحق أن نخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها] الآية أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه، ومعنى أنعم الله عليه أى بالاسلام، وأنعمت عليه أى بالعتق، وقد تكلمنا عليها في التفسير، والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره، وهداه الى الاسلام وأعتقه رسول الله (ص)، وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد، فكان يقال له الحب بن الحب، ثم زوجه بابتة عمته زينب بنت جحش وأخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الامرة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه. وقد قال الامام أحمد والامام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة - وهذا لفظه - ثنا محمد بن

عبيد عن وائل بن داود سمعت البهي يحدث أن عائشة كانت تقول : ما بعث رسول الله (س) زيد ابن حارثة في سرية إلا أمره عليهم ، ولو بقي بعد لاستخلفه . ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان عن محمد بن عبيد الطنافسي به . وهذا اسناد جيد قوى على شرط الصحيح وهو غريب جداً والله أعلم . وقال الامام أحمد ثنا سليمان ثنا اسمعيل أخبرني ابن دينار عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله (س) بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فظن بعض الناس في أمرته ، فقام رسول الله (س) فقال : ان تطعنوا في أمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وإيم الله إن كان خليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلى وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده ، وأخرجاه في الصحيحين عن قتيبة عن اسمعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قد كره ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا عمر بن اسمعيل عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : لما أصيب زيد ابن حارثة وجيء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله (س) ، فدمعت عينا رسول الله (س) ، فأخر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « ألقى منك اليوم ما لقيت منك أمس » ، وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم . وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول : « أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب . ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » قال زيان عينية لتذرفان ، وقال وما يسرهم أنهم عندنا . وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة . وقد قال حسان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة :

عين جودي بدمعك المتزود	واذ كرى في الرخاء أهل القبور
واذ كرى مؤتة وما كان فيها	يوم راحوا في وقعة الثغور
حين راحوا وغادروا ثم زيدا	نعم مأوى الضربك والمأسور
حب خير الأنام طراً جميعاً	سيّد الناس حبه في الصدور
ناكم أحد الذي لا يسيوا	ذاك حزني له مبعاً وسروري
إن زيدا قد كان منّا بأمر	ليس أمر المكثب المغرور
ثم جودي للخزرجي بدمع	سيّداً كان ثم غير تزور
قد ألقا من قتلهم ما كفانا	فيحزن نبيت غير سرور

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله (س) ، وكان أكبر

من أخيه على بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكلن طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، أسلم جعفر قديماً وهاجر الى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة والله الحمد . وقد قديم على رسول الله (ص) يوم خيبر فقال عليه الصلاة السلام « ما أدري أنا بأيهما أسر ، أبقدم جعفر أم بفتح خيبر » وقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية « أشبهت خلقي وخلقي » فيقال إنه حجل عند ذلك فرحاً كما تقدم في موضعه والله الحمد والمنة . ولما بعثه الى مؤتة جعل في الامرة مصلياً - أي نائباً - لزيد بن حارثة ، ولما قتل وجدوا فيه بضماً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر ، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء فلما قدما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال إن رجلاً من الروم ضرب به بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله ، وقد أخبر عنه رسول الله (ص) بأنه شهيد ، فهو ممن يقطع له الجنة . وجاء بالاحاديث تسميته بذى الجناحين . وروى البخاري عن ابن عمر أنه كان اذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا ابن ذى الجناحين ، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما في الصحيح عن ابن عمر . قالوا لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين في الجنة وقد تقدم بعض ما روى في ذلك . قال الحافظ أبو عيسى الترمذي : حدثنا علي بن حجر ثنا عبد الله بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال (ص) « رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة » وتقدم في حديث أنه رضي الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثين سنة . وقال ابن الاثير في الغابة كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين ، قال وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسن من على بعشر سنين يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرين سنة ، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة والله أعلم . وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيار لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لاحسانه اليهم . قال الامام احمد وحدثنا عثمان بن وهيب ثنا خالد عن عكرمة عن أبي هريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله (ص) ، أفضل من جعفر بن أبي طالب وهذا إسناد جيد الى أبي هريرة وكأنه إنما يفضله في الكرم ، فاما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصدية . وانفارق بلى وعثمان بن عفان أفضل منه ، واما أخوه على رضي الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه ، وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم بدليل ما رواه البخاري ثنا

أحمد بن أبي بكر ثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهمي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وأني كنت أزم رسول الله (ص) بشبع بطي خبز لا آكل الخبز ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطي بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لاستقري الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان خير الناس للناس كين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العككة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها . تفرد به البخاري . وقال حسان ابن ثابت برني جعفرًا :

ولقد بكيت وعزّ مهلك جعفر	حبّ النبي على البرية كلها
ولقد جزعيت وقلت حين نعت لي	من الجلال لدى العقاب وظلها
بالبيض حين نسل من أغمارها	ضرباً وإنهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر	خير البرية كلها وأجلها
رُزماً وأكرمها جميعاً تحتدا	وأعزها متظلاً وأذلها
للحق حين ينوب غير تنحل	كذباً وأنداهها يدا وأقلها
فحشاً وأكثرها إذا ما يجتدي	فضلاً وأنداهها يدا وأبلها
بالعرف غير محمد لأمثله	حي من أحياء البرية كلها

وأما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس لا كبير بن مالك بن الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمد ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو الانصاري الخزرجي وهو خال النعمان بن بشير ، اخته عمرة بنت رواحة أسلم قديماً وشهد العقبة وكان أحد النقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج وشهد بدر وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وكان يبعثه على خرصها كما قدمنا وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقه رسول الله (ص) وقيل بغرزاها - يعني الركاب - وهو يقول * خلوا بني الكفار عن سبيله * الأبيات كما تقدم . وكان أحد الامراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم وقد شجع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في ذلك وشجع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله (ص) بالشهادة فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . وروى أنه لما أنشد النبي (ص) شعره حين ودعه الذي يقول فيه :

فنبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

قال له رسول الله (ص) « وأنت فنبتك الله » قال هشام بن عروة : فنبته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنة . وروى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى

رسول الله (ص) وهو يخطب فسمعه يقول « نبتلوا » فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي (ص) ، فقال « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » وقال البخاري في صحيحه وقال ابن معاذ اجلس بناؤ من ساعة . وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك فقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد عن عمارة عن زياد النحوي عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال تؤمن بربنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي (ص) « رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة » وهذا حديث غريب جداً . وقال البيهقي ثنا الحاكم ثنا أبو بكر ثنا محمد بن أيوب ثنا أحمد بن يونس ثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى تؤمن ساعة : قال أو لسنا بمؤمنين ؟ قال بلى ولكننا نذكر الله فتزداد إيماناً . وقد روى الحافظ أبو القاسم اللالكاني (١) من حديث أبي الهيثم عن صفوان بن سليم عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا تؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخاري والله الحمد والمثمة . وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء قال : كنا مع رسول الله (ص) في سفر في حر شديد وما فينا صائم إلا رسول الله (ص) ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، ومما نقله البخاري من شعره في رسول الله (ص) :

وفينا رسول الله تتلوا كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استقبلت بالشركين المضاجع
أني بالهذي بعد المعى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

وقال البخاري حدثنا عمران بن ميسرة ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أغنى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي ، واجبلأه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئاً الا قيل لي أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ثنا خيشمة عن حصين عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : أغنى على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه وقد قدمنا ما رواه به حسان بن ثابت مع غيره . وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم :

كفى حزناً أني رجعت وجعفرٌ وزيدٌ وعبد الله في (مسن) أقبر

(١) كذا في الأصل وفي الحلبية : اللالكاني والمحفوظ : اللالكاني .

قَضَوْا تُحَنُّهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخُلِقَتْ لِبَلَوَى . مَعَ التَّغْيِيرِ
وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَقِيَّةَ مَارَتِي بِهِ هَؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ الثَّلَاثِ مِنْ شَعْرِ حَسَانِ بْنِ قَابَتٍ وَكُتِبَ بِنِ
مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا .

فصل في من استشهد يوم مؤتة

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ، ومسعود بن الأسود بن
حارثة بن فضالة العدوي ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، فهؤلاء أربعة نفر . ومن الأنصار عبد الله
ابن رواحة ، وعباد بن قيس الخزرجي ، والحارث بن النعمان بن أساف بن فضالة النجاري ، وسراقة
ابن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر . فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية
علي ما ذكره ابن إسحاق لكن قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهري
أبو كليب وجابر أبنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر
أبنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى فهؤلاء أربعة من
الأنصار أيضاً فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في
الدين أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف
مقاتل ، من الروم مائة ألف ، ومن نصارى العرب مائة ألف ، يتصارفون ثم مع هذا كله
لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلاً وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول
لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي الا صفحة بمائة فإذا ترى قد قتل بهذه
الأسياف كلها ١١ دغ غيره . من الأبطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحسكوا في عبدة الصليان
عليهم لعائن الرحمن ، في ذلك الزمان وفي كل أوان . وهذا مما يدخل في قوله تعالى [وقد كان لكم
في فتنين التقتا فقتل في سبيل الله وأخرى كافرة ترونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره
من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار] .

حديث فيه فضيلة عظيمة لامراء هذه المدينة

وم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم . قال الامام العالم
الحافظ أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازي نصر الله وجهه في كتابه دلائل النبوة - وهو
كتاب جليل - حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ثنا الوليد ثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن

إبراهيم الدمشقي ثنا الوليد وعمرو - يعني ابن عبد الواحد - قال : ثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخبازي يقول أخبرني أبو أمامة الباهلي سمعت رسول الله (ص) يقول « بينا أنا قائم إذا أتاني رجلان فأخذوا بضبعي فأتيا بي جبلا وعراً فقالا اصعد ، فقلت لا أطيقه فقالا إنا سنسهله لك قال فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة فقلت ما هؤلاء الاصوات ؟ فقالا عواء أهل النار ثم انطلقا بي فاذا بقوم معلقين بعراقيهم مشقة أشداقهم تسيل أشداقهم دما فقلت ما هؤلاء ؟ فقالا هؤلاء الذين يفترون قبل نحلة صومهم فقال خابت اليهود والنصارى » قال سليم سمعه من رسول الله (ص) أم من رأيه ؟ « ثم انطلقا بي فاذا قوم أشد شئاً انتفاخاً وأنتن شئاً ريحاً كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قالوا هؤلاء قتلى الكفار ثم انطلقا بي فاذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن شئاً ريحاً كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلقا بي فاذا بنساء ينهش ثديهن الحيات فقلت ما بال هؤلاء ؟ قالوا هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن البائس ثم انطلقا بي فاذا بفلمان يلعبون بين بحرين قلت من هؤلاء ؟ قالوا هؤلاء ذراري المؤمنين ثم أشرفا بي شرفاً فاذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت من هؤلاء ؟ قالوا هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة ثم أشرفا بي شرفاً آخر فاذا أنا بنفر ثلاثة فقلت من هؤلاء ؟ قالوا هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

ما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة

قال ابن اسحاق : وكان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان :

تأؤبني ليل يشرب أعسر	وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى جيب هيجت لي عبرة	سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بليّة	وكم من كريم بيتا ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا	شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا (١)	بؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا (١)	جميعاً وأسباب المنية نخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم	الى الموت ميمون النقيبة أزهـر
أغر كضوء البدر من آل هاشم	أي إذا سيم الظلامه بحصر
قطاعن حتى مال غير مؤيد	بمترك فيه القنا متكسر

(١-١) في الاصول في الموضعين : تتابعوا والتصحيح من ابن هشام .

فصار مع الشهيدين ثوابه
 وكنا نرى في جعفر من محمد
 وما زال في الاسلام من آل هاشم
 هموا جبل الاسلام والناس حولهم
 بهاليل منهم جعفر وابن أمه
 وحمزة والعباس منهم ومنهموا
 بهم تُفرج اللاواء في كل مازق
 هم أولياء الله أنزل حكمه
 وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نأم العيون ودمع عينك بهل
 في ليلة وردت علي همومها
 واعتادني حزن فبت كأنني
 وكأنما بين الجوانح والحشا
 وجداً على النفر الذين تابخوا
 صلى الاله عليهم من رقية
 صبروا بمؤتة للاله نفوسهم
 فضوا أمام المسلمين كأنهم
 إذ يهتدوب بجعفر ولوائه
 حتى تفرجت الصفوف وجعفر
 فتغير القمر المنير لفقده
 قرم على بلياته من هاشم
 قوم بهم عصم الاله عباده
 فضلوا المعاشرة عزّة وتكرماً
 لا يطلقون الى السفاه حباها
 سحاً كما وكف الطباب الخضل^(٢)
 طوراً أخن وقارة أتمل^(٣)
 بينات نعي والتباك موكل
 مما تأوَّبني شهاب منخل
 يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
 وسقى عظامهم الغمام المسيل
 حذر الردى وخفاة أن ينكلوا
 فنقّ عليهم الحديد الرقل
 قدام أولهم فنعم الأول
 حيث التقى وعت الصفوف مجتل
 والشمس قد كسفت وكادت تأفل
 فرعاً أشمّ وسودداً ما ينقل
 وعليهم نزل الكتاب المنزل
 وتغنيت أحلامهم من يجهل
 يرى خطيئهم بحق يفصل

(١) العباس المظلم والأعس الضعيف البصر . (٢) في الأصل الطباء الخضل وهو تصحيف .
 والطباب كما في السهيلي جمع طبابة وهي سير بين خريزتين في المزاودة فإذا كان غير محكم وكف منه
 الماء . وأيضاً جمع طبة وهي شقة مستطيلة . (٣) كذا في الأصل وفي ابن هشام : أتمل .

بيضُ الوجوه ترى بطونَ أكتفهم تتدى إذا اعتدَرَ الزمانُ المحل
وبهتيمَ رضي الآلهُ خلقه وبجدم^(١) نصر النبي المرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بعث رسول الله (ص) الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذي الحجة بعد عمرة الحديبية ، وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول أبي سفيان لم يقل حين سأل هل يغدر فقال لا ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو صانع فيها . وفي لفظ البخاري وذلك في السنة التي مآ فيها أبو سفيان رسول الله (ص) . وقال محمد بن اسحاق : كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام . ونحن نذكر ذلك ها هنا وإن كان قول الواقدي محتملا والله أعلم . وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المصنف عن عبد الأعلى عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه . وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال : كنا قوماً تجارا وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله (ص) ، لا نأمن إن وجدنا أمناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً الا وقد حملني بضاعة ، وكان وجه متعرجنا من الشام غزاة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بمحصر من الشام فخرج منها يمشي متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تبسط له البسط وي طرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى ايلياء فصلى بها فاصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء ، فقالت له بطارقه أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ؟ فقال أجل ، فقالوا وما ذاك ؟ قال أريت في هذه الليلة أن ملكا اختان ظاهراً ، فقالوا والله ما نعلم أمة من الأمم تحتن الا اليهود وهم تحت يديك وفي سلطانك فان كان قد وقع ذلك في نفسك

(١) كذا في الاصول وفي ابن هشام : بجمعهم بلقاء المهلة .

منهم فابعث في مملكته كلها فلا يبقى يهودى الا ضربت عنقه ، فتتريح من هذا الهم . فاتهم في ذلك من رأيهم يدبرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى رجل من العرب قد وقع اليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشام والابل يحدثك عن حدث كان يبلاده فأسأله عنه ، فلما انتهى اليه قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذى كان في بلاده ؟ فأسأله فقال : هو رجل من العرب من قریش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن فخرجت من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال جردوه فإذا هو مختن فقال هذا والله الذى قد أريت لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك . ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له قلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه ، قال أبو سفيان فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا فسالنا ممن أنتم ؟ فأخبرنا فسالنا اليه جميعاً فلما انتهينا اليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الا غلف - يريد هرقل - قال فلما انتهينا اليه قال أيكم أمس به رجماً ؟ فقلت أنا ، قال ادنوه مني ، قال فجلستى بين يديه ثم أمر أصحابي فاجلسهم خلفي وقال : إن كذب فردوا عليه ، قال أبو سفيان فلقد عرفت أنى لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت امرأاً سيدياً أتكرم وأستحي من الكذب وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عنى ثم يتحدثونه عنى بمكة فلم أكذب ، فقال أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج فيكم ، فزهدت له شأنه وصغرت له أمره ، فقلت سألنى عما بدا لك ؟ قال كيف نسبه فيكم ؟ فقلت محضاً من أوسطنا نسباً ، قال فأخبرنى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت لا قال فأخبرنى هل له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث ليردوه عليه ؟ فقلت لا قال فأخبرنى عن اتباعه من هم ؟ فقلت الأحداث والضعفاء والمساكين فاما أشرافهم وذووا الأنساب منهم فلا ، قال فأخبرنى عن صحبه أئحبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه ؟ قلت ما صحبه رجل ففارقه قال فأخبرنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت سجال يدال علينا وندال عليه . قال فأخبرنى هل يغدر فلم أجده شيئاً أغره به إلا هى قلت لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غدرة فيها . فوالله ما التفت إليها منى قال فاطل على الحديث ، قال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه الا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت لا ، وسألتك هل كان له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث ليردوا عليه فقلت لا ، وسألتك عن اتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عن يقيعه أئحبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتدارون عليه وكذلك يكون حرب الأنبياء

ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يندر فرغت أنه لا يندر فلن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت
 قدحى هاتين ولوددت أنى عنده فأغسل عن قدميه ، ثم قال الحق بشأنك قال فقامت وأنا أضرب
 إحدى يدي على الأخرى وأقول : يا عباد الله لقبه أمر [أمر ابن أبي كبشة ، وأصبح ملوك بني
 الأصغر يخافونه في سلطانهم . قال ابن اسحاق : وحدثني] الزهري قال حدثني أسقف من
 النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله (س) فيه
 بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد
 فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان أبيت فان إثم الا كاريين عليك . قال فلما انتهى اليه كتابه
 وقرأه أخذه فجعله بين نغذه وخاصرته ثم كتب الى رجل من اهل رومية كان يقرأ من العبرانية
 ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله (س) فكتب اليه إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه ، فأمر
 بعظماء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم أمر بها فأشرحت (١) عليهم واطلع عليهم من عليه له وهو
 منهم خائف فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب احمد وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر ومجل
 ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته وزمانه فاسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم فنخروا ونخروا رجل
 واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم ، فخافهم وقال ردوهم على فردوهم عليه فقال لهم
 يا معشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لا أنظر كيف صلابتكم في دينكم ؟ فلقد رأيت
 منكم ما سرني فوقعوا له سجدا ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا . وقد روى البخاري قصة أبي
 سفيان مع هرقل بزيادات أخرى حبيبا أن توردتها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين
 من التباين وما فيهما من الفوائد . قال البخاري قبل الايمان من صحيحه حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع
 ثنا شبيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره
 أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل اليه في ركب من قریش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول
 الله (س) ، ماد فيها أباسفيان وكفار قریش ، فأتوه وهم بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم
 دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان فقلت
 أنا أقربهم نسباً ، قال ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهري . ثم قال لترجمانه قل لهم إني سألت
 هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه ، فوالله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبت عنه ، ثم كان
 أول ما سألتني عنه أن قال كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا دونسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد
 قط قبله ؟ قلت لا قال فهل كان من آباءه من ملك ؟ قلت لا قال فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفائهم ؟
 قلت بل ضعفائهم قال أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه

(١) كذا بالأصل ولعلها : فأشرجت عليهم .

بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا قال فهل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا قال
فهل يغدر ، قلت لا ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً
غير هذه الكرامة ، قال فهل قاتلتهمونه ؟ قلت نعم قل فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا
وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال ماذا يأمركم ؟ قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به
شيئاً وتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان : قل له سألتك
عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد
منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأمرى بقول
قيل قبله ، وسألتك هل كان من آباءه [من ملك] فذكرت أن لا فلو كان من آباءه من ملك قلت
رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ،
فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه
أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت
أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل
فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن
لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئاً وبها كم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك
موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أني أخلص إليه
لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لنسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي بعث
به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله
ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من أتبع الهدى أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام
إسمي تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و (يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً
أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون) قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة
الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين خرجنا لقد أترأمر
ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام
قال وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم
إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقه قد استنكرنا هيئتك ؟ قال ابن الناطور : وكان
هرقل حزناً ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه إني رأيت حين فطرت في النجوم ملك الختان

قد ظهر فن يختن من هذه الأمم؟ قالوا ليس يختن الا اليهود ولا يهمنك شأنهم واكتب الى مدائن
ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان
تخبرهم عن خبر رسول الله - ، فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا يختن هوأم لا؟ فنظروا
اليه فحدثوه أنه يختن ، وسأله عن العرب فقال هم يختنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الامة قد
ظهر . ثم كتب إلى صاحب له برومية - وكان نظيره في العالم - وسار هرقل إلى حمص فلم يرم بحمص
حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي - ، وهو نبي ، فأذن هرقل لعظماء
الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بابوابها فغلقت . ثم اطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح
والرشد وأن يثبت لكم ملككم؟ فتتابعوا لهذا النبي ، فخاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب
فوجدوها قد غقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم على . وقال إني إنما قلت
مقاتلي آتياً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيته ، فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر
شأن هرقل . قال البخاري : ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمار عن الزهري . وقد رواه البخاري
في مواضع كثيرة في صحيحه بالفاظ يطول استقصاؤها . وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق
عن الزهري . وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لصحيح البخاري بما فيه كفاية
وذكرنا فيه من الفوائد والنسك المعنوية واللفظية والله الحمد والمنة . وقال ابن أبي عمير عن الاسود عن
عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش وبلغ هرقل شأن رسول
الله - فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله - ، فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في
ملكه يأمره أن يبعث اليه رجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل اليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان
ابن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت اليكم لتخبروني عن
هذا الذي بمكة ما أمره؟ قالوا ساحر كذاب وليس بنبي ، قال فاخبروني من أعلمكم به وأقر بكم منه
رحماً؟ قالوا هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله ، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فاخرجوا عنه ثم اجلس أبا
سفيان فاستخبره ، قال اخبرني يا أبا سفيان؟ فقال هو ساحر كذاب ، فقال هرقل إني لا أريد شتمه
ولكن كيف نسبه فيكم؟ قال هو والله من بيت قريش ، قال كيف عقله ورأيه؟ قال لم ينب له رأى
قط . قال هرقل هل كان حلفاً كذاباً بخادعاً في أمره؟ قال لا والله ما كان كذلك ، قال لعنه
يطلب ملكاً أو شرفاً كان لاحد من اهل بيته قبله؟ قال أبو سفيان لا ، ثم قال من يتبعه منكم هل
يرجع اليكم منهم أحد؟ قال لا ، قال هرقل هل يغدر اذا عاهد؟ قال لا إلا أن يغدر مدته هذه . فقال
هرقل وما تخاف من مدته هذه؟ قال إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة ، قال هرقل إن
كنتم أنتم بدأتهم فأتهم أغدر، فنضب أبو سفيان وقال لم يغلبنا الامرة واحدة وأنا يومئذ غائب وهو يوم

بدر ، ثم غزوته مرتين في بيوتهم نبقر البطون ونجدهم الا آذان والفروج ، فقال هرقل كذاباً تراه أم صادقاً فقال بل هو كاذب ، فقال إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه فان أفعل الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان في هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن اسحاق ولا البخاري . وقد اورد موسى ابن عقبة في معاريفه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير والله اعلم . وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله (س) ، والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لا تبعته ، فاذهب الى صفاطر الاسقف فاذا ذكر له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجود قولاً عندهم مني ، فانظر ماذا يقول لك ؟ قال فجاء دحية فاخبره بما جاء به من رسول الله (س) ، الى هرقل وبما يدعو اليه ، فقال صفاطر والله صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه ، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس ثياباً بيضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من احمد يدعونا فيه الى الله واني أشهد أن لا اله الا الله وأن احمد عبده ورسوله . قال فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه قال فلما رجع دحية الى هرقل فاخبره الخبر قال قد قلت لك إنما نخافهم على أنفسنا ، فصفاطر والله كان أعظم عندهم واجوز قولاً مني [وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن ابيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله (س) الى قيصر صاحب الروم بكتاب قلت استأذنوا رسول رسول الله (س) ، فأتى قيصر فقبل له إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله ففرغوا لذلك وقال أدخله فادخلني عليه وعنده بطارقه فاعطيته السكتاب فاذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ، فنخر ابن أخ له احمر ازرق سبط فقال لا تقرأ الكتاب اليوم فانه بدأ بنفسه وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال فقرأ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث الى فدخلت عليه فسألني فاخبرته ، فبعث الى الاسقف فدخل عليه . وكان صاحب أمرهم يصدر عن رأيه وعن قوله . فلما قرأ الكتاب قال الاسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر . قال قيصر فأتاني ؟ قال الاسقف أما أنا فأتى مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ماسكي وقتلني الروم] وبه قال محمد بن اسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء اهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من ارض الشام الى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي (س) ، جمع الروم فقال : يا معشر الروم إني عارض

عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها ؟ قالوا ما هي ؟ قال تعلمون والله ان هذا الرجل لنبي مرسل نبعده نعرفه بصفته التي وصف لنا فهل فالتبته فتسب لنا دنيانا وآخرتنا فقالوا نحن نكون تحت ايدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثردرجالا . وأقصاه بلداً ؟ قال فهم أعطيه الجزية كل سنة أو كسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه ، قالوا نحن نعطي العرب الذل والصغار يخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكاً ، وأمنه بلداً ، لا والله لا نفعل هذا أبداً ، قال فهم فلا صلح على أن أعطيه أرض سورية ويدعى وأرض الشام ، قال وكانت أرض سورية ، فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام . فقالوا نحن نعطي أرض سورية وقد عرفت أنها أرض سورية الشام لا نفعل هذا أبداً ، فلما أبوا عليه قال أما والله لتودن أنكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال ثم جلس على بغل له فانطلق حتى اذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية والله أعلم .

ارساله (ص) الى ملك العرب من النصارى بالشام

قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ص . شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمه الى المنذر ابن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق (١) . قال الواقدي : وكتب معه ، سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، وادعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك . فقدم شجاع بن وهب فقراه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إني سأسير اليه .

بعثه الى كسرى ملك الفرس

وروى البخاري من حديث الليث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ص . بعث بكتابه مع رجل الى كسرى وأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزقه قال فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ص . أن يمزقوا كل ممزق . وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهري حدثني عمه الرحمن بن عبيد القاري أن رسول الله ص . قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فاني أريد أن أبعث بمعضكم إلى ملوك الاعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو اسرائيل على عيسى بن مريم » فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فرنا وابعثنا ، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى فأمر كسرى بإيوانه أن يزين (١) كذا بالأصل ، وفي ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن شمير الغساني ملك نخوم الشام . ثم جاء برواية أخرى أنه بعثه الى جبلة بن الأيهم الغساني .

ثم اذن لعظماء فارس ، ثم اذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه : من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس . قال فاغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع ابن وهب فاخرج ، فلما رأى ذلك قصد على راحلته ثم سار ثم قال : والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله (ص) . قال ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الحيرة فسبق ، فلما قدم شجاع على النبي (ص) أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله (ص) ، فقال رسول الله (ص) : « مزق كسرى ملكه » وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي سلمة أن رسول الله (ص) بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ؟ فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله (ص) قال « مزق ملكه » وقال ابن جرير^(١) حدثنا أحمد بن حميد ثنا ابن اسحاق عن زيد بن أبي حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فاني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فان تسلم تسلم وإن أبيت فان إثم الجحوس عليك . قال فلما قرأه شقه وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبيد ؟ قال ثم كتب كسرى إلى باذام وهو قائم على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتيا به ، فبعث باذام قهرمانه - وكان كاتباً حاسباً - بكتاب فارس وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرة ، وكتب معها إلى رسول الله (ص) يأمره أن ينصرف معها إلى كسرى وقال : لا بأذويه إيت بلاد هذا الرجل وكله وائتني بخبره ، فخرجوا حتى قدما الطائف فوجدوا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسأله عنه فقال هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش بهما - وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل ، فخرجوا حتى قدما على رسول الله (ص) فكلّمه أبا ذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنتلق معي ، فان

(١) في ابن جرير اختلاف في الأسماء فانه سمى باذام باذان وابدؤويه بابويه وخرخرة خرخرسة إلى غير ذلك فراجع في السنة السادسة .

فعلت كتب لك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنت ، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . ودخلا على رسول الله (س) وقد حلقا لحاهما وأعنيا شواربهما فكره النظر اليهما وقال « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » قالا أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله (س) « ولكن ربي أمرني بأعفاء لحيتي وقص شاربي » ثم قال « ارجعا حتى تأتيا غداً » قال وأتى رسول الله (س) الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال فدعاها فاخبرها فقالا هل تدري ما تقول ؟ إنا قد قمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك بأدام ؟ قال « نعم اخبراه ذاك عني وقولا له إن ديني وسلطاتي سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي الى الخلف والخافر ، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء » ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على بأدام فاخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول وليكون ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأياً . فلم ينشب بأدام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد ، فإني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرمهم في ثغورهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانطلق الى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيتك أمري فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه الى بأدام قال : إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال وقد قال بأدويه لبأدام : ما كنت أحداً أهيب عندي منه فقال له بأدام هل معه شرط ؟ قال لا قال الواقدي رحمه الله : وكان قتل كبرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة است ساعات مضت منها :

قلت : وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليل محرماً فنولى لم يتبع بكفن

قال بعض شعراء العرب :

وكسرى إذ تقامحه بنوه بأسياق كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم أتى ولكل حامله تمام

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبي بكرة أن رجلاً

من أهل فارس أتى رسول الله (س) فقال رسول الله (س) « إن ربي قد قتل الليلة ربك » قال

وقيل له - يعني النبي (س) - إنه قد استخلف ابنته فقال « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » . قال

البیهقی : وروی فی حدیث دحیة بن خلیفة أنه لما رجع من عند قیصر وجد عند رسول الله (س) رسل كسری ، وذلك أن كسری بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بارضك يدعوني الى دينه ، لتكفينه أو لا تفعلن بك ، فبعث اليه فقال لرسله « أخبروه أن ربی قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال . قال وروی داود بن أبي هند عن عامر الشعبي نحوه هذا . ثم روى البیهقی من طریق أبي بكر بن عیاش عن داود بن أبي هند عن أبيه عن أبي هريرة قال : أقبل سعد الى رسول الله (س) ، فقال : « إن فی وجه سعد خبراً » فقال یا رسول الله هلك كسری ، فقال « لمن الله كسری أول الناس هلا كما فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله (س) بهلاك كسری لذینك الرجلین یعنی الامیرین اللذین قدما من نائب اليمن باذام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع فی البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع جاء الى رسول الله (س) ، فأخبره بوفق إخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البیهقی رحمه الله . ثم روى البیهقی من غیر وجه عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه بلغه أن كسری بینما هو فی دسكرة مملوكه بعث له - أو قیض له - عارض يعرض عليه الحق فلم يفتأ كسری الا برجل یمشي وفي يده عصاً فقال : یا كسری هل لك فی الاسلام قبل أن أكره هذه العصا ؟ فقال كسری نعم لا تكسرهما ، فولى الرجل فلما ذهب أرسل كسری الى حجابہ فقال من أذن لهذا الرجل علی ؟ فقالوا ما دخل عليك أحد ، فقال كذبتم ، قال فغضب عليهم وتهددهم ثم تركهم . قال فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا قال یا كسری هل لك فی الاسلام قبل أن أكره هذه العصا ؟ قال نعم لا تكسرهما ، فلما انصرف عنه دعا حجابہ قال لم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له هل لك یا كسری فی الاسلام قبل أن أكره العصا فقال لا تكسرهما لا تكسرهما فكسرهما ، فأهلك الله كسری عند ذلك . وقال الامام الشافعی : انبأ ابن عیینة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (س) قال : « إذا هلك كسری فلا كسری بعده ، وإذا هلك قیصر فلا قیصر بعده ، فوالذي نفسي بيده لتنتقن كنوزها فی سبيل الله » أخرجه مسلم من حدیث ابن عیینة وأخرجاه من حدیث الزهري به . قال الشافعی ولما أتى كسری بكتاب رسول الله (س) ، مزقه فقال رسول الله (س) « يمزق مملوكه » وحفظنا أن قیصر أكرم كتاب رسول الله (س) ، ووضع في مك ، فقال رسول الله (س) « ثبت مملوكه » قال الشافعی وغيره من العلماء ولما كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من ملكی العراق والشام الى رسول الله (س) ، فقال « إذا هلك كسری فلا كسری بعده ، وإذا هلك قیصر فلا قیصر بعده » قال قباد ملك

الا كاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية ، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله (ص) ، لهم حين عظموا كتابه والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام . وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن ملك الفرس ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافرآ ، وبطليموس لمن ملك الهند ولهم أعلام أجناس غير ذلك وقد ذكرناها في غير هذا الموضع والله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (ص) : « لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى في القصر الأبيض » وروى اسباط عن سماك عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

بعثه (ص) إلى المقوقس

صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : حدثني الزهري عن عبد الله بن عبد القاري أن رسول الله (ص) بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية فمضى بكتاب رسول الله (ص) إليه ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وصرحه إلى النبي (ص) ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجهما وجاريتين احداهما أم ابراهيم واما الاخرى فوهبها رسول الله (ص) لمحمد بن قيس العبدى . رواه البيهقي ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال : بعثني رسول الله (ص) إلى المقوقس ملك الاسكندرية ، قال فجئته بكتاب رسول الله (ص) ، فانزلني في منزله وأقامت عنده ، ثم بعث إلى وقد جمع بطارقته وقال : إني سألتك عن كلام فأحب أن تنهم عنى قال قلت هلم قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت بل هو رسول الله ، قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال فقلت عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال بلى قلت فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد وارسل معك مذقة ييذر ثروتك إلى مأمئك ، قال فاهدى إلى رسول الله (ص) ثلاث جوار منهم أم ابراهيم ابن رسول الله (ص) ، وواحدة وهبها رسول الله (ص) لحسان بن ثابت الانصاري ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم . وذكر ابن اسحاق أنه أهدى إلى رسول الله (ص) أربع جوار احداهن مارية أم ابراهيم والاخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قلت : وكان في جملة الهدية غلام أسود خصي اسمه مابور وخفين ساذجين أسودين وبغلة بيضاء
اسمها اللبل ، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره بادي الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من
عادتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه
خصي حتى قال بعضهم إنه الذي أمر رسول الله ﷺ ، علي بن أبي طالب بقتله فوجده خصياً فتركه
والحديث في صحيح مسلم من طريق ... (١)

قال ابن اسحاق : وبث سليط بن عمرو بن عبدود أخا بني عامر بن لؤي إلى هوزة بن علي
صاحب البمامة وبث العلاء بن الحضرمي إلى جيفر بن الجندى وعمار بن الجندى الأزديين
صاحبي عمان (٢)

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير
قالا : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلي وعبد الله
ومن يليهم من قضاة . قال عروة بن الزبير وبنو بلي أخوال العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك
خاف من كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله ﷺ ، يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين
فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم اجمعين ، وأمر عليهم رسول الله
ﷺ ، أبا عبيدة بن الجراح . قال موسى بن عقبة فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى
رسول الله ﷺ ، أستمده بكم ، فقال المهاجرون بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال
عمرو إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة - قال :
تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ ، أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » وإنك
إن عصيتني لأطعنك . فسلم أبو عبيدة الامارة لعمر بن العاص . وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد
ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التيمي قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر
العرب إلى الاسلام (٣) وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بلي فبعثه رسول الله ﷺ إليهم
يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة ذات
السلاسل - قال فلما كان عليه وخاف بعث إلى رسول الله ﷺ ، يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح

(١) بياض في الاصل الحلبي والمصرية وفي التيمورية : اقتصر على قوله في صحيح مسلم .

(٢) ليست هذه الجملة في التيمورية وفي ابن هشام أنه بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن
سأوى المصدي ملك البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابن الجندى وسليط إلى ثمامة بن
أطل وهوزة بن علي . (٣) في ابن هشام : إلى الشام وأحسبه خطأ .

في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه « لا تختلفا » فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مددا لي ، فقال له أبو عبيدة لا ولكنني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلا ليناً سهلاً ، حيناً عليه أمر الدنيا . فقال له عمرو أنت مددي فقال له أبو عبيدة يا عمرو إن رسول الله (س) قد قال لي « لا تختلفا » وإنك إن عصيتني أطمئك ، فقال له عمرو فاني أمير عليك وإنما أنت مددي ، قال فدونك فصلى عمرو بن العاص بالناس . وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان أن أبا عبيدة لما آب إلى عمرو ابن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلي ودوخها ، وكما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين واتي في آخر ذلك جمعا ليس بالكثير فاقتلوا ساعة ، وتراموا بالنبل ساعة ، وبي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هربا في البلاد وفرقوا ودوخ عمرو ما هناك أو قام أياما لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاة والنعم فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم . وقال أبو داود ثنا ابن المنني ثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص . قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفت إراغتسلت أن أهلك ، قال فتييمت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله (س) . فقال « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال فآخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول [ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما] فضحك نبي الله (س) . ولم يقل شيئا . حدثنا محمد بن سلمة ثنا ابن لهيعة وعمر بن الحارث عن يزيد ابن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص . وكان على صرية . فذكر الحديث بنحوه قال فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمم . قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية وقال فيه تيمم . وقال الواقدي : حدثني أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رقيش عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قتلوا احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه ما ترون والله احتلمت فان اغتسلت مت ، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم ، فكان أول من بعث عوف بن مالك بريدا ، قال عوف قدمت على رسول الله (س) في السحر وهو يصلي في بيته فلمت عليه فقال رسول الله (س) « عوف بن مالك ؟ » فقلت عوف بن مالك يا رسول الله ، قال « صاحب الجزور ؟ » قلت نعم ولم يزد علي هذا بعد ذلك شيئا ثم قال « أخبرني »

فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان من أبي عبيدة وعمر ومطاعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله (س) :
« برحم الله أبا عبيدة بن الجراح » قال ثم أخبرته أن عمرأ صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد
على أن غسل فرجه وتوضأ ، فسكت رسول الله (س) ، فلما قدم عمرو على رسول الله (س) : سأله عن
صلاته فأخبره . فقال : والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمت لم أجدر برباً قط مثله . وقد قال تعالى
[ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً] قال فضحك رسول الله (س) ، ولم يبلغنا أنه قال شيئاً .
وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الأشجعي قال كنت في الغزوة
التي بعث فيها رسول الله (س) عمرو بن العاص وهي غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر
فررت بقوم وهم على جزور قد فحروها وهم لا يقدرّون على أن يعضوها وكنت امرأة جازراً ، فقلت
لهم تعطوني منها عشراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا نعم فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني وأخذت منها
جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما
فقالا لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيان ماني بطونهما منه ، فلما أن قفل الناس من
ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله (س) ، فجلسته وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يا رسول
الله ورحمة الله وبركاته ، فقال « أعوف بن مالك ؟ » فقلت نعم بأبي أنت وأمي فقال « صاحب
الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً . هكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن
عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل . قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي
أبوب عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن زهدم أظنه عن عوف بن مالك
فذكر نحوه إلا أنه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال قد تعجلت أجرك ولم يأكله .
ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ولم يذكر فيه أبا بكر وتمايمه كنحو ما تقدم . وقال الحافظ البيهقي انبا
أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا يحيى
ابن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي سمعت عمرو بن العاص يقول
بعثني رسول الله (س) على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني
على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، قال فأتيته حتى قمعت بين يديه فقلت يا رسول الله من أحب
الناس إليك قال « عائشة » ؟ قلت إني لست أسألك عن أهلِكَ قال « فأبوها » ؟ قلت ثم من ؟ قال « عمر »
قلت ثم من ؟ حتى عدد رهطاً قال قلت في نفسي لا أعود أسأل عن هذا ، وهذا الحديث مخرج في
الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل حدثني
عمرو بن العاص أن رسول الله (س) بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت أي الناس
أحب إليك ؟ قال « عائشة » قلت فمن الرجال ؟ قال « أبوها » قلت ثم من ؟ قال « ثم عمر بن الخطاب »

فمدد رجالاً . وهذا لفظ البخاري وفي رواية قال عمرو . فسكت مخافة أن يجعلني في آخرم .

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

قال الامام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال : بعث رسول الله (س) بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ومثلثة قال جابر وأنا فيهم ، فخرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله فكان مزودي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني ولم يكن يدبرنا الا تمر تمر ، قل فقلت وما تفنى تمر ؟ فقال لقد وجدنا فقهنا حين فنيتم . قال ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الطرب ، قال فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشر ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبنا ثم أمر براحلته فرحلت ثم مرتحتها فم يصبها . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه وهو في الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بعثنا رسول الله (س) في ثلثة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش ، فاصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط قال ونحمر رجل ثلاث جزائر ثم نحمر ثلاث جزائر ثم ثلاثاً فقام أبو عبيدة ، قال وألقى البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر وادّناها حتى ثابت الينا أجسامنا وصلحت ثم ذكر قصة الضلع . فقله في الحديث نرصد عيراً لقريش دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية والله أعلم والرجل الذي نحمر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عباد بن عبد الله عنهما . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو بكر بن اسحاق ثنا اسمعيل بن قتيبة ثنا يحيى بن يحيى ثنا أبو خيثمة وهو زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال : بعثنا رسول الله (س) وأمر علينا أبا عبيدة نلقى عيراً لقريش وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمر تمر . قال فقلت كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتسكنينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بمصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال فانطلقنا الى ساحل البحر فرمى لنا على ساحل البحر كهيئة السكتيب الضخم ، فأتيناه فاذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله (س) وفي سبيل الله وقد اضطررتم فاكلوا ، قال فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلثة حتى سمنا ولقد كنا نفرف من رقب عينه بالقلال الدهن ، وقتطع منه التمر كالشور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فاقدمهم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فقامها ثم رحل أعظم بعير منها فمرتحتها وتزودنا من لحمها وشايق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله (س) فذكرنا ذلك له فقال « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال فترسلنا الى رسول الله (س) فأكل منه . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس وأبو داود عن النخعي ثلثهم عن أبي

خيشة زهير بن معاوية الجمعي الكوفي عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الانصاري به .

قلت : ومتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله فإنه أوردناها بعد مؤتة وقيل غزوة البتة . الله أعلم . وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحرات من جبهة فقال حدثنا عمرو بن محمد ثنا هشيم ثانياً حصين بن جندب ثنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله (ص) إلى الحرة فصباحنا القوم فهزمنهم ، ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله ، فكف الانصاري . وطعنته برمحى حتى قتلت ، فلما قدمنا بلغ النبي (ص) ، فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ؟ قلت كان متعوذاً ، فما زال يكرها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف . ثم روى البخاري من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله (ص) سبع غزوات وخرجت فيها يبعث من البعث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما . ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الاسلام ونفى رسول الله (ص) له إلى المسلمين وصلاته عليه . فروى من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات أخرجاه من حديث مالك وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه . وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله (ص) : « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصخمة » وقد تقدمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها والله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير فإن في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي وليس هو بالمسلم ، وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم . وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة عن أبيه عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال : « قد أهديت إلى النجاشي أواق من مسك وحلة وإني لأراه قد مات » ولا أرى الهدية إلا سترد على فان ردت على — أظنه قال — قسمتها بينكن أو فهي لك . قال فكان كما قال رسول الله (ص) ، مات النجاشي وردت الهدية فلما ردت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية ، من ذلك المسك ، وأعطى سائر أم سلمة ، وأعطاهما الحلة والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. فزوة الفتح الأعظم وكانت في رمضان سنة ثمان وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى [لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى] الآية . وقال تعالى [إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمده ربك واستغفره إنه كان توابا] .

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة وروان بن الحكم انهما حسداه جميعاً قالاً : كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم [فتراثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده ، وتراثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم] فسكنوا في تلك المدينة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ثم إن بنى بكر وثبوا على خزاعة ليلاً يما يقال له الوثير وهو قريب من مكة ، وقالت قريش ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد ، فأعانوهم عليهم بالكرع والسلاح وقتلوه معهم للضغن على رسول الله .س. ، وأن عمرو بن سالم ركب عند ما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوثير حتى قدم على رسول الله .س. ، يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله .س. ، أشدها إياه :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِئٌ مُّحَمَّدًا	حَلَفْتُ أَيْبَهُ وَأَيْبُنَا الْأَتْلَدَا
قَدْ كُنْتُمْوَا وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا	ثَمَّتْ أَسْلَمُنَا فَلَمْ تَنْزِعْ يَدَا
فَانصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَبَدًا	وَادِعْ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدِينَا
فَبِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا	إِنْ يَسِمْ خُسْفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدًا	إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَتَقَضُّوَا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا	وَجَمَلُوا لِي فِي كَيْدَامٍ رَمَدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدًا	فَبِهِمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
مَ يَنْتُونَا بِالْوَيْثِرِ مَجْدًا	وَقَتْلُونَا رُكْنًا وَسُجْدَا

قال رسول الله .س. ، نصرت يا عمرو بن سالم ، فما يرج حق مرت بنا هناة في السماء قال

رسول الله (س)، «إن هذه السحابة لتسهل بنصر بني كعب» وأمر رسول الله (س)، الناس بالجهار وكنتمهم مخرجه وسأل الله أن يعصى على قريش خبره حتى يبعثهم في بلادهم.

قال ابن اسحاق: وكان السبب الذي هاجهم أن رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد من حلفاء الاسود بن رزن خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من بني خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بني الاسود بن رزن الدثلي وهم منخر بنو كنانة وأشرافهم بسلمى وكثوم وذؤيب فقتلهم بعرة عندا نصاب الحرم. قال ابن اسحاق: وحدثني رجل من الدثلي قال كان بنو الاسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين. قال ابن اسحاق: فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الاسلام، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله (س)، وكانت الهدنة اغتنمها بنو الدثلي من بني بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثاراً من أولئك النفر، فخرج نوفل بن معاوية الدثلي في قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كل بني بكر تابعة، فبيت خزاعة وهم على الوتير - ماء لهم - فأصابوا رجلاً منهم وتحاوزوا واقتتلوا ورفعت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حاوزوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة لا إله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثاركم فلمعري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثاركم؟ ولجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له رافع، وقد قال الاخضر ابن لعل الدثلي في ذلك:

ألا هل أتى قصوى الأحابيش أننا رددنا بني كعب بأفوق فاصل
حبسناهم في دارة العبد رافع وعند بديل نجساً غير طائل
بدار الدليل لا أخذ الضيم بعدما شفيانا النفوس منهم بالمناصل
حبسناهم حتى إذا طال يومهم ففخنا لهم من كل شعب بوابل
نذبهم ذبح التيوس كأننا أسود نبارى فيهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم وكانوا لدى الانصاب أول قاتل
كانهم بالجزع إذ يطردونهم قفا نور حقان للنعام الجوافل

قال فاجابه بديل بن عبيد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال:

تعاقد قوم يفخرون ولم ندع لهم سينا يندوهم غير نافل
أمن خيفة القوم الأولى تزدريهم نجيز الوتير خائفاً غير آيل
وفي كل يوم نحن نحبوا حباءنا لعقل ولا يجبي لنا في المعائل

ونحن صببنا بالتلاعة ^(١) داركم باسافنا يسبقن لؤم المواذل
 ونحن منعنا بين بيض وعتود الى خيف رضوى من حجر القبائل
 ويوم الغيم قد تكفت ساعياً عيسى فجناه ريجلد حلال
 ان اجرت في بيتها أم بعضكم يجمعونها تنزون ان لم نقاتل
 كذبتم وبيت الله ما ان قتلتموا ولكن تركنا أمركم في بلابل
 قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله (س) قال : كأنكم بآبي سفيان
 قد جاءكم يشد في العقد وبزيد في المدة قال ابن اسحاق : ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة
 حتى قدموا على رسول الله (س) فآخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا
 راجعين حتى لقوا أبا سفيان بمسفان قد بعثته قريش الى رسول الله (س) يشد العقد وبزيد في المدة
 وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلما اتى أبوسفيان بديلاً قال من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول
 الله (س) فقال : سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي . قال فعمد أبوسفيان الى مبرك
 ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً ، ثم خرج أبو
 سفيان حتى قدم على رسول الله (س) المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش
 رسول الله (س) طوته ، فقال يا بنية ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني ؟ فقالت
 هو فراش رسول الله (س) وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه ، فقال يا بنية والله لقد
 أصابك بعدى شر ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (س) فقال ما أنا بفاعل ،
 ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر أنا أشفع لكم إلى رسول الله (س) ؟ فوالله لو لم أجد لكم
 الا النذر لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعده فاطمة بنت رسول الله (س)
 وعندها حسن غلام يلبس بين يديهما ، فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم منى قرابة ، وقد
 جئت في حاجة فلا أرجو أن تجئت خائباً فاشفع لي الى رسول الله (س) ؟ فقال ويحك أبا سفيان والله
 لقد عزم رسول الله (س) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال يا بنت محمد هل
 لك أن تأمرى بفيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ
 ببنى ذلك أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على النبي (س) ، فقال يا أبا الحسن إني أرى الامور قد
 اشتدت على فأنصحني ؟ قال والله ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين
 الناس ثم الحق بارضك ، فقال أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد
 لك غير ذلك . فقام أبوسفيان في المسجد فقال : أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ، ثم ركب

(١) في الاصول : بالبلاغة دارهم . والتصحيح عن ابن هشام .

بغيره فانطلق فلما أن قدم على قريش قالوا ما وراءك؟ قال جئت محمداً فكلنته فوالله ما رد علي شيئاً
ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدي عدو، ثم جئت علياً
فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بأمر صنعته فوالله ما أدري هل يغني عنا شيئاً أم لا؟ قالوا بماذا
أمرك؟ قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا هل أجاز ذلك محمد؟ قال لا، قالوا ويحك ما زادك
الرجل على أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت، فقال لا والله ما وجدت غير ذلك [(قائدة) ذكرها
السبيلي فتسكلم على قول فاطمة في هذا الحديث؛ وما يجير أحد على رسول الله (ص) على ما جاء في
الحديث « ويجير على المسلمين أديانهم » قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحداً ونفراً
يسيراً، وقول فاطمة فن يجير عدداً من غزو الامام إياهم فليس له ذلك. قال كان سحنون وابن
الماجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الامام لقوله لام هاني « قد أجرنا من أجرت يا أم
هاني » قال ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد
وفي قوله عليه السلام « ويجير عليهم أديانهم » ما يقتضي دخول العبد والمرأة والله أعلم [(١) وقد روى
البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قالت بنو كعب:

اللهم إني ناشئ محمداً جئت أبينا وأبيه الأتليدا

فانصر هذاك الله نصرأ عتداً وادع عباد الله يأتوا مدداً

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة: ثم إن بني نفاثة من بني الدئل أغاروا على بني كعب وهم في
المدة التي بين رسول الله (ص) وبين قريش، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله (ص)، وكانت
بنو نفاثة في صلح قريش، فأعانت بنو بكر بني نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والريق واعتزتهم بنو
مدلج ووفوا بالمهد الذي كانوا طاهدوا عليه رسول الله (ص). وفي بني الدئل رجلان هما سيدهم؛ سلمى
ابن الاسود وكلثوم بن الاسود، ويذكرون أن نمن أعانتهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل
ابن عمرو، فأغارت بنو الدئل على بني عمرو وعانتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال فأجلؤهم
وقتلهم حتى أدخلوهم إلى دار بديل بن ورقم بمكة، فخرج ركب من بني كعب حتى أتوا رسول الله
(ص) فذكروا له الذي أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك، فقال لهم رسول الله (ص):
« ارجعوا فتنفروا في البلدان ». وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله (ص). وتخوف الذي كان،
فقال: يا محمد اشد العدة، المدة، فقال رسول الله (ص): « ولذلك قدمت، هل كان من حدث
قبلكم؟ » فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نضرب ولا نبدل، فخرج من عند
رسول الله (ص) وأتى أبا بكر فقال: جدد العدة وزدنا في المدة؟ فقال أبو بكر: جوارى في جوار رسول

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبية.

الله (س) ، والله لو وجدت الذر تغافلكم لأعنتها عليكم ، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال
 عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديد فأخلقته الله . وما كان منه مثبتاً فقطعه الله ، وما كان منه
 مقطوعاً فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان جزيت من ذي رحم شراً ، ثم دخل على عثمان فكلّمه فقال
 عثمان : جوارى في جوار رسول الله (س) ، ثم اتبع أشراف قریش يكلمهم فكلّمهم يقول عقداً في
 عقد رسول الله (س) ، فلما يشي مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله (س) ، فكلّمها فقالت
 إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله (س) ، فقال لها فأمرى أحد ابليك ، فقالت إنهما صبيان
 ليس مثلهما يجير ، قال فسكحي عليّ ، فقالت أنت فكلّمه ، فكلّمه هلياً فقال له يا أبا سفيان إنه
 ليس أحد من أصحاب رسول الله (س) ، يفتات على رسول الله (س) ، بجوار ، وأنت سيد قریش
 وأكبرها وأمنهما فأجر بين عشيرتك ، قال صدقت وأنا كذلك ، فخرج فصاح ألا إني قد أجرت
 بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفني أحد ، ثم دخل على النبي (س) ، فقال : يا محمد إني قد أجرت بين
 الناس ولا والله ما أظن أن يخفني أحد ولا يرد جوارى ؟ فقال « أنت تقول يا أبا حنظلة » فخرج أبو
 سفيان على ذلك فرموا - والله أعلم - أن رسول الله (س) ، قال حين أدبر أبو سفيان « اللهم سمخه
 على أسماهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بفتة ولا يسموا بنا إلا بجاه » وقدم أبو سفيان مكة فقالت له
 قریش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال لا والله لقد أتني على وقد تقيت أصحابه
 فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن علي بن أبي طالب قد قال لي التمس جوار الناس
 عليك ولا نجبر أنت عليه وعلى قومك وأنت سيد قریش وأكبرها وأحقها أن لا تخف جواره فقيمت
 بالجوار ثم دخلت على محمد قد كرت له أني قد أجرت بين الناس وقلت ما أظن أن تخفني ؟ فقال
 أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ، فقالوا - بحبيبين له - رضيت بهير رضى ، وجئنا بما لا ينق هذا ولا عنك
 شيئاً وإنما لمب بك على لمر الله ما جوارك بجائر وإن إغفارك هليم - سمخين - ، ثم دخل على امرأته
 فحدثها الحديث فقالت : قبحك الله من واند قوم فما جئت بخير ، قال ورأى رسول الله (س) ، أصحابا
 فقال « إن هذه السحاب لتبض بنصر بني كعب » فكث رسول الله (س) ، ما شاء الله أن يمكث بعد
 ما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجاهز وأمر عائشة أن تجهزه وتنفق ذلك ، ثم خرج رسول الله (س) ،
 إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تلسف وتناق ، فقال
 لها يا بليّة لم تسمنين هذا الطعام ؟ فسكتت فقال أريد رسول الله (س) ، أن ينزوا ؟ فصمتت فقال يريد
 بني الأصفر - وهم الروم - ؟ فصمتت قال فلمله يريد أهل نجد ؟ فصمتت قال فلمله يريد قریشا ؟
 فصمتت قال فدخل رسول الله (س) ، فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً ؟ قال نعم قال فلملك
 تريد بني الأصفر ؟ قال لا : قال أتريد أهل نجد ؟ قال لا ، قال فلملك تريد قریشا ؟ قال نعم ، قال أبو

بكر يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة؟ قال « ألم يهلك ما صنعوا بيني كعب » قال وأذن رسول الله (ص) في الناس بالفرز، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش وأطلع الله رسوله (ص) على الكتاب وذكر القصة كما سيأتي. وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغزل حنطة فقال ما هذا؟ أمركم رسول الله (ص) بالجهاز؟ قالت نعم فتجهز، قال والى أين؟ قالت ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله (ص) أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمر بالجد والتبذير وقال « اللهم خذ العيون والأكابر عن قريش حتى نبلغها في بلادها » فتجهز الناس فقال حسان بن مريض الناس ويذكر مصاب خراقة:

عنائي ولم أشهد بيطحاء مكفر رجال بني كعب يحز رقابها
بأيدي رجال لم يسألوا سيوفهم وقتل كثير لم نجن ثيابها
الليت شعري هل تنالن نصرتي سهيل بن عمرو حرها وعقابها
وصفوان عوداً حزم من شفر أسته فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يا ابن أمّ بحال إذا احتلبت صرفاً وأعصل نابها
ولا تبرزعوا منها فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يفتح بابها

قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا: لما أجمع رسول الله (ص) المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله (ص) من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جملاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به، وأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يخبرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالخليفة حليفة بني أبي أحمد فاستنزلاها فالتساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً، فقال لها على: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله (ص) ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجدة منه قالت أعرض فأعرض، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله (ص) فدعا رسول الله (ص) حاطباً فقال « يا حاطب ما حملك على هذا؟ » فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني فلا ضرب عنقه

فان الرجل قد فافق؟ فقال رسول الله (ص) : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله في حاطب [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة] الى آخر القصة . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة مرسله وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب حاطب أن رسول الله قد توجه اليكم بمجيش كالليل يسير كالسيار وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده . قال وفي تفسير ابن سلام أن حاطب كتب : إن محمداً قد نفر فاما اليكم وإما الى غيركم فمليكم الحذر . وقد قال البخاري ثنا قتيبة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع سمعت علياً يقول : بعثني رسول الله (ص) : أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا فعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا أخرجني الكتاب ، فقالت ما معي ، فقلنا لنخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله (ص) . فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله (ص) . فقال « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأة ملصقة^(١) في قریش يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم ، فأحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله (ص) : « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فانزل الله سورة [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء] الى قوله [فقد ضل سواء السبيل] وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام احمد ثنا حميد بن يونس قال : حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله أن حاطب بن أبي بلتعة كتب الى أهل مكة يذكر أن رسول الله (ص) : أراد غزوهم ، فدل رسول الله (ص) : على المرأة التي معها الكتاب فأرسل اليها فآخذ كتابها من رأسها وقال « يا حاطب أفعلت ؟ » قال نعم ، قال أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله (ص) : ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مظهر رسوله ومتم له أمره غير أني كنت غريباً بين ظهرائهم وكانت والدتي معهم فأردت أن أتخذ يدا عندهم ، فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال « أقتل رجلاً من أهل بدر وما يدريك

(١) كذا في الاصل . وقال السهيلي : كنت غريباً وفسر الغريب .

لعل الله قد اطلع الى اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الامام احمد وإسناده على شرط مسلم والله الحمد .

قصة الفطر

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله (ص) لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خاف الغفاري ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وأمعج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر الفا . وكذا قال الزهري وهو موسى بن عقبة ، فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله (ص) المهاجرون والانصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخاري عن محمود عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وقد روى البيهقي من حديث عاصم بن علي عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص) غزا غزوة الفتح في رمضان . قال ومممت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال صام رسول الله (ص) حتى بلغ الكديد - الماء الذي بين قديد وعسفان - أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر ، ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن الليث غير أنه لم يذكر التريد بين شعبان ورمضان . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله (ص) في رمضان ، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بأداء فشرب نهراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله (ص) في السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس عن ابن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : مضى رسول الله (ص) لسفره الفتح واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم ابن الحصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه حتى أتى الكديد بين عسفان وأمعج فافطر ، ودخل سنة ففطروا فكان الناس يرون آخر الأمرين من رسول الله (ص) الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله . قال البيهقي : فقوله خرج لعشر من رمضان مدرج في الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن ادريس عن ابن اسحاق ، ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان عن جابر عن يحيى عن صدقة عن ابن اسحاق أنه قال : خرج رسول الله (ص) لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ثم روى

البيهقي من حديث أبي اسحاق الفزاري عن محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان الفتح ثلاث عشر خلت من شهر رمضان قال البيهقي : وهذا الادراج وهم إنما هو من كلام الزهري ، ثم روى من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري قال قال : غزا رسول الله (س) غزوة الفتح - فتح - مكة فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانين سنة ونصف سنة من مقدمه المدينة . وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان . وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله (س) خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر . فقال الزهري وإنما يؤخذ بالأحدث فلا أحدث . قال الزهري فصبح رسول الله (س) مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، ثم عزاه في الصحيحين من طريق عبد الرزاق والله أعلم . وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن عطية بن قيس عن أبي سعيد الخدري قال : آذننا رسول الله (س) بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله (س) بالفطر فأصبح الناس مرحى منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين . وقد رواه الامام احمد عن أبي المغيرة عن سعيد بن عبد العزيز حدثني عطية بن قيس عن حدثه عن أبي سعيد الخدري قال : آذننا رسول الله (س) بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله (س) بالفطر فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر حتى إذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهري من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان يقتضي أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة . ولكن روى البيهقي عن أبي الحسين بن الفضل عن عبد الله بن جعفر عن يعقوب ابن سفيان عن الحسن بن الربيع عن ابن إدريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري ومحمد بن علي ابن الحسين وعاصم بن عمر بن قتادة وعمرو بن شعيب وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان . قال أبو داود الطيالسي : ثنا وهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله (س) عام الفتح صائماً حتى أتى كراع النسيم والناس معه مشاة وركبانا وذلك في شهر رمضان ، فليل يارسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فمد رسول الله (س) بقدح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض حتى أخبر النبي (س) أن بعضهم صائم فقال رسول الله (س) :

« أولئك العصاة » وقد رواه مسلم من حديث الثقي والدراوردي عن جعفر بن محمد . وروى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحاق حدثني بشير بن يسار عن ابن عباس قال : خرج رسول الله (ص) عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى اذا كان بالكديد دعا بماء في قعب وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون يعلمهم أنه قد أفطر ، فافطر المسلمون ، تفرد به أحمد .

فَضْلُ الْمَطْلَبِ

في اسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) ، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص) ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخى أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهن الى رسول الله (ص) ، فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب الى فتح مكة قال ابن اسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله (ص) ببعض الطريق ، قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله وقد كان قبل ذلك مقبلاً بمكة على سقايته ورسول الله (ص) عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهري . قال ابن اسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقيا رسول الله (ص) ايضاً بديق العقاب فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فسلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله إن ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال « لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي : وأما ابن عمتي فهو الذي نزل لي بمكة ما قال » (١) قال فلما خرج اليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بنى له فقال : والله ليأذن لي أو لا آذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الارض ثم نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك النبي (ص) رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتنوا اليه مما كان مضي منه :

لعمرك أني يوم أحمل راية	لثقلب خيل اللات خيل محمد
لكا كذبح الخيران أظلم ليك	فهذا أواني حين أهدي وأهتدي
هداني هادي غير نفسي ونالي	مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأناى جاهداً عن محمد	وأدعي وإن لم أتسب من محمد
هو ما هو من لم يقل بهوام	وإن كن ذا رأيي يحكم ويقتد
أريد لأرضيهم ولست بلاطير	مع القوم ما لم أهد في كل مقعد
قل لتقيف لا أريد قتالها	وقل لتقيف تلك عيري أو عدي

(١) قال السهيلي : يعني حين قال له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سدا الى السماء فتخرج فيه وأنا أفطر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك .

فما كنت في الجيش الذي مال عامراً وما كان عن جري لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزاع جاءت من سهام وسردك
قال ابن اسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله (ص) ، ونالني مع الله من طردت كل مطرد ،
عرب رسول الله (ص) بيده في صدره وقال « أنت طردتني كل مطرد » .

فصل في أخبار الظهران

ولما انتهى رسول الله (ص) إلى مر الظهران نزل فيه فاقام كما روى البخاري عن يحيى بن بكير
عن الليث ومسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب كلاهما عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر
قال : كنا مع رسول الله (ص) ، مر الظهران نجتني الكباث ، وإن رسول الله (ص) قال « عليكم
بالأسود منه فإنه أطيب » قالوا يا رسول الله أ كنت ترى الغنم ؟ قال « نعم وهل من نبي الا وقد
رعاها » وقال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن ابن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن سنان بن
اسماعيل عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله (ص) بالمسير
إلى مكة ، فلما انتهى إلى مر الظهران نزل بالعقبة فإرسى الجناة يجتئون الكباث ، فقلت لسعيد
وما هو ؟ قال نمر الأراك قال فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني ، قال فجعل أحدهم إذا أصاب حبة طيبة
قدفها في فيه ، وكنوا ينظرون إلى دقة ساق ابن مسعود وهو يرقى في الشجرة فيضحكون فقال رسول
الله (ص) « تعجبون من دقة ساقه فوالذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد » وكان ابن
مسعود ما اجتني من شيء جاء به وخياره إلى رسول الله (ص) ، فقال في ذلك :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى ربه

وفي الصحيحين عن أنس قال : أنفجنا أرنبا ونحن مر الظهران فسمى القوم فأنفجوا فادركتها
فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، وبعث إلى رسول الله (ص) ورکها ونفذهها فقبله . وقال ابن
اسحاق : ونزل رسول الله (ص) ، مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول
الله (ص) ، ولا يدرون ما رسول الله (ص) ، فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم
ابن حزام وبيديل بن ورقاء يتعجبون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به . وذكره
ابن لهيعة عن أبي الاسود عن شروة أن رسول الله (ص) ، بعث بين يديه عيوناً خيلاً يقتصون العيون
وخزاعة لا تدع أحداً يمشي وراءها ، فلما جاء أبو سفيان وأصحابه أخفقتهم خيل المسلمين وقام إليه عمر
بجاً في عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب وكان ضاحكاً لأبي سفيان . قال ابن اسحاق : وقال
العباس حين نزل رسول الله (ص) ، مر الظهران قلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله (ص) ،

مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لملك قریش الى آخر الدهر ، قال فجلست على بغلة رسول الله (س) ،
البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلی أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة
يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (س) ، يخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة ، قال
فوالله إني لأسير عليها وألتمس ماخرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان و بديل بن ورقاء وهما يتراجمان
وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً . قال يقول بديل : هذه والله خزاعة
حشيتها الحرب ، قال يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال
فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة ؟ تعرف صوتي فقال أبو الفضل ؟ قال قلت نعم ، قال مالك فدى لك أبي
وأمي ؟ قال قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله (س) في الناس فقال واصباح قریش والله ، فما
الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى
آتي بك رسول الله (س) ، فاستأمنه لك ، قال فركب خافي ورجع صاحبه (١) وقال عروة : بل ذهبنا الى
النبي (س) ، فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة . وقال الزهري وموسى بن عقبة : بل دخلا مع
العباس على رسول الله (س) ، [قال ابن اسحاق : قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا
من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله (س) ، وأنا عليها قالوا عم رسول الله (س) ، على بغلة رسول الله (س) ،
حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا ؟ وقام الى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو
سفيان عدو الله [الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ؟ وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ
في رقبة أبي سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن عيون
رسول الله (س) ، أخذوهم بأزمة جهلم فقالوا من أنتم ؟ قالوا وفد رسول الله (س) ، فلقبهم العباس
فدخل بهم على رسول الله فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم الى شهادة أن لا إله الا الله فشهدوا وأن محمداً
رسول الله فشهد حكيم و بديل وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح ثم سأله أن يؤمن
قریشا فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلا مكة - ومن دخل دار حكيم بن حزام
فهو آمن - وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابيه فهو آمن » قال العباس : [(٢) ثم خرج عمر يشند نحو
رسول الله (س) ، وركضت البغلة فسبقتة بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيئ ، قال فاقتحمت عن
البغلة فدخلت على رسول الله (س) ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن
الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه ؟ قال قلت يا رسول الله قد أجرتة ، ثم جلست
الى رسول الله (س) ، فأخذت برأسه فقلت والله لا ينجيه الليلة دوني رجل ، فلما أكنز عمر في شأنه
قال قلت : مهلا يا عمر فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب - سأ قلت هذا ، ولكنك قد عرفت

(١) صاحبه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام . (٢) ما بين المرينين عن المصرية فقط .

أنه من رجال بني عبدمناف، فقال مهلا يا عباس فوالله لا سلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب [لو أسلم]، فقال رسول الله «أذهب به يا عباس إلى رحلك فاذا أصبحت فأنتني به» قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما [رآه قال] «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» فقال بأبي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد، قال «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟» قال بأبي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا، فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك؟ قال فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا؟ قال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» [زاد عروة ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن] وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري ^(١) «ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عباس أحبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها» [وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان وبيلا وحكيم بن حزام كانوا وقوا مع العباس عند خطم الجبل، وذكر أن سعدا لما قال لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فشكى أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعزله عن راية الانصار وأعطاه الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكة وغرزا بالحجون، ودخل خالد من أسفل مكة فلقى بنو بكر وهذيل فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا فقتلوا بالحزرة حتى بلغ قتلهم باب المسجد] ^(٢) قال العباس: فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أحبسه، قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هؤلاء؟ فأقول سليم فيقول مالي ولسليم، ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء؟ فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة، حتى نفنت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألتني عنها فاذا أخبرته قال مالي ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال سبحانه الله يا عباس من هؤلاء؟ قال قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في المهاجرين والانصار، قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما! قال قلت يا أبا سفيان إنها النبوة، قال فنعم إذن، قال قلت النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلا صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل

لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت اليه هند بنت عتبة فاخذت بشاربه فقالت اقتلوا
الحميت اللدسم الأحس قبيح من طليعة قوم ، فقال أبو سفيان : ويلكم لا تفرنكم هذه من أنفسكم
فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا فأتلك الله وما تغني عنا
دارك ؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فنفرق الناس الى دورهم
والى المسجد [وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله (س) لما مر بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوها
كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه على ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك إن
هؤلاء صدقوني إذ كذبتهموني ونصروني إذ أخرجتموني » ثم شكى اليه قول سعد بن عبادة حين مر
عليه فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . فقال رسول الله : « كذب سعد بل
هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة » وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة
تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس ينجحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف
وقال للعباس ما بالهم ؟ قال إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة ، فلما حضرت الصلاة ورآهم
يركعون يركعونه ويسجدون يسجدونه قال : يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ؟ قال نعم والله لو أمرهم
بترك الطعام والشراب لأطاعوه . وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما تواضأ رسول الله (س) جعلوا
يتكفون ، فقال يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصر [(١)] . وقد روى الحافظ البيهقي
عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني الحسين
ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس فذكر هذه القصة بتامها كما أوردها
زياد البكائي عن ابن اسحاق منقطعة والله أعلم . على أنه قد روى البيهقي من طريق أبي بلال
الاشعري عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : جاء
العباس بأبي سفيان الى رسول الله (س) ، قال فذكر القصة الا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح
بين يدي رسول الله (س) ، وأنه لما قال له رسول الله (س) : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن »
قال أبو سفيان وما تسع داري ؟ فقال « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال وما تسع الكعبة ؟ فقال
« ومن دخل المسجد فهو آمن » قال وما يسع المسجد فقال « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال
أبو سفيان هذه واسعة . وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال :
لما سار رسول الله (س) عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام
وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله (س) فأقبلوا يسرون حتى أتوا مر الظهران فإذا هم
بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان ما هذه كأنها نيران عرفة ؟ فقال بديل بن ورقاء نيران بني

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبية .

عمرو، فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك، فآرأهم فأس من حرس رسول الله (ص)، فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله (ص)، فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس «احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين» فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع رسول الله (ص)، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه؟ قال هذه غفار قال مالي ولغفار، ثم مرت جبهة فقال مثل ذلك؟ ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال من هذه؟ قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عباد معه الراية، فقال سعد بن عباد: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبنا يوم الدمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فبهم رسول الله (ص)، وأصحابه وراية رسول الله (ص)، مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله (ص)، بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عباد؟ فقال ما قال؟ قال كذا وكذا فقال «كذب سعد ولا تكن هذا يوم يعظم الله الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة» وأمر رسول الله (ص)، أن تركز رايته بالحجون. قال عروة أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: هاهنا أمر رسول الله (ص)، أن تركز الراية؟ قال نعم قال وأمر رسول الله (ص)، خالد بن الوليد أن يدخل من أعلا مكة من كدأء ودخل رسول الله (ص)، من كدأى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجالان حنيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري. وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله (ص)، عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران، فقال له العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئاً؟ قال «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن».

صفة دخوله (ص)، مكة

ثبت في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله (ص)، دخل مكة وعلى رأسه المغفرة فلما نزعاه جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال «اقتلوه» قال مالك ولم يكن رسول الله (ص)، فيها نرى والله أعلم محرماً. وقال أحمد ثنا عفان ثنا حماد أنبأ أبو الزبير عن جابر أن رسول الله (ص)، دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذي حسن صحيح. ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله (ص)، دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام وروى مسلم من حديث أبي أسامة عن ثور الوراق عن جعفر بن عمرو بن

حريث عن أبيه قال : كآنى أنظر الى رسول الله (س) ، يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه . وروى مسلم في صحيحه والترمذى والنسائى من حديث عمار الدهنى عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله (س) دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وروى أهل السنن الاربعة من حديث يحيى بن آدم عن شريك القاضى عن عمار الدهنى عن أبي الزبير عن جابر قال : كان لواء رسول الله (س) يوم دخل مكة ابيض . وقال ابن اسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عائشة : كان لواء رسول الله (س) يوم الفتح ابيض ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من مرط مرجل . وقال البخارى ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عبد الله بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله (س) يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال لولا أن يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجعت . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله (س) لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة بردجيرة حمراء ، وأن رسول الله (س) ابيض رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثمونه ليكاد يمس واسطة الرحل . وقال الحافظ البيهقى أنبا أبو عبد الله الحافظ أنبا دعلج بن احمد ثنا احمد بن على البار ثنا عبد الله بن أبى بكر المقدسى ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : دخل رسول الله (س) مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا . وقال أنبا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر بن بالويه ثنا أحمد بن صاعد ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا جعفر بن عون ثنا اسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن ابن مسعود أن رجلا كلم رسول الله (س) يوم الفتح فأخذته الرعدة ، فقال « هون عليك فانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » قال وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى ابن زهير عن اسماعيل بن أبى الحارث موصولا . ثم رواه عن أبى زكريا المزكى عن أبى عبد الله محمد ابن يعقوب عن محمد بن عبد الوهاب عن جعفر بن عون عن اسماعيل بن قيس مرسل وهو المحفوظ وهذا التواضع فى هذا الموطن عند دخوله (س) مكة فى مثل هذا الجيش الكشيف العرمم بخلاف ما اعتمده سفهاء بنى اسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجدوا - أى ركع - يقولون حطة فدخلوا يزحفون على أكتافهم وهم يقولون حنطة فى شعرة . وقال البخارى ثنا القاسم بن خارجة ثنا حفص بن ميسرة عن هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة أخبرته أن رسول الله (س) دخل عام الفتح من كداء التى باعلا مكة ، تابعه أبو أسامة ووهب فى كداء . حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه دخل رسول الله (س) عام الفتح من أعلا مكة من كداء وهو أصح إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم انتظم الكلام والا فكداء بالمدة المذكورة فى الروايتين وهى فى أعلا مكة وكندى مقصور فى أسفل مكة وهذا هو المشهور والأنسب وقد تقدم أنه عليه السلام

بعث خالد بن الوليد من أعلام مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كُدَى وهو في صحيح البخاري والله أعلم . وقد قال البيهقي أنبا أبو الحسين بن عبدان أنبا أحمد بن عبيد الصغار ثنا عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا معن ثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن نافع عن ابن عمر قال : لما دخل رسول الله (ص) عام الفتح وأتى النساء يلطنن وجوه الخيل فتبسم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشده أبو بكر رضى الله عنه :

عَدِمْتُ بَنِيَّ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُذِيرُ النَّعْصَ مِنْ كُنْفِي كَدَاءَ
يَنَازِعُنَ الْأَعْنَةَ مَسْرَجَاتِ يَلْطَمُنَنَّ بِالْحُمْرِ النَّسَاءَ

فقال رسول الله (ص) : « ادخلوها من حيث قال حسان » . وقال محمد بن اسحاق : حدثني يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله (ص) بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده أي بنية اظهرى بي على أبي قبيس ، قالت وقد كف بصره ، قالت فأشرفت به عليه فقال أي بنية ماذا ترين ؟ قالت أرى سواداً مجتمعا قال تلك الخيل ، قالت وأرى رجلاً يسمى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً ، قال أي بنية ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت قد والله انتشر السواد ، فقال قد والله إذن دفعت الخيل فأسرعى بي إلى يدي فأنحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت وفي عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت فلما دخل رسول الله (ص) مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بابيه يوقده فلما رآه رسول الله (ص) قال « هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ » قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه . فاجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال اسلم فاسلم ، قالت ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة بياضاً فقال رسول الله (ص) : « غيروا هذا من شعره » ثم قام أبو بكر فاخذ بيد اخته وقال : أنشد الله والاسلام طوق أختي ؟ فلم يجبه أحد قال فقال أي أختية احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم القليل . يعني به الصديق ذلك اليوم على التعمين لأن الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحد يلوى على أحد مع انتشار الناس ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربي والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي أنبا عبد الله الحافظ أنبا أبو العباس الأصم أنبا يحر بن نصر أنبا ابن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي (ص) ، فلما وقف به على رسول الله (ص) قال « غيروه ولا تقربوه سواداً » قال ابن وهب وأخبرني عمر بن محمد عن زيد بن أسلم أن رسول الله (ص) : « هنا أبا بكر فاسلام أبيه قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله (ص) : حين فرق جيشه من ذي طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبه اليسرى ، وأمر

سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كدى ، قال ابن اسحاق [من المهاجرين] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخل قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمه فسمعها رجل . قال ابن هشام يقال إنه عمر بن الخطاب ، فقال يا رسول الله أتسمع ما يقول سعد بن عباد ؟ ما تأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله (س) ، لعلى « أدركه نخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » . قلت : وذكر غير محمد بن اسحاق أن رسول الله (س) لما شكى اليه أبو سفيان قول سعد بن عباد حين مر به ، وقال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمه - يعني الكعبة - فقال النبي (س) ، « بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة » وأمر بالراية - راية الانصار - أن تؤخذ من سعد بن عباد كالنأديب له ، ويقال إنها دفعت الى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة عن الزهري دفعها الى الزبير بن العوام فالله اعلم .

[وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن اسحاق بن دينار ثنا عبد الله بن السري الانطاكي ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد . وحدثني موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله (س) ، الراية يوم فتح مكة الى سعد بن عباد فجعل يهزها ويقول : اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمه . قال فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم ، قال فعارضت امرأة رسول الله (س) ، في مسيره وأنشأت تقول :

يا نبي الهدى اليك بجأحي قريش ولات حين بئام
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم آله السماء
[والتقت حلقتا البطان على القو م وتودوا بالصَّيْلُ الصلحاء (١)]
إن سعداً يريد قاصية الظب ر بأهل الحُجُون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغي ظر رمانا بالنَّشِرِ والعَوَاءِ
[فانهيئه فانه الأسد الام ود واللبث والنَّغ في الدماء]
فلئن أقحم اللواء وفادي يا حمة اللواء أهل اللواء
لتكوننَّ بالبطاح قريش بقعة القاع في أ كفت الاماء
[إنه مصلت يريد لها الراي ي صوت كلحية الصماء]

قال فلما سمع رسول الله (س) ، هذا الشعر دخله رجة لهم ورافة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عباد ودفعت الى ابنه قيس بن سعد ، قال فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا (١) هذا البيت لم يرد في الاصل وإنما أورده السهيلي في الروض الانف ونسب الشعر الى ضرار بن الخطاب . ولم يورد البيهقي المشار اليهما بعد هذا بمربعين . مع تحوير بعض الفاظ منها .

ينجيها إذ رغبت إليه واستغاثت به ، وأحب أن لا يغضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قال ابن اسحاق ^(١) وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله (ص) أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبه اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله (ص) ودخل رسول الله (ص) من أواخر حتى نزل بأعلام مكة فضربت له هنالك قبته . وروى البخاري من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال « لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر » . ثم قال البخاري ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا أبو الزبير عن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله ، الخيف حيث تقاسموا على الكفر » وقال الامام أحمد ثنا يونس ثنا إبراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » ورواه البخاري من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله ابن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخنندمة ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله (ص) ويصلح منه ، فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، فقالت والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال والله إنني لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال :

إِنْ يُقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِيَ عَلَيَّ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ

وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَهِ

قال ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد فاوشوهم شيئاً من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحنيش ^(٢) بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ وكان في جيش خالد ، فشذا عنه فسلحاً غير طريقه فقتل جميعاً ، وكان قتل كرز قبل حنيش ^(٣) قالوا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامرأته اغلقي على بابي ، قالت فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

(١) ما بين المربعين المروي عن ابن عساكر لم يرد في نسخة دار الكتب المصرية .

(٢) في الأصل حنيش وفي ابن هشام والتميمودية حنيس وقال السهيلي إن الصواب حنيش .

(٣) وفي ابن هشام : أن حنيس بن خالد قتل فأخذه كرز فجعله بين رجله ثم قاتل عنه حتى قتل .

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسله
يقطن كل ساعد وجمعه ضرباً فلا يسمع إلا غفقه
لم نهيت خلفنا وهمه لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

قال ابن هشام : وتروى هذه الايات للرعاش المذلي ، قال وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وخين
والطائف يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج يا بني عبد الله ، وشعار الأوس يا بني عبيد الله . وقال
الطبراني ثنا علي بن سعيد الرازي ثنا أبو حسان الزيادي ثنا شعيب بن صفوان عن عطاء بن السائب
عن طاووس عن ابن عباس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات
والارض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وأنه لا يحل لأحد قبلي وإنما حل
لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان » فقيل له هذا خالد بن الوليد يقتل ؟ فقال « قم يا فلان فأت خالد بن
الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل » فأذا الرجل فقال إن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول أقتل من قدرت عليه ،
فقتل سبعين إنساناً فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له ، فأرسل إلى خالد فقال « ألم أنهك عن القتل ؟ »
فقال جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه ، فأرسل إليه « ألم أمرك ؟ » قال أردت أمراً وأراد
الله أمراً فكان أمراً لله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذي كان . فبكت عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فمرد عليه
تيسياً . قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير
أنه أهدر دم نفر سمام وإن وجدوا نحت أستار الكعبة وهم ؛ عبد الله بن سعد بن أبي مروح كان قد
أسلم وكتب الوحي ثم ارتد ، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه
من الرضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . طويلاً ثم قال « نعم » فلما انصرف
مع عثمان قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن حوله « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي قد
صمت فيقتله » فقالوا يا رسول الله هلا أومأت إلينا ؟ فقال « إن النبي لا يقتل بالاشارة » وفي رواية
« إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين » قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بعد ذلك
وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته كما سيأتي بيانه . قال
ابن اسحاق : وعبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب .
قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل أنه كافٍ كذلك ثم لما أسلم معي عبد الله (١)
ولما أسلم بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصداقاً وبعث معه رجلاً من الانصار ، وكان معه مولى له فغضب
(١) وقال السهيلي : وقد قيل في اسمه هلال وقيل إن هلالاً كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان .

عليه غضبة فقتله ، ثم ارتد مشركا ، وكان له قيتان فرتني وصاحبتهما فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله (س) والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قيتيه قتل وهو متعلق بإستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو برزة الاسلمى وسعيد بن حريث المخزومي وقتلت إحدى قيتيه واستؤمن للآخرى . قال والحويث ابن قنيد بن وهب بن عبد قهي وكان ممن يؤذى رسول الله (س) بمكة ، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما الى المدينة يلحقهما برسول الله (س) أول الهجرة نخس بهما الحويث هذا الجمل الذي هما عليه فقطنا الى الارض ، فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب ، قال ومقيس بن صبابه لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية ثم ارتد مشركا ، قتله رجل من قومه يقال له نميلة بن عبد الله قال وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل لأنها كانت تؤذى رسول الله (س) وهي بمكة . قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة وكأنها عفى عنها أو هربت ثم أهدر دمها والله أعلم . فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله (س) فأمضا فعاثت الى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فمات . وذكر السهيلي أن فرتني أسلمت أيضاً . قال ابن اسحاق : وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله (س) فأمضه فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله (س) فأسلم . وقال البيهقي انبا أبو طاهر محمد بن محمد بن محسن الفقيه انبا أبو بكر محمد بن الحسين القطان انبا احمد بن يوسف السلمى ثنا احمد بن الفضل ثنا اسباط بن نصر الهمداني قال زعم السدي عن مصعب بن سعد عن ابيه قال : لما كان يوم مكة آمن رسول الله (س) الناس الا أربعة نفر وامرأتين . وقال « اقتلوه وإن وجدتموهم متعلقين بإستار الكعبة » وهم عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله ابن سعد بن أبي سرح . فاما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بإستار الكعبة فاستبق اليه سعيد ابن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله . وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف فقال أهل السفينة لاهل السفينة : اخلصوا فان آلمتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينج في البحر الا الاخلاص فانه لا ينجى في البر غيره ، اللهم إن لك على عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا جدنه عفواً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فانه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله (س) الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي (س) . فقال : يا رسول الله بايع عبد الله ، فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثاً كل ذلك يأتي ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رأي كفت يدي عن بيعته فيقتله ؟ » قالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أو مات ؟ يا بعينك ؟ فقال « إله لا ينبغي لنبي أن

تسكون له خائنة الأدين . ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه . وقال البيهقي انبا أبو عبد الله الحافظ انبا أبو العباس الاصم انبا أبو زرعة الدمشقي ثنا الحسن بن بشر الكوفي ثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك قال : أمن رسول الله (س) الناس يوم فتح مكة الا أربعة ؛ عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صبابه . وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأم سارة ، فاما عبد العزى بن خطل فانه قتل وهو متعلق بإستار الكعبة ، قال ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح اذا رآه وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاة فأتى به رسول الله (س) ليشفع له ، فلما أبصر به الانصارى اشتعل على السيف ثم أقام فوجده في حلقة رسول الله (س) فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبي (س) فبايعه ، ثم قال للانصارى « قد انتظرتك أن توفى بنذرك ؟ » قال يا رسول الله هبتك أفلا أو مضت الى ؟ قال « إنه ليس للنبي أن يومض » . وأما مقيس بن صبابه فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك ، قال وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش فأتت النبي (س) فشكت اليه الحاجة فأعطاه شيئاً ، ثم بعث معها رجل بكتاب الى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة . وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن مقيس بن صبابه قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركاً فقدم مقيس مظهراً للإسلام ليطلب دية أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع الى مكة مشركاً ، فلما أهدر رسول الله (س) دمه قتل وهو بين الصفا والمروة وقد ذكر ابن اسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شفي النفس من قد بات بالقاع مسنداً يضرجُ ثوبيه دماءُ الاخادع
وكانت همومُ النفس من قبل قتله تلمُ وتُنسِيني وطاءَ المضاجع
قتلتُ به فهراً وغرمتُ عقله سراً بني النجار أربابَ فارغ
حلاتُ به نذرى وأدركت ثورتى وكنت الى الأوثان أولَ راجع

قلت : وقيل إن القيتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابه هذا وأن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله (س) بآعلا مكة فر إلى رجلان من أحمائي من بني مخزوم - قل ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة - قال ابن اسحاق : وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت فدخل على أخي علي بن أبي طالب فقال والله لأقتلها فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله (س) وهو بآعلا مكة فوجدته يقتل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة

ابلقه تسره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف الى
 فقال « مرحباً وأهلاً بأم هانئ ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال « قد أجرنا من
 أجرت وأماناً من أمنت فلا يقتلها » وقال البخارى ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن
 أبي لبي قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يصلى الضحى غير أم هانئ فانها ذكرت يوم فتح
 مكة (أن النبي - صلى الله عليه وسلم - اغتسل في بيتها ثم صلى ثمان ركعات ، قالت ولم أره صلى صلاة أخف منها
 غير أنه يتم الركوع والسجود . وفي صحيح مسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن
 سعد بن أبي هند أن أبا مرة مولى عقيل حدثه أن أم هانئ بليت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام
 الفتح فر إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتهم ، قالت فدخل على علي فقال أقتلها ، فلما سمعته أتيت
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بأعلا مكة فلما رأى رتب وقال « ما جاء بك ؟ » قلت يا نبي الله كنت أمت
 رجلين من أحماني فأراد علي قتلها ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » ثم قام
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى غزاه فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوباً فالتحف به ثم صلى ثمانى ركعات سبحة
 الضحى . وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تسره بثوب ، فقال « من هذه ؟ »
 قالت أم هانئ قال « مرحباً بأم هانئ » قالت يا رسول الله زعم ابن أم علي بن أبي طالب أنه قاتل
 رجلاين قد أجرتهم ؟ فقال « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » قالت ثم صلى ثمانى ركعات وذلك
 ضحى فلما كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون بل كانت هذه صلاة الفتح
 وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين وهو يرد على السبيل وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون
 ثمانياً بقسامة واحدة ، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثمانى ركعات
 يسلم من كل ركعتين والله الحمد .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور
 عن صفية بليت شيبه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما نزل بمكة وأطمان الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف
 به سبماً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه
 مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حجارة من عيوان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف
 على باب الكعبة وقد استسكف له الناس في المسجد . وقال موسى بن عقبة ثم سجد سجدتين ثم
 انصرف الى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ والناس يبتعدون وضوءه والمشركون
 يتعجبون من ذلك ويقولون ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به - يعني مثل هذا - وأخر المقام الى
 مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت . قال محمد بن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ، ألا كل مائة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت
وسقاية الحاج ، ألا قتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل ، أربعون
منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ،
الناس من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى] الآية
كلها ثم قال « يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم ؟ » قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، قال
« اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس رسول الله (ص) في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح
الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجعل لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله
(ص) « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بروفاء »
وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن جدهان عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ، ألا إن قتيل الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الابل » وقال مرة
أخرى « مغلظة فيها أربعون خلفه في بطونها أولادها ، ألا إن كل مائة كانت في الجاهلية ودم
ودعوى » وقال مرة « ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فانهما
أرضيتهما لأهلها على ما كانت » . وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن
زيد بن جدهان عن القاسم بن ربيعة بن جوشن النخلافاني عن ابن عمر به . قال ابن هشام : وحدثني
بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ،
ورأى إبراهيم مصوراً في يده الأزام يستقسم بها فقال « فاتلهم الله جعلوا شيخاً يستقسم بالأزلام
ما شأن إبراهيم والأزلام ؟ » ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان خفيفاً مسلماً وما كان
من المشركين [ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان ابن عبد الرحمن عن
موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر قال : كان في الكعبة صور فأمر رسول الله (ص) أن يمحوها
فبل عمر ثوباً ومحاها به . فدخلها رسول الله (ص) ، وما فيها منها شيء . وقال البخاري حدثنا صدقة بن
الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله - هو ابن مسعود -
قال : دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعن بها يعود
في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد » : وقد رواه مسلم
من حديث ابن عيينة . وروى البيهقي عن ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن علي بن عبد الله
ابن عباس عن أبيه قال : دخل رسول الله (ص) يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم فأخذ

قضييه فجعل يهوى الى الصنم وهو يهرى حتى مر عليها كلها ، ثم يروى من طريق سويد بن (١) عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله (س) ، لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنما فإشار الى كل صنم بعصا وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فكان لا يشير الى صنم الا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه ، ثم قال وهذا وإن كان ضعيفا فالذى قبله يؤكد . وقال حنبل بن اسحاق انبا أبو الربيع عن يعقوب القمي ثنا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبيزى قال : لما افتتح رسول الله (س) ، مكة جاءت عجوز شمطاء حبشية تحمّش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله (س) ، تلك فائلة أليست أن تعبد بيلدكم هذا أبدا . وقال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل الرواية في اسناده عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس] أنه قال : دخل رسول الله (س) ، مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي (س) ، يشير بقضيب في يده الى الأصنام ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ، ولا أشار الى قفاه الا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم الا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام مُعْتَبَرٌ وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

وفي صحيح مسلم عن سنان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله (س) ، حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى الى صنم الى جنب البيت كانوا يعبدونه وفي يد رسول الله (س) ، قوس وهو آخذ بسيتها فلما أتى على الصنم فجعل يطمئن في عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فملا عليه حتى نظر الى البيت فرفع يديه وجعل يحمده الله ويدعو بما شاء أن يدعو . وقال البخاري ثنا اسحاق بن منصور ثنا عبد الصمد ثنا أبي ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (س) ، لما قدم مكة أتى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزام ، فقال « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسم بها قط » ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل . تفرد به البخاري دون مسلم . وقال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله (س) ، دخل الكعبة وفيها ست سوارى ، فقام الى كل سارية ودعا ولم يصل فيه . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بن يحيى العوذى عن عطاء به . وقال الامام احمد حدثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكيرا حدثه عن كريب عن ابن عباس أن رسول الله (س) ،

حين دخل البيت وجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم فقال : « أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا ابراهيم مصورا فبالله يستقسم ؟ » . وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به . وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق أنبا معمر أخبرني عثمان الخزازي أنه سمع مقبها يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله (ص) البيت فدعا في نواحيه ثم خرج فصلى ركعتين . تفرد به احمد . وقال الامام احمد : ثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله (ص) صلى في البيت ركعتين . قال البخارى وقال الليث ثنا يونس أخبرني نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحمجة حتى أفاخ في المسجد فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان ابن طلحة فكث فيه نهارا طويلا ثم خرج فاستمع الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما ، فسأله أين صلى رسول الله (ص) ؟ فأشار له الى المكان الذي صلى فيه قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة . ورواه الامام احمد عن هشيم ثنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله (ص) ، ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأمر بلالا فأجاف عليهم الباب فكث فيه ماشاء الله ثم خرج . قال ابن عمر فكان أول من لقيت منهم بلالا فقلت أين صلى رسول الله (ص) ؟ قال هاهنا بين الاسطوانتين . قلت : وقد ثبت في صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى في الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع ! وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله (ص) صلى في البيت ركعتين [قال ابن هشام وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا ، فسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصة ، فخرج عليهم رسول الله (ص) فقال : « قد علمت الذى قلتم » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني والدى حدثني بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله (ص) لما دخل مكة أمر بلالا فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيدا إذ قبضه

قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله (س) بلالا فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره . وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله (س) أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين . وقال محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حرب عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه لو جمعت لمحمد جمعاً ؟ فإنه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله (س) بين كتفيه وقال « إذا يخزيك الله » قال فرفع رأسه فإذا رسول الله (س) قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة . قال البيهقي وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أن أبا جهم الجهمي قال قال أبو عبد الله (س) : قال يونس بن أبي اسحاق عن أبي السفر عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله (س) يمشي والناس يطئون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عادت هذا الرجل القتال ؟ فجاء رسول الله (س) حتى ضرب بيده في صدره فقال « إذا يخزيك الله » فقال أنوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به . ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبي حامد ابن الشرق عن محمد بن يحيى الذهلي ثنا موسى بن أعين الجزري ثنا أبي عن اسحاق بن راشد عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله ، قال ثم أصبح أبو سفيان ففدا إلى رسول الله (س) فقال رسول الله (س) : « قلت لهند أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند . وقال البخاري ثنا اسحاق ثنا أبو عاصم عن ابن جريج أخبرني حسن بن مسلم عن مجاهد أن رسول الله (س) قال « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بخرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها ولا يعصد شوكتها ولا يختلي خلأوها ولا تحل لقطتها إلا لشفد » فقال العباس بن عبد المطلب إلا الأذخر يا رسول الله فإنه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال « إلا الأذخر فإنه حلال » وعن ابن جريج أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - عن عكرمة عن ابن عباس بمنل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبي (س) تفرد به البخاري من هذا الوجه الأول وهو مرسل ، ومن هذا الوجه الثاني أيضاً . وبهذا وأمثاله استدلل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة ، ولقوة التي كانت في الخدمة كما تقدم . وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهي ظاهرة في

ذلك وهو من مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعي أنها فتحت صلحاً لأنها لم تقسم ، ولقوله (س) ،
ليلة الفتح « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن »
وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقال البخاري ثنا سعيد
ابن شرحبيل ثنا الليث عن المقبري عن أبي شريح الخزاعي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث
البعوث إلى مكة : إئذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله (س) : الغد من يوم الفتح محمته
أذنأي ووعاه قلبي وأبصرته عيني حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمتها الله
ولم يحرمها الناس لا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة فإن
أحد ترخص بقتال رسول الله (س) ، قتلوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة
من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » قبيل لأبي شريح ماذا
قال لك عمرو ؟ قال قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا
فاراً بجزية . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتبية عن الليث بن سعد به نحوه . وذكر ابن اسحاق
أن رجلاً يقال له ابن الأتوغ قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له أحر بأساً ، فلما كان يوم الفتح
قتلت خزاعة ابن الأتوغ ^(١) وهو بمكة قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله (س) : « يا معشر خزاعة
ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثر القتل إن فجع لقد قتلتم رجلاً لأديته » قال ابن اسحاق : وحدثني
عبد الرحمن بن حرمة الأسلمي عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله (س) ما صنع خراش
ابن أمية قال « إن خراشاً لقتال » وقال ابن اسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي
شريح الخزاعي قال : لما قسم عمرو بن الزبير ^(٢) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جثته فقلت له
يا هذا إنا كنا مع رسول الله (س) حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على
رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله (س) ، فبينا خطيباً فقال « يا أيها الناس إن الله قد
حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة فلا يحل لأمرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يعضد فيها شجرة ، لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد
يكون بعدي ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا ثم قد رجعت كجرمتها بالأمس فليبلغ
الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم إن رسول الله (س) قد قاتل فيها قتلوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم
(١) كذا في الأصل ولم تقف عليه . (٢) قال السهيلي : هذا وهم من ابن هشام وصوابه
عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية وهو الأشدق ويكنى أبا أمية وكان يسمى لطيم الشيطان وكان
جباراً شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة فقتله بحيلة . ذكره خبراً طويلاً وهو الذي رعن
على منبر رسول الله حتى سال الله بمحمود الامام .

نعلها لكم يا مشرك خذوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع لقد قتلتم قتيلا لأدينه من قتل
بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين إن شأوا قدم قاتله وإن شأوا فعقله " ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك
الرجل الذى قتلته خراعة . فقال عمرو لابي شريح : انصرف أبها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ،
إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالم طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنت شاهداً وكنت
غائباً وقد أمرنا رسول الله ﷺ ، أن يبلغ شاهداً غائبنا ، وقد أبلغتكم فأنت وشأنك . قال ابن هشام :
بلغني أن أول قتيل وده رسول الله ﷺ ، يوم الفتح جنيد بن الأكرع قتلته بنو كعب فوداه
رسول الله ﷺ ، بمائة ناقة . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ ، قال « كفوا السلاح إلا خراعة من بني بكر »
فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال « كفوا السلاح » فلقى رجل من خراعة رجلاً من بني بكر من غد
بالمدلعة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقام خطيباً فقال - فرأيتوه وهو مسند ظهره إلى الكعبة
قال - « إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل في » قاتله أو قتل بدحول الجاهلية ،
وذكر تمام الحديث وهذا ضرب جيد . وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث فأما ما فيه من
أنه رخص لخراعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر إلى العصر من يوم الفتح فلا أراه إلا في هذا الحديث
وكأنه إن صبح من باب الاختصاص لم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتر والله أعلم . وروى الامام أحمد
عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن هرون ومحمد بن عبيد كاهم عن زكريا بن أبي زائدة
عن عامر الشعبي عن الحارث بن مالك بن البرص الخراعى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول يوم فتح
مكة « لا تدرى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة » ورواه الترمذي عن بنديار عن يحيى بن سعيد
لقطان به وقال حسن صحيح .

قلت : فإن كان ثبهاً فلا إشكال ، وإن كان نفيّاً فقال البيهقي مناه على كثر أهلها وفي صحيح
مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن عبيد الله بن مطيع عن أبيه مطيع بن
الأسود العدوي قال قال رسول الله ﷺ ، يوم فتح مكة « لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم إلى يوم
القيامة » والسخلام عابده كالأول سواء . قال ابن هشام : وبلغني أن رسول الله ﷺ ، حين افتتح مكة
ودخلها قام على الصفا يدهم وقد أحسنت به الانتصار فقالوا فيها بينهم : أترون رسول الله ﷺ ، إذا فتح
الله عليه أرضه وبلاده يقيم بها ؟ فلما فرغ من خطبته قال « ما ذا قلتم ؟ » قالوا لا نرى يا رسول الله ، ولم
يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله ﷺ ، « معاذ الله الحياحياءكم والملمات مما كنتم » وهذا الذي
علقه ابن هشام قد أسنده الامام أحمد بن حنبل في مسنده فقال ثنا بهز وهاشم قال : حدثنا سليمان بن
المغيرة عن ثابت . وقال هاشم حدثني ثابت البناني ثنا عبيد الله بن رباح قال : وفيت وهوود إلى

سأوية أنا فهم وأبو هريرة وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال وكان أبو هريرة
يكثر ما يدعونا ، قال هاشم يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال قلت ألا أصنع طعاماً فادعوم إلى
رحل ؟ قال فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من المشاء قال قلت يا أبا هريرة الدعوى عندى الليلة
قال استبقي ^(١) قال هاشم قلت نعم فدعوتهم فهم عندى ، فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من
حديثكم يا معشر الانصار قال فذكر فتح مكة قال أقبل رسول الله (س) ، فدخل مكة قال فبعث الزبير
على أحد المجنبتين وبعث خالداً على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر وأخذوا بطن
الوادي ورسول الله (س) ، في كتيسته وقد وبشت قريش أو بأشبا ، قال قالوا تقدم هؤلاء فإن كان لهم
شيء كنا معهم وإن أصيبوا أعطيناها الذى سألنا ، قال أبو هريرة فنظر فرآنى فقال « يا أبا هريرة »
« قلت لبيك رسول الله ، فقال « اهتف لى بالانصار ولا يأتينى الا أنصارى » فتهتف بهم فجاءوا
فأطافوا برسول الله (س) ، قال فقال رسول الله (س) ، « أنرون إلى أو بأش قريش واتباعهم ؟ » ثم قال
بيديه إحداهما على الأخرى « أحصدوم حصداً حتى توافونى بالصفا » قال فقال أبو هريرة فأنطلقنا
فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً ، قال فقال أبو سفيان :
يا رسول الله أبيعته خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، قال فقال رسول الله (س) ، « من أغلق بابه
فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال فنلق الناس أبوابهم ، قال وأقبل رسول الله
(س) ، إلى الجسر فاستلمه ثم سلف بالبيت قال وفى يده قوس آخذ بسية القوس ، قال فأتى فى طوافه على
منهم إلى جنب البيت يمدونه قال فجعل يلمن بهما فى عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطن إن
الباطن كان زهوقاً » قال ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء
أن يذكره ويدعوه ، قال والانصار نهت قال يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى
قريته ورأفة بمشيرته قال أبو هريرة : وجاء الوحي وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من
الناس يرفع طرفه إلى رسول الله (س) ، حتى يقضى . قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال
« يا معشر الانصار أقسم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بمشيرته ؟ » قالوا قلنا ذلك
يا رسول الله ، قال « واأسمى إذا ، كلا إلى عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله واليكم فالجيا محياكم
والمات محاسنكم . قال فاقبلوا إليه يكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن بالله ورسوله ، قال
فقال رسول الله (س) : « إن الله ورسوله يصدقانكم وينذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائي من حديث
سلمان بن الميرة راد النسائي وسلام بن مسكين ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثتهم
عن ثابت عن عبد الله بن رباح الانصارى تزيل البصرة عن أبى هريرة به نحوه . وقال ابن هشام

(١) كذا فى الاصل ولعل العواب « استبقي أو استبقى » .

وحدثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عмир بن الملوح - يعني الليثي - أراد قتل النبي (س) وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دقما منه قال رسول الله (س) : « أفضالة ؟ » قال نعم فضالة يا رسول الله ، قال « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ » قال لا شيء كنت أذكر الله ، قال فضحك النبي (س) ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب الى منه ، قال فضالة فرجعت الى أهلى فررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث ؟ فقال لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم الى الحديث فقلت لا يا بني عليك الله والاسلام
أو ما رأيت محمداً وقيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيتاً والشرك يغشى وجهه الاظلام

قال ابن اسحق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : خرج صفوان ابن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا بني الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمنه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هو آمن » فقال يا رسول الله فاعطني آية يعرف بها أمانك ؟ فاعطاه رسول الله (س) ، عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال : يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها هذا أمان من رسول الله (س) ، وقد جئت بك به ، قال ويلاك أعزب عني فلا تكلمني قال أي صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملسكه ملكك ؟ قال إني أخافه على نفسي ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله (س) ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ؟ قال « صدق » قال فاجعلني بالخيار فيه شهرين ؟ قال « أنت بالخيار أربعة أشهر » ثم حكى ابن اسحاق عن الزهري أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراة الى اليمن فاسترجعته فأسلم فلما أسلمها أقرها رسول الله (س) ، فاحتبها بالنكاح الاول . قال ابن اسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : روى حسان بن الزبيري وهو بنجران بيت واحد ما زاد عليه :

لا تعد من رجلا أحلك بنضه نجران في عيش أحد لئيم
فلما بلغ ذلك ابن الزبيري خرج الى رسول الله (س) ، فأسلم وقال حين أسلم :
يا رسول الله إن لساني رائق ما فتئت إذ أنا بؤر
إذ أباري الشيطان في سنن النسي ومن مال ميلة مشبور

آمن اللحم والمظالم لربي ثم قلبي الشهيد أنت النذير
إنني منك زاجر كم نحيًا من لوي وكلهم مغرور
قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن الزبيري أيضًا حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهموم والليل ممتلج الرواق بهم
ما أتاني أن أحمد لامي فيه فبت كأني محموم
ياخذ من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين فشموم
إلى المعتز اليك من الذي أسديت أذنا في الضلال أهي
ألم تأمرني بأفوى خطاة سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني أمر النواق وأمرهم مشوم
اليوم آمن بالذي محمد قلبي ومغطى هذه محروم
مضت المداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيلنا وحلوم
فاغفر فدي لك والذي كلاهما زلي فانك راحم رحوم
وعليك من علم الملك هلامة نور أفر وخاتم مختوم
أعطاك بيد محبة برهانة شرفا وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وأنت في المعاد جسيم
والله يشهد أن أحمد ومغطى مستقبل في الصالحين كريم
قرم هلا بليانه من هاشم نزع تمسكن في الذرى وأروم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يشكروا له .
قلت : كان عبد الله بن الزبيري السهمي من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا
قوام في هاء المسلمين ، ثم من الله عليه بالتوبة والالتوبة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه .

فَضْلُهُ

قال ابن اسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبعمائة
ويقول بعضهم ألف ومن بني غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة] ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم
من قريش والانسار وحلفائهم وطوائف العرب من نعيم وقيس وأسد . وقال عروة والزهرى وموسى بن
هشبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله - ص ، اثنا عشر ألفاً والله أعلم . قال ابن اسحاق
وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الاصابع فاجلجوا^(١) إلى عذراء منزلها خلاء
 ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الرواس والسما
 وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها فم وشاء
 فنع هذا ولكن من لطيف لشعنا التي^(٢) قد تيمته
 كأن خبيثة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء
 اذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الفداء
 نولها الملامة أن ألما^(٣) اذا ما كان مفت أو لخاء^(٤)
 ونشرها فتركنا ملوكا وأسداً ما ينهها اللقاء
 عدنا خيلنا أن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
 ينار عن الأعنة مصغيات على أكتافها الأسل الظماء
 تظل جياتنا متطرات يلطمهن بالخز النساء
 فاما تعرضوا عنا اعتدنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
 وإلا فاصبروا لجلاد يوم يمز^(٥) الله فيه من يشاء
 وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء
 وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق إن نفع البلا
 شهدت به قوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء
 وقال الله قد سيرت جنداً هم الانصار عرضتها اللقاء
 لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء
 فنحكم بالقواني من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء
 الا أبلغ أبا سفيان عني مغلفة قد برح الخفاء
 بأن سيفنا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الاماء
 هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أنهجوه ولست له بكف فشركا ظيركا الفداء

(١) مواضع بالشام وعذراء قرية عند دمشق . (٢) شعنا بنت سلام بن مشكم اليهودي .
 (٣) قال السهيلي : أتينا بما نلام عليه صرفناه الى الخز . (٤) المغت الضرب باليد والوجه
 الملاحاة بالسان . (٥) وفي رواية يعين الله .

هجوت مباركا برأ حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
أمن بهجو رسول الله منكم وبمدحه وينصر سواء
فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاه
لاني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكفره الدلاء (١)

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجه لما في اثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب . قال ابن هشام : وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله (س) النساء يلطمن الخليل بالخر تبسم الى أبي بكر رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وقال أنس بن زعيم الدثلي يعتذر الى رسول الله (س) مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعنى لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم :

أأنت الذي تهدي معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك أشهد
وما حملت من فاقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلاً اذا راح كالسيف الصقيل المنهد
وأكسى لبرد الخال (٢) قبل ابتذاله وأعطي لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مذركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم أن الركب ركب عويمر هموا الكاذبون الخلفوا كل موعد
وثبوا رسول الله أنى هجوته فلا حملت سوطى الى إذن يدي
سوى أننى قد قلت ويل ام فتية أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد
أصابهموا من لم يكن لدمائهم كفاه فغزت عبرتى وتبلدى
وإنك قد أخبرت أنك ساعيا بعبد بن عبد الله وابنة مهود
ذؤيب وكلثوم وسلى تتابعوا جميعاً فان لا تدمع العين أكد
وسلى وسلى ليس حى كئله وأخوته وهل ملوك كأعبد
فانى لا ذنبا فتقت ولا دما هرقت تبين عالم الحق واقصد

قال ابن اسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبي سلى في يوم الفتح :

(١) وقد زاد السهيلي على هذه القصيدة أربعة أبيات . (٢) الخال من برود اليمن وهو من رفيع

التياب ولعله مسمى بالخال من الخيلاء اه عن السهيلي .

نفى أهل الخليل^(١) كل فج مزينة غدوة وبنو خفاف
 ضربناهم بمكة يوم فتح النبي الخير بالبيض الخفاف
 صبحناهم بسبع من سليم والى من بنى عثمان واف
 نطأ أكتافهم ضرباً وطمناً ورشقاً بالريشة اللطاف
 ترى بين الصفوف لها حفيفاً كما انصاع الفواق من الرصاف
 فرحنا والجياد تيجول فيهم بارماح مقومة الثقاف
 فأبنا قائمين بما اشتبهنا وآبوا ناديين على الخلاف
 وأعطينا رسول الله مناً موافقنا على حسن التصاف
 وقد معموا مقاتلتنا هموا غداة الروع منا بانصراف
 وقال ابن هشام وقال عباس بن مرداس السلي في فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم
 نصروا الرسول وشاهدوا آياته وشعارهم يوم اللقاء مقدم
 في منزل ثبتت به أقدامهم ضحك كأن الهام فيه الختم
 جرت سابكها بسجد قبلها حتى استقام لها الحجاز الأدم
 الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
 عود الرياسة شامخ عرينه متطلع ثغر المكارم خضرم

وذكر ابن هشام في سبب اسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له
 ضمار فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
 إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قریش مهتدى
 أودى ضمار وكان يعبد مدة قبل الكتاب إلى النبي محمد

قال فخر عباس ضمار ثم لحق برسول الله - ، فأسلم ، وقد تقدست هذه القصة بتمامها في باب
 هواتف الجن مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة

قال ابن اسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن أبي جعفر محمد بن علي قال

(١) الخليل أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والخليل الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب

الغنم . قاله السهيلي .

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب وسليمان بن منصور ومذليج بن مرة فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا: قال ابن اسحاق: وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار، وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحاً أبداً. قال فأخذته رجال من قومه فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد. قال ابن اسحاق: فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: فلما وضعوا السلاح أمرهم خالد فسكرتوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل أنكر عليه أحد؟» فقال نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربة فسمه خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما، فقتل عمر بن الخطاب: أما الأول فابن عبد الله بن أبي جحدم قال: ثم دعا رسول الله ﷺ أبي حذيفة. قال ابن اسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى أنه ليدى ميلنة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا لا، قال: قال أعطاكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ. مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فقال: «أصبحت وأحسنت» ثم قام رسول الله ﷺ، فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبیه يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» ثلاث مرات. قال ابن اسحاق: وقد قال بعض من يمدح خالداً أنه قال ما قاتلت حتى أسرى بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لا تمتنعهم من الإسلام. قال ابن هشام: قال أبو عمرو المديني: لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا صبياناً صبياناً وهذه مرسلات ومنقطعات. وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال - جذيمة فدعاهم

إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صباناً صباناً، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً، قال ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبحت يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر فقلت والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره، قال فقدموا على النبي (ص) فذكروا صنيع خالد فقال النبي (ص) ورفع يديه « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين . ورواه البخاري والفسائي من حديث عبد الرزاق به نحوه . قال ابن اسحاق : وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد : يا بني جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه . قال ابن اسحاق : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية في الاسلام ؟ فقال إنما تأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك تأرت بعملك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شر ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال « مهلا يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقت في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا راحته » ثم ذكر ابن اسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بارض بني جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهت قريش بفزو بني جذيمة فبعث بنو جذيمة يعترضون اليهم بأنه لم يكن عن ملائمتهم . ودوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم ، يعني فلماذا قال خالد لعبد الرحمن إنما تأرت بأبيك يعني حين قتلته بنو جذيمة ، فأجابته بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ورد عليه بأنه إنما ثار بعمة لفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله ، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا في وقت المحاصرة فانما أراد خالد بن الوليد نصرة الاسلام وأهله وإن كان قد أخطأ في أمر واعتقد أنهم ينتقصون الاسلام بقولهم صباناً صباناً ، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله (ص) بل استمر به أميراً وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك وودى ما كان جناه خطأ في دم أو مال ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الامام يكون في بيت المال لا في ماله والله اعلم . ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فان في سيفه رهقا فقال الصديق : لا أعهد سيفاً لله على المشركين

وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الزهري عن ابن أبي حنيفة
الأسلمى قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال قتي من بني جذيمة وهو في سنى وقد جمعت
يداه الى عنقه برمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى قلت ما تشاء ؟ قال هل أنت آخذ بهذه
البرمة فتأخذى الى هذه النسوة حتى أقضى اليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا ما بدا لكم ؟ قال قلت
والله ليسير ما طلبت فأخذت برمتي فقدمته بها حتى وقفته عليهن فقال : اسلمى حبش على نفاذ العيش :

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألبيتكم بالخوانق
ألم يك أهلك أن ينزل عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلكنا ما أثبي بود قبل إحدى الصفائق
أثبي بود قبل أن يشط النوى وينأى الأمير بالحبيب المفاوق
فأني لا ضيعة سر أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال المشيرة شاغل عن الود إلا أن يكون التوامق

قالت : وأنت فحيت عشرًا وتسعًا وترًا وثمانية تترى قال ثم انصرفت به فضربت عنقه . قال
ابن اسحاق : فحدثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمى عن أشياخ منهم عن كان حضرها منهم قالوا
قامت اليه حين ضربت عنقه فأبكت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده . وروى الحافظ البيهقي
من طريق الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق أنه سمع رجلاً من مزينة
يقال له ابن عصام عن أبيه قال : كان رسول الله (ص) إذا بعث سرية قال « إذا رأيتم مسلحاً أو ممسحاً
مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » قال فبعثنا رسول الله (ص) في سرية وأمرنا بذلك فخرجنا قبل تهامة فأدركنا
رجلاً يسوق بظمائن فقلنا له أسلم ، فقال وما الاسلام ؟ فأخبرناه به فاذا هو لا يعرفه ، قال أفرايتم إن
لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال قلنا فقتلك ، فقال فهل أنتم منطري حتى أدرك الظمائن ؟ قال قلنا نعم
ونحن مدركوك ، قال فأدرك الظمائن فقال : اسلمى حبش قبل نفاذ العيش . فقالت الاخرى اسلم عشرًا
وتسعًا وترًا وثمانية تترى ثم ذكر الشعر المتقدم الى قوله : وينأى الأمير بالحبيب المفاوق ، ثم رجع
اليها فقال شأنكم قال فقدمناه فضربنا عنقه قال فأنحدرت الاخرى من هودجها فجثت عليه حتى
ماتت . ثم روى البيهقي من طريق أبي عبيد الرحمن النسائي ثنا محمد بن علي بن حرب المروزي
ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله
(ص) بعث سرية فقتلوا وفيهم رجل ، فقال لهم إني لست منهم إني عشقت امرأة فلحقها فدعوني
أنظر اليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، قال فاذا امرأة أدماء طويلة فقال لها : اسلمى حبش قبل
نفاذ العيش . ثم ذكر البيتين بمنأى . قال فقالت نعم فديتك ، قال فقدبوه فضربوا عنقه فجاءت

المرأة فوقعت عليه فشقت شهقة أو شهقتين، ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله (س)، أخبروه الخبر فقال «أما كان فيكم رجل زحيم»

بعث خالد بن الوليد لهدم العزى

قال ابن جرير: وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ. قال ابن اسحاق: ثم بعث رسول الله (س)، خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بيتا بنخللة يعظمه قريش وكنانة ومضر، وكان سدنها وحجابها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، فلما سمع حاجبها السلمي بمسير خالد بن الوليد إليها عاق سيفه عليها ثم اشتد في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

أيا عزى شدي شدة لا شوى لها على خالد ألقى القناع وشمري

أيا عزى إن لم تقتلي المرأة خالداً فيؤتى بأثم عاجل أو تنصرى

قال فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله (س). وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله (س)، فقال «ما رأيت؟» قال لم أرى شيئاً فأمره بالرجوع فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول:

يا عزي كفرانك لا سبحانهك إني رأيت الله قد أهانك

ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله (س)، فقال «تلك العزى ولا تميد أبداً» وقال البيهقي أنبأ محمد بن أبي بكر الفقيه أنبأ محمد بن أبي جعفر أنبأ أحمد بن علي ثنا أبو كريب عن ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله (س)، مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، فأناها وكانت على ثلاث سمرة، فقطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى رسول الله (س)، فأخبره فقال «ارجع فانك لم تصنع شيئاً». فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون: يا عزي خبليه يا عزي عوريه والافوتي برغم. قال فأنها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي (س)، فأخبره فقال «تلك العزى»

فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يتصر الصلاة ويفطر، وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يقصر ويفطر إلى ثمانين يوماً في أحد القولين وفي القول الآخر ما هو مقرر في موضعه. قال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفيان ح وحدثنا قبيصة ثنا

سفيان عن يحيى بن أبي اسحاق عن أنس بن مالك قال: أقامنا مع رسول الله (س)، عشرة يقصر الصلاة وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبي اسحاق الحضرمي البصري عن أنس به نحوه. قال البخاري ثنا عبدان ثنا عبد الله ابناً عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال: أقام رسول الله (س)، تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين. ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر زاد البخاري وأبو حصين كلاهما وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عاصم بن سليمان الاحول عن عكرمة عن ابن عباس به وفي لفظ لأبي داود سبعة عشر يوماً وحدثنا أحمد بن يونس ثنا أحمد بن شهاب عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال أقامنا مع رسول الله (س)، في سفر تسع عشرة تقصر الصلاة. قال ابن عباس: فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة، فإذا زدنا أتممنا. وقال أبو داود ثنا إبراهيم بن موسى ثنا ابن علية ثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن عمران بن حصين قال: غزوت مع رسول الله (س)، وشهدت معه الفتح فأقام ثمانى عشر ليلة لا يصلي إلا ركعتين يقول «يا أهل البلد صلوا أربعاً فانا سفر» وهكذا رواه الترمذي من حديث علي بن زيد بن جدعان وقال هذا حديث حسن. ثم رواه من حديث محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: أقام رسول الله (س)، عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم قال رواه غير واحد عن ابن اسحاق لم يذكر ابن عباس. وقال ابن ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري ومحمد بن علي ابن الحسين وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا: أقام رسول الله (س)، بمكة خمس عشرة ليلة.

فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من الاحكام

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلم عن مالك بن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي (س)، وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: كان عتبة بن أبي وقاص عهد الى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة، وقال عتبة إنه ابني، فلما قدم رسول الله (س)، مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة فاقبل به الى رسول الله (س)، وأقبل معه عبد بن زمعة فقال سعد بن أبي وقاص: هذا ابن اخي عهد الى أنه ابنه، قال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا أخي هذا ابن زمعة ولد علي فراشه، فنظر رسول الله (س)، الى ابن وليدة زمعة فاذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص، فقال رسول الله (س)، «هولك هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد علي فراشه» وقال رسول الله (س)، «احتجبي منه يا سودة» لما رأى من شبه عتبة ابن أبي وقاص. قال ابن شهاب قالت عائشة قال رسول الله (س)، «الولد للفراش وللعاهر الحجر» قال ابن شهاب وكان أبو هريرة يصرح بذلك. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي

جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه وانفرد البخاري بروايته له من حديث مالك عن الزهري . ثم قال البخاري ثنا محمد بن مقاتل أنبأ عبد الله أنا يونس عن ابن شهاب اخبرني عروة ابن الزبير أن امرأة سُرقت في عهد رسول الله (س) ، في غزوة الفتح ففرع قومها الى أسامة بن زيد يستشفعون له قال عروة : فلما كلفه أسامة فيها تلون وجه رسول الله (س) ، وقال « أتكلمني في حد من حدود الله ؟ » فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشي قام رسول الله (س) ، خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فانما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر رسول الله (س) ، بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، قالت عائشة : كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله (س) . وقد رواه البخاري في موضع آخر ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة به وفي صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني قال : أمرنا رسول الله (س) ، بالمنعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهى عنها . وفي رواية فقال « ألا إنها حرام حرام من يومك هذا الى يوم القيامة » وفي رواية في مسند احمد والسنن أن ذلك كان في حجة الوداع فالله أعلم . وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن عبد الواحد بن زياد عن أبي العيس عن أبياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه أنه قال : رخص لنا رسول الله (س) ، عام أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه . قال البيهقي : وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبت النهي عنها في غزوة خيبر قال إنها أبيعحت مرتين ، وحرمت مرتين ، وقد نص على ذلك الشافعي وغيره . وقد قيل إنها أبيعحت وحرمت أكثر من مرتين فله أعلم . وقيل إنها إنما حرمت مرة واحدة وهي هذه المرة في غزوة الفتح ، وقيل إنها إنما أبيعحت للضرورة فعلى هذا اذا وجدت ضرورة أبيعحت وهذا رواية عن الامام احمد وقيل بل لم تحرم مطلقاً وهي على الاباحة هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحرير ذلك في الأحكام .

قصة أنبأ

قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أنبأ عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله (س) ، يبائع الناس يوم الفتح ، قال جلس عند قرن مستقبله فبايع الناس على الاسلام والشهادة قلت وما الشهادة ؟ قال أخبرني محمد بن الاسود ابن خلف أنه بايعهم على الايمان بالله وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله تفرد به احمد وعند البيهقي فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الاسلام والشهادة . وقال ابن

جرير : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله (س) على الاسلام فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا قال فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متتعبة متكررة لحديثها لما كان من صنيعها بحمزة [فهي تخاف أن يأخذها رسول الله (س)] بحديثها ذلك ، فلما دنين من رسول الله (س) ليبياعهم قال « يايعننى على أن لا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال ؟ « ولا تسرقن » فقالت والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل ، فقال رسول الله (س) « وإني لك لهند بنت عتبة ؟ » قالت نعم فأنف عما سلف بها الله عنك ثم قال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزني الحرة ؟ ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » قالت قد ربيتهن صغيراً حتى قتلتهن أنت وأصحابك بيذر كباراً^(١) فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق ثم قال « ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلن » فقالت والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل ثم قال « ولا يعصينني » فقالت في معروف ، فقال رسول الله (س) لعمر « يايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » فبايعهن عمر وكان رسول الله (س) لا يصاقح النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه . وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا والله ما مست يد رسول الله (س) يد امرأة قط وفي رواية ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول « إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة » وفي الصحيحين عن عائشة أن هنداً بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله (س) فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل علي من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بئيك^(٢) [وروى البيهقي من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان مما علي وجه الأرض أخباء أو خباء - الشك من أبي بكر - أحب إلي من أن يذلوا من أهل أخبائك - أو خبائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك فقال رسول الله (س) « وأيضاً والذي نفس محمد بيده » قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل علي حرج أن اطعم من الذي له ؟ قال « لا بالمعروف » ورواه البخاري عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق باسلام أبي سفيان^(٣)

(١) هذه رواية السهيلي وفي الاصول : أفتقتلهم كباراً فأنت وهم أعلم . (٢) ما بين المربعين لم يرد في نسخة دار الكتب المصرية . (٣) ما بين المربعين عن النسخة التيمورية ولم يرد في غيرها .

وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم الا فانفروا » ورواه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة ومسلم عن يحيى بن يحيى عن جرير . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا وهب ثنا ابن طاوس عن أبيه عن صفوان بن أمية أنه قيل له إنه لا يدخل الجنة الا من هاجر فقلت له لا أدخل منزلي حتى أسأل رسول الله ما سأله فأتيته فذكرت له فقال « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » تفرد به أحمد وقال البخاري ثنا محمد بن أبي بكر ثنا الفضيل بن سليمان ثنا عاصم عن أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبد الى النبي (ص) ليبياعه على الهجرة فقال « مضت الهجرة لاهلها أبياعه على الاسلام والجهاد » فلقيت ابا معبد فسألته فقال صدق مجاشع . وقال خالد عن أبي عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد . وقال البخاري ثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا عاصم عن أبي عثمان قال حدثني مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخي بعد يوم الفتح فقلت يا رسول الله جئتك بأخي لتباعه على الهجرة قال « ذهب أهل الهجرة بما فيها » فقلت على أي شيء تباعه ؟ قال « أبياعه على الاسلام والايمان والجهاد » فلقيت أبا معبد بعد وكان أكبرهما سنًا فسألته فقال : صدق مجاشع وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر الى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولكن انطلق فاعرض نفسك فان وجدت شيئًا والارجعت . وقال أبو النصر أنا شعبة أنا أبو بشر سمعت مجاهدًا قال : قلت لابن عمر^(١) فقال لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله (ص) - مثله . حدثنا اسحاق ابن يزيد ثنا يحيى بن حمزة حدثني أبو عمرو والاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبير أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح . وقال البخاري ثنا اسحاق بن يزيد أنا يحيى بن حمزة أنا الاوزاعي عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله عز وجل والى رسوله مخافة أن يفتن عليه ، فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام فالؤمن يعبد ربه حيث يشاء ولكن جهاد ونية .

وهذه الاحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الكاملة أو مطلقة قد انقطعت بعد فتح مكة لان الناس دخلوا في دين الله أفواجا وظهر الاسلام وثبتت أركانه ودعايته فلم تبق هجرة الا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على اظهار الدين عندهم فتجب الهجرة الى دار الاسلام وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلام الجهاد والاتفاق في سبيل الله مشروع ودرغ فيه الى يوم القيامة وليس كالانفاق ولا اجهاد قبل الفتح فتح مكة . قال الله تعالى [لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح

وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى [الآية . وقد قال الامام أحمد : ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البخري الطائي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (س) ، أنه قال لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خير وأنا وأصحابي خير » وقال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت ، وعنده [(١) . رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحديثك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رآيا ذلك . قالا : صدق . تفرد به أحمد . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فأرأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليربهم ، فقال ما تقولون في قول الله عز وجل [إذا جاء نصر الله والفتح] فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أ كذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله (س) ، أعلمه له قال [إذا جاء نصر الله والفتح] فذلك علامة أجلك [فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً] قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها الا ما يقول . تفرد به البخاري وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنبي رسول الله (س) ، في أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . فأما الحديث الذي قال الامام أحمد ثنا محمد بن فضيل ثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما : نزلت [إذا جاء نصر الله والفتح] قال رسول الله (س) ، « نعت الى نفسي » بأنه مقبوض في تلك السنة تفرد به الامام أحمد وفي إسناد عطاء بن أبي مسلم الخراساني وفيه ضعف تسكلم فيه غير واحد من الأئمة وفي لفظه نكارة شديدة وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل فان الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها كما تقدم بيانه وهذا مالا خلاف فيه . وقد توفي رسول الله (س) ، في ربيع الاول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضاً ، وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله ثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيبي ثنا أبي ثنا جعفر بن عون عن أبي العباس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً إذا جاء نصر الله والفتح . فيه نكارة أيضاً وفي إسنادها نظر أيضاً ويحتمل أن يكون أنها آخر

(١) ما بين المربعين لم يرد في الحلبية . وفي نسخة دار الكتب والتميرية بهذا السياق .

سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم . وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة . وقال البخارى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو ابن سلمة - قال لى أبو قلابة : ألا تلقاء فنسأله فلقيته فسأله - قال كنا بماء يمر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يفرى فى صدرى ، وكانت العرب تلوم باسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فانه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم باسلامهم ، وبدر أبى قومي باسلامهم : فلما قدم قال : جئتم والله من عند النبي حقا . قال صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة اذا سجدت تقلعت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تغطون عنا است قارئكم ؟ فاشترؤا فقطعوا لى قيصاً فما فرحت بشئ فرحى بذلك القميص .

تفرد به البخارى دون مسلم .

غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) . وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار فى كتابه أن خروج رسول الله (س) الى هوازن بعد الفتح فى خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة وهكذا روى عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره احمد وابن جرير فى تاريخه . وقال الواقدي : خرج رسول الله (س) الى هوازن لست خلون من شوال فاتتهى الى حنين فى عاشره . وقال أبو بكر الصديق لن تغلب اليوم من قلة ١١ فانهزموا لمسكان أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن اسحاق : ولما جمعت هوازن برسول الله (س) وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال وهم قليل ولم يشهدوا من قيس عيلان الا هؤلاء . وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ولم يشهدوا منهم أحد له اسم وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شئ

الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم ؛ وفي الاحلاف قارب
ابن الاسود بن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث واخوه احمر بن الحارث
وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى ، فلما أجمع السير إلى رسول الله (ص) ، أحضر مع
الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في
شجار له يقاد به ، فلما نزل قال بأي واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن خرس ولا
سهل دهن ، مالي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا ساق مالك بن
عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، قال أين مالك ؟ قالوا هذا مالك ودعى له ، قال يامالك
إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كأن له ما بعده من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق
الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال سقت مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم ؟ قال
أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وباله ليقاتل عنهم ، قال فأنقض به ، ثم قال راعي ضأن والله ،
هل يرد المهزم ثوب ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت
في أهلك ومالك ، ثم قال ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال لم يشهدا منهم أحد ، قال غاب الحد والجد
لو كان يوم علاه ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن
شهدا منكم ؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران
ثم قال يامالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً ، ثم قال دريد لمالك
ابن عوف : أرغمهم إلى متنع بلادهم وعليها قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق
بك من ورائك ، وإن كانت عليك الفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال والله لا أقبل إنك
قد كبرت وكبر عقلك ، ثم قال مالك : والله لتطيعني يامعشر هوازن أو لا تكثن على هذا السيف
حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى - فقالوا : أطلعناك فقال دريد : هذا
يوم لم أشهده ولم يفتنى :

ياليتني فيها تجذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فأكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال
ابن اسحاق : وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من
رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجلاً بيضاً على خيل بلق
فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد . قال ابن
اسحاق : ولما سمع بهم نبي الله (ص) بعث اليهم عبد الله بن أبي حمزة الأسلمي وأمره أن يدخل في

الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله (س) ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله (س) ، فأخبره الخبر ، فلما أجمع رسول الله (س) السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحاً فارسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال « يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا » فقال صفوان أغضباً يا محمد ؟ قال « بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك » قال ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله (س) سأل أن يكفهم حملها ففعل . هكذا ورد هذا ابن اسحاق من غير إسناد . وقد روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الادراع كما تقدم وفيه أن ابن أبي حدرد لما رجع فأخبر رسول الله (س) خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبي حدرد : لئن كذبتني يا عمر فربما كذبت بالحق ، فقال عمر ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال « قد كنت ضالاً فهداك الله » . وقد قال الامام أحمد ثنا يزيد بن هارون أنبأ شريك بن عبد العزيز بن ربيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله (س) استعار من أمية يوم حنين أدراعاً فقال أغضباً يا محمد ؟ فقال « بل عارية مضمونة » قال فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله (س) أن يضمها له فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الاسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هرون به . وأخرجه النسائي من رواية اسرائيل عن عبد العزيز بن ربيع عن ابن أبي مليكة عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله (س) استعار من صفوان دروعاً فذكره . ورواه من حديث هشيم عن حجاج عن عطاه أن رسول الله (س) استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث . وقال أبو داود ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا جرير عن عبد العزيز ابن ربيع عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله (س) قال « يا صفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال عارية أم غصباً ، قال « بل عارية » فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً وغزا رسول الله (س) حنيناً فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله (س) لصفوان « قد فقدنا من أدارعك أدراعاً فهل نغرم لك ؟ » قال لا يا رسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن فيه يومئذ . وهذا مرسل أيضاً . قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله (س) معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى روى من عقبه يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما إلى

هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدم بانتي عشر ألفاً إلى مكة على قولهم وأضيف ألفان من الطلقاء .
 وذكر ابن اسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال قال واستخلف على أهل مكة عتاب بن أسيد
 ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي .
 قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة ، قال ومضى رسول الله (ص) يريد لقاء هوازن
 وذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمي في ذلك ^(١) منها قوله :

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها مني رسالة نصيح فيه تبيان
 إني أظن رسول الله صابحكم جيشاً له في فضاء الأرض أركان
 فيهم سليم أخوكم غير تارككم والمسلمون عباد الله غسان
 وفي عضادته اليمنى بنو أسد والأجربان بنو عبس وذبيان
 تكاد ترجف منه الأرض رهبة وفي مقدمه أوس وعثمان

قال ابن اسحاق : أوس وعثمان قبيلة مزينة . قال وحديثي الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي
 عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله (ص) إلى حنين ونحن حديثوا
 عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حنين ، قال وكانت لسكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة
 عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها وينبحون عندها ويعكفون
 عليها يوماً ، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله (ص) سبزة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات
 الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله (ص) : « الله أكبر قلت
 والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، إنها السنن
 لتركبن سنن من كان قبلكم » . وقد روى هذا الحديث الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي
 عن سفيان والنسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهري كما رواه ابن اسحاق
 عنه ، وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق كثير بن عبد الله بن
 عمرو بن عوف عن أبيه عن جده من فروعاً . وقال أبو داود ثنا أبو توبة ثنا معاوية بن سلام عن زيد
 ابن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلولي أنه حدثه سهل بن الحنفلية أنهم ساروا مع رسول الله (ص) يوم
 حنين فأطنبوا السير حتى كان العشي ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله (ص) فجاء رجل فارس فقال
 يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم
 وبنعمهم وشأنهم اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله (ص) وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن
 شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبي مرقد : أنا يا رسول الله ، قال فركب فرسك

(١) وأولها : أصابت العام رجلاً غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان

فرساً له وجاء الى رسول الله (ص)، فقال له رسول الله (ص)، « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نفرن من قبلك الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله (ص)، الى مصلاه فرمى ركعتين ثم قال « هل أحسنتم فارسكم ؟ » قالوا يا رسول الله ما أحسننا ، فتوب بالصلاة فجعل رسول الله (ص)، يصلي ويلتفت الى الشعب حتى اذا قضى صلاته قال « ابشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر الى خلال الشجر في الشعب واذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله (ص)، فقال : إني انطلقت حتى اذا كنت في اعلاه هذا الشعب حيث أمرني رسول الله (ص)، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله (ص)، « هل نزلت الليلة ؟ » قال لا إلا مصلياً أو قاضياً حاجة ، فقال له رسول الله (ص)، « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » وهكذا رواه النسائي عن محمد بن يحيى عن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة الربيع بن نافع به .

الوقعة وما كان اول الأمر من الفرار ثم العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : نخرج مالك بن عوف بمن معه الى حنين فسبق رسول الله (ص)، اليها فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأحنائه وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عمية الصبح ، فلما انحط الناس تارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد ، وانحاز رسول الله (ص)، ذات اليمين يقول « أين أيها الناس ؟ هلموا الى أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » قال فلا شيء ، وركبت الابل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله (ص)، أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته على بن أبي طالب ، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبي سفيان وأمين بن أم أيمن وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قم بن العباس ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر والعباس أخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها ، قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمح واذا فاته الناس رفع رمح له لمن وراءه فاتبعوه ، قال فبينما هو كذلك اذ هوى له على بن أبي طالب ورجل من الانصار يريدانه ، قال فيأتني على من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقم على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أظن قدمه بنصف ساقه فأنجف عن رحله ، قال واجتلد الناس فواته ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله (ص)، ورواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم الزهري عن أبيه عن محمد

ابن اسحاق قال ابن اسحاق : والتفت رسول الله (ص) الى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
بكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الاسلام حين أسلم وهو أخذ بنفر بغلة رسول الله (ص) فقال « من
هذا ؟ » قال ابن أمك يا رسول الله . قال ابن اسحاق : ولما انهزم النابض تكلم رجال من جفاة
الاعراب بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان سخر بن حرب - يعني وكان اسلامه بعد مدخولا
وكانت الازلام بعد معه يومئذ - قال : لا تنهني هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كعدة بن الحنبل وهو مع
أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله (ص) : ألا بطل
السحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لئن ير بنى رجل من قريش أحب الى من
أن ير بنى رجل من هوازن . وقال الامام أحمد حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبا اسحاق
ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والابل
والغنم فجعلوها صفوفاً يكترون على رسول الله (ص) ، فلما التقوا ولي المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى
فقال رسول الله (ص) : « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال « يا معشر الأنصار أنا عبد الله
ورسوله » قال فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح . قال وقال رسول الله (ص)
يومئذ « من قتل كافراً فله سلبه » قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم ، وقال أبو
قنادة : يا رسول الله إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه درع له فاجهضت عنه فانظر من أخذها
قال فقام رجل فقال أنا أخذتها فارضه منها وأعطنيها ، قال وكان رسول الله (ص) لا يسأل شيئاً ألا
اعطاه أو سكت فسكت رسول الله (ص) ، فقال عمر : والله لا يفتها الله على أسد من أسد الله
ويعطيها ، فقال رسول الله (ص) : « صدق عمر » قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعهما خنجر فقال أبو
طلحة ما هذا ؟ فقالت إن دنا مني بعض المشركين أن أبيع في بطنه ، فقال أبو طلحة : أما تسمع ما
تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله (ص) ، فقالت : يا رسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا
بك ، فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم » وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم ، وأبو
داود قوله « من قتل قتيلاً فله سلبه » كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر في هذا مستغرب
والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا أبي ثنا
نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي : يا أبا حمزة بن أي الرجال كان
رسول الله (ص) ، إذ بعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة ، قال ثم كان ماذا ؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين
وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله اليه . قال بسن أي الرجال هو يومئذ ؟ قال
كأشب الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه ، قال يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله (ص) ؟ قال نعم
غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي

المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحططنا ، فلما رأى ذلك رسول الله (ص) ، نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله (ص) ، حين رأى الفتح فجعل يجهل بهم أسارى رجل رجل فيباليهونه على الاسلام ، فقال . رجل من أصحاب النبي (ص) ، إن على نذراً لئن جئ بالرجل الذي كان منذ اليوم يحططنا لأضربن عنقه ، قال فسكت رسول الله (ص) ، وجئ بالرجل فلما رأى نبي الله (ص) ، قال : يا نبي الله تبت إلى الله ؟ قال وأمسك نبي الله (ص) ، أن يباليه ليوفي الآخر نذره ، قال وجعل ينظر إلى النبي (ص) ، ليأمره بقتله ويهاب رسول الله (ص) ، فلما رأى النبي (ص) ، أنه لا يصنع شيئاً بآيحه فقال يا نبي الله نذرى ؟ قال « لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك » فقال يا رسول الله ألا أومأت إلى ؟ قال « إنه ليس لنبي أن يومي » . تفرد به أحمد وقال أحمد حدثنا يزيد ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كان من دعاء رسول الله (ص) ، يوم حنين « اللهم إنك إن تشاء لا تعبد في الأرض بعد اليوم » إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي اسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس أفرتم عن رسول الله (ص) ، يوم حنين ؟ - فقال : لكن رسول الله (ص) ، لم يفر ، كانت هوازن رماة وأنا لما حملنا عليهم لم انكشفوا فأكبنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام . ولقد رأيت رسول الله (ص) ، على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبي لا كذب ، ورواه البخاري عن أبي الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخاري : وقال إسرائيل وزهير عن أبي اسحاق عن البراء ثم نزل عن بغلته . ورواه مسلم والنسائي عن بنسار . زاد مسلم ، وأبي موسى كلاهما عن غندر به . وروى مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحاق عن البراء قال ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب « اللهم نزل نصرك » . قال البراء ولقد كنا إذا حمى البأس نتقى برسول الله (ص) ، وإن الشجاع الذي يحاذي به . وروى البيهقي من طرق أن رسول الله (ص) ، قال يومئذ : « أنا ابن العواتك » [وقال الطبراني : ثنا عباس بن الفضل الاسقاطي ثنا عمرو بن عوف الواسطي ثنا هشيم أنبا يحيى بن سعيد عن عمرو بن سعيد بن العاص عن شبابه عن ابن عاصم السلمي أن رسول الله (ص) ، قال يوم حنين : « أنا ابن العواتك »]

وقال البخاري : ثنا عبد الله بن يوسف أنبا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله (ص) ، عام حنين ،

فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل على فضمي ضمة وجسدت منها ربيع الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني فلهقت عمر، فقلت ما بال الناس؟ فقال أمر الله، ورجعوا وجلس رسول الله (ص) فقال «من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه» فقامت فقلت من يشهد لي. ثم جلست فقال رسول الله (ص) مثله، فقلت من يشهد لي، ثم جلست فقال رسول الله (ص) مثله، فقلت من يشهد لي، ثم جلست فقال رسول الله (ص) مثله فقامت فقال «مالك يا أبا قتادة؟» فأخبرته فقال رجل: صدق سلبه عندي فأرضه مني، فقال أبو بكر: لاها الله إذا نعد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه؟ فقال النبي (ص) «صدق فأعطه» فأعطانيه فأبنت به مخرافا في بني سلمة فانه لأول مال تأملته في الاسلام. ورواه بقية الجماعة الا النسائي من حديث يحيى بن سعيد به. قال البخاري وقال الليث بن سعد حدثني يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلاح عن أبي محمد مولى أبي قتادة أن أبا قتادة قال: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يخطئه من ورائه ليقته، فأسرعت إلى الذي يخطئه فرفع يده ليضربني فأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضما شديدا حتى تخوفت ثم ترك فتحلل فدفعته ثم قتله، وانهمزم المسلمون فانهزمت معهم، فاذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له ما شأن الناس؟ قال أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله «من أقام بينة على قتيل فله سلبه» فقامت لأنتمس بينة على قتيل فلم أر أحدا يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمر رسول الله (ص) فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه مني. فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أضييع من قريش ويدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال فقام رسول الله فأداه إلى فاشترت به مخرافا فكان أول مال تأملته. وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به، وقد تقدم من رواية نافع أبي غالب عن أنس أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابة لابي بكر الصديق ومساعدة وموافقة له، أو قد اشتبه على الراوي والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي أنبا الحاكم أنبا الاصم أنبا احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى «يا عباس ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة» فأجابوه لبيك لبيك، فجعل الرجل يذهب ليعطى بغيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله (ص) منهم مائة، فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت الأنصار، ثم جعلت آخرًا للخزرج وكانوا صبرا عند الحرب، وأشرف رسول الله (ص) في ركابه

فنظر الى مجتلد القوم فقال « الآن حمى الوطيس » قال فوالله ما راجعه الناس الا والأسارى عند رسول الله (س)، مكتفون، فقتل الله منهم من قتل، وانهمز منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله (س)، أموالهم وأبناءهم. وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة. وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري أن رسول الله (س)، لما فتح الله عليه مكة وأقر بها عينه، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركباً ومشة حتى خرج النساء يمشين على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله (س)، وأصحابه، قالوا وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما، قالوا وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النضري ومعه دريد بن الصمة يرعش من الكبر، ومعه النساء والذراري والنعم، فبعث رسول الله (س)، عبد الله بن أبي حذرد عينا فبات فيهم فسمع مالك ابن عوف يقول لأصحابه: إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا أعناق سيوفكم واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً، فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة وصف الناس بعضهم لبعض وركب رسول الله (س)، بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد فجال المسلمون جولة ثم ولوا مديرين، فقال حارثة بن النعمان: لقد حرزت من بقي مع رسول الله (س)، حين أدبر الناس فقلت مائة رجل، قالوا ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقاتل ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجتبرونها أبداً، فقال له صفوان: تبشروا بظهور الأعراب فوالله رب من قريش أحب الى من رب من الأعراب، وغضب صفوان لذلك. قال عروة وبعث صفوان غلاماً له فقال اصنع لمن الشعار فجاءه فقال سمعتم يقولون: يا بني عبد الرحمن يا بني عبد الله، يا بني عبيد الله، فقال: ظهر محمد وكان ذلك شعارهم في الحرب. قالوا وكان رسول الله (س)، لما غشي القتال قام في الركابين وهو على البغلة فرفع يديه الى الله يدعوه يقول « اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينفي لهم أن يظهرنا علينا » ونادى أصحابه وزمرهم « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرة على نبيكم » ويقال حرضهم فقال « يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادى بذلك، قالوا وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصبهم كلها وقال « شامت الوجوه » وأقبل أصحابه اليه سراعا يبتدرون، وزعموا أن رسول الله (س)، قال « الآن حمى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذراريهم، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه، وأسلم عند ذلك فأس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله (س).

وإهزازه دينه . رواه البيهقي . وقال ابن وهب : أخبرني يونس عن الزهري أخبرني كثير بن العباس
ابن عبد المطلب ، قال قال العباس : شهدت مع رسول الله (ص) يوم حنين فلزمته أنا وأبوسفيان بن
الحارث لا نفارقه . ورسول الله (ص) على بغلة بيضاء أهداها له قروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى
الناس ولي المسلمون مديريين فطلق رسول الله (ص) بركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس وأنا
أخذ بأجاءها أكنها إرادة أن لا تسرع ، وأبوسفيان أخذ بركاب رسول الله (ص) . وقال رسول الله
(ص) : « أي عباس ناد أصحاب السمر » قال فوالله لكأنما عطفهم حين سمعوا صوتي عطفا البقر
على أولادها ، فقالوا : يا لبيكاه يا لبيكاه ، قال فاقبلوا هم والكفار والدعوة في الأنصار وهم يقولون :
يا مبشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج
انظر رسول الله (ص) وهو على بغلته كالمتطاوول عليها إلى قتالهم فقال « هذا حين حمى الوطيس » ثم
أخذ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال « انهزموا ورب محمد » قال فذهبت النظر فإذا
القتال على هيئته فيما أرى ، قال فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصياته فما
زلت أرى حدهم كليلًا ، وأمرهم مديريًا . ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه . ورواه
أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وروى مسلم من حديث عكرمة
ابن صرار عن أبيه بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله (ص) حنينًا فلما واجهنا
العدو تقدمت فأعلم ثلثة فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم ، وتواري عنى فما دريت ما صنع
ثم ظهرت إلى القوم فإذا هم قد طلبوا من ثنية أخرى فالتقوا هم ومهابة رسول الله (ص) ، فولى أصحاب
رسول الله (ص) ، وأرجع منهزمًا وعلى بردتان متزرا بإحداها مرتديا بالآخرى ، قال فاستطلق إذا رأى
بجسثها جمعًا وسدت على النبي (ص) ، وأنا منهزم وهو على أغلته الشهباء ، فقال « لقد رأى ابن الأكوع
فرها » فلما غشوا رسول الله (ص) نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به
وجوههم وقال « شأنت الوجوه » فما خلى الله منهم إنسانًا إلا ملأ عليه ترابًا من تلك القبضة فولوا
مديريين . فنهزمهم الله وقسم رسول الله (ص) ففانهم بين المسلمين . وقال أبو داود الطيالسي في
سننه ثنا حماد بن سلمة عن يعل بن عطاء عن عبد الله بن يسار عن أبي عبد الرحمن الفهري قال :
كنا مع رسول الله (ص) في حنين فسرنا في يوم لا يظن شديد الحر فزلنا تحت ظلال السمر ، فلما زالت
الشمس لبست لأبي وركبت فرسي فأثبت رسول الله (ص) وهو في فسطاطه قلت السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حلن الرايح يا رسول الله قال « أجل » ثم قال رسول الله (ص) :
« يا بلال » فثار من تحت حجرة كان الله ظل طائر فقال أيبك وسعديك وأنا فداؤك ؟ قتل
« أسرج لي فرسي » فأله بدنتين من ليف ليس فيهما أثر ولا بطر . قال فركب فرسه فسرنا يومنا

فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله
 (س) يقول « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » واقتحم رسول الله (س) عن فرسه ، وحذاني من
 كان أقرب إليه ، في أنه أخذ حفنة من التراب فحشي بها وجوه العدو وقال « شأهت الوجوه » قال يعل
 ابن عطاء فخذنا أبنائهم عن آباءهم قالوا : ما بقي أحد الا امتلأت عيناه وفه من التراب ، وسمنا
 صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد فهزمهم الله عز وجل . ورواه أبو داود السجستاني
 في سننه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا عبد الواحد
 ابن زياد ثنا الحارث بن حصين ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال قال
 عبد الله بن مسعود : كنت مع رسول الله (س) يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلا
 من المهاجرين والانصار ، فسكرنا على أهقابنا فحوا من ثمانين قدما ولم نولهم الدبر ، وهم الذين
 أنزل الله عليهم السكينة ، قال ورسول الله (س) : على بقلته يمضي قدما ، فغادت به بقلته قال من
 السرج فقلت له ارتفع رفعك الله فقال « ناولني كفا من تراب » فضرب به وجوههم فامتسلات
 أعينهم تراها قال « أين المهاجرين والانصار ؟ » قلت هم أولاء قال « أهتف بهم » فهتفت بهم
 لجاؤا سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب وولى المشركون أدهارهم . تفرد به أحمد . وقال البيهقي ألبانا أبو
 عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن نعيم القطاري ثنا أبو قلابة ثنا أبو طاهر ثنا
 عبد الله بن عبد الرحمن الطائي أخبرني عبد الله بن هياض بن الحارث الانصاري عن أبيه أن
 رسول الله (س) : أتى هوازن في اثني عشر ألفا فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم
 بدر ، قال وأخذ رسول الله (س) : كفا من حصي فرمى بها في وجوهنا فانهزمنا ورواه البخاري في
 تاريخه ولم ينسب هياضا . وقال مسدد ثنا جعفر بن سليمان ثنا هوف بن عبد الرحمن مولى أم بران عن
 شهد حنيننا كافرا قال : لما التقينا نحن ورسول الله (س) : لم يقوموا لنا حلب شاة ، فحشنا نهش سيوفنا
 بين يدي رسول الله (س) : حتى إذا غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شأهت
 الوجوه فارجموا ، فهزمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقي . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو سفيان ثنا
 أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد بن مسلم حدثني محمد بن عبد الله الشامي عن الحارث بن
 بدل النصرى عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمر و بن سفيان الثقفي قال : انهزم المسلمون
 يوم حنين فلم يبق مع رسول الله (س) : الا عباس وأبو سفيان بن الحارث ، قال قبض رسول الله
 (س) : قبضة من الخصباء فرمى بها في وجوههم ، قال فانهزمنا فما خيل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر
 فارس يطلبنا ، قال الثقفي : فأجبرت على فرسي حتى دخلت الطائف . وروى يونس بن بكير في
 معازيه عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه

زيد . وروى البيهقي من طريق السكدي ثنا موسى بن مسعود ثنا سعيد بن السائب بن يسار
 الطائفي عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال عند انكشافه انكشفها المسلمون
 يوم حنين فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله (س) قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها
 وجوههم وقال « ارجعوا شاهت الوجوه » فما أحد يلقي أخاه الا وهو يشكو قذى في عينيه . ثم روى
 من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي حدثني أبي السائب بن يسار
 سمعت يزيد بن عامر السوائي - وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد - قال : فنحن نسأله عن
 الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال فكان يأخذ لنا بمحصة فيرمي
 بها في الطست فيطن ، قال كنا نجد في أجوافنا مثل هذا . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمد
 ابن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي
 ثنا أبو أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال : خرجت مع رسول
 الله (س) يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قریش
 فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلاً بلقاً ، فقال « يا شيبة إنه لا يراها الا كافر »
 فضرب يده في صدرى ثم قال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثانية فقال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها
 الثالثة ثم قال « اللهم أهد شيبة » قال فوالله ما رفع يده عن صدرى في الثالثة حتى ما كان أحد
 من خلق الله أحب الى منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهمزام المسلمين ونداء العباس
 واستنصار رسول الله (س) حتى هزم الله المشركين . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو
 محمد أحمد بن عبد الله المزني ثنا يوسف بن موسى ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم حدثني
 عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال : لما
 رأيت رسول الله (س) يوم حنين قد عرى : ذكرت أبي وعمي وقتل على وحرمة إياها ، فقلت اليوم
 أدرك ثأري من رسول الله (س) ، قال فذهبت لأجيئه عن يمينه فاذا بالعباس بن عبد المطلب قائم
 عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت عمه ولن يخذله ، قل ثم جئته عن يساره
 فاذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته من خلفه
 فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق تخفت أن يحشني ،
 فوضعت يدي على بصرى ومشيت القهقري فالتفت رسول الله (س) وقال « يا شيب أدن مني ،
 اللهم اذهب عنه الشيطان » قال فرضت اليه بصرى ولم أوجع إلى من معي وبصرى ، فقال
 « يا شيب قاتل الكفار » وقال ابن اسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة اخو بني عبد الدار
 قلت اليوم أدرك ثأري - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً ، قال فأدرك رسول الله

(س) لا قتله فأقبل شئ حتى تغشى فؤادي فلم أطلق ذاك وعلمت أنه ممنوع مني . وقال محمد بن اسحاق : وحدثني والدي اسحاق بن يسار عن حدثه عن جبير بن مطعم قال : إنا لم رسول الله يوم حنين والناس يقتتلون اذا نظرت إلى مثل البجاد الاسود بهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فاذا نمل منشور قد ملأ الوادي فلم يكن الا هزيمة القوم ، فما كنا نلشك أنها الملائكة . ورواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق به . وزاد فقال خديج بن العوجا النصري - يعني في ذلك - :

ولما دثونا من حنين ومائه رأينا سواداً منكراً لاون أخصفا
 علمومة شهباء لو قذفوا بها شاربخ من عروى اذا عاد صفصفا
 ولو أن قومي طالعنى سرائهم اذا ما لقينا العارض المنكشفا
 اذا ما لقينا جند آل محمد ثمانين ألفاً واستمدوا بخندفا

وقد ذكر ابن اسحاق من شعر مالك بن عوف النصري رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوفا يرتجز ويقول :

أقدم بحاج إنه يوم نسكر مثلي على مثلك يحسي وينكر
 اذا أصبح الصف يوم الدبر ثم احزالت زمر بعد زمر
 كئالب يكل فيهن البصر قد أظمن العلقة تقدي بالسبر
 حين يئتم المستكن المنهجر وأظمن النجلاء تمرى وتمر
 لها من الجوف رشاش منهب تفوق قارات وحيناً تنهجر
 وتلعب العامل فيها منكير يازين يا ابن همهم أين تفر
 قد أغد الضرم وقد طال العمر قد فلم البيض الطويلات الحمر
 أي في أمثالها غير غير إذ تخرج الحاضن من تحت السر

وذكر البيهقي عن طريق يونس بن بكير عن أبي اسحاق أنه أشد من شعر مالك أيضاً حين رلى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هي لغيرة :

أذكر مسيرهم والناس كلهم ومالك فوقه الرايات تمتفق
 ومالك ما فوقه أحد يوم حنين عليه التاج ياتلق
 حتى لقوا الناس حين البأس يقدمهم عليهم البيض والأبدان والفرق
 فصاروا الناس حتى لم يروا أحدا حول النهي وحتى بجنة الفسق
 حتى تنزل جبريل بنصرهم فالقوم منهزم منا ومماتلق

منّا ولو غير جبريل يقاتلنا لمنّتنا إذا أسيافنا الفلق
وقد وفي عمر الفاروق إذ هزموا بطعنة كان منها سرجه العلق
قال ابن اسحاق : ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت امرأة من المسلمين :
قد غلبت خيل الله خيل اللات والله أحق بالثبات

قال ابن هشام : وقد أبشده به بعض أهل الرواية للشمر :
قد غلبت خيل الله خيل اللات وخيله أحق بالثبات

قال ابن اسحاق : فلما انهزمت هوازن استمر القتال من ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون
رجلاً نحت رايهم وكانت مع ذي الحمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن
حبیب فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرني عامر بن وهب بن الأسود أن رسول الله (س) لما بلغه قتله قال
« أبده الله فإنه كان يبعث قريشا » وذكر ابن اسحاق عن يعقوب بن عتبة أنه قتل مع عثمان
هذا غلام له نصراني ، فجاء رجل من الانصار ليسلبه فاذا هو أغرل ، فصاح بأعلا صوته : يا معشر
العرب إن ثقيفاً غرل ، قال المغيرة بن شعبة الثقفي : فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في
العرب ، فقلت لا تفل كذلك فذاك أبي وأمي إنما هو غلام لنا نصراني ، ثم جعلت أكشف له
القتل فأقول له ألا ترامم بخندين كما ترى ؟ قال ابن اسحاق : وكانت راية الاحلاف مع قارب بن
الاسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنوه وقومه فلم يقتل من الاحلاف
غير رجلين ، رجل من بني غيرة يقال له وهب ورجل من بني كبة يقال له الجلاح ، فقال رسول الله
« حين بلغه قتل الجلاح » قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هزيمة « يعنى
الحارث بن أويس . قال ابن اسحاق فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الاسود وفراره من
بني أبيه وذا الحمار وحبه نفسه وقومه للموت :

ألا من مبالغ غيلان عني	وسوف أخال يأتيه الخبير
وعروة إنما أهدى جوابها	وقولا غير قولك يا سير
بأن محمداً عبده رسول	رب لا يُضِل ولا يجهور
وجده ناه نبياً مثل موسى	فكل فتى ربحايره بخير
وبئس الأمر أمر بني قدي	بوج إذا تقسمت الامور
أضاعوا أمرهم ولكل قوم	أمر والدوائر قد تدور
لمننا أسد غلاتهم	حصد الله ضاحية تسير
نؤم الجمع جمع بني قسي	على حلق نكاد له نظير

وَأَقْسَمَ لَوْ هُمَا مَكْنُوءَا لِسِرْنَا
فَكُنَّا أَسَدِيَّةً ثُمَّ حَقَّ
وَيَوْمَ كَانَ قَبْلَ لَدَى حَنِينٍ
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيْوَمٍ
قَتَلْنَا فِي الْغُبَارِ بَنِي حَطِيطٍ
وَلَمْ يَكْ دُو الْخَمَارِ رَيْسَ قَوْمٍ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سُنَنِ الْمَنَازِلِ
بَأَفْلَتَ مِنْ نَجَا مِنْهُمْ حَرِيضًا
وَلَا يَنْفِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي
أَحَابَتِهِمْ وَحَانَ وَمَلَكُوهُ
بَنُو عَوْفٍ مَبِيعَ بِهِمْ جِيَادُ
فَلَوْلَا قَارِبُ وَبَنُو أَبِيهِ
وَلَكِنْ الرِّيَاسَةُ عَمُّوهُمَا
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جَدُودُ
فَإِنْ يَهْدُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يَلْفُوا
فَإِنْ لَمْ يَسْلُوهَا فَهَمُوا أَذَانُ
كَأَحْكَمْتُ بَنِي سَعْدِ وَجَرَّتْ
كَأَنَّ بَنِي مَعَاوِيَةَ بَنِي بَكْرِ
فَقَتَلْنَا أَسْلُوهَا إِنَّا أَخُوكُمْ
كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذَا جَاؤَا إِلَيْنَا

إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَفُورُوا
أَبْجَنَاهَا وَأَسْلَمَتِ النُّصُورُ
فَأَقْلَعُ وَالِدْمَاءُ بِهِ تَمُورُ
وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذِكُورُ
عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ
لَهُمْ عَقْلٌ يَمَاقِبُ أَوْ نَكِيرُ
وَقَدْ بَانَتْ لِمُبَصِّرِهَا الْأُمُورُ
وَقَتْلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرُ
وَلَا الْغُلُقُ الصَّرِيرَةُ الْحُصُورُ
أُمُورُهُمْ وَأَفْلَتَتْ الصُّتُورُ
أَهْيُنَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ
تَقَسَّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
عَلَى يَمَنِ أَشَارَ بِهِ الْمَشِيرُ
وَأَحْلَامُ بَنِي عَزْزٍ تَصِيرُ
أَنْوَفُ النَّاسِ مَا مَخَّرَ السَّمِيرُ
بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةٍ عَنَقْفِيرُ
إِلَى الْإِسْلَامِ ضَائِنَةُ نَخُورُ
وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورُ
مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السَّلْمِ عُودُ

فَضَّلْنَا

ولما انتهزت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النضري على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال : قفوا حتى تجوز سمعناؤكم وتلحق أخراكم . قال ابن اسحاق : فبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم ، فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلخوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوماً عارضين رماحهم اغفلا على خيلهم ، فقال هؤلاء الأوس والحزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلخوا

طريق بني سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ فقالوا نرى فارساً طويلاً الباد واضعاً
 رمحاً على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء ، قال : هذا الزبير بن العوام وأقسم باللات ليخاطبكم فأثبتوا
 له ، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

﴿٧٥﴾

وأمر رسول الله (ص) بالغنائم فجمعت من الأبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق إلى الجعرانة
 فتحبس هناك ، قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) على الغنائم مسعود بن عمرو والغفاري .

﴿٧٦﴾

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا أن رسول الله (ص) مر يوماً بامرأة قتلتها خالد بن
 الوليد والناس متقصفون عليها فقال لبعض أصحابه « أدرك خالداً فقل له إن رسول الله (ص) - ينهاك
 أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيماً » هكذا رواه ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد ثنا
 أبو عامر عبد الملك بن عمرو ثنا المنيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد حدثني المرقع بن صيفي عن
 جده رباح بن ربيع أخى بني حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه رجع رسول الله (ص) في غزوة غزاها
 وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فر رباح وأصحاب رسول الله (ص) على امرأة مقتولة مما أصابت
 المقدمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته
 فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله (ص) فقال « ما كانت هذه لتقاتل » فقال لأحدهم « الحق
 خالداً فقل له لا يقتل ذرية ولا عسيماً » وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث
 المرقع بن صيفي به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى
 فلجؤوا إلى الطائف فتحصنوا بها ، وسارت فرقة فمسكروا بمكان يقال له أوطاس فبعث إليهم رسول
 الله (ص) سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله (ص) بنفسه
 الكريمة فحاصر أهل الطائف كما سيأتي . قال ابن اسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف
 ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نلة ولم يكن فيمن توجه نحوه فحمله
 إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله (ص) ، من سلك الشايبا قال فأدرك ربيعة بن ربيع بن
 أهان السلمي ويعرف بابن الدغنة - وهي أمه - دريد بن الصمة فآخذ بخطام جمده وهو يظن أنه امرأة
 وذلك أنه في شجارهم ، فإذا برجل فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ،
 فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال أقتلك ، قال ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن ربيع السلمي ، ثم

ضربه بسيفه فلم يغب شيئا ، قال : بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار
ثم اضرب به وارفع عن المظلم واخفض عن الدماغ فأنى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت
أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة
قال لما ضربته فوق وقع تكشف فإذا عجائه و بطون نخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء ، فلما
رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا . ثم ذكر ابن
اسحاق ما رثت به عمرة بنت دريد أباها فن ذلك قولها :

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا فظل دمي على السربال منهجدر
لولا الذي قهر الأقبام كلهم رأيت سليم وكعب كيف ياتمر
إذن لصبيحهم غيبا وظاهرة حيث استقرت نواهم جحفل ذفر

قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري
فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر قتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري
وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى
أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عني فاني سلمة ابن سمارير لمن توسه
أضرب بالسيف رؤس المشله

قال ابن اسحاق : وحدثني من أتق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعري لقي
يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام
ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام
ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقى
العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه ،
فقال الرجل : اللهم لا تشهد على فكف عنه أبو عامر فأقلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبي
(ص) إذا رآه قال : « هذا شريد أبي عامر » قال ورمى أبا عامر ؛ اخوان العلاء وأوفى أبناء الحارث
من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والاخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس أبا موسى فحمل
عليهما فقتلتهما ، فقال رجل من بني جشم يرثيها :

إن الرزية قتل العلاء وأوفى جميعاً ولم يسندا
هما القاتلان أبا عامر وقد كان داهية أربدا
هما تركاه لدى معرك كان على عطفه مجسدا

فلم يُرَ في الناس مثليهما أقلّ عثاراً وأرمى يدا

وقال البخاري : ثنا محمد بن العلاء وحدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله (ص) من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه ، قال أبو موسى : وبعثنى مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماد جشمي بسهم فأثبته في ركبته ، قال فأنهيت إليه فقلت يا عم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال ذاك قاتلي الذي رماني ، فقصدت له فلحقته فلما رأيته ولي فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي ألا تثبت ؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبي عامر قتل الله صاحبك ، قال فانزع هذا السهم فتزعته فتزأ منه الماء . قال يا ابن أخي اقرب رسول الله (ص) السلام وقل له استغفر لي ، واستخلفني أبو عامر على الناس فكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على رسول الله (ص) في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله قل له استغفر لي قال فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض إبطيه ثم قال « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك - أو من الناس » فقلت ولي فاستغفر ، فقال « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً » قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضي الله عنهما . ورواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن أبي براد عن أبي أسامة به نحوه . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبا سفيان - هو الثوري - عن عثمان البقي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال . أصابنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج ، فأسألنا النبي (ص) فنزلت هذه الآية [والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم] قال فاستحللنا بها فزوجهن . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان البقي به . وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري . وقد رواه الامام احمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذي من حديث همام عن يحيى ثلاثتهم عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي عتبة الهاشمي عن أبي سعيد أن أصحاب رسول الله (ص) أصابوا سبأ يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك . فكان أناس من أصحاب رسول الله (ص) كفوا وتأنموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك [والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم] وهذا لفظ احمد بن حنبل فزاد في هذا الاسناد أبا علقمة الهاشمي وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم . وقد استدلل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الأمة طلاقها . روى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصري وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث برة

حيث بيعت ثم خيرت في، فسخ نكاحها أو إبقائه، فلو كان بيعها طلاقها لما خيرت، وقد تفصينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية وسنذكره إن شاء الله في الأحكام الكبير، وقد استدل جماعة من السلف على إبادة الأمة المشركة بهذا الحديث في سبأيا أوطاس وخالفهم الجمهور وقالوا هذه قضية عين فاملن أسلمن أو كن كتابيات وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى.

من استشهد يوم حنين وأوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله، وهو أيمن بن عبيد، وزيد بن زمة بن الأسود بن المطلب ابن أسد جمع به فرسه الذي يقال له الجناح فأت، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدي الانضاري من بني العجلان، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أوطاس، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم.

ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بجير بن زهير بن أبي سلمى:

لولا الآله وعيده ولئيم
بالجزع يوم حبالنا أقربنا
من بين سائر ثوبه في كفه
والله أكرمنا وأظهر ديننا
والله أهلكهم وفرق جمعهم

قال ابن هشام ويروى فيها بعض الرواة:

يَدْعُونَ يَا لَكِثْبَةِ الْإِيمَانِ
يَوْمَ الْعَرِيفِ وَيَعْمُرُ الرِّضْوَانِ

أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ أَجَابُوا رَبَّهُمْ

وقال عباس بن مرداس السلمي:

فَأَنِّي وَالسَّوَابِجُ يَوْمَ جَمْعٍ
لَقَدْ أَحْبَبْتُ مَا لَقِيتُ ثَقِيفَ
هُمْ رَأْسَ الْمَدَوِّثِ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ
وَصِيرَ مَا مِنْ هَلَالٍ غَادَرْتَهُمْ
وَلَوْ لَا قَيْنَ جَمْعَ بَنِي كَلَابِ
رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بَسٍّ
بَنَدِي لَجِبَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ

وما يتلو الرسول من الكتاب
بجنب الشعب أسر من العذاب
فقتلهم الذ من الشراب
وسلت بركها بيني رباب
بأوطاس تمر بالتراب
لقام نساؤهم والنمق كابي
إلى الأوراد تنحط بالنهاب
كسبته تعرض للضراب

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النبأ إنك مرسل
إن الاله بنى عليك محبة
ثم الذين وقوا بما عاهدتم
رجلاً به درب السلاح كأنه
يفشى ذوى السب القريب وإنما
أنبئك أني قد رأيت مكره
طوراً يعانق باليدين وفارة
يفشى به هام الكفا ولو نرى
وبنو سليم ممنتقون أمامه
بمشون تحت لوائه وكأنهم
ما يرتجون من القريب قرابة
هذى مشاهدنا التي كانت لنا

وقال عباس بن مرداس أيضاً (٢) :

عنا مجل من أهل قتال
ديار لنا يا جل إذجل عيشنا
حبيبة ألوت بها غربة النوى
فان تبغني الكفلا غير ملومة
دعانا إليه خير وفدى علمهم
فجئنا بألف من سليم عليهم
نبايعه بالأخشين وإنما
فجئنا مع المهدي مكة عنوة
علانية والخيل يفشى متونها
ويوم حنين حين سارت هوازن
صبرنا مع الضحك لا يستغزنا
أمام رسول الله بمحقق فوقنا

فطلا أريك قد خلا فالمصانع
رخي وصيرف الدهر للحج جامع
لبين فهل ماض من العيش راجع
فاني وزير للنبي وتابع
خزيمة والمرار منهم وواسع
لبوس لهم من نسج داود رائع
يد الله بين الأخشين نبايع
بأسياقنا والنقع كاب وماطع
حيم وأن من دم الجوف فاقع
الينا وضائق بالنفوس الأضالع
قراع الأعادي منهم والوقائع
لواء كخندوفر السجاية لامع

(١) هذا البيت زده من سيرة ابن هشام . (٢) سقط من التيمورية هذه القصائد الى آخر الفصل .

عشية ضحكك بن سفيان معتنص
 نذود أخانا عن أخينا ولو نرى
 ولكن دين الله دين محمد
 أقام به بعد الضلالة أمرنا
 وقال عباس أيضاً :

تقطع باقي وصل أم مؤمل
 وقد حلفت بالله لا تقطع القوى
 خفافية بطن العقيق مصيفها
 فان تتبع الكفار أم مؤمل
 وسوف ينبئها الخبير بأننا
 وإنا مع الهادي النبي محمد
 بفتيان صدق من سليم أعزة
 خفاف وذكوان وعوف نخالهم
 كأن نسبح الشهب والبيض ملبس
 بنا عز دين الله غير تنحل
 بمكة إذ جئنا كأن لواءنا
 على شخص الأبطال نحسب بينها
 غداة وطئنا المشركين ولم نجد
 معتزلاً لا يسمع القوم وسطه
 ببيض تطير الهام عن مستقرها
 فكائن تركنا من قتل ملحبي
 رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتني
 وقال عباس أيضاً رضي الله عنه :

ما بال عينك فيها عائر سهر
 عين تأوبها من شجوها أرق
 كأنه نظم در عند فاطمه
 يا بعد منزل من ترجو مودته
 مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر
 ظلاء يغمرها طورا وينحدر
 تقطع السلك منه فهو منتار
 ومن أتى دونه الصنان فالحفر

دَعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدْ
وَاذْكُرْ بَلَاءَ سَلِيمٍ فِي مَوَاطِنِهَا
قَوْمٌ هُمَا نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا
لَا يَغْرِسُونَ فَيْسِلَ النَّخْلِ وَتَطْهَرُ
إِلَّا سَوَاحِجَ كَالْقَبَابِ مَغْرِبَةٍ
تَدْعَى خِفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا
الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشَّرْكَ ضَاحِيَةً
حَتَّى رَفَعْنَا وَقْتْلَامَ كَانِهِمْ
وَنَحْنُ يَوْمَ حَنِينٍ كَانُ مَشْهُدًا
إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مَخْضَرًا بِطَائِنِهِ
نَحْتُ اللِّوَاءَ مَعَ الضَّحَاكِ يَقْدُمُنَا
فِي مَازِقٍ مِنْ مَجَرِّ الْحَرْبِ كُلِّهَا
وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسْنَنَّا
حَتَّى تَأْتِيَ أَقْوَامَ مَنَازِلِهِمْ
فَمَا تَرَى مَعْشَرًا قَلَّوْا وَلَا كَثُرُوا
وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوِي بِهِ
إِنَّمَا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ قَوْلَ لَهُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشَى
إِنَّا وَقَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْتُنَا
إِذْ سَأَلَ مِنْ أَفْنَاءِ بَهْتَةٍ كُلِّهَا
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيَلْقَا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبٍ مِنْ سَلِيمٍ فَوْقَهُ
يُرْوِي الْفَنَاءَ إِذَا تَجَاسَرَ فِي الْوُغَى
يَغْشَى الْكِتَابَةَ مَقْلًا وَبِكَفِهِ
وَعَلَى حَنِينٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَعْنَا
كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً
وَجَنَاءَ حِجْرَةِ الْمَنَاسِمِ عَرُوسُ
حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
فَوْقَ التَّرَابِ إِذَا تَمَدَّدَ الْأَنْفُسُ
وَالْخَيْلُ تَقْدَعُ بِالْكَمَاةِ وَتَضْرِبُ
جَمْعَ تَفْلَلٍ بِهِ الْحَارِمْ تَرْجِسُ
شِبَاءَ يَفْتَسِمُهَا الْمَهَامُ الْأَشْوَسُ
بِيضَاءَ عَحْكَةٍ الدَّخَالِ وَقَوْلُسُ
وَنَخْلَةٍ أَسَدًا إِذَا مَا يَعْبَسُ
عَضْبٌ يَقْدَعُ بِهِ وَلَدَنٌ مَدْعَسُ
أَلْفَ أَمَدٍ بِهِ الرَّسُولَ عَرْنَدَسُ
وَالشَّمْسُ يَوْمئِذٍ عَلَيْهِمُ الْقَمَسُ

نصبي وبجرسنا الاله بحفظه
ولقد خبشنا بالمناقب نجساً
وغداة أو طاس شدنا شدة
تدعو هوازن بالأخوة بيننا
حق تركنا جمعهم وكأنه
وقال أيضاً رضى الله عنه :

من مبلغ الأقسام أن محمداً
دعا ربه واستنصر الله وحده
سريتنا وواعدنا قديداً محمداً
تماروا بنا في الفجر حتى تبينوا
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا
فان سراة الحبي إن كنت سائلاً
وجيد من الأنصار لا يخذلونه
فان تلك قد أمرت في القوم خالداً
بجند هداة الله أنت أميره
حلفت يميناً برةً لحمد
وقال نبي المؤمنين تقدّموا
وبتنا بنهي المستدير ولم يكن
أطمناك حتى أسلم الناس كلهم
يظل الحصان الأبلق الورد وسطه
محمونا لهم ورد القطا زفه ضحى
لن غدوة حتى تركنا عشية
إذا شئت من كل رأيت طمرة
وقد أحرزت منا هوازن مبرها

رسول الاله راشد حيث بما
فأصبح قد وقى اليه وأنما
يؤم بنا أمراً من الله محمداً
مع الفجر فتينا غاباً مقوما
ورجلاً كدفاع الأتي عرمرما
سليم وفيهم منهم من تسلما
أطاعوا فما يعصونه ما تكلمنا
وقدّمته فإنه قد قدما
تصيب به في الحق من كان أظلمنا
فأكلها ألفاً من الخيل ملجما
وحب إلينا أن نكون المقدما
بنا الخوف إلا رغبةً وتحزما
وحتى صبحنا الجمع أهل يلما
ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما
وكلأ تراه عن أخيه قد أحجما
حنيناً وقد سالت دوائمه دما
وفارسها بهوي ورجحاً محطما
وحب إليها أن نجيب ومحرما

هكذا أورد الامام محمد بن اسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي رضى الله
عنه وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الاطالة وخوف المبالغة ، ثم أورد من شعر غيره
أيضا وقد حرص في كفاية من ذلك والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم - غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : قاتل رسول الله (س) يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان ، وقال محمد بن اسحاق : ولما قدم قل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور : قال ثم سار رسول الله (س) الى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك في ذلك : *

قضيئنا من تهامة كل ريب	وخير ثم أجمعنا السيرة
نخبرها ولو نطقت لقات	قواطع دوساً أو ثقيفا
فلست لحاضن إن لم ترؤها	بساحة داركم منا ألوة
وتنزع العروش نبطن وج	وتصبح دوركم منكم خلوة
ويأتىكم لنا سرعان خيل	ينادر خلفه جمعاً كثيفا
إذا نزلوا بساحتكم معتم	لما عما أناخ بها رجيفا
بأيديهم قواضب مرهفات	يزرن المصطلين بها الخوة
كأمثال العقائر أخلصها	قيون الهند لم تضرب كثيفا
تخال جدية الأبطال فيها	غداة الزحف جادياً مدفوا
أجدهم أليس لهم نصيح	من الأقوام كان بنا عريفا
نخبرهم بأنا قد جمعنا	عتاق الخيل والتعجب الطروفا
وأنا قد أتيناكم بزحف	يحيط بسور حصنهم صفوا
رئيسهم النبي وكان صلبا	نقي القلب مصطبرا عزوفا
رشيد الأمر ذا حكم وعلم	وجلم لم يكن نزقا خفيا
نطيع نبينا ونطيع رباً	هو الرحمن كان بنا رؤفا
فان تلقوا اليها السلم نقبل	ونجعلكم لنا عضداً وريفا
وإن تابوا نجاهدكم ونصبر	ولا بك أمرنا رعشاً ضعيفا
نجاهد ما بقينا أو تنبوا	الى الاسلام إذعانا مضيفا
نجاهد لا نبالي ما لقينا	أهلكتنا التلاد أم الطريفا
وكم من معشر ألبوا علينا	صميم الجذم منهم والخليفا
أتونا لا يرون لهم كفاء	فبدعنا المسامع والأنوفا

بكل مهندٍ أينٍ صقيل نسوقهم بها سَوْقاً عنيفاً
 لأمرِ الله والأسلام حتى يقوم الدين معتدلاً حنيفاً
 ونفسى اللات والعزى وودى ونسلها القلائد والشنوقا
 فأمسوا قد أقروا واطمأنوا ومن لا يمتنع يقبله خسوفاً

وقال ابن اسحاق : فلجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير النقي :

قلت : قد وفد على رسول الله (س) بعد ذلك في وفد ثقيف فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة
 وأبو اسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد ، وزعم المدايني أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد
 الروم فنصر ومات بها :

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا بِرَيْدٍ قَتَلْنَا فَإِنَّا بَدَارُ مَعْلَمٍ لَا نَزِيمَهَا
 وَجَدْنَا بِهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى وَكَانَتْ لَنَا أَطَوَاوُهَا وَكُرُومَهَا
 وَقَدْ جَرَّبْنَا قَبْلَ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَلِيمَهَا
 وَقَدْ عَلِمْتُ - إِنْ قَالَتْ الْحَقُّ - أَنَّنَا إِذَا مَا أَتَتْ صُغُرُ الْخُدُودِ نَقِيبَهَا
 نَقُومُهَا حَتَّى يَلِينَ شَرِيسُهَا وَيَعْرِفَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ظُلُومَهَا
 عَلَيْنَا دِلَاصَةً مِنْ تَرَابٍ مَحْرَقٍ كَلَوْنَ السَّمَاءَ زِينَتَهَا نَجُومَهَا
 نَرْقُمُهَا عَنَّا بَيْضِي صَوَارِمٍ إِذَا جُرِّدَتْ فِي غَمْرَةٍ لَا نَشِيمَهَا

قال ابن اسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله (س) إلى الطائف :

لَا تَنْصَرُوا اللَّاتَ إِنْ أَلَّاهُ مَهْلِكُهَا وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْصَرُ
 إِنْ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسَّيِّئَةِ فَاشْتَعَلَتْ وَلَمْ تَقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ
 إِنْ الرُّسُولَ مَتَى يَنْزِلَ بِلَادَكُمْ يَظُنُّ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله (س) - يعني من حنين إلى الطائف - على نخلة الجمانية ثم

على قرن ثم على المليح ثم على بحيرة الرغاء من لية فابتنى بها مسجداً فصلى فيه قال ابن اسحاق :
 فحدثني عمرو بن شعيب أنه عليه السلام أقاد يومئذ ببصرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم أقيده به
 في الإسلام رجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل فقتله به وأمر رسول الله (س) وهو بلية بحصن
 مالك بن عوف فهدم . قال ابن اسحاق : ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة فلما توجه رسول الله (س) :
 سأل عن اسمها فقال ما اسم هذه الطريق فقيل الضيقة فقال بل هي اليسرى ، ثم خرج منها على
 نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله
 (س) : إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله (س) :

باخرا به . وقال ابن اسحاق : عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو
 سمعت رسول الله (س) يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فررنا بقبر فقال رسول الله (س) : « هذا
 قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من نمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته النقرة التي
 أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه حصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه
 أصبتموه » قال فابتدره الناس فاستخرجوا معه الفصن . ورواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب
 ابن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع
 عن روح بن القاسم عن اسماعيل بن أمية به . قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله (س) حتى
 نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب
 من حائط الطائف فتأخروا إلى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنىه ثقيف بعد
 إسلامها ، بناءه عمرو بن أمية بن وهب وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلا
 سمع لها نقيض فيما يندكرون ، قال فحاصروهم بضماً وعشرين ليلة ، قال ابن هشام ويقال سبع عشرة
 ليلة ، وقال هرويه موسى بن عقبة عن الزهري : ثم سار رسول الله (س) إلى الطائف وترك السبي
 بالجمرة وملك عرش مكة منهم فنزل رسول الله (س) بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة
 يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ولم يخرج إليهم أحد منهم غير أبي بكر بن مسروح أخى زياد
 لأمه ، فأعتقه رسول الله (س) وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنانهم لينيفواهم بها فقالت لهم
 ثقيف : لا تفسدوا الأموال فانها لنا أولكم . وقال هرويه أمر رسول الله (س) كل رجل من المسلمين
 أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات وبعث منادياً ينادى من خرج إلينا فهو حر ، فأقتحم إليه نفر
 منهم فيهم أبو بكر بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه فأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل
 من المسلمين يعوله ويحمله . وقال الامام أحمد ثنا يزيد ثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن
 عباس أن رسول الله (س) كان يستق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم
 الطائف رجلين وقال أحمد ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم
 عن ابن عباس قال : حاصر رسول الله (س) أهل الطائف فخرج إليه عبدان فأعتقهما أحدهما أبو
 بكر وكان رسول الله (س) يستق العبيد إذا خرجوا إليه وقال أحمد أيضاً ثنا نصر بن رئاب عن
 الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله (س) يوم الطائف « من خرج
 إلينا من العبيد فهو حر » فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكر فأعتقهم رسول الله (س) ، هذا الحديث
 تفرد به أحمد وداره هل الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ، لكن ذهب الامام أحمد إلى هذا فسنده
 أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الاسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً ، وقال آخرون إنما كان

هذا شرطاً لا حكماً عاماً ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام « من قتل قتيلاً فله سلبه » وقد قل بنس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن المسكرم الثقفي قال : لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج اليه رقيق بن رقيهم أبو بكره عبداً للحارث بن كلدة والمنبث وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله ﷺ المنبث ، ويحس ووردان في رهط من رقيهم فأسلموا ، فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا يا رسول الله رد علينا رقيتنا الذين أتوك قال « لا أولئك عتقاء الله » ورد على ذلك الرذل ولأه عبده فجعله له . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا عثمان قال سمعت سمداً وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأها بكرة وكان تسور حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله ﷺ قالوا : سمينا رسول الله ﷺ يقول « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فإبنة عليه حرام » ورواه مسلم من حديث عاصم به قال البخاري : وقال هشام أنبا ميمر عن عاصم عن أبي العالبي أو أبي عثمان النهدي قال سمعت سمداً وأها بكرة عن النبي ﷺ قال عاصم : قلت لقد شهد عندك رجلاً حسيك بهما ، قال أجل أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فقتل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف . قال محمد بن اسحاق : وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نساء إحداهما أم سلمة فغضب لهما قبتين فكان يصلي بينهما ، فحاصرهم وقتلهم قتلاً شديداً وتراءوا بالنبل قال ابن هشام : ورمم بالمنجنيق . فحدثني من أثنى به أن النبي ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق رمى به أهل الطائف وذكر ابن اسحاق أن نفراً من الصحابة دخلوا تحت دهاية ثم زحفوا ليحرقوا جدران أهل الطائف فأرسلت عليهم سكاك الحديد محمودة فخرجوا من تحتها فرميتهم نقيض بالنبل فقتلوا منهم رجلاً ، فبيلد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب نقيض فوقع الناس فيها يقطعون ، قال وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فتناديا نقيضاً بالامان حتى يكادونهم فأنهم فدهروا نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهم وهما بخافان يحملين السباء إذا فتح الحصن ، فأبين فقال لهما أبو الاسود بن سمود : ألا أدلكما على خير مما جئتما به ؟ إن مال أبي الاسود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله ﷺ نازلاً بوادي يقال له المقيق وهو بن مال بن أبي الاسود وبين الطائف وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤونة ولا أبعد حمارة منه ، وإن محمداً إن قطعه لم يضر أبداً فكلماه فليأخذه نفسه أو ليهرعه لله وللرحم . فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم . وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا عنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده وقيل قسم به وبدينتين فأنه أهل وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود عن هريرة أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ أن يأتي أهل الطائف فيدهومهم إلى الإسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حزمهم وقال

لا بهولنكم قطع ما قطع من الاشجار في كلام طويل ، فلما رجع قال له رسول الله (ص) : « ما قلت لهم » قال دعوتهم إلى الاسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة ، فقال « كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله واليك من ذلك . وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن احمد ابن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن ابن أبي نجيع السلمي وهو عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله (ص) قصر الطائف فسمعت رسول الله (ص) يقول « من بلغ بسهم فله درجة في الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعت يقول « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرد ، ومن شاب شيبه في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة وأما رجل أعتق رجلاً مسلماً فان الله جعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بعظم وأما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جعل كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها من النار » . ورواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث قتادة به . وقال البخاري ثنا الهيثمي صحيح سفيان ثنا هشام عن أبيه عن زيلب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت : دخل على رسول الله (ص) وهنسي مخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرايت إن فتح الله عليكم الطائف فهدا فملكك بأبنة خيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال رسول الله (ص) : « لا يدخلن هؤلاء عليكن » قال ابن عيينة وقال ابن جريج : المخنث هيت . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به وفي لفظ وكانوا يرونه من غير أولى الأربعة من الرجال ، وفي لفظ قال رسول الله (ص) : « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكن هؤلاء » يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل في قوله تعالى [أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء] والمراد بالمخنث في عرف السلف الذي لا همة له إلى النساء وليس المراد به الذي يؤتى إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتما كما دل عليه الحديث وكما قتله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومعنى قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان يعني بذلك هكن بطنها فانها تكون أربعا إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثلثين إذا أدبرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت خيلان بن سلمة من سادات ثقب ، وهذا المخنث قد ذكر البخاري عن ابن جريج أن اسمه هيت وهذا هو المشهور لكن قال يونس عن ابن اسحاق قال : وكان مع رسول الله (ص) مولى لخالدته بنت عمرو بن عابد مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء رسول الله (ص) في بيته ولا يرى أنه يفعل شيئاً من أمور النساء ، ولا يرى أن له في ذلك إرباً فسمعه وهو يقول لخالد ابن الوليد : يا خالد إن افتتح رسول الله (ص) الطائف فلا تنفلتن بجمعتكم بادية بنت خيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال رسول الله (ص) : « حين سمع هذا منه » ألا أرى هذا يفعل لهذا » الحديث ثم قال للنساء « لا يدخلن عليكن » فحجب عن بيت رسول الله (ص) . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله

ثنا سفيان عن عمرو عن أبي العباس الشاعر الاعشى عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله
 ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال « إنا قاتلون غداً إن شاء الله » فنقل عليهم وقالوا نذهب ولا
 نفتح ؟ فقال « اغدوا على القتال » فغدوا فأصابهم جراح فقال « إنا قاتلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم
 فضحك النبي ﷺ ، وقال سفيان مرة فتبسم ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن
 عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف في نسخ البخاري في نسخة كذلك عن عبد الله بن عمرو بن
 العاص والله أعلم . وقال الواقدي حدثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال : لما مضت
 خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ ، نزل بن معاوية الدثلي فقال « يا نوفل ما ترى
 في المقام عليهم ؟ » قال يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقت عليه أخذته . وإن تركته لم يضرك . قال
 ابن اسحاق : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لا يكر وهو محاصر تقيفاً « ياها بكر إني رأيت ألى
 أهديت لي قبة مملوءة زبداً فتقرها ديك فهراق ما فيها » فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أظن أن
 تدرك منهم يودك هذا ما تريد ، فقال رسول الله ﷺ « وأنا لا أرى ذلك » قال ثم إن خولة بنت
 حكيم السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله اعطاني إن فتح الله عليك حل بادية بنت
 غيلان بن سلمة أو حل الفارعة بنت عقيل . وكانت من أحلى نساء تقيف . فذكر أن رسول الله
 ﷺ قال لها « وإن كان لم يؤذن في تقيف يا خويلة » فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب
 فدخل على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ما حديث حديثك خولة زعمت أنك قلت ؟ قال
 « قد قلت » قال أو ما أذن فيهم ؟ قال لا ، قال أملا أذن بالرحيل ؟ قال بلى ، فأذن عمر بالرحيل فلما
 استقبل الناس نادى سعيد بن سعيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقبم . قال يقول
 سبيبة بن حصن أجل والله بحجة كراماً ، فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله يا عبيبة أنمذح المشركين
 بالامتناع من رسول الله ﷺ ، وقد جئت تنصرك ، فقال إني والله ما جئت لأقاتل تقيفاً معكم ،
 ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من تقيف بجارية أطولها ليلها تلد لي رجلاً فان تقيفاً
 منها كبير . وقد روى ابن أبي عمير عن أبي الأسود عن عروة قصة خولة بنت حكيم وقول رسول الله
 ﷺ ما قال . وتأذن عمر بالرحيل ، قال وأمر رسول الله ﷺ ، الناس أن لا يسرحوا ظهراً فلما
 أمرهموا ارتحل رسول الله ﷺ ، وأصحابه ودعا حين ركب قائلاً فقال « اللهم اهدموا كفتنا مؤمنهم »
 وروى الترمذي من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قالوا : يا رسول الله
 أمرت أن نبال تقيف فادع الله عليهم فقال « اللهم اهد تقيفاً » ثم قال هذا حديث حسن غريب .
 وروى يونس عن ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المسك عن أدركا من أهل
 العلم قالوا حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم

يؤذن فيهم ، قدم المدينة فجاءه وفد في رمضان فأسلموا وسيأتي ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله . وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن اسحاق فمن قريش ؛ سعيد ابن سعيد بن العاص بن أمية : وعرفطة بن حباب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبدالله ابن أبي بكر الصديق رمى بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله (س) ، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي من رمية رميها يومئذ ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى السهمي وأخوه عبد الله ، وجليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليث ، ومن الانصار ثم من الخزر رج ثابت بن الجذع الأسلمي ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة المازني ، والمندر بن عبد الله من بني ساعدة ، ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية فقط ، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث رضي الله عنهم أجمعين . قال ابن اسحاق : ولما انصرف رسول الله (س) راجعاً عن الطائف قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت علاء يوم بطن حنين وغداة أوطاس يوم الأبرق
جمعت باغواء هوازن جمعها فتهجدوا كالطائر المتبرق
لم يمنعوا منا مقاماً واحداً إلا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكما يخرجوا فاستحصنوا منا يباب مغلّق
تردد حسراتنا إلى زجاجة شهباء تلمع بالنيا فليق
ملومة خضراء لو قدفوا بها حصناً لظلّ كأنه لم يخلق
مشي الضراء على المراس كأننا قدّر نفرّق في القياد ويلتقي
في كل سابعة إذا ما استحصنت كالتّهي هبت ريح المرقوق
جدل تمس فضولهن نعالنا من نسج داود وآل محرق

وقال أبو داود ثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ثنا القريابي ثنا أبان ثنا عمرو - هو ابن عبد الله ابن أبي حازم - ثنا عثمان بن أبي حازم عن أبيه عن جده صخر - هو أبي العيلة الأحسي - أن رسول الله (س) غزا ثقيفاً فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يمد النبي (س) فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهد وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله (س) . ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله (س) ، وكتب إليه صخر : أما بعد فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله وأنا أقبل بهم وهم في خيل فأمر رسول الله (س) بالصلاة جامعة فدعا لأحس عشر دعوات « اللهم بارك لأحس في خيلها ورجالها » . وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبه قال :

يارسول الله إن صخرًا أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، فدعاه فقال « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع إلى المغيرة عمتي » فدفعها إليه وسأل رسول الله (س) : ماء لبنى سليم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء فقال : يارسول الله أنزلني أنا وقومي ؟ قال « نعم » فانزله وأسلم - يعني المسلمين ، فأتوا صخرًا فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله (س) ، فقالوا : يارسول الله أسلمنا وأتينا صخرًا ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا ، فقال « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم » قال نعم يا نبي الله فرأيت وجه رسول الله (س) يتغير عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذه الماء . تفرد به أبو داود وفي إسناده اختلاف قلت : وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلا لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤدوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهمومًا فلم يستفق إلا عند قرن الثعالب ، فاذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل فناده ملك الجبال فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك فان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله (س) ، « بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبدني وحده لا يشرك به شيئًا » فناسب قوله بل أستأني بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن

قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله (س) حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يارسول الله ادع عليهم فقال « اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم » قال ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله (س) ، من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاة مالا يدرى عدته . قال ابن اسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب وفي رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كنا مع رسول الله (س) ، بمخنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا : يارسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يارسول الله إنما في الخطائر من السبائا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما

وأنت رسول الله خير الكفولين ، ثم أنشأ يقول :

أُمنُّ علينا رسول الله في كرم
أُمنُّ على بيضةٍ قد عاقها قدر
أُبت لنا الدهر هتافاً على حزنٍ
[ياخير طفلٍ ومولودٍ ومنجب
إن لم تداركها نعاءٌ تفسرها
أُمنُّ على نسوةٍ قد كنَّت ترضعها
أُمنُّ على نسوةٍ قد كنَّت ترضعها (٢)
لا نجملنا كمن شالت نعمته
إنا لنشكر آلاءه وإن كُفرت
عندنا بعد هذا اليوم منخر

قال فقال رسول الله (س) : « نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا ، فقال رسول الله (س) : « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله (س) إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله (س) . في أبنائنا ونسائنا فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » فلما صلى رسول الله (س) بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله (س) ، فقال « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله (س) ، وقالت الانصار وما كان لنا فهو لرسول الله (س) ، وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو نعيم فلا ، وقال عيينة : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال العباس بن مرداس السلمي : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم بل ما كان لنا فهو لرسول الله (س) ، قال يقول عباس بن مرداس لبني سليم وهنتموني ؟ فقال رسول الله (س) : من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول في نصيبه » فردوا إلى الناس نساءهم وأبناؤهم ثم ركب رسول الله (س) ، وأتبعه الناس يقولون : يا رسول الله أقسم علينا ذيننا ، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداه فقال « أيها الناس ردوا على ردائي فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » ثم قام رسول الله (س) إلى جنب بمير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال « أيها الناس والله مالي من فيثكم ولا هذه الوبرة إلا الخنس والخنس مردود عليكم فأدوا الخياط والمحيط فان الغلول (١) هذا البيت زيادة من السهيلي وزاد عليها ثلاثة أبيات آخر . (٢) في السهيلي : إذا كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها .

عار وفار وشنار على أهله يوم القيامة » فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لي دبره فقال رسول الله (س) : « أما حق منها فلك » فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حجة لي بها فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضى أنه عليه السلام رد إليهم سبيهم قبل القسمة كما ذهب إليه محمد بن اسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره . وفي صحيح البخارى من طريق الليث عن عقيل عن الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله (س) : « قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن ترد إليهم أموالهم ونسأؤهم فقال لهم رسول الله (س) : « معي من ترون وأحب الحديث إلى أصدقائه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال ؟ وقد كنت أمتأنت بكم » وكان رسول الله (س) : انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله (س) : غير راد إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا إما نختار سبينا ، فقام رسول الله (س) : في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤا نائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب أن يطلب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حفظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفي الله علينا فليفعل » فقال الناس : قد طيبننا ذلك يا رسول الله فقال لهم « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله (س) : فاخبروه بأنهم قد طيَّبوا وأذتوا . فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما بل سكت عن ذلك والمثبت مقدم على النافي فكيف الساكت . روى البخارى من حديث الزهري أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أخبره جبير بن مطعم أنه بينا هو مع رسول الله (س) : ومعه الناس مقفلة من حنين علق الأعراب برسول الله (س) : يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله (س) : ثم قال « أعطوني ردائي فلو كان عدد هذه المضاة نفساً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » تفرد به البخارى . وقال ابن اسحاق : وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي أن رسول الله (س) : أعطى علي بن أبي طالب جارية يقال لها ربيعة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهها من ابنه عبد الله وقال ابن اسحاق : فحدثني نافع عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جح ليصلحوا لي منها وبهيشوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأما أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال فجئت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدون قتل ما شأنكم ؟ قالوا رد علينا رسول الله (س) : نساءنا وإبناءنا ، قلت تلکم صاحبکم فی بنی جح فاذهبوا فخذوها فذهبوا إليها فآخذوها . قال ابن اسحاق :

ولما هيئت بن حصن فأخذ مجوراً من مجائز هوازن وقال حين أخذها أوى مجوراً إني لأحسب لها في الحى نسباً وعسى أن يعظم فعلوها ، فلما رد رسول الله (س) السبايا بست فرائض أبي أن يردّها ، قتل له زهير بن مرد : أخذها عنك فوالله ما فرها يبارد ، ولا ثمنها يباهد ، ولا بطنها يوالد ، ولا زوجها يواجد ، ولادرها بما كد ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريبة ولا نصفا وثيرة | فردّها بست فرائض | قال الواقدي : ولما قسم رسول الله (س) الغنائم بالجرانة أصلب كل رجل أربع من الابل وأربعون شاة . وقال سلمة عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من شهد حنين قال والله إني لأسير الى جنب رسول الله (س) على ناقة لي وفي رجل لي نعل غليظة إذ زحمت ناقة رسول الله (س) ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله (س) فأوجعه ، فترع قدمي بالسوط وقال « أوجعتني فتأخر عني » فانصرف فلما كان الغد إذا رسول الله (س) يلمسني قال قلت هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله (س) بالأمس ، قال فجئته وأنا أتوقع فقال « إنك أصبت رجلي بالأمس وأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعمة بالضربة التي ضربني ، والمقصود من هذا أن رسول الله (س) رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شبيب الذي أورده محمد بن اسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله (س) رد إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبي وركب علققت الاعراب برسول الله (س) يقولون له اقم علينا فيئنا حتى اضطرروه الى محمرة فخطفت رداءه فقال « ردوا على رذائي أيها الناس فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه المضاة نعماً لقسمته فيكم ثم لا تحمدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه . وكأنهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم فسألوه قسمة ذلك فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجرانة كما أمره الله عز وجل وآثر أناساً في القسمة وتآلف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم فغلب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبين لهم وجه المسكة فيما فعله تطييباً لقلوبهم ، وتنقذ بعض من لا يعلم من الجملة والخوارج كذى الخويصرة واشباهه قبحه الله كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان . قال الامام أحمد حدثنا عارم ثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يقول ثنا السميظي السدوسي عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الفم ، ثم النعم ، قال ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى بحينة خيلنا خالد بن الوليد ، قال فجملت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا قل فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرت الاعراب ومن نعلم من الناس ، قال فننادى رسول الله (س) يا المهاجرين يا المهاجرين يا للأنصار ؟ قال أنس هذا حديث

عنه - قال قلنا لبيك يا رسول الله قال وتقدم رسول الله (ص) ، قال وأيم الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله قال فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا الى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا الى مكة ، قال فنزلنا فجعل رسول الله (ص) يعطى الرجل المائة ويعطى الرجل المائتين ، قال فتحدث الانصار بينها أمان قاتله فيعطيه ، وأمان لم يقاتله فلا يعطيه ؟ فرفع الحديث الى رسول الله (ص) ، ثم أمر بسراة المهاجرين والانصار أن يدخلوا عليه ثم قال « لا يدخلن على إلا أنصاري - أو الانصار » قال فدخلنا القبة حتى ملأناها قال نبي الله (ص) « يا معشر الانصار » أو كما قال « ما حديث أناني ؟ » قالوا ما أذاك يا رسول الله قال « ما حديث أناني » قالوا ما أذاك يا رسول الله ، قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا رضينا يا رسول الله ، قال فرضوا أو كما قال . وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان وفيه من الغريب قوله أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإتوا في كانوا اثني عشر ألفاً ، وقوله إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة قاله أعلم . وقال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام ثنا معمر عن الزهري حدثني أنس بن مالك قال قال ناس من الانصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن فطلق النبي (ص) يعطى رجلاً المائة من الابل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله (ص) يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم ؟ قال أنس بن مالك فحدث رسول الله (ص) بمقاتلتهم فأرسل إلى الانصار فجمعهم في قبة آدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي (ص) فقال « ما حديث بلغني عنكم ؟ » قال فقهاء الانصار : أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثه أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله (ص) يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم ، فقال رسول الله (ص) « فاني لأعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أتألفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحاككم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا يا رسول الله قد رضينا فقال لهم النبي (ص) « فستجدون أثره شديدة فاصبروا حتى تلتقوا الله ورسوله فاني على الحوض » قال أنس : فلم يصبروا . تفرد به البخاري من هذا الوجه ، ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد عن جده أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي (ص) عشرة آلاف والطلاق فأدبروا فقال « يا معشر الانصار » قالوا لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله (ص) فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الانصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبته فقال « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » (ص) [قالوا بلى] فقال رسول الله (ص) « لو

سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار . وفي رواية البخاري من هذا الوجه قال لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده فنأدى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال « يا معشر الأنصار ؟ » قالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال « يا معشر الأنصار ؟ » فقالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك ، وهو على بقلة بيضاء فنزل فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون وأصاب يومئذ منكم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال « يا معشر الأنصار ما حديث بلغني ؟ » فسكتوا فقال « يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى فقال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار » . قال هشام : قلت يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال وأين أغيب عنه ؟ ثم رواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال « إن قریشاً حديثوا عهد ببجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى ، قال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلك وادى الأنصار أو شعب الأنصار » . وأخرجه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه وفيه فقالوا : والله إن هذا لمو العجب إن سيفنا لتقطر من دماهم والفنائم تقسم فيهم ، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم . وقال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيفنا تقطر من دماهم وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال « فيكم أحد من غيركم ؟ » قالوا لا إلا ابن اختنا ، قال « ابن اخت القوم منهم » ثم قال « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا نعم ، قال « أنتم الشعار والناس الدمار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم ؟ » قالوا بلى ، قال « الأنصار كرشى وعيبى لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » وقال قال حماد أعطى مائة من الأبل فسمى كل واحد من هؤلاء . تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم منفريقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « أفلا تقولون جئتنا خائفين فأمنناك ، وطريدنا

فأويناك ، ومخذولاً فنصرناك ؟ » قالوا بل لله المن حلينا ورسوله . وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين
 فهذا الحديث كالتواتر عن أنس بن مالك . وقد روى عن غيره من الصحابة قال البخاري ثنا موسى
 ابن اسماعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما
 أراه الله على رسوله (س) . يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكانهم
 وجدوا في أنفسهم إذ لم يصيبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً
 فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فأنفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا الله
 ورسوله أمن ، قال « لو شئتم قلتم جئتكم كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير
 وتذهبون برسول الله إلى رحاكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً
 وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعباً ، الأنصار شمار والناس دفار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة
 فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » . ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به وقال يونس بن
 بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري
 قال : لما أصاب رسول الله (س) . الغنائم يوم حنين وقسم للمبتالين من قريش وسائر العرب ما قسم
 ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم حتى قال
 قائلهم : لقي والله رسول الله قومه ، فشى سعد بن عبادته إلى رسول الله (س) . فقال : يا رسول الله إن
 هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ؟ فقال « فيم ؟ » قال فيما كان من قسمك هذه
 الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء ، فقال رسول الله (س) . « فأين أنت
 من ذلك يا سعد ؟ » قال ما أنا إلا امرؤ من قومي ، قال فقال رسول الله (س) . « فاجمع لى قومك في
 هذه الحظيرة فاذا اجتمعوا فاعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من
 المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فردم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أراه
 فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم ، فخرج رسول الله
 (س) . فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً
 فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى ثم قال رسول الله (س) . « ألا
 نجيبون يا معشر الأنصار ؟ » قالوا وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المن لله ورسوله قال « والله لو
 شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتكم طريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمناك ، ومخذولاً
 فنصرناك » فقالوا المن لله ورسوله فقال رسول الله (س) . « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في
 لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا وولتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ، أفلا ترضون
 يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحاكم فوالذي

نفسى بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسكنت شعب الأنصار ، ولولا
 الهجرة لسكنت امرأة من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ، قال
 فبكى القوم حتى أخذوا لحامهم وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قسماً ثم انصرف وتفرقوا . وهكذا رواه
 الامام أحمد بن حنبل عن ابن اسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح
 وقد رواه الامام أحمد بن يحيى بن بكير عن الفضل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي
 سعيد الخدري قال رجل من الأنصار لا صحابه : أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو استقامت الأمور
 قد آثر سليمان ، قال فردوا عليه رداً عنيماً فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ فجاهم فقال لهم أشياء لا
 أحفظها قالوا بلى يا رسول الله ، قال « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم شيئاً قالوا بلى يا رسول الله
 ثم ذكر قصة الخيل كما تقدم . تفرد به أحمد أيضاً . وهكذا رواه الامام أحمد منفرداً به من حديث
 الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بن جحره ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة
 عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق عن
 أبيه عن عباد بن رفاع بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج أن رسول الله - ﷺ أعطى
 المؤلفة قلوبهم من سبى حنين مائة من الإبل ، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة . وأعطى صفوان
 ابن أمية مائة ، وأعطى عيينة بن حصص مائة . وأعطى الأقرع بن حابس مائة ، وأعطى علقمة بن
 علاثة مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك
 فأنشأ يقول :

أنجعل نهي ونهب البسبيد بين عيينة والأقرع
 فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في الجمع
 وما كنت دون امرئ منهما ومن تخلف في اليوم لا يرفع
 وقد كنت في الحرب ذاتدرئ فلم أعط شيئاً ولم أمنع

قال فأنشأ له رسول الله - ﷺ مائة . رواه مسلم عن حديث ابن عيينة بنحوه وهذا اللفظ البيهقي

وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن اسحاق فقال :

كانت نهباً تلافيتها بكرى على المهر في الأجرع
 وإني أنلي الحبي أن يرقدوا إذا جمع الناس لم أجمع
 فأصبح نهي ونهب البسبيد بين عيينة والأقرع
 وقد كنت في الحرب ذاتدرئ فلم أعط شيئاً ولم أمنع
 إلا أهيل أعطيتها عديد قوائمها الأربع

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في الجمع

وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : فبلغ ذلك رسول الله (ص) ، فقال له : « أمب القائل أصبح نهي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ » فقال أبو بكر ما هكذا قال يا رسول الله ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغي لك : فقال « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله (ص) : « هما سواء ما يضرك بأيهما بدأت » ثم قال رسول الله (ص) : « اقطعوا عني لسانه » فخشي بعض الناس أن يكون أراد المثلة به وإنما أراد النبي (ص) العطية ، قال وعبيد فرسه . وقال البخاري حدثنا محمد ابن العلاء ثنا أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : كنت عند النبي (ص) وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى رسول الله (ص) أعرابي فقال : الا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له « ابشر » فقال قدأ كثرت على من أبشرا فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال « رد البشري فأقبلا أنما » ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال « امش بامنه وانرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا » فأخذ القدر ففعل ، فنادت أم سلمة من وراء الستار أن أفضلا لأمكما . فأفضلا لها منه طائفة . هكذا رواه . وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا مالك عن اسحاق بن عبيد الله عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله (ص) وعليه برد فنجراتي غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله (ص) ، قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بمطاء . وقد ذكر ابن اسحاق الذين أعطاهم رسول الله (ص) يومئذ مائة من الابل وهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار ، وعلقمة بن علاثة ، والملاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ، والحارث بن هشام ، وجبير بن مطعم ، ومالك بن عوف النصرى ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة ابن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع بن حابس ، قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي أن قائلا قال لرسول الله (ص) : من أصحابه : يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وترك جعيل بن سراقة الضمري ؟ فقال رسول الله (ص) : « أما والذي نفس محمد بيده لجعيل خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتها ليسلما ، ووكت جعيل بن سراقة إلى اسلامه » ثم ذكر ابن اسحاق من أعطاه رسول الله (ص) دون المائة ممن يطول ذكره . وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله (ص) يعطيني من غنائم حنين وهو أبفض الخلق إلى حق ما خلق الله شيئا أحب إلى منه .

قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول

قال ابن اسحاق : وقال رسول الله (ص) ، لو فد هوازن وسألم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال « أخبروه إنه إن أتاني مسلماً رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » فلما بلغ ذلك مالك انسل من ثقيف حتى أتى رسول الله (ص) ، وهو بالجرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فرد عليه أهله وماله ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف رضى الله عنه :

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للعزيل إذا اجتدى ومتى تشأ يجزرك عما في غد
وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها بالسهمي وضرب كل مهند
فكانه ليث على أشباله وسط الهباء خادراً في مرصد

قال واستعمله رسول الله (ص) على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمانية وسلمة وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم مرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا جرير بن حازم ثنا الحسن حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله (ص) قوماً ومنع آخرين فكانهم عتبوا عليه فقال « إني أعطى قوماً أخاف هلمهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » قال عمرو : فما أحب أن لي بكلمة رسول الله (ص) حر النعم ، زاد أبو عاصم عن جرير سمعت الحسن ثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله (ص) أتى بمال - أو سبي - فقسمة بهذا . وفي رواية للبخاري قال أتى رسول الله بمال - أو بشئ - فاعطى رجلاً وترك رجلاً فبلغه أن الذين ترك عتبوا لخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد » فذكر مثله سواء . تفرد به البخاري (١) وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فيما كان من أمر الانصار وتأخرهم عن الغنمية :

[ذر الهموم فناء العين منحدراً سحاً إذا حفلته عبيرة دُرر]
وجداً بشماء إذ شماء (٢) بهكنة هيفاء لا ذنن فيها ولا خور
دع عنك شماء إذ كانت مودتها نزرأ وشر وصال الواصل - النزر
وأتت الرسول وقل يا خير مؤمن للمؤمنين إذ ما عتد البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة قدام قوم هموا آووا وم نصروا
مقام الله أنصاراً بنصرهم دين الهدى وعوان الحرب تستمر
وسار عوافي سبيل الله واعترضوا للنائبات وما خانوا وما ضجروا

(١) هذا الحديث مؤخر في التيمورية بعد قصيدة حسان . (٢) في الحلبية : شنباء .

والناس إلّا علينا فيك ليس لنا
نجالد الناس لا نُبقي على أحدٍ
ولا تهرّ جنة الحرب نادينا
كما رددنا بيدٍ دون ما طلبوا
ونحن جندك يوم النعف من أحد
فما وثقنا وما خشنا وما حبروا
إلا السيوف وأطراف القناوِز
ولا نضيق ما توحى به السور
ونحن حين تَلظّي فارها سُر
أهل النفاق وفيما ينزل الظفر
إذ حرّبت بطراً أحزابها مضر
منا عثارا وكلّ الناس قد عثروا

اعتراض بعض أهل الشقاق على الرسول

قال البخاري : ثنا قبيصة ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، قال فأتيت رسول الله (س)، فأخبرته فتغير وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » . ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قال البخاري ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين أتمر النبي صلى الله عليه وسلم ناسا أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجهه الله فقلت لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، [فأخبرته] فقال « رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » . وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به . وفي رواية للبخاري فقال رجل والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ، فقلت والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته فقال « من يعمل إذا لم يعمل الله ورسوله ؟ ! رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » . وقال محمد بن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو ابن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده ، فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال نعم جاء وجل من بني تميم يقال له ذوالخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال له : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله (س)، « أجل فكيف رأيت ؟ » قال لم أرك عدلت ، قال فغضب النبي (س)، فقال « ويحك إذا لم يكن العدل عندي فمَنْ من يكون ؟ » قال عمر بن الخطاب : ألا تقتله ؟ فقال « دعوه فإنه سيكون له شيعة يتمتعون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج النهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القمح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرت والذم » وقال الليث بن سعد عن يحيى

ابن سميد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجرانة النهي (س) ، منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله (س) ، يقبض منها ويعطى الناس ، فقال : يا محمد اعدل ، قال « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب دفعي يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حنا جرم يرقون منه كما يرق السهم من الرمية » ورواه مسلم عن محمد بن ربيع عن الليث . وقال احمد ثنا أبو عاصم ثنا قرة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بينما رسول الله (س) ، يقسم فنام حنين إذ قام إليه رجل فقال اعدل ، فقال « لقد شقيت إذا لم أعدل » ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم عن قرة بن خالد السدوسي به . وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سميد قال : بينما نحن عند رسول الله (س) ، وهو يقسم قسما إذا أنه ذوالنوى بصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال رسول الله (س) ، « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إيدن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال رسول الله (س) ، « دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية ، ينظر الى نصبه فلا يوجد فيه شيء ثم الى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى نصبه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى قدذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدرر ويخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سميد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله (س) ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معهم ، وأمر بذلك الرجل فلأنتس فأتى به حتى نظرت إليه على لست رسول الله (س) ، الذي أنت . ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سميد به نحوه .

بهيء اخت رسول الله (س) من الرضاة عليه بالجرانة

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله (س) ، قال يوم هوازن « إن قدرتم على نجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتنكم » وكان قد أحدث حدثا ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشياه بليت الحارث بن عبيد العزى أخت رسول الله (س) ، من الرضاة ، قال فعنفوا عليها في السوق فقالت للمسلمين : تملكون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاة ؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله (س) ، . قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال فلما انتهى بها إلي رسول الله (س) ، قالت : يا رسول الله إني أختك من الرضاة ، قال « وما علامة ذلك ؟ » قالت عضه عضضتها في ظهري وأنا متوركتك ، قال فصرف رسول الله (س) ،

العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخبرها وقال « إن أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتك وترجي إلى قومك فعلت ؟ » قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، فتمتعها رسول الله (س) ، وردّها إلى قومها فرمعت بنو سعد أنه أعطاهم غلاماً يقال له مكحول وجارية فرجعت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية . وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله (س) ، فقالت : يا رسول الله أنا أختك أنا شبيه بنت الحارث ، فقال لها « إن تكوئي صابغة فإن بك مني أثر لا يبلى » قال فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعضضتني هذه العضة ، قال فبسط لها رسول الله (س) رداءه ثم قال « سلى تعطى واشفعي تشفعي » . وقال البيهقي أنبا أبو نصر بن قتادة أنبا عمرو بن اسماعيل ابن عبد السلمي ثنا مسلم ثنا أبو عاصم ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان أخبرني عمي عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله (س) يقسم لهما بالجرانة ، قال فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت من هذه ؟ قالوا أمه التي أرضعته . هذا حديث غريب ولعله يريد أخته وقد كانت تحضنه مع أمها حليلة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عمرت حليلة دهرآ فان من وقت أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الجرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك ، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه والله أعلم بصحته . قال أبو داود في المراسيل ثنا أحمد بن سعيد الحمدي ثنا ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله (س) كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعده عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله (س) فأجلسه بين يديه ، وقد تقدم أن هوازن بكاملها متواليه برضاعته من بني سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامن علينا من الله عليك وقال فيما قال :

أمن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها كَرَّر

أمن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ بزينك ما تأتي وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم فمادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً . وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال : كان النضير بن الحارث ابن كادة من أجل الناس فكان يقول : الحمد لله الذي من علينا بالاسلام ، ومن علينا بمحمد (س) ، ولم نمت على ما مل عليه الآباء ، وقتل عليه الأخوة ، وبنو المم . لم ذكر عداوته للنبي (س) وأنه

خرج مع قومه من قريش الى حنين وهم على دينهم بعد ، قال ونحن نريد ان كانت دائرة على محمد أن خير عليه فلم يمكننا ذلك ، فلما صار بالجمرة فوالله اني لعل ما أنا عليه ان شعرت إلا رسول الله (س) فقال « أنضير ؟ » قلت لبيك ، قال « هل لك الى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه ؟ » قال فأقبلت اليه سريعاً فقال « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع » قلت قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، فقال رسول الله (س) « اللهم زده ثباتاً » قال النضير : فوالذي بعثه بالحق لكان قلبي حجرة ثباتاً في الدين ، وتبصرة بالحق . فقال رسول الله (س) « الحمد لله الذي هدانا لهذا »

عمرة الجمرة في ذي القعدة

قال الامام أحمد ثنا بهز وعبد الصمد المعنى قال : ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك قلت كم حجج رسول الله (س) ؟ قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات . عمرته زمن الحديبية وعمرته في ذي القعدة من المدينة ، وعمرته من الجمرة في ذي القعدة ، حيث قسم فدية حنين ، وعمرته مع حجته . ورواه البخاري ومسلم وابوداود والترمذي من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام أحمد ثنا أبو النضر ثنا داود - يعني المطار - عن عمرو بن عكرمة عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله (س) أربع عمر ؛ عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجمرة ، والرابعة التي مع حجته . ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث داود ابن عبد الرحمن المطار المكي عن عمرو بن دينار به . وحسنه والترمذي . وقال الامام أحمد ثنا يحيى ابن زكريا بن أبي زائدة ثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - عن عبد الله ابن عمرو بن العاص - قال : اعتمر رسول الله (س) ثلاث عمر ، كل ذلك في ذي القعدة يلي حتى يستلم الحجر . غريب من هذا الوجه وهذه الثلاث عمر اللاتي وقعن في ذي القعدة ماعدا عمرته مع حجته فانها وقعت في ذي الحجة مع الحجة وان أراد ابتداء الاحرام بهن في ذي القعدة فلم يله لم يرد عمرة الحديبية لانه صد عنها ولم يفعلها والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر يشكران أن يكون رسول الله (س) اعتمر من الجمرة بالكلية وذلك فيما قال البخاري ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان على اعتكاف يوم في الجاهلية فأمره أن يني به ، قال وأصاب عمر جارتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة ، قال فمن رسول الله (س) : على سبي حنين فجعلوا يسمعون في السكك ، فقال عمر : يا عبد الله انظر ما هذا ؟ قال من رسول الله (س) : على السبي ، قال اذهب فارسل الجاريتين . قال نافع ولم يعتمر رسول الله (س) من الجمرة ولو اعتمر لم يخف على

عبد الله ، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السخيتي عن نافع عن ابن عمر به . ورواه مسلم أيضاً عن
أحمد بن عبد الصبي عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع قال ذكره ابن عمر عن رسول الله (ص) ،
من الجمرات فقال لم يضر منها وهذا غريب جداً عن ابن عمر عن مولاة نافع في إنكارها عمرة الجمرات
وقد أطلق القلة من عدها على رواية ذلك من أصحاب الصحيح والسنن والمسانيد وذكر ذلك
أصحاب المنزى والسنن كلهم . وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح عن
عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله إن رسول الله (ص) ، اعتمر في رجب وقالت : ينفر
الله لأبي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله (ص) ، إلا وهو شاهد : وما اعتمر في رجب قط . وقال الإمام
أحمد ثنا ابن نمير ثنا الأعمش عن مجاهد قال سأل عروة بن الزبير ابن عمر في أي شهر اعتمر رسول
الله (ص) ؟ قال في رجب ، فسمعتنا عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم
الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط إلا في ذي القعدة ، وأخبره
المغازي ومسلم من حديث جرير بن منصور عن مجاهد به نحوه . ورواه أبو داود واللساني أيضاً من
حديث زهير عن أبي إسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله (ص) ؟ فقال مرتين ، فقالت
عائشة لقد علم ابن عمر أن رسول الله (ص) ، اعتمر ثلاثاً سوى التي قرن بها بحجة الوداع . قال الإمام أحمد
ثنا يحيى بن آدم ثنا مفضل بن منصور عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن
عمر مستند إلى حجرة عائشة وأمس يمسكون الضحى ، فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟
قال بدعة ، فقال له عروة أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله (ص) ؟ فقال أربعاً إحداهن في رجب ، قال
ومعنا استدراك عائشة في الحجرة ، فقال لها عروة إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله (ص) ، اعتمر أربعاً
إحداهن في رجب ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر النبي (ص) ، إلا وهو معه ، وما اعتمر
في رجب قط . وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن الحسن بن موسى عن شيبان عن منصور
وقال حسن صحيح غريب . وقال الإمام أحمد ثنا روح ثنا ابن جريج أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم
عن عبد المزيز بن عبد الله عن نجرش الكوفي أن رسول الله (ص) ، خرج من الجمرات ليلاً حين
أمسى مشيراً فدخل مكة ليلاً يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجرات كبالت حم
إذا زالت الشمس خرج من الجمرات في بطن سرف ، حتى جاء مع الطريق - طريق المدينة - بسراً
قال نجرش : لذلك سميت عمرته على كثير من الناس . ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد عن ابن
جريج كذلك وهو من أفراد . والمقصود أن عمرة الجمرات ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منه
ولا دفعه ومن نفاها لا حجة له . في مقابلة من أثبتها والله أعلم . ثم وهم كالمجموعين على أنها كانت في
ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين ، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه

الكبير قال : حدثنا الحسن بن اسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن الحسن الأسدي
 ثنا ابراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن عمير مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال : لما قدم
 رسول الله (ص) من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها القنائم ثم اعتمر منها وذلك ليلتين بقيتا من شوال
 فانه غريب جداً وفي إسناده نظر والله أعلم . وقال البخاري ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا اسماعيل ثنا ابن
 جريج أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليقني أرى رسول الله (ص) .
 حين ينزل عليه ، قال فبينما رسول الله (ص) بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم به معه فيه ناس من أصحابه
 إذ جاءه اعرابي عليه جبة متضمنخ بطيب ، قال فأشار عمر بن الخطاب الى يعلى بيده أن تعال فجاء يعلى
 فدخل رأسه فإذا النبي (ص) محمداً وجهه ينفذ كذلك ساعة ثم مضى عنه فقال « أين الذي يسألني عن
 العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال « أما الطيب الذي بك فاعسله ثلاث مرات ، وأما الجبة
 فارتعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك » ورواه مسلم من حديث ابن جريج وأخرجاه من وجه
 آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به . وقال الامام احمد ثنا أبو أسامة أنا هشام عن
 أبيه عن عائشة قالت : دخل رسول الله (ص) علم الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل في العمرة من
 كدى . وقال أبو داود ثنا موسى أبو سلمة ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس أن رسول الله (ص) وأصحابه اعتمرُوا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا
 أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى . فورد به أبو داود ورواه أيضاً وابن
 ماجه من حديث ابن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس مختصراً . وقال الامام احمد ثنا يحيى بن
 سعيد عن ابن جريج : ثنا الحسن بن مسلم عن طاوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال
 قصرت عن رسول الله (ص) : بمشقص أو قال : رأيت يهصر عنه بمشقص عند المروة . وقد أخرجاه
 في الصحيحين من حديث ابن جريج به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام
 ابن حبيب عن «الطوس» عن ابن عباس عن معاوية به . ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث عبد
 الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به . وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثني عمرو بن محمد
 الناقد ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال :
 قصرت عن رأس رسول الله (ص) عند المروة . والمقصود أن هذا إما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة
 وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صد عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن
 أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله (ص) بل خرجوا منها ، وتغيّبوا عنها
 مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرة التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ،
 فتعين أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من رأس رسول الله (ص) .

عند المروة إنما كان في عمرة الجمرات كما قلنا والله تعالى أعلم . وقال محمد بن اسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله (س) من الجمرات معتمراً وأمر ببقاء النقي فحبس بمحنة بناحية مر الظهران . قلت : الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة . قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله (س) من عمرته انصرف راجعاً الى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفتقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن . وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله (س) خلف معاذاً مع عتاب بمكة قبل خروجه الى هوازن ثم خلفهما بها حين رجع الى المدينة . وقال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال لما استعمل رسول الله (س) عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس أجمع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله (س) درهما كل يوم فليست لي حاجة الى أحد . قال ابن اسحاق : وكانت عمرة رسول الله (س) في ذي القعدة وقسم المدينة في بقية ذي القعدة أوفى أول ذي الحجة . قال ابن هشام : قدمها لست بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المدني . قال ابن اسحاق : وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب يحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهي سنة ثمان . قال وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

استاذم كعب بن زهير بن أبي سلمى وذكر قصيدته : بانت سعاد

قال ابن اسحاق : ولما قدم رسول الله (س) من منصرفه عن الطائف كتب بيجر بن زهير بن أبي سلمى الى أخيه لابيويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله (س) قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوهم ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش وابن الزبير وهبيرة بن أبي وهب هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله (س) فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً وإن أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض . وكان كعب قد قال :

ألا بلنا عني بجيراً رسالةً فويحك^(١) فيما قلت ويحك هل لك
فبين لنا إن كنت لست بفاعلٍ على أي شيء غير ذلك ذلك
على خلق لم ألف يوماً أباً له عليه وما تلقى عليه أباً لك
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قائلٍ إنا عثرت لئالكا

(١) كذا في الاصل وفي ابن هشام والتهيمرية : فم لك فيما قلت ويحك هل لك

سقاك بها المأمون كأساً رويةً فأنهالك المأمون منها وعلكا
قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغ عني بجيراً رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك
شربت مع المأمون كأساً رويةً فأنهالك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أي شيء ويَبَّ غيرك دلكا
على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه ولم تُدرِك عليه أخاً لك
فإن أنت لم تفعل فليست بأسف ولا قائل إنا عثرت لماً لك

قال ابن اسحاق : وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيراً كره أن يكتسبها رسول الله (س) ،
فأنشده إياها ، فقال رسول الله (س) ، لما سمع سقاك بها المأمون « صدق وإنه لكذوب أنا المأمون »
ولما سمع على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه قال « أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه » قال ثم كتب بجير
إلى كعب يقول له :

من مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً وهي أحزَم
إلى الله لا المزي ولا اللات وحده فتنبؤ إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمنلت من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى علي محرم

قال فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره
من عدوه وقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله (س) ، وذكر
فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة
من جهينة كما ذكر لي فنادى به إلى رسول الله (س) ، في صلاة الصبح فجلس مع رسول الله (س) ، ثم أشار
له إلى رسول الله (س) ، فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ، فذكر لي أنه قام إلى رسول الله (س) ،
فجلس إليه ووضع يده في يده ، وكان رسول الله (س) ، لا يعرفه فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير
قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله (س) ، « نعم »
فقال : إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب
عليه رجل من الانصار فقال : يا رسول الله ذهني وعدو الله أضرب عنقه ؟ فقال رسول الله (س) ،
« دعه عنك فإنه جاء تائباً نازهاً » قال فغضب كعب بن زهير على هذا الحى من الانصار لما صنع به
صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم
على رسول الله (س) :

بانث سعاد فتلي اليوم مشول
 وما سعاد غداة البن إذ رحلوا
 هيفاء مقبلة عجزاه مدبرة
 تجلو عوارض ذي ظم إذا ابتسمت
 شجت بذني شيم من ماء محنية
 تنفي الرياح انقضى عنه وأمره
 فيالها خلّة لو أنها صدقت
 لكثرنا خلّة قد سيط من دمها
 فما سدم على حال تكون بها
 وما تمسك بالهد الذي زعمت
 فلا يفرّتك ما منت وما وعدت
 كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
 أرجو وآمل أن تدنو موذنها
 أمست سعاد بارض لا تبلغها
 ولن يبتغها إلا عذافرة
 من كل تضاعة تدفري إذا عرقت
 نرمي الغيوب بعيني مفرد لحي
 ضخم مقلدها فبعم مقيدها
 حرف أخوها أبوها من رجنته
 يمتي الفراد عليها ثم يزقه
 عبرانة قدفت بالنحض عن عرض
 قنواء في حربتها للبصير بها
 كأنما فأت عينيها ومذبحها
 تمر مثل عيب النخل ذا خصل
 تهوي على كسرات وهي لاهية
 يوما تظلم به الحرباء مصطنعا

متيم عندها لم يفد مكبول
 إلا أغرت غضيض الطارف مكحول
 لا يشنكي قصر منها ولا طول^(١)
 كأنه منهل بالراح معلول
 صاف باطح أضحي وهو مشمول
 من صوب غادية يبيض يعاليل
 وعددها أولو أن النصح مقبول
 فجع وولع وإخلاف وتبديل
 كما تلون في أنوانها الغول
 إلا كما يملك الماء الغرايل
 إن الأمانى والاسلام تضليل
 وما واعدتها إلا الأباطيل
 وما لمن إخوان الدهر تعجيل
 إلا العتاق النجيبات المراسيل
 فيها على الأثين إرقال وتبغيل
 عرضها طامس الاعلام مجهول
 إذا توفقت الحزان والميل
 في خلفها عن بنات الفحل تفضيل
 وعما خالها قوداه شمليل
 منها لبان وأقارب زهايل
 مرقها عن بنات الزور مفتول
 متق مبین وفي الخلدین تسويل
 من نظمها ومن اللحين برطيل
 في غادر لم تخونه الأحاليل
 ذوايل وقمن الارض تحليل
 كأن ضاحية بالشمس محلول

(١) لم يورد المصنف هذا البيت واختصر بعض أبيات منها مع التقديم وتأخير وهي مشهورة فلتراجع.

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت
 أوبى بذي فاقدي موطأ معوله
 نواحة رخوة الضمير ليس لها
 تفري اللبان بكفها ومترعها
 تسمى الفواة جنبها وقولهم
 وقال كل صديق كنت آمله
 فقلت خلوا سبيلي لا أبالك
 كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
 نبئت أن رسول الله أوعدي
 مهلاً هداك الذي أعطاك فافله القرآن
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
 لظل برعد من وجد موارده
 حتى وضعت يميني ما أثارها
 فلهو أخوت عندي إذا أكله
 من ضيفهم بغير إرض مخدرة
 يقدو فيلجم ضرغامين عيشهما
 إذا يساور قرنا لا يحمل له
 منه تظل حمير الوحش فافرة
 ولا يزال بواديه أخوتة
 إن الرسول لنور يستضاء به
 في عصبته من قرين قال قائلهم
 زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
 يشون مشي الجمال الزهر يعصمهم
 شم العرائن أبطال لبوسهم
 بيض حوايف قد شكت لها خلق
 ليسوا معاريج إن قالت رماحهم
 ورق الجنادب يركض الحصا قبلوا
 قامت فجاء بها نكر مثا كيل
 لما نعى بكرها الناعون معقول
 مشق عن تراقبها رعايل
 إنك يا ابن أبي سلى لمقتول
 لا ألهيتك إني عنك مشغول
 فكل ما قدر الرحمن مفول
 يوماً على آله حذاء محول
 والعفو عند رسول الله مأمول
 أذن ولو كثرت في الأقاويل
 أرى وأسمع ما قد يسمع القيل
 من الرسول بإذن الله تنريل
 في كف ذي قمات قوله القيل
 وقيل إنك منسوب ومثول
 في بطن عثر غيل ذرته غيل
 لحم من الناس مغور خراديل
 أن يترك القرن إلا وهو مقلول
 ولا تمشي بواديه الأراجيل
 مخرج البر والبرسان ما كول
 مهنة من سيوف الله ملول
 يطن مكة لما أسلوا زولوا
 عند اللقاء ولا ميل مازيل
 ضرب إذا عرد السود التنايل
 من نسج داود في الهيجا سرايل
 كأنها خلق القفار محمول
 قواً وليسوا مجازيماً إذا نيلوا

لا يقع الطعن إلا في نحوهم ولا لهم عن حياض الموت تهليل
قال ابن هشام هكذا أورد محمد بن اسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً ، وقد رواها الحافظ
البيهقي في دلائل النبوة باسناد متصل فقال أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن
ابن أحمد الاسدي بهذان ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا الحجاج بن ذى الرقبة
ابن سبيل الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده قال : خرج كعب وبجير ابنا زهير
حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب أثبت في هذا المكان حتى آتى هذا الرجل - يعنى رسول
الله - فسمع ما يقول فثبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله - فعرض عليه الاسلام فاسلم
فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغنا عنى بجيراً رسالةً على أى شئ ويب غيرك ذلكا
على خلق لم تلتف أماً ولا أباً ، عليه ولم تدرك عليه أخالكا
سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

فلما بلغت الآيات رسول الله - أهدر دمه وقال « من لقي كعباً فليقتله » فكتب بذلك
بجيراً إلى أخيه وذكر له أن رسول الله - قد أهدر دمه ويقول له النجاء وما أراك تنفدت ، ثم كتب
اليه بعد ذلك يعلم أن رسول الله - لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - إلا
قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك فاذا جاءك كتابي هذا فاسلم وأقبل ، قال فاسلم كعب وقال
قصيدته التى يمدح فيها رسول الله - ، ثم أقبل حتى أتاه راحلته بباب مسجد رسول الله - ، ثم
دخل المسجد ورسول الله - مع أصحابه كالمائدة بين القوم متعلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى
هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم قال كعب : فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت
رسول الله - بالصفة حتى جلست اليه فأسلمت وقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله
الأمان يا رسول الله ، قال « ومن أنت ؟ » قال كعب بن زهير ، قال « الذى يقول » ثم التفت رسول
الله - فقال « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فأنشد أبو بكر :

سقاك بها المأمون كأساً روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

قال يا رسول الله ما قلت هكذا ، قال « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سقاك بها المأمون كأساً روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله - ، مأمون والله ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهى هذه القصيدة

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيم عندها لم يفد مكبول

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن اسحاق والبيهقي رحمهما الله عز وجل

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إن الرسول لنورٌ يُسَنُّاه به مَهْدٌ من سيوف الله مسلول
نُبِثْتُ أن رسول الله أوعَدَنِي والعفو عند رسول الله مأمول

قال : فأشار رسول الله (س) إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في
مغازيه والله الحمد والمثنة .

قلت : ورد في بعض الروايات أن رسول الله (س) أعطاه برده حين أنشده القصيدة وقد نظم
ذلك المصري في بعض مدائمه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة قال وهي
البردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة
باسناد أرثضيه فإله أعلم . وقد روى أن رسول الله (س) قال له لما قل بانت سعاد ومن سعاد ؟ قال
زوجة جني يارسول الله ، قال لم تبين ولكن لم يصح ذلك وكأنه على ذلك توهم أن بأسلامه تبين امرأته
والظاهر أنه إنما أراد البينونة الحسية لا الحكمية والله تعالى أعلم . قال ابن اسحاق : وقال عاصم بن
عمر بن قتادة فلما قال كعب - يعني في قصيدته - إذا عرد السود التنايل وإنما يريدنا معشر الأنصار
لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين من قريش بمدحه غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أتم
يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله (س) وموضعهم من اليمن :

مَنْ سَرَهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ	فِي مَقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرَبُّوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ	إِنْ الْخِيَارَ هُمَا بَنُو الْإِخْيَارِ
الْمَكْرُ هِيَ السَّمَرِيُّ بِأَذْرَعِ	كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ
وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنِ حَمْرَةٍ	كَالْجَرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَبْصَارِ
وَالْبَائِعِينَ نَفْسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ	لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانَقِي وَكِرَارِ
[وَالْقَائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ	بِالْمَشْرِقِ وَبِالْقَنَا الْخَطَارِ]
يَتَطَهَّرُونَ بِرَوْثِهِ نُسْكَاً لَهُمْ	بِدِمَائِهِ مِنْ عُلُقُوا مِنَ الْكُفَارِ
كَرَبُوا كَمَا كَرَبْتُ بَطُونَ خَفِيَةٍ	غَلَبَ الرِّقَابَ مِنَ الْأَسُودِ ضَوَارِ
وَإِذَا حَلَّتْ أَيْنُوكَ إِلَيْهِمْ	أَصْبَحَتْ عِنْدَ مَعَاظِلِ الْأَعْفَارِ
ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً	دَانَتْ لَوْعَتِهَا جَمِيعُ نَزَارِ
لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عَلِيَّ كَلِّهِ	فِيهِمْ لَصَدَّقَتِ الدِّينَ أُمَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَوَّتِ النُّجُومُ قَانِهِمْ	لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِ

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله (س) قال له حين أنشده بانت سعاد « لولا ذكرت الانصار بخير فانهم لذلك أهل » فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له قال وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله (س) في المسجد بانت سعاد فقلبي اليوم متبول . وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني معن بن عيسى حدثني محمد بن عبد الرحمن الأقطس عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه يميير وكعب أشعرهما وأبوهما زهير فوقهما ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سمي الفتي وهو مخبوء له القدر
يسمى الفتي لأمر ليس يدركها فالنفس واحدة والهيم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل لا تنهي العين حتى ينتهي الأثر

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب الغابة في معرفة الصحابة ولكن حكى أن أباه توفي قبل المبعث بسنة فآله أعلم . وقال السهيلي ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله (س) :

نجري به الناقة الأدماء معجراً بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
ففي عطافيه أو أثناء برذته ما يعلم الله من دين ومن كرم
الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هوازن بحنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجمرات في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة . قال الواقدي : رجع رسول الله (س) إلى المدينة ليلاً بقين من ذي الحجة في سفرته هذه . قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله (س) عمرو بن العاص إلى جيفر وعمر بن أبي الجندى من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب ، قال وفيها تزوج رسول الله (س) فاطمة بنت الضحاك بن سفيان السكلافي في ذي القعدة فاستعانت منه عليه السلام بفارقها ، وقيل بل خيرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله (س) من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولماً ذكرأ وكانت قابلتها فيه سلمى

مولاة رسول الله (س)، فخرجت الى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله (س)، فاعطاه مملوكا ودفعه رسول الله (س)، الى أميرة بنت المنذر بن أسيد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف وذلك لخمس بقين من رمضان منها. قال الواقدي: وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد هذيل برهاط، هدمه عمرو بن العاص رضى الله عنه ولم يجد في خزائنه شيئا، وفيها هدم مناة بالمثل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه هدمه سعد بن زيد الأشملي رضى الله عنه وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى [أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى]

قلت: وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تخريب خشم البيت الذي كانت تعبد ويسمونه لكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية ولتلك - الكعبة اليمانية فقال البخاري: ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو أسامة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير قال قال لي رسول الله (س)، «ألا تريحنى من ذى الخلاصة؟» فقلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحبس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي (س)، فضرب يده في صدرى حتى رأيت أثر يده في صدرى وقال «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» قال فما وقعت عن فرس بعد. قال وكان ذوا الخلاصة بينا باليمن لخشم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية. قال فأقامها فخرها في النار وكسرها، قال فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالآزالام فقبل له إن رسول الله (س)، هاهنا فان قدر عليك ضرب عنقك، قال فبينما هو يضرب بها اذ وقف عليه جرير فقال لكسرها وتشهد أن لا اله الا الله أو لأضرب عنقك؟ فكسرها وشهد. ثم بعث جرير رجلا من أحبس يكنى أوطاة الى النبي (س)، يبشره بذلك، قال فلما أتى رسول الله (س)، قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبارك رسول الله (س)، على خيل أحبس ورجالها خمس مرات. ورواه مسلم من طرق متعددة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه.

تم والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات الجزء الرابع من تاريخ البداية والنهاية لابن كثير
ويتلوه الجزء الخامس وأوله ذكر غزوة تبوك في رجب منها

فهرس الجزء الرابع

من البداية والنهاية

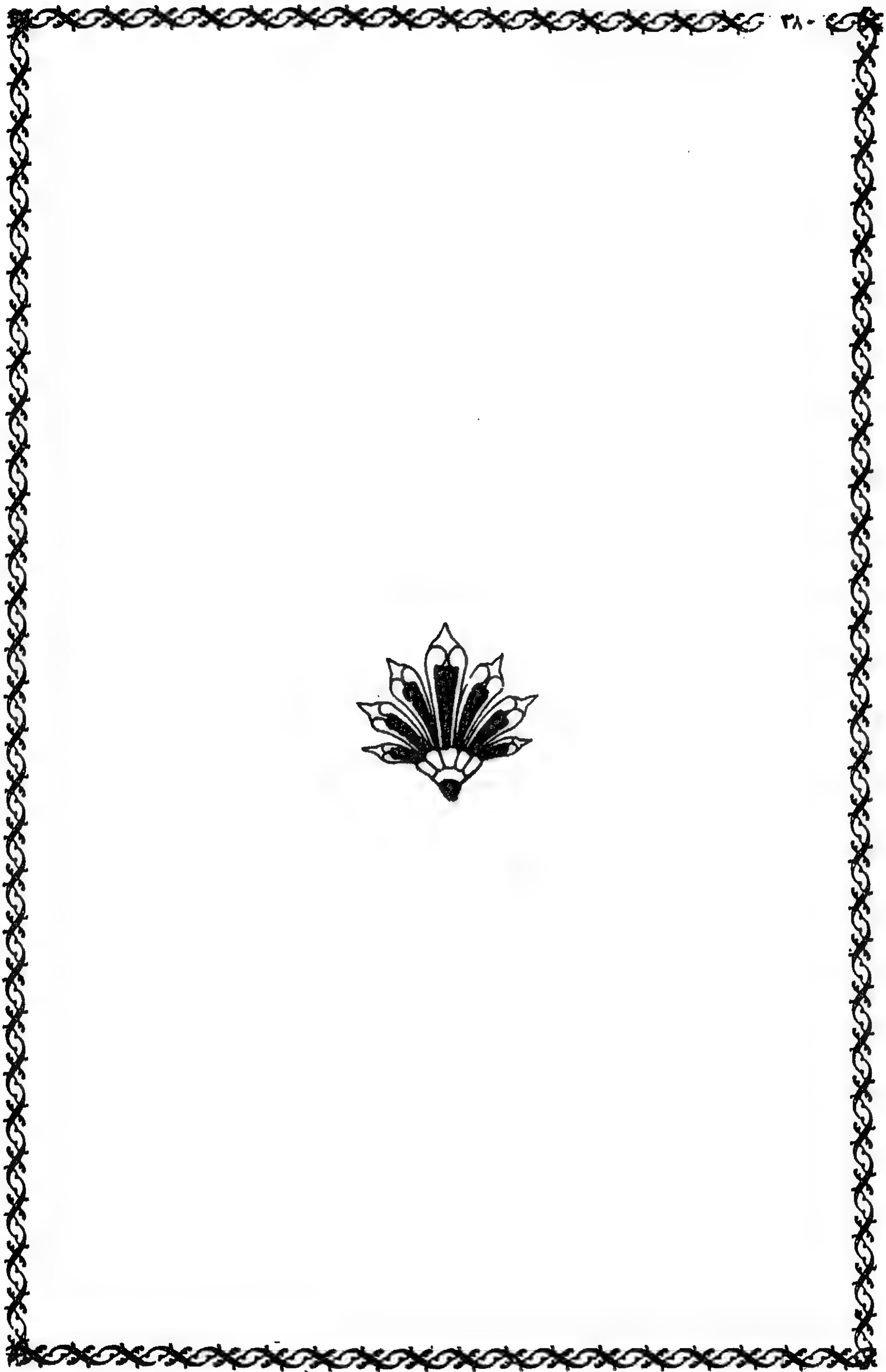
صفحة		صفحة
٤٦	فَضَائِلُ	٢
٤٨	خروج النبي (ص) بأصحابه	سنة ثلاث من الهجرة
٤٨	على ما بهم من القرح والجراح في اثر	٣
	ابي سفيان	غزوة الفرع من بحران
٥٢	فَضَائِلُ	٣
٥٢	فيا تناول به المؤمنون والكفار في	خبر يهود بني قينقاع من المدينة
	وقعة أحد من الاشعار	٤
٦١	آخر الكلام على وقعة احد	سرية زيد بن حارثة
٦١	فَضَائِلُ	٥
٦١	سنة اربع من الهجرة النبوية	مقتل كعب بن الاشرف
٦٢	غزوة الرجيع	٩
		غزوة أحد في شوال سنة ثلاث
٦٩	سرية عمر بن أمية الضمري	١٧
		مقتل حمزة رضي الله عنه
٧١	سرية بشر معونة	٢٢
		فَضَائِلُ
٧٤	غزوة بني النضير	٢٩
٧٤	وفيهام سورة الحشر	فَضَائِلُ
٨٠	قصة عمرو بن سعدى القرظي	٢٩
		فيا لقي النبي (ص) يومئذ من
٨١	غزوة بني لحيان	المشركين قبضهم الله
		فَضَائِلُ
٨٣	غزوة ذات الرقاع	٣٤
		فَضَائِلُ
٨٤	قصة غوث بن الحارث	٣٥
		فَضَائِلُ
		دعاء النبي (ص) يوم أحد
		٣٩
		فَضَائِلُ
		٤٠
		الصلاة على حمزة وقتلى أحد
		فَضَائِلُ
		٤٦

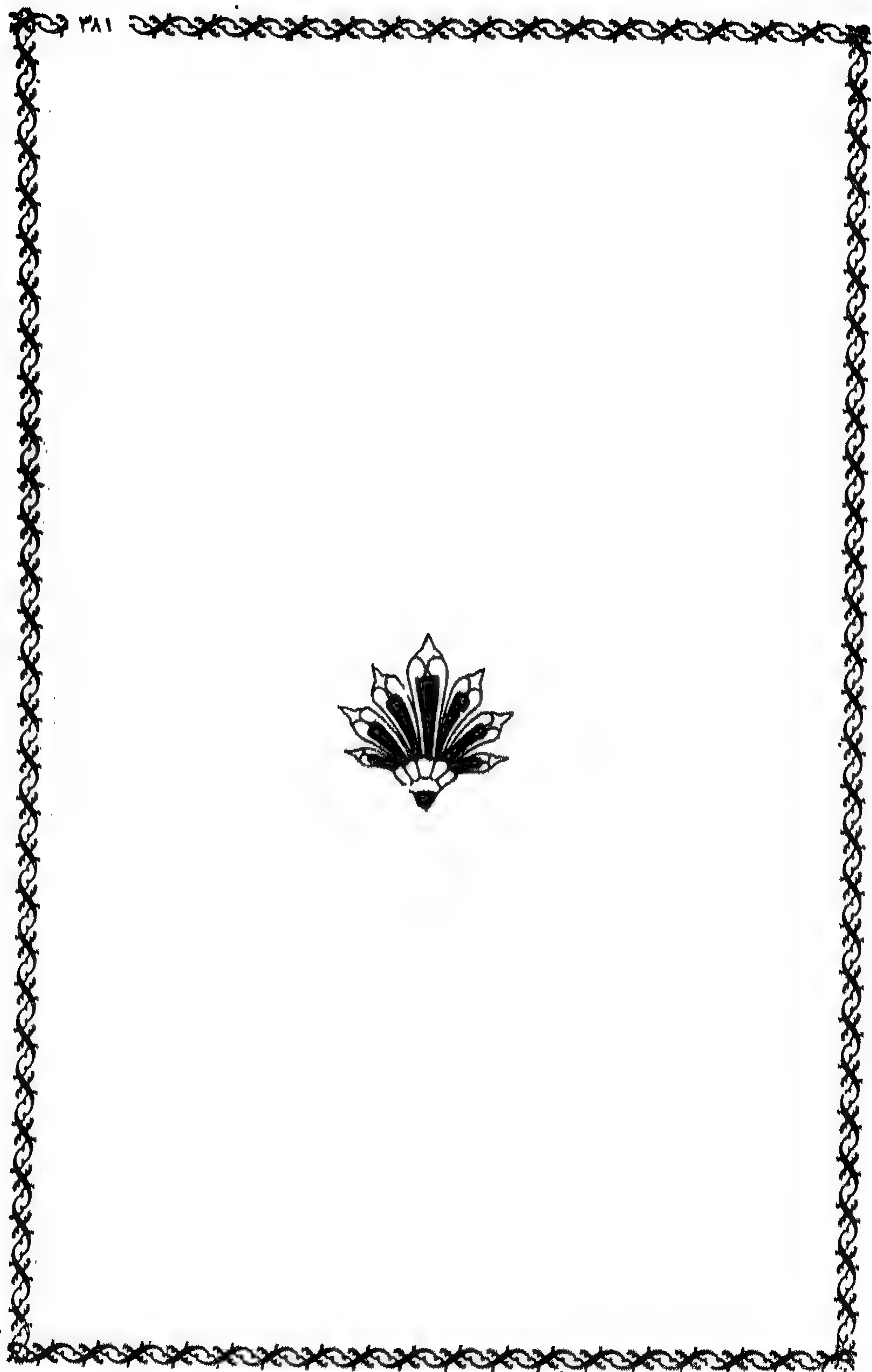
صفحة	صفحة
٨٥	قصة الذي أصيبت امرأته يومذاك
٨٦	قصة جمل جابر
٨٧	قصة بدر الآخرة
٨٩	فصل في جملة من الحوادث الواقعة سنة
٩٢	أربع من الهجرة
٩٢	سنة خمس من الهجرة النبوية
٩٢	غزوة دوحه الجندل في ربيع
٩٢	الأول منها
٩٢	غزوة الخندق أو الأحزاب
١٠٢	فصل في غزوة بدر
١١١	فصل في غزوة بدر
١١١	فصل في دعائه عليه السلام على
١١٦	الأحزاب
١١٦	فصل في غزوة بني قريظة
١٢٦	وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه
١٣١	فصل في الأشعار في الخندق وبني قريظة
١٣٧	مقتل أبي رافع اليهودي
١٤٠	مقتل خالد بن سفيان الهزلي
١٤١	قصة عمرو بن العاص مع النجاشي
١٤٣	فصل في تزيج النبي (ص) بأم حبيبة
١٤٣	تزوج به زينب بنت جحش
١٤٧	نزول الحجاب صبيحة عرس زينب
١٤٩	سنة ست من الهجرة
١٥٠	غزوة ذي قرد
١٥٦	غزوة بني المصطلق من خزاعة
١٦٠	قصة الأفك
١٦٤	غزوة الحديبية
١٧٣	سياق البخاري لعسرة الحديبية
١٧٨	فصل في السرايا
١٨٠	التي كانت في سنة ست من الهجرة
١٨٠	فصل فيما وقع من الحوادث في
١٨١	هذه السنة
١٨١	سنة سبع من الهجرة
١٩٢	غزوة خيبر في أولها
١٩٦	ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية
١٩٨	فتح حصونها وقسيمة أرضها

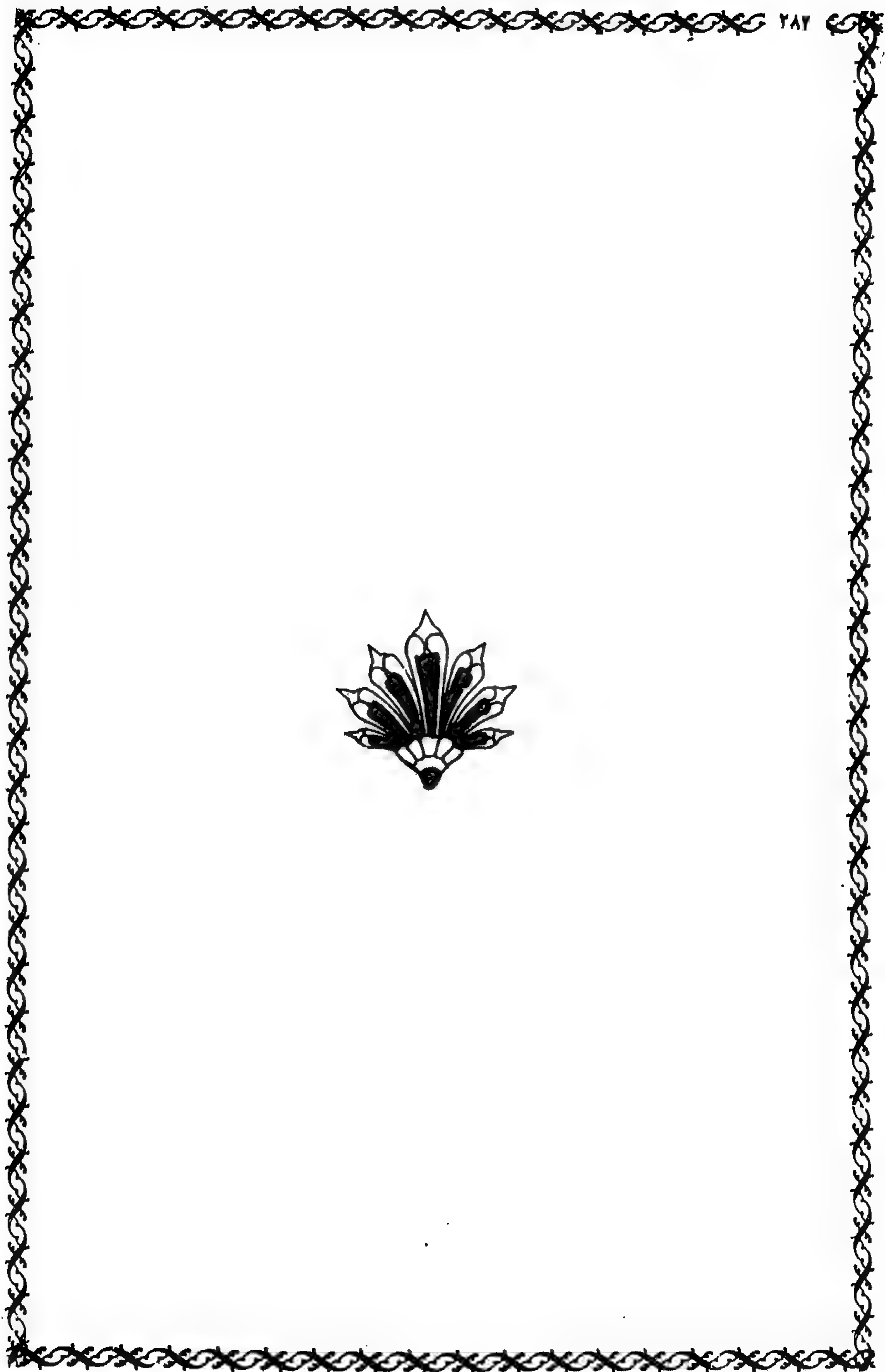
صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٢٣٧	اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة	٢٠٤	فَضْلُ اللَّهِ
٢١٨	طريق اسلام خالد بن الوليد	٢٠٥	ذكر قدوم جعفر بن ابي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون
٢٤٠	سرية شجاع بن وهب الأسدي الى هوازن	٢٠٨	قصة الثبابة المسمومة والبرهان الذي ظهر
٢٤١	غزوة مؤتة	٢١٢	فَضْلُ اللَّهِ
٢٤١	سرية كعب بن عمير الى بني قضاة	٢١٤	فَضْلُ اللَّهِ
٢٥٣	فَضْلُ اللَّهِ	٢١٤	من استشهد بخير من الصحابة
٢٥٤	فَضْلُ اللَّهِ	٢١٥	خبر الحجاج بن علاط البهزي
٢٥٤	في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وعبدالله رضي الله عنهم	٢١٨	فَضْلُ اللَّهِ
٢٥٩	فصل في من استشهد يوم مؤتة	٢١٨	مروره (ص) بوادي القرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم
٢٥٩	حديث فيه فضيلة عظيمة لامراء هذه السرية	٢١٩	فَضْلُ اللَّهِ
٢٦٠	ما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة	٢٢٠	سرية ابي بكر الصديق الى بني فزارة
٢٦٢	كتاب بعث رسول الله (ص) الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم	٢٢١	سرية عمر بن الخطاب الى تربة وزاء مكة بأربعة اميال
٢٦٨	ارساله (ص) الى ملك العرب من النصارى بالشام	٢٢١	سرية عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودي
٢٦٨	بعثه الى كسرى ملك الفرس	٢٢١	سرية اخرى مع بشير بن سعد
٢٧٢	بعثه (ص) الى المقوقس صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي	٢٢٣	سرية بني حدرد الى الغابة
٢٧٣	غزوة ذات السلاسل	٢٢٤	السرية التي قتل فيها حنظل بن جثامة عامر بن الاضبط
٢٧٦	سرية ابي عبيدة الى سيف البحر	٢٢٦	سرية عبد الله بن حزافة السهمي
٢٧٨	بسم الله الرحمن الرحيم	٢٢٦	عمرة القضاء
٢٨٣	قصة حاطب بن ابي بلتعة	٢٣٣	قصة ترويجه عليه السلام بميمونة
٢٨٥	فَضْلُ اللَّهِ	٢٣٤	ذكر خروجه (ص) من مكة بعد قضاء عمره
٢٨٧	فَضْلُ اللَّهِ	٢٣٥	فَضْلُ اللَّهِ
		٢٣٦	سنة ثمان من الهجرة النبوية

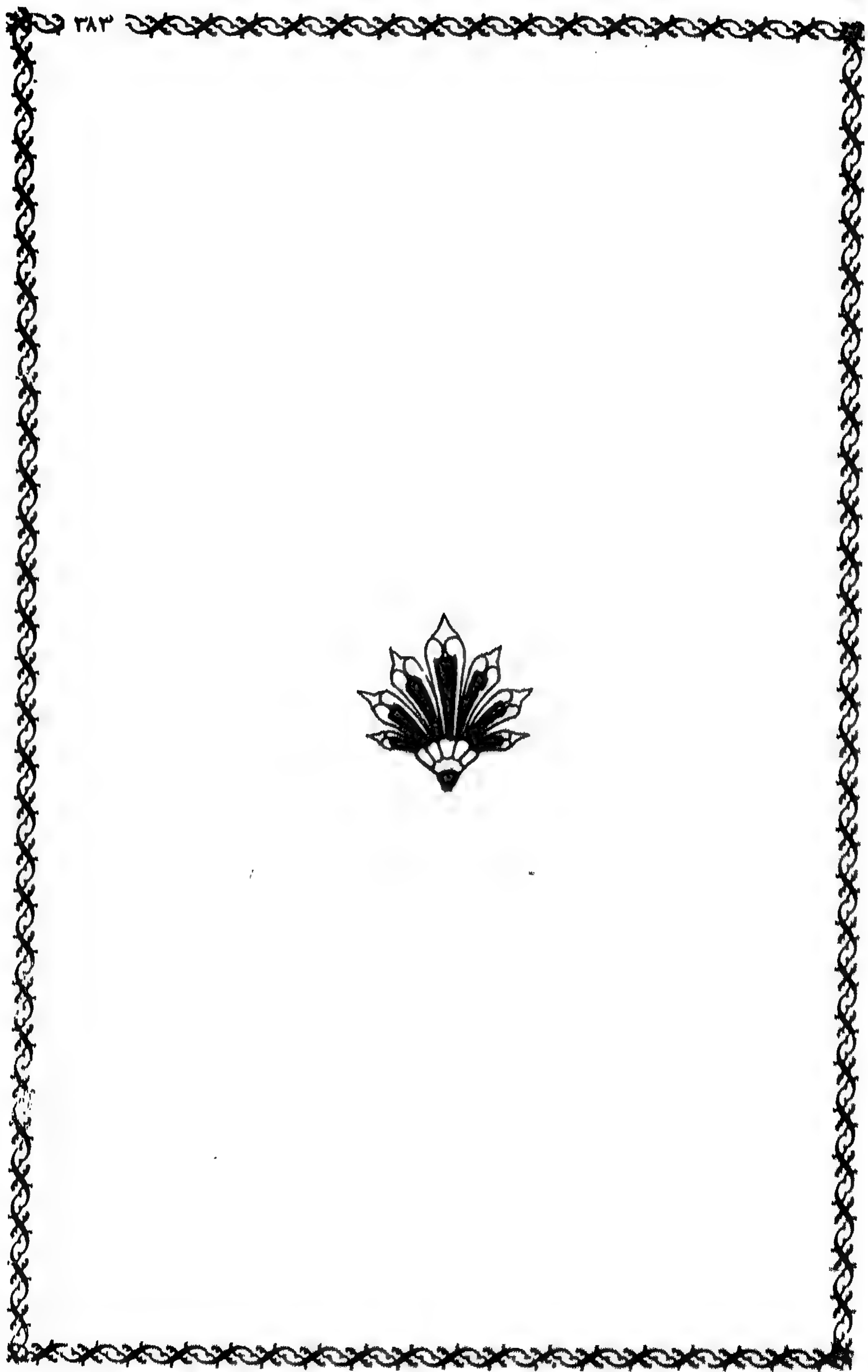
مصحف	مصحف
بسم الله الرحمن الرحيم - غزوة	٢٨٨ فضيلة
الطائف	٢٩٢ صفة دخوله مكة
مرجعه عليه السلام من الطائف	٣٠ فضيلة
وقسمة غنائم هوازن	٣١٦ بعث خالد بن الوليد لهدم العزى
٣٦١ قدوم مالك بن عوف النصري على	٣١٦ فصل في مدة اقامته عليه السلام بمكة
الرسول	٣١٧ فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من
٣٦٢ عتراض بعض اهل الشقاق على الرسول	الاحكام
٣٦٣ مجيء اخت رسول الله (ص) من	٣١٨ فضيلة
الرضاعة عليه بالجعرانة	٣٢٢ غزوة هوازن يوم حنين
٣٦٥ عمرة الجعرانة في ذي القعدة	٣٢٦ الوقعة وما كان اول الامر من الفرار
٣٦٨ إسلام كعب بن زهير بن ابي سلمى وذكر	ثم العاقبة للمتقين
قصيدته : بانت سعاد	٣٣٦ فضيلة
٣٧٥ الحوادث المشهورة في سنة ثمان	٣٣٧ غزوة اوطاس
والوفيات	٣٤٠ من استشهد يوم حنين واوطاس
٣٧٦ فهرست الجزء الرابع	٣٤٠ ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

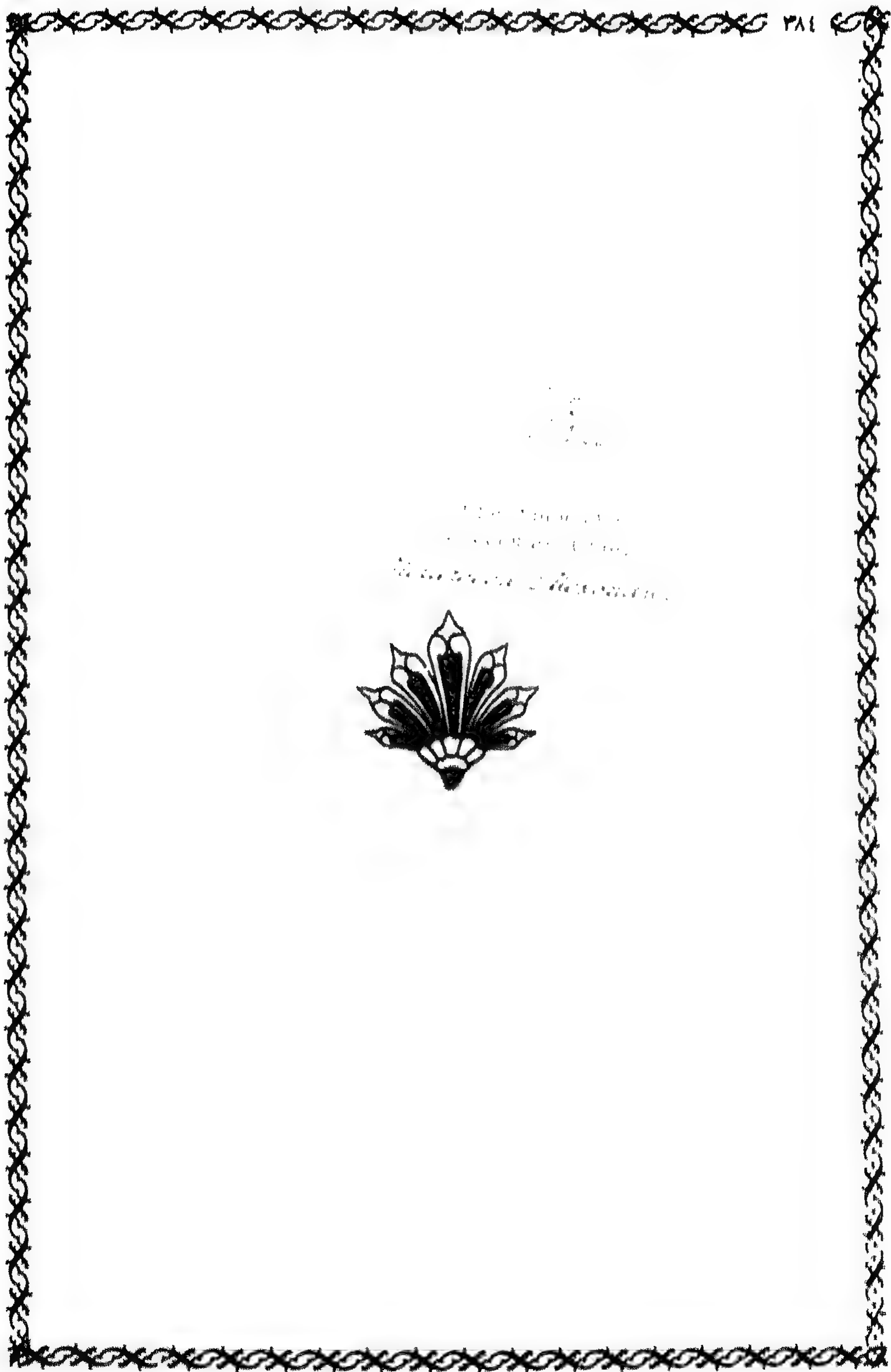












PL 1

18

THE UNIVERSITY
OF CHICAGO
LIBRARY







